

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور_الجلطة-الجزائر



2

مجلة

sociology

سوسيولوجيا

للدراستات والبحوث الإجتماعية2

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية..

2

عدد خاص ببعض أعمال اليوم الدراسي الوطني:

قراءات في قضايا التغير الإجتماعي 17 أبريل 2017

العدد 01 _أفريل. 2017

ردمد: issn:2602-5647

مجلة علمية دولية محكمة

تصدر في قسم علم الاجتماع والديمغرافيا

جامعة الجلفة

مجلة

sociology
سوسيولوجيا

للدراسات والبحوث الاجتماعية 2

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية..

..

..

..

..

..

ردمك: 2602-5647 issn

sociology سوسولوجيا

للدراستات والبحوث الإجتماعية 2

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر في قسم علم الاجتماع والديمغرافيا جامعة الجلفة

إدارة المجلة

الرئيس الشرفي للمجلة:

د. بلقومان برزوق - رئيس جامعة الجلفة

منسق اللجنة العلمية: د. براهيم محمد الشيخ

مدير المجلة: د. يونس عيسى

رئيس التحرير: د. زعتر نور الدين

رئيس التحرير مساعد: أ. شداد عبد الرحمان

السكرتاريا: د. عايدي جمال

مسؤول النشر: أ. ناجي رشيد

التدقيق اللغوي: د. أخضري عيسى

مسؤول الهيئة الإستشارية: د. ابراهيمي أم السعود

أعضاء الهيئة الإستشارية

جامعة الجلفة	أ.د. بكاي ميلود	جامعة الجلفة	أ.د. حسان هشام
جامعة الجلفة	د. بن شريك عمر	جامعة الجلفة	أ.د. بوكربوط عز الدين
جامعة بسكرة	د. اوذاينية عمر	جامعة الجزائر 2	أ.د. مقراني الهاشمي
جامعة الجلفة	د. مهدي عمر	جامعة البليدة 2	أ.د. نقاز سيد احمد
جامعة الجلفة	د. بلعربي امحمد	جامعة البليدة 2	أ.د. رتيهي فضيل
جامعة البليدة 2	د. طبال لطيفة	جامعة الجزائر 2	أ.د. بوشلوش طاهر
جامعة باريس 8 فرنسا	د. ازدارن فيصل	جامعة البليدة 2	أ.د. معتوق جمال
		جامعة الجزائر 2	أ.د. عبد اللاوي حسين

sociology
سوسيولوجيا

للدراستات والبحوث الإجتماعية 2

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر في قسم علم الاجتماع والديمغرافيا جامعة الجلفة

أعضاء هيئة التحرير

جامعة الجلفة	د. بلبول نصيرة	جامعة الجلفة	د. بن عروس محمد لين
جامعة الجلفة	د. بلقماري هدى	جامعة الجلفة	د. جلود رشيد
جامعة الجلفة	أ. عزوز محمد علي	جامعة الجلفة	د. نهايلي حفيظة
جامعة الجلفة	د. عابد ميهوب	جامعة الجلفة	د. محمدي عبد القادر
جامعة الجزائر 2	د. دلدول جمال	جامعة الجلفة	د. بلبول نصيرة
جامعة الجلفة	د. ابراهيمي أم السعود	جامعة الجلفة	د. دحمان نوال
جامعة الجلفة	د. مداس أحمد	جامعة الأغواط	د. بن سليم حسين
جامعة الجلفة	د. عايدي جمال	جامعة الجلفة	د. طعبة سعاد
جامعة الجلفة	أ. لكحل خيرة	جامعة الجلفة	د. صكصك عمر
جامعة الجلفة	أ. حميدات ميسوم	جامعة الجلفة	د. حميدة عبد القادر
		جامعة الجلفة	د. عجال سلامي

sociology سوسيولوجيا

للدراستات والبحوث الإجتماعية 2

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر في قسم علم الاجتماع والديمغرافيا جامعة الجلفة

للمراسلات والاتصال :

ترسل المداخلات إلى البريد الإلكتروني:

Sociologiadjelfa@gmail.com

للاستفسار يرجى الإتصال بمدير المجلة على الرقم:

0778.189.678

صفحة المجلة على الفيسبوك:

مجلة سوسيولوجيا للدراسات والبحوث الإجتماعية _ جامعة الجلفة _

الموقع الرسمي لجامعة زيان عاشور:

<http://www.univ-djelfa.dz>

مجلة "سوسيولوجيا" في موقع المديرية العامة للبحث العلمي

بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي - الجزائر:

http://www.dgrsdt.dz/Fr/?fc=News_A&id=2

شروط وقواعد النشر:

تنشر المجلة الأبحاث والدراسات والمقالات التي تلتزم بالموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها

الأصالة العلمية والدقة، والتي تتوافق وشروط وقواعد النشر التالية:

✓- يقبل للنشر في المجلة المقالات ذات الصلة بجعل علم الاجتماع وما يتصل به من تخصصات ومجالات وكذا العلوم الإجتماعية.

✓- تحتوي الصفحة الأولى مايلي:

إسم الباحث - الدرجة العلمية - إسم الجامعة - البريد الإلكتروني - رقم الهاتف.

ملخص الدراسة: يكتب بلغة المقال ويترجم للغة الإنجليزية.

✓- تقبل المقالات باللغات الثلاث: العربية، الإنجليزية، الفرنسية.

✓- أن يكون المقال في حدود 15 صفحة، وفق مايلي:

باللغة العربية: نوع الخط Traditional Arabic حجم 16.

باللغة الأجنبية: نوع الخط Times New Roman حجم 14.

✓-المقال يخضع إلى التقييم من طرف خبراء الذين بعد موافقتهم، سيتم نشره.

✓-الأعمال المقدمة لا ترد إلى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

sociology
سوسولوجيا

للدراستات والبحوث الإجماعية 2

مجملة علمية دولية محكمة نصف سنوية

مجملة علمية دولية محكمة تصدر في قسم علم الإجماع والديمغرافيا جامعة الجلفة

يُعلم طاقم المجللة وهيئاتها عمائلي:

- يخلي مسؤولياته عن أي انتهاك لحقوق النشر

والملكية والفكرية.

- الأعمال المنشورة في المجللة لا تعبر بالضرورة عن آراء

واتجاهات المجللة.

الفهرس:

الإبتكار والتغير الإجتماعي _____ 10

د.براهيمي أم السعود. جامعة الجلفة.

تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على منظومة القيم الثقافية للمجتمع

(دراسة ميدانية لعينة من الطلبة بجامعة زيان عاشور-الجلفة-). _____ 22

أ.فؤاد نعوم. جامعة الجزائر 2.

أ.بن علي حنان. جامعة الجزائر 2.

التغير الإجتماعي والحتمية التكنولوجية لوسائل الإعلام

- قراءة في نظرية مارشال ماكلوهان - _____ 37

أ.بوسعيد رندا. جامعة الجلفة.

تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على المجتمع _____ 53

د.بن سليم حسين. جامعة الأغواط.

أ. سويسي أحمد. جامعة الأغواط.

أثر التغير الإجتماعي على القيم السوسيوثقافية في المجال الحضري للمجتمع الجزائري _____ 62

أ.أمال باشي. جامعة ورقلة.

أ.باية لعجال. جامعة الجزائر 2.

علاقة الأنترنت بتغير قيم الأبناء نحو التربية الأسرية (التربية الجنسية أنموذجا)

-دراسة ميدانية على عينة من الأباء بولاية المسيلة- _____ 72

د.جلاب مصباح. جامعة المسيلة.

أ.لحميدي عادل. جامعة قسنطينة.

الأمن الإجتماعي في علاقته بالتغير القيمي _____ 87

أ.طاهيري نصيرة. جامعة مستغانم.

أ.بختي زهية. جامعة الجلفة.

التغير الاجتماعي وأثره على سلوك الشباب في المجتمع العربي _____ 96

أ.آدم رحمون. جامعة الأغواط.

الفهرس:

- 112_____التحول السوسيوديمغرافي في الجزائر وأهم مؤشرات الإحصائية
أ. الهاشمي مليك. جامعة البليدة 2.
- 123_____الإعلام الجديد و تأثيراته السوسيو-سياسية. -الثورات العربية أنموذجا-
أ.بن عائشة الزهرة. جامعة تلمسان.
- 140_____وسائل الإعلام ودورها في التغير الاجتماعي
د. نادية بن ورقلة. جامعة الجلفة.
- 154_____الفجوة الرقمية كعامل للتغير الاجتماعي والثقافي
أ.ملاك السعيد. جامعة الجزائر 2.
- 175_____التحولات الإجتماعية القيمة لدى الشباب الجزائري
د.دوداح علجية، جامعة البويرة.
أ.ماقري مليكة. جامعة البويرة.
- 186_____تنمية الوعي الاجتماعي المحقق من استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى الطالب الجامعي
أ.عيشة علة، جامعة الجلفة.
أ.أحمد بلول. جامعة الجلفة.
- 197_____توجهات الشباب الجزائري نحو زواج الوساطة عبر مواقع التواصل الاجتماعي في ظل التغيرات الاجتماعية
(دراسة تحليلية في ضوء بعض الدراسات لتغير الزواج من طريقة الاختيار التقليدية إلى الطريقة الحديثة)
أ.بن سعدة حنان. جامعة الأغواط.
أ.بن سعدة أمال. جامعة الأغواط.
- 215_____تأثير شبكة الفيسبوك على انتشار بعض السلوكيات السلبية لدى الشباب الجزائري
-الهجرة أنموذجا-
أ.مهديد عمرة. جامعة الجزائر 3.

د.براهيمي أم السعود. جامعة الجلفة.

ملخص:

يعتبر الابتكار أحد العوامل التي تساعد المجتمعات على التغيير نحو الأفضل وعلى تحسين ظروف حياة الأفراد فيها، وذلك خلال محاولاتهم البحث عن حلول للمشاكل التي تفرزها حياتهم اليومية سواء كانت اجتماعية ، اقتصادية ، ثقافية أو سياسية. لذلك فقد نال اهتمام العديد من المفكرين والباحثين، وقد اختلفت الرؤى والمنظورات التي تحاول تفسيره وإيجاد العلاقة بينه وبين موضوع التغيير الاجتماعي.

ولقد عانت المرأة لسنوات طويلة حتى تمكنت من دخول عالم الشغل من بابه الواسع وأصبحت تمارس أعمالا كانت من اختصاص الرجال ورغم المشاكل التي تمر بها تمكنت من تحقيق ولو نسبة قليلة من التوافق النفسي والأسري وبالتالي فرض مكاتها على المستوى الاجتماعي والاقتصادي .

تمهيد:

إن الاهتمام الذي يحضه به مفهوم الابتكار في العصر الحديث، يرجع بالدرجة الأولى إلى الاعتراف به كقيمة تلعب دورا حاسما في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للأمم. وتظهر تجليات هذه القيمة الثقافية المكتسبة، من خلال التغيير السريع والمستمر الذي يشهده العالم خاصة المتطور والمتميز بالقدرات الخلاقة والمبدعة. في حين كان ينظر إلى التغيير الاجتماعي من الزاوية الحتمية والخطية، أصبح يفسر اليوم بفضل إسهامات نظرية وتحليلية حديثة، من خلال تراكم الاختراعات اليومية التي تغير بالتدرج عادات البشر وقيمهم الاجتماعية وسلوكهم ونظرتهم إلى العالم حولهم، مما أدى إلى الفكرة القائلة أن التغيير الاجتماعي في أي بلد واقع مرتبط بما ينجز به من ابتكارات، فكلما زادت هذه الأخيرة كلما ارتفعت وتيرة التغيير الاجتماعي.

فما هو تعريف الابتكار في التراث السوسولوجي ؟ ما هي الأسس التي يقوم عليها ؟ وكيف يمكنه إحداث التغيير الاجتماعي في نظر علماء الاجتماع ؟

1- مفهوم الابتكار:

بعدما كان ينظر إلى تغيير المجتمعات من الزاوية الحتمية (déterministe) والخطية من قبل علماء الاجتماع مثل "دوركهايم" (Durkheim) و" سبنسر" (Spencer) و" ماركس" (Marx) ، دخل مفهوم الابتكار في النقاش

السوسيولوجي في أواخر القرن 19 عندما استعمل "تارد" (Tarde)، مصطلح "التقليد" (l'imitation) سنة 1890 في محاولته تفسير تطور المجتمعات من خلال تراكم الاختراعات اليومية التي تغير بالتدريج سلوك البشر و عاداتهم ("فوتان" Fontan)¹. ولأن من خصائص الانسان ، كما يذهب اليه "تارد" تقليد أشباهه ، فان ظهور سلوكا جديدا ، يؤدي الى ردة فعل "وبائية" (épidémiologique) يتم من خلالها تقليد الابتكار بمجرد ما تسمح به الظروف². لكن هذا المنظور بقيع مھمشا حتى بروز تصور أكثر شمولا للعمليات الابتكارية مع التحليل الذي قام به بعض المؤسسين و على رأسهم "شومبتر" (Schumpeter) و"فيلين" (Veblen)، من جهة ومن جهة أخرى استكمال علماء الأنتروبولوجيا تفكيرهم النظري حول التطور و التحول الثقافي انطلاقا من الأعمال التركيبية المنجزة من قبل "ريفرس" (Rivers)، "بواس" (Boas)، "كروبر" (Kroeber) و"مالينوفسكي" (Malinowski)

1-1-1- الابتكار بالمنظور الاقتصادي:

في تحليله لمفهوم الابتكار، طور "شومبتر" مفهوم "التحطيم الخلاق" (destruction créatrice)، للإشارة الى أن الابتكار يخلق إمكانيات اقتصادية جديدة ويحطم أخرى في نفس الوقت. فالابتكار في رأيه، انجاز يحمل في طياته، التقدم لأنه يغير طريقة التفكير وطريقة العمل إلى الأفضل وعليه، فان الاقتصاديين ينظرون الى الابتكار كنقطة مركزية هامة في تطور النظام الاقتصادي مسهل الانتقال من نموذج اقتصادي الى آخر.

ان وظيفة المبتكر كما يضيف تتمثل في تجاوز سلسلة من العوائق، فالابتكار هو ردة فعل إبداعية تجاه الحواجز ويحدد في هذا الصدد ثلاثة أوضاع يتصدى لها المبتكر³:

أ-ينشط المبتكر في إطار ارتياب نظرا للمعلومة التي بحوزته، لم يكن متأكدا من بلوغ مشروعه ويمكنه اللجوء الى معطيات استعادية لكنها قد لا تحمل إلا قليل من اليقين لأنه لم يتم استعمالها بالطريقة الجديدة المقترحة.

ب-من الصعب، موضوعيا، القيام بالابتكار في وجود ما تم التعود عليه و المتأكد منه.

ج-ردة فعل الوسط الاجتماعي تجاه الابتكار، أو تجاه كل مبتكر. وهنا يقول "شومبتر": على سبيل المثال "لا يكفي أن ننتج صابونا مرضيا ينبغي كذلك أن نحث الناس على الغسيل". وهنا نجده يشير الى البناء الاجتماعي المقصود باستخدام الاختراع وذلك هو من أهم خصائص الابتكار المؤدية الى التغير الاجتماعي.

إن الإسهام الرئيسي الذي قدمه "شومبتر" حسب "ترامبلي" (Tremblay) في تحليل الابتكار هو ذلك الخاص بالشخص المبتكر، حيث يرى أنه في كل ميادين النشاط الاجتماعي، يكون للمسير دورا خاصا، وتتخلص قدراته بالأساس، في المبادرة و الإرادة. وبتحويل هذه النظرة كما يضيف الى المجال الاقتصادي اشتق "شومبتر" مفهوم المقاول والمقاول. فالمقاول هي "عملية الانجاز" (acte de réaliser) والمقاول هو الفاعل (l'agent) الذي يقوم بتحقيق تركيبات جديدة لعوامل الإنتاج. فالمقاول ليس فحسب المخترع أو المكتشف والمبادر، بل هو كذلك من يدخل ذلك الاختراع في المؤسسة، في المصنع، في الاقتصاد أي المسئول عن نشره (Diffusion)⁴.

ويرى "شومبتر" حسب "مارتي" (Marty) أن المجتمع البشري تديره قرارات بشرية، قرارات المقاولين، وليس الإيديولوجيات أو الطبقات الاجتماعية المجردة. وهنا يظهر التباين الأساسي واضحا بين "شومبتر" وأصحاب الاتجاه الحتمي والماكروسوسيولوجي. فالتغير بهذا المعنى يأتي من الممارسة الحقيقية للوظيفة وليس من الوظيفة بحد ذاتها. وكلمة أخرى فان الفرد يكون مبتكرا عندما ينجز تركيبات جديدة يخلق من خلالها ظروفًا تسمح بالتدخل الاجتماعي. هذا التجاوز كفعل، وحده يعكس دور و وظيفة المبتكر⁵. وبهذا المعنى فان "شومبتر" يبني تحليله داخل الوسط الاقتصادي وبالتالي فانه يرى "فاعلا محولا" في كل شخص باستطاعته تحقيق ترتيبات جديدة في إطار مؤسسة أو تنظيم بطابع اقتصادي.

1-2-1- الابتكار بالمنظور الاجتماعي:

تركز البحوث السوسيولوجية حول الابتكار، على العلاقة التي تربط هذا الأخير بالأفراد و بالمحيط الاجتماعي الذي ينتشر فيه ويشير " ألتار" (Alter) الى أن مفهوم الابتكار، "يرتبط بفكرة التقدم، الحياة، الإبداع والحيوية (...). ويتمتع بحكم قيمي ايجابي"⁶. أما "قagliو" (Gaglio) وفي نفس الاتجاه يرى أن "الابتكار يرتبط بتصورات اجتماعية ايجابية في أغلب الأحيان وهو على صلة بمصطلحات مثل الإبداع، التقدم، التكنولوجيا، ويضيف أن بعض الجماعات الاجتماعية تربطه بالمثل الأعلى الذي ينبغي الوصول إليه، وذلك لأن الابتكار يتضمن حداثة مشروع أو منتج أو تنظيم أو سلوك... الخ⁷.

ويشير التحليل السوسيولوجي الى الابتكار بصفته اختراعا أخذ بالانتشار بين جمهور معين بغض النظر عن حجم الجماعة الاجتماعية المعنية لأن ذلك لا يشكل عنصرا حاسما. وسواء تم تبنيه (approprié) من قبل فئة معينة أو الجمهور العريض، فالابتكار لا يمكن اعتباره كذلك إلا بعد ما يتم تبنيه داخل محيط اجتماعي معين⁸. أما "التار" فانه يميز بين الاختراع والابتكار موضحا أن هذا الأخير يمثل كل العمليات الاجتماعية والاقتصادية التي تؤدي الى استعمال أو عدم استعمال الاختراع. فالابتكار بهذا المعنى قد يكون له صدى متفاوتا، معروفا أو أقل انتشارا، ظاهرا أو نادرا و يضيف كذلك أن الابتكار هو الفاصل بين علمين: عالم الاكتشاف (...) وعالم منطق الاستخدام الاجتماعي الذي يمثل وسيلة الاستفادة من الاختراعات. ومن أسباب انتشار الابتكار، نظرة الجماعة الاجتماعية الايجابية نحوه، مما يؤدي الى ترفيته داخل شبكتها. فطريقة الوصف تشكل أحد الشروط الرئيسية لعملية الانتشار.⁹

إن تعريف "التار" السابق يمنح مكانة هامة للمستخدم (l'usager) حيث ينظر إليه بوصفه الصفة التجارية الناجمة الأولى أو بصفة عامة الانطباع الايجابي الأول. فالفرق كما يؤكد بين الاختراع و الابتكار يكمن في أن هذا الأخير يتم استعماله من طرف فاعلين اجتماعيين. وينبغي حسبه التمييز بين الاختراع الذي لن يكون أكثر من إبداع والابتكار الذي يمنح معنى وفعالية لهذا الإبداع. وعليه فان ما يسمح للاختراع بالتطور والتحول الى ابتكار، هو إمكانية إعادة اختراعه مع منحه معنى مناسباً للظروف الخاصة للفعل أو الثقافة أو الاقتصاد. فالابتكار على حد قوله، ليس جامدا بل يتمتع بدورة حياة وتاريخ في الزمن، وهو عبارة عن سيرورة (processus) وليس أثر مباشر وفوري، لمعطيات جديدة، على النسيج الاقتصادي والاجتماعي في محيط ما¹⁰

وعليه فان هذه الحركة الغير محددة مسبقا، تجري داخل مجموعة من الأفعال التي يسميها "التار" العادية (ordinaires) حيث يقول: "إذا كان الابتكار نتيجة لمجموعة من الأفعال العادية، فان الفاعلين القائمين بها هم مبتكرو الحياة اليومية". فالابتكار يظهر بالتالي كعملية ديناميكية، تسمح بتحويل تقنية أو منتج أو تصور خاص بعلاقات اجتماعية الى ممارسات جديدة.¹¹

1-3- الابتكار بالمنظور السياسي:

إن الابتكار في هذا السياق ينبغي النظر إليه من الزاوية السياسية مع منحه وظيفة خاصة تجعل منه الوسيلة التي من خلالها يمكن تغيير المجتمع، ولهذا انشغل التفكير حول الابتكار بمفهوم "الابتكار الاجتماعي، الذي يتميز حسب "شامبون وآخرون" (Chambon et al) بثلاثة جوانب:

أ- الجانب التفسيري: الابتكار الاجتماعي لا يأتي مجانا، فهو نتيجة الحاجة، الرغبة، التطلع وقد يكون كذلك مصدره البحث عن حلول لمشكل اجتماعي محلي حيث يذهب هؤلاء المؤلفين الى أن "المحلي" هو المكان بامتياز، الذي يبرز فيه الابتكار الاجتماعي. فهذا الأخير لا يصدر عن ميكانيزمات أو عمليات جديدة توظفها المنظمات والمؤسسات الكبيرة بل تصدر عن الأفعال ذات الطابع المحلي. وبهذا المعنى كما يشير الباحثان فانه بالرغم من أننا نعتبر بصعوبة، سياسة حكومية، كابتكار اجتماعي، إلا أننا نستطيع النظر إليها بصفته ابتكارا تتبناه الدولة على المستوى المحلي.

ب- الجانب الاجتماعي: الابتكار، عملية موجهة سياسيا، ترمي الى تحسين ظروف الحياة ويظهر في مثابة الجواب على ما يشار إليه بوصفه، عدم كفاءة المؤسسات الاجتماعية الكبرى على ضمان النوعية المتوقعة. فالمشروع السياسي يقوم على أساس "العمل بطريقة مغايرة" أكثر من اعتماده على النموذج التسلسلي والسلمي في المؤسسات الكبرى. فالابتكار من هذه الزاوية ليس في قطيعة مع المؤسسات الكبرى مما يسمح له بإجراء تغييرات عميقة داخلها.

ج- الجانب الاقتصادي: إن استمرار الابتكارات يقتضي الدعم المالي. فكلما كانت الحاجة الى المال كبيرة كلما كان من الصعب عدم تمويل الخبرة الاجتماعية من طرف الدولة.

2- الابتكار، النماذج الانتشارية والتغير الاجتماعي:

قبل التطرق الى النماذج الانتشارية المؤدية كلها الى التغير الاجتماعي، ينبغي معرفة ما إذا كان نجاح الابتكار مرتبنا بالموضوع في حد ذاته أم بالمستقبلين له أي أرضية الاستقبال التي تساعد على تبني الانجاز الجديد ومنه تحويله الى ابتكار.

أ. لبراديقم الهرمي (hiérarchique) التنازلي: يشير الى أن الابتكار يبدأ بالانتشار انطلاقا من الطبقات الاجتماعية العليا ليصل الى الطبقات السفلى وذلك ما يذهب إليه "قافليو" عند قوله: "إن اتجاه الانتشار يعيد إنتاج الطبقة الاجتماعية

ويعززها". وتتقرب هذه النظرة من تحليل "بورديو" (Bourdieu) الخاص بالنقل (la transmission) والتمييز (la distinction) في افتراضه أن الانتشار أو البث، يكون دائماً من الأعلى عندما يتعلق الأمر بالأذواق الثقافية.

ب.البراديقم التصاعدي (bottom-up): يقترح نظرة مغايرة حيث أنه يرى أن الابتكار يمكنه الانطلاق من الطبقات البسيطة ليتم استثمارها من قبل أعلى طبقات المجتمع.

ج.البراديقم الأفقي (horizontal): يذهب الى أن الابتكار لا ينتشر تصاعديا عبر الطبقات الاجتماعية بل عبر شبكات الأقران والمحيط القريب، خلال تفاعلات فاعلين اجتماعيين تجمع بينهم مراكز الاهتمام. أي أن هذا النمط من الانتشار يجري بين أشخاص يتفاعلون ولهم اهتمامات مشتركة و بمعنى آخر، ينتمون الى نفس الشبكة الاجتماعية.

د-البراديقم الدوامي (tourbillonnaire): الذي يتصور أن الانتشار يجري داخل عملية شاملة يكون فيها الفاعل في قلب شبكة يقوم بتغييرها و يتطور هو نفسه من خلالها.¹²

2-1- نموذج الانتشار بالتقليد:

لقد كان "تارد" سنة 1890 من الأوائل الذين قاموا بالبحث حول الشروط التي تؤدي الى انتشار الابتكار وكان السؤال الذي طرحه كالتالي: "لماذا من بين مئات الابتكارات المتنوعة والمتتالية، سواء كان الأمر يتعلق بالأشكال الشفهية أو الأفكار الأسطورية أو الطرق الصناعية أو غير ذلك، نجد عشرة منها فقط تنتشر بين الناس وتسعين تنسى". وقد كانت نظرية التقليد في مؤلفه "قواعد التقليد"، محاولة لتفسير ظاهرة انتشار الابتكار. فالتغيرات الاجتماعية بالنسبة له، مصدرها الاكتشافات والاختراعات التي يقوم بها الأفراد لأن المجتمع كما يقول، يمكن تفسيره من خلال مجموعة من المبادرات الفردية التي تأخذ بالانتشار داخل الجماعة الاجتماعية. وتساهم هذه المبادرات حسب رأيه، في التغير الاجتماعي بسبب ظاهرة التقليد التي تربط الأفراد بينهم ومدى تكرار الظاهرة هو كما يشير، وسيلة لقياس التغيرات الاجتماعية وإذا لم يكن شيء يربط بين الافراد، فلا يمكن للجسد الاجتماعي أن يتكون ولا للتغيرات أن تلاحظ عبر الزمن.¹³

فالابتكار كما يؤكد "تارد" هو في البداية ظاهرة اجتماعية فريدة وأصلية، تنتشر عبر عمليات منطقية تقليدية، وراثية واهتزازية داخل الجماعة الاجتماعية كاملة. وإذا كان أصل الظواهر الاجتماعية غير قابل للتفسير كما يرى، فان انتشارها غير ذلك، فالعادي على كل مستويات المعرفة يشق من العرضي. وأكثر من ذلك، فانه قام بالتشبيه، بين بنية الجسم

(anatomie) والفيسيولوجيا (la physiologie) والاجتماعي (le social) وذلك لمقارنة تكرار الظواهر الاجتماعية مع الوراثة في الجهاز العضوي، مما دفعه الى القول أن الكائن الاجتماعي مقلدا بالأساس.¹⁴

2-2- نموذج الانتشار بالمرحلة:

إذا كان هناك اختلاف حول تحليل انتشار الابتكار فانه يوجد عكس ذلك، اتفاق حول فكرة أنه عبارة عن سيرورة (processus) تجري عبر مراحل معينة. ويظهر نموذج "شومبر" الأكثر قبولا وهو الذي يميز بين ثلاث مراحل متتالية:

-الأولى وهي مرحلة تبني الابتكار من قبل أفراد يقعون على هامش المعايير المجتمعية ويكون سلوكهم مناقضا مع تلك التي يحددها النموذج السائد.

-الثانية وهي التي تظهر فيها مجموعة من المقلدين الذين بعد تأكدهم من فائدة الابتكار، يقومون بإعادة تبنيه من أجل نشره أكثر حتى ولو كلفهم الأمر مخالفة القواعد والمعايير الاجتماعية السائدة، الشيء الذي يدفعهم الى إنشاء عناقيد (grappes) من الابتكارات الثانوية التي يقومون بتحويلها الى صيغة تساعد على انتشار أوسع.

-الثالثة ويسميا مرحلة الاستقرار وهي التي تبرز فيها قواعد اللعبة الحديثة والتي بدورها تنزع، بالتدرج الطابع الجديد للابتكار السابق، هذا الأخير الذي سوف يصبح متناغما مع النموذج الجديد.

2-3- النموذج الوبائي:

ينظر "روجارس" (Rogers) الى انتشار الابتكار من زاوية علم النفس الاجتماعي ويركز في نظره على المتبنيين بصفة خاصة، حيث يقوم بوصف خصائص عملية الانتشار بمنطق وبائي أي بطريقة انتشار الوباء من خلال العدوة. وقد استند الى عدد هائل من البحوث والدراسات لتسليط الضوء على الفاعلين الاستراتيجيين والعمليات المنطقية وجوانب الابتكار، هذه العناصر التي قد يكون لها دورا كبيرا في المساعدة على الانتشار ودعمه داخل المجتمع.

3- التغيير الاجتماعي من خلال التحديث:

يقضي التحديث حسب "دود" (Dodd) وجود نظام تقليدي يحتاج للتغيير أي تأثير الجديد على القديم، وتوصف المجتمعات بهذا الوصف عندما تظهر فيها بعض السمات والخصائص الجديدة مثل التعليم على نطاق واسع، والتمدن والتصنيع والاتجاه نحو البيروقراطية والاتصالات المتقدمة والمواصلات السريعة وإلى غير ذلك من السمات التي يجب أن تحل محل أشكال التنظيم الاجتماعي العتيقة التي تميز المجتمع التقليدي¹⁵ ويرى "ليرنر" (Learner) أن التحديث هو عبارة عن عملية منظمة تشمل تغيرات متكاملة في قطاعات المجتمع السكانية والاقتصادية والسياسية وما يتعلق بالاتصالات وكذا التغيرات الثقافية.

3-1- مصادر التحديث:

أ- التعليم:

لقد أدى الابتكار في كل مجالات الحياة في نهاية القرن الماضي، إلى بروز مجتمع جديد بنمط حديث وقيم وأساليب حديثة، عرف بمجتمع المعرفة، يقوم على استهلاك المعرفة بل المعارف المتسارعة، ويرتكز بالأساس على قدرات الأفراد الخلاقة والمبدعة ساحقا في طريقه ما كان يسمى بمجتمع إعادة الإنتاج، بعاداته المستقرة وقيمه ومعتقداته الراسخة. لقد تحولت فجأة وبصفة جذرية جميع ظروف الحياة في كل جوانبها الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية. ويشير "ف. بوقطة" في هذا الصدد إلى التطور الذي عرفته البشرية بعد انتقالها من الساعة كوحدة زمنية إلى أجزاء الثانية (picoseconde) ومن اليد العاملة إلى القدرات الخلاقة ومن المخزون المادي إلى المخزون اللامادي ومن مجتمع إعادة الإنتاج إلى مجتمع الابتكار¹⁶. فالمجتمع الناشئ بخلفية الاقتصاد الجديد القائم على تكنولوجيا الإعلام والاتصال ينظر إلى المعرفة بصفقتها موردا مفتاحا يسمح للأمم بالتقدم والرفاهية والازدهار. وذلك ما يؤكد "دروكر" (Drucker) عند قوله: "أن المستقبل القريب سوف لا يميز بين المجتمعات الفقيرة وتلك الثرية بل بين المجتمعات الجاهلة والمجتمعات العارفة، فالفرق سوف لا يكون بين الغني والفقير بل بين من يملك المعرفة ومن يفنقدها"¹⁷. فالثروة الحقيقية كما يضيف، سوف تكون المعرفة التي لا يمكن اكتسابها إلا عن طريق التربية والتعليم الذي بدوره سوف يكتسي لا محالة، ثوبا جديدا داخل مجتمع جديد، شعاره "تعلم كيف تتعلم مدى الحياة" (apprendre à apprendre le long de la vie). وفي نفس الاتجاه يذهب "غلام الله" إلى أن المجتمع الجديد

المتحول باستمرار والذي تتغير المعارف ضمنه بسرعة البرق، يقتضي تكويننا ذاتيا متواصلا، وتلك هي المهام الأساسية التي ينبغي على التعليم والمتعلم الالتزام بها"¹⁸.

فالتربية الحديثة ينبغي أن تهيئ الأفراد لظروف العمل في ظل اقتصاد السوق التي تقتضي كفاءات فكرية وقدرة على الابتكار، لا يملكها بالضرورة العامل البسيط، كونها تعتمد على رصيد فكري وثقافي وقدرة على تحصيل وتطبيق المعارف النظرية والتحليلية، فالعامل بالمنظور الجديد، عليه أن يطور مفاهيم جديدة خاصة بشروط العمل الناشئة وذهنية مستحدثة تدفعه الى تنمية ثقافة التعلم باستمرار وتغيير السلوك والقيم والقناعة المعتادة. ويشير "دروكر" في هذا السياق الى ظهور جماعة اجتماعية مع بداية الثمانينات في الولايات المتحدة (مركز العالم المتقدم)، تسجل أسرع نموا داخل الطبقة النشطة وهي جماعة التقنيين الذين يتصورون مشاريع وينجزونها، مطبقين معارفهم، هؤلاء العمال يسميهم "دروكر" عمال المعرفة"¹⁹.

ب- النموذج التربوي:

يرى "فريدمان" (Friedman) أن القوى النفسية الاجتماعية هي التي تحدد معدل التنمية الاقتصادية والاجتماعية وأن التحديث يبدأ من أنفس الأفراد حيث أن نقطة البداية تكمن في بث الطموح والتوثب في الأشخاص وغرس القيم الحديثة والأفكار الفاعلة في شخصية الأفراد واتجاهاتهم منذ المراحل الأولى من أعمارهم. فما تحتاجه البلدان المتخلفة والنامية على سبيل المثال، هو تحرير طاقات الملايين من الرجال ذوي القدرة و الفعالية و الحسم حيث أنه أصبح من الضروري توفير جو يعطي الأفراد أكبر قدر من الفرص ويجفهم"²⁰.

أما "ماك ليلاند" (Mac clelland) فإنه يعتبر أسباب تخلف البلدان النامية وكذا استمرار تعثر تنميتها إلى ضعف توفر الحاجة إلى الإنجاز و فتور الاهتمام بشؤون الآخرين. ويعرف الحاجة الى الإنجاز بوصفها الدافع على صنع الأشياء بطريقة أفضل وأن هذا الدافع يمثل خاصية عقلية. فالتنمية الاقتصادية والتغير الثقافي حسب رأيه يحدث إذا توفرت درجة عالية من الدافعية لدى الأفراد و استشعروا الرغبة في التغير والإنجاز وفي هذا الصدد يقول أن القضية العامة التي ينهض عليها فهمنا للتنمية الاقتصادية والتغير الثقافي هي أن المجتمع الذي يشهد درجة عالية من الإنجاز يؤدي إلى ظهور طبقة نشطة من أصحاب المشروعات تسهم بدورها في الإسراع بالتنمية الاقتصادية"²¹. ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه على دور المبتكر الذي يعتبرونه نموذجا من الشخصية التي تتصف بالحاجة لإنجاز الجديد وتأييدهم على الفرد النشط والمسير الكفاء والمتحرر نفسيا

اجتماعيا من أشكال القهر والتسلط. ولذا نجد "ماك ليلاند" يركز على دور التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة والمدرسة والمجتمع في دعم الشعور بالحاجة إلى الإنجاز لدى الأطفال كما أكد على ضرورة تغيير القيم التقليدية وإحلال القيم الحديثة الإيجابية محلها.²²

أما "هيجن Hagen من جانبه فإنه يؤكد أساسا على ضرورة خلق الإبداع ونشره وتكوين اتجاهات إيجابية نحو العمل التقني اليدوي وإتاحة الفرصة لتفجير الطاقات الإبداعية لأن التجديد والإبداع والشخصية المبدعة تعد شرطا أساسيا لإحداث التنمية الاقتصادية. ولذا فإنه يقر بضرورة تعبئة الأفراد وإكسابهم المهارات المتعددة التي تمكنهم من المشاركة بفعالية في الحياة الاجتماعية والسياسية وتجعلهم يتمثلون أساليب الحياة الحديثة وقيم التحديث.

الخاتمة:

يبدو مما سبق أن الابتكار في التراث السوسولوجي، ظاهرة اجتماعية عالمية بدأت مع تاريخ البشر خلال محاولاتهم البحث عن حلول للمشاكل التي تفرزها حياتهم اليومية سواء كانت اجتماعية، اقتصادية، ثقافية أو سياسية. وإذا كانت هذه الظاهرة تتسم بالبطء قبل القرن التاسع عشر فإنها بعد ذلك أصبحت تسير بوتيرة سريعة نظرا لتطور البحث العلمي والمعرفة الكثيفة كنتيجة له. فالتغير الاجتماعي بهذا المعنى أصبح مرتبط بقدره الإنسان على الخلق والإبداع وأن سرعته تتزايد مع سرعة الابتكارات. وبكلمة آخر فإن الابتكار وانتشاره يحدث التغير الاجتماعي وأن هذا الأخير بدوره يحث البشر على التجديد والابتكار أكثر، ولن يكون ذلك ممكنا إلا من خلال التعليم والتنشئة الاجتماعية.

قائمة المراجع:

- 1- Fontan(J-M), **Reconversion économique et développement territorial**, PUQ, Québec, 2003, p54.
- 2- Ibid. p 56.
- 3- Ibid. p 58.
- 4- Tremblay(D-G), **Proximité territoriale et innovation**, Revue d'Economie Régionale et Urbaine 5, 835-852.
- 5- Gaglio(G), **Sociologie de l'innovation**, Que sais-je ?, PUF, Paris, 2011, p 11.
- 6- Norbert(A), **l'innovation ordinaire**, PUF, Paris, 2000, p 29.
- 7- Gaglio(G), **Sociologie de l'innovation**, Que sais-je ? PUF, Paris, 2011.p 38.
- 8- Ibid,p 42.
- 9- Norbert(A), Op, Cit, p 65.
- 10- Ibid, p 71.
- 11- Ibid, p 78.
- 12- Gaglio(G), Op, Cit,p 40.
- 13- FiliastreRoux(M), **Formes d'une innovation énergétique**, Thèse de doctorat, Université Descartes, Paris, 2012,p 46.
- 14- Ibid, p 49.
- 15- زمام(نور الدين)، القوى السياسية و التنمية، دوان المطبوعات الجامعية، الجزائر/ 2007، ص1522
- 16- Bouguetta(Fouad), **Société de l'information**, OPU, Alger, 2007, p 29.
- 17- Ibid, p 32.
- 18- Ghallamallah(M), **Les Tice comme axe stratégique de la réforme**, CREAD, p 40, 2006.

19 - زمام(نور الدين) مرجع سابق.

20- نفس المرجع.

21- قيرة (أ) و غربي(ع)، في سوسولوجيا التنمية ، د م ج ، الجزائر ، 2001.

22- نفس المرجع.

تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على منظومة القيم الثقافية للمجتمع (دراسة ميدانية لعينة من الطلبة بجامعة زيان عاشور-الجلفة-)

أ.فؤاد نعوم. جامعة الجزائر 2.

أ.بن علي حنان. جامعة الجزائر 2.

ملخص:

ان التغير الذي تشهده المجتمعات اليوم هو نتيجة جملة من العوامل التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية... إلخ، ومن بين العوامل التكنولوجية التي ساهمت في احداث التغير الاجتماعي ، نجد مواقع او شبكات التواصل الاجتماعي هي تعد عاملا مهما في تهيئة متطلبات التغير عن طريق تكوين الوعي في نظرة الإنسان إلى مجتمعه والعالم. فالمضمون الذي تتوجه به عبر رسائل إخبارية أو ثقافية أو ترفيهية أو غيرها، هذا ما يصاحبه مع مرور الوقت تغيير في "الذهنيات والعقليات" والتي تحدث في مرحلة متقدمة تغيير في البنية الثقافية ككل، بحيث تشكل تكنولوجيا الاتصال البنية التحتية لصياغة ونشر الثقافات بين الاعضاء الفاعلة فيها، ومما لاشك فيه ان الفيس بوك يعد من ابرز مواقع التواصل الاجتماعي التي اخذت مجراها بشكل كبير في تغيير ثقافة الافراد، ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول إبراز مكانة الفيسبوك كأحد اهم مواقع التواصل الاجتماعي لدى الطالب الجامعي، من خلال النزول لميدان الدراسة و هو مقابلة مجموعة من الطلاب الجامعيين الذين ينشطون في شبكة الفيسبوك .

مقدمة:

لقد شهدت المجتمعات اليوم تطورا ملحوظا في جوانب عديدة من ابرزها الجانب التكنولوجي والاقتصادي والاجتماعي... إلخ، ومن بين الجوانب التكنولوجية التي ساهمت في احداث التغير الاجتماعي ، نجد مواقع او شبكات التواصل الاجتماعي هي تعد عاملا مهما في تهيئة متطلبات التغير عن طريق تكوين الوعي في نظرة الإنسان إلى مجتمعه والعالم. فالمضمون الذي تتوجه به عبر رسائل إخبارية أو ثقافية أو ترفيهية أو غيرها، هذا ما يصاحبه مع مرور الوقت تغيير في "الذهنيات والعقليات" والتي تحدث في مرحلة متقدمة تغيير في البنية الثقافية ككل، بحيث تشكل تكنولوجيا الاتصال البنية التحتية لصياغة ونشر الثقافات بين الاعضاء الفاعلة فيها، ومما لاشك فيه ان الفيسبوك يعد من ابرز مواقع التواصل الاجتماعي التي اخذت مجراها بشكل كبير في تغيير ثقافة الافراد، ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول إبراز مكانة الفيسبوك كأحد اهم مواقع التواصل الاجتماعي لدى الطالب الجامعي، من خلال النزول لميدان الدراسة وهو مقابلة مجموعة من الطلاب الجامعيين الذين ينشطون في شبكة الفيسبوك. ومن خلال ما سبق تتضح معالم إشكالية هذه الدراسة كالتالي:

- ماهي المكانة التي يحتلها الفيسبوك لدى الطالب الجامعي، وماهي آثاره على ثقافة الطالب الجامعي؟ وللإجابة على الاشكال سنتعمد الدراسة على الملاحظة والمقابلة والمنهج الوصفي القائم على وصف ما تم ملاحظته.

المحور الأول: مفهوم وأهم انواع مواقع التواصل الاجتماعي

1. مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي

لقد شهدت مواقع التواصل الاجتماعي على الانترنت انتشارا واسعا خلال السنوات الأخيرة وتعددت وتنوعت محاولة تقديم العديد من الخدمات و تحقيق مختلف الاشباعاات ويأتي في مقدمتها موقع فيسبوك، تويتر ، يوتوب، وغيرها، وتعددت تعريفات مواقع التواصل الاجتماعي، و تختلف من باحث إلى آخر، حيث يعرفها "بالاس" « BALAS » 2006 على " إنها برنامج يستخدم لبناء مجتمعات على شبكة الانترنت أين يمكن للأفراد أن يتصلوا ببعض البعض لعديد من الأسباب المتنوعة".

و بالمثل يعم فيها "بريس" « preece » ومالوني كريشمار maloney krichmar (2005) مواقع التواصل الاجتماعي على أنها مكان يلتقي فيه الناس لأهداف محددة و هي موجهة من طرف سياسات تتضمن عدد من القواعد والمعايير التي يقترحها البرنامج. وتعرف على أنها مواقع الانترنت التي يمكن للمستخدمين المشاركة والمساهمة في إنشاء أو إضافة صفحاتها و بسهولة.¹

وفي تعريف آخر: باللغة الإنجليزية يطلق عليها « social media » لكن هذا المصطلح المتعارف عليه كما نجد مصطلح « social net-work » أي الترابط الشبكي الاجتماعي وهو أدق و من حسن الحظ أن المصطلح العربي "مواقع التواصل الاجتماعي" أدق من ناحية الوصف.

ويظل السؤال ماذا نعني بمصطلح التواصل الاجتماعي؟ بشكل مبسط هي عملية التواصل مع عدد من الناس (أقارب، زملاء، أصدقاء، ...) عن طريق مواقع و خدمات الكترونية توفر سرعة توصيل المعلومات على نطاق واسع فهي مواقع لا تعطيك معلومات فقط بل تتزامن وتتفاعل معك أثناء إمدادك بتلك المعلومات في نطاق شبكتك وبذلك تكون أسلوب لتبادل المعلومات بشكل فوري عن طريق شبكة الانترنت.²

مواقع التواصل الاجتماعي مثل المتهى المتواجد في قرية صغيرة حيث يجتمع الناس لتبادل المعلومات والأخبار، الفرق أنك لا تستطيع حمل هذا المتهى بجيبك.³

وتعرف على أنها المواقع الإلكترونية التي توفر فيها تطبيقات الإنترنت خدمات لمستخدميها تتيح لهم إنشاء صفحة شخصية معروضة للعامة ضمن موقع أو نظام معين، وتوفر وسيلة اتصال مع معارف منشئ الصفحة أو مع غيره من مستخدمي النظام، وتوفر خدمات لتبادل المعلومات بين مستخدمي ذلك الموقع أو النظام عبر الإنترنت.

وهي المواقع التي تسمح بإنشاء صفحات خاصة بالأشخاص والتواصل مع أصدقائهم ومعرفهم، مثل موقع "ماي سبيس"، "فيسبوك".⁴

كما تعتبر مواقع التواصل الاجتماعي منظومة من الشبكات الإلكترونية عبر الإنترنت تتيح للمشارك فيها إنشاء موقع خاص فيه و من ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات أو جمعه مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية أو غير ذلك. وهو أيضا مصطلح يطلق على مجموعة من المواقع على شبكة الإنترنت ظهرت مع الجيل الثاني "الويب"، الذي يتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم حسب مجموعات اهتمام أو شبكات انتماء (بلد، جامعة، شركة،...)، كل هذا يتم عن طريق خدمات التواصل المباشر من إرسال الرسائل أو الاطلاع على الملفات الشخصية للآخرين و معرفة أخبارهم و معلوماتهم التي يتيحونها للعرض.⁵

تقوم الفكرة الرئيسية للشبكات الاجتماعية على جمع بيانات الأعضاء المشاركين في الموقع و يتم نشر هذه البيانات بشكل علني حتى يجتمع الأعضاء ذوي المصالح المشتركة و الذين يبحثون عن ملفات أو صور... الخ ، أي أنها شبكة مواقع فعالة تعمل على تسهيل الحياة الاجتماعية بين مجموعة من المعارف و الأصدقاء، كما تمكن الأصدقاء القدامى من الاتصال ببعضهم البعض و بعد طول سنوات تمكنهم أيضا من التواصل المرئي و الصوتي و تبادل الصور وغيرها من الإمكانيات التي توطن العلاقة الاجتماعية بينهم.⁶

و تعرف مواقع التواصل الاجتماعي أيضا على أنها منظومة من الشبكات الإلكترونية عبر الإنترنت تتيح للمشارك فيها إنشاء موقع خاص فيه و من ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات و الهوايات نفسها.⁷

وتضع كلية "شريدان التكنولوجية « cheridan » تعريفا إجرائيا للإعلام الجديد بأنه: "أنواع الإعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي و تفاعلي ويعتمد على اندماج النص والصورة و الفيديو و الصوت، فضلا عن استخدام الكمبيوتر كآلية رئيسية له في عملية الإنتاج و العرض، أما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيسي الذي يميزه و هي أهم سماته⁸.

2. أهم أنواع مواقع التواصل الاجتماعي :

منذ الظهور الأول لمواقع التواصل الاجتماعي تعددت وتنوعت بين شبكات شخصية وعامة تطمح لتحقيق أهداف محددة "تجارية مثلا" ومنذ بدايتها اختلفت المواقع التي تتصدر القائمة بين سنة وأخرى ، فتاريخيا كان لموقع "سكس ديفريز" أهمية كبيرة وصدى واسع مع بداياته الأولى، وكذلك موقع "أوماي نيوز" وغيرها، ومع تطور مواقع التواصل الاجتماعي أصبح تصنيفها يأتي بالنظر إلى الجماهيرية حيث تتصدر القائمة عدد من الشبكات وأهمها : "الفيسبوك" "تويتز" "يوتيوب" وهي المواقع التي نتحدث عنها باعتبارها أهم مواقع التواصل الاجتماعي في الوقت الحالي وكذا بالنظر إلى اختلاف تخصص كل موقع.

- - الفيسبوك:

التعريف: هو موقع الكتروني للتواصل الاجتماعي، أي أنه يتيح عبره للأشخاص العاديين و الاعتباريين (كالشركات) أن يبرز نفسه وأن يعزز مكانته عبر أدوات الموقع للتواصل مع أشخاص آخرين ضمن نطاق ذلك الموقع أو عبر التواصل مع مواقع تواصل أخرى ، و إنشاء روابط تواصل مع الآخرين⁹.

1. النشأة و التطور:

أسس هذا الموقع "مارك زاكربيرج" عام 2004 وهو احد طلبة هارفارد – الذي أصبح فيما بعد يعد اصغر ملياردير في العالم – وذلك بغرض التواصل بين الطلبة في هذه الجامعة، ومن ثم انتشر استخدامه بين طلبة الجامعات الأخرى في أمريكا وبريطانيا وكندا ، ولتطور الموقع وخصائصه من مجرد موقع لإبراز الذات والصور الشخصية إلى موقع متخصص بالتواصل ترعاه شركة فيسبوك التي أصبحت تقدر بالمليارات عام 2007 نتيجة لاستدراك 21 مليون مشترك في هذا الموقع ذلك العام ليتحدى أي موقع للتواصل الاجتماعي ويصبح الأول على صعيد العالم، وبلغ عددهم حسب إحصائيات 2011- 800 مليون مشترك.

وقد تحول الموقع من مجرد مكان لعرض الصور الشخصية والتواصل مع الأصدقاء و العائلة إلى قناة تواصل بين المجتمعات الالكترونية ومنبر لعرض الأفكار السياسية وتكوين تجمعات سياسية الكترونية عجزت عنها أعتى الأحزاب الفعلية على الأرض، وكذلك لتصبح قناة تواصل تسويقية أساسية تعتمدها الآلاف من الشركات الكبيرة والصغيرة للتواصل مع جمهورها، وكذلك الصحف التي اعتمدت على المجتمعات الالكترونية لنقل أخبارها والترويج لكتابها وغيرها من وسائل الإعلام، ليتعدى موقع الفيسبوك وظيفته الاجتماعية إلى موقع تواصل متعدد الأغراض، و يتوقع أن يصل عدد مشتركه في 2013 إلى قرابة نصف مليار مشترك، وليصبح مستقبلا أكبر تجمع الكتروني بشري على وجه الأرض.¹⁰

2. أهم مميزات الفيسبوك:

الملف الشخصي « profile » : فعندما تشترك بالموقع عليك أن تنشئ ملفا شخصيا يحتوي على معلوماتك الشخصية، صورك، أمور مفصلة لك، وكلها معلومات مفيدة من اجل التواصل مع الآخرين، كذلك يوفر معلومات للشركات التي تريد أن نعلن لك سلعاها بالتحديد .

إضافة صديق « add friend » : و بها يستطيع المستخدم إضافة أي صديق وأن يبحث عن أي فرد موجود على شبكة الفيسبوك بواسطة بريده الالكتروني.

إنشاء مجموعة « groups »: تستطيع من خلال خاصية إنشاء مجموعة الكترونية على الانترنت أن تنشئ مجتمعا الكترونيا يجتمع حول قضية معينة، سياسية كانت أم اجتماعية ...، وتستطيع جعل الاشتراك بهذه المجموعة حصريا بالعائلة أو الأصدقاء، أو عامة يشترك بها من هو مهتم بموضوعها.

لوحة الحائط « wall » : وهي عبارة عن مساحة مخصصة بصفحة الملف الشخصي لأي مستخدم، بحيث تتيح للأصدقاء إرسال الرسائل المختلفة إلي هذا المستخدم.

النكزة « pokes »: منها يتاح للمستخدمين إرسال نكزة افتراضية لإثارة انتباه بعضهم إلى بعض و هي عبارة عن إشعار يخاطر المستخدم بأن احد الأصدقاء يقوم بالترحيب به.

الصور « photos »: وهي الخاصة التي تمكن المستخدمين من تحميل الألبومات والصور من الأجهزة الشخصية إلى الموقع و عرضها.

الحالة « status »: تتيح للمستخدمين إمكانية إبلاغ أصدقائهم بأماكنهم وما يقومون به من أعمال في الوقت الحالي.

التغذية الإخبارية « newsfeed »: التي تظهر على الصفحة الرئيسية لجميع المستخدمين حيث تقوم بتمييز بعض البيانات مثل التغييرات التي تحدث في الملف الشخصي، وكذلك الأحداث المرتقبة وأعياد الميلاد الخاصة بأصدقاء المستخدم.

الهدايا « gifts »: ميزة تتيح للمستخدمين إرسال هدايا افتراضية إلى أصدقائهم تظهر على الملف الشخصي للمستخدم الذي يقوم باستقبال الهدية.

السوق « market place »: مكان أو فسحة افتراضية تتيح للمستخدمين نشر إعلانات مبنية مجانية.

إنشاء صفحة خاصة على موقع « facebook »: ويتيح لك أن تروج لفكرتك أو حزبك أو جريدتك، ويتيح الموقع أدوات لإدارة و تصميم الصفحة، و لكنها ليست أدوات متخصصة كما في المدونات و كذلك يتيح أدوات لترويج الصفحة مع « facebook adds »، والتي تدفع مقابل كل مستخدم يرى هذا الإعلان الموصل على صفحتك في الفيسبوك.

التعليقات « facebook notes »: وهي سمة متعلقة بالتدوين، تسمح بإضافة العلامات والصور التي يمكن تضمينها، وتمكن المستخدمين من جلب المدونات من المواقع الأخرى التي تقدم خدمات التدوين.¹¹

المحور الثاني: التأثيرات الايجابية والسلبية لمواقع التواصل الاجتماعي

1- التأثيرات الايجابية:

بلا أدنى شك أن تكنولوجيا شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع التواصل أضفت بعدا ايجابيا جديدا على حياة الملايين من البشر من إحداثها لتغييرات ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية في حياة مجتمعات بأكملها، ومن أهم هذه الآثار الايجابية:

=نافذة مطلة على العالم: حيث وجد الملايين من أبناء الشعوب الأجنبية والعربية بشكل خاص في الشبكات الاجتماعية نافذة حرة لهم للاطلاع على أفكار وثقافات العالم بأسره.

=فرصة لتعزيز الذات: فمن لا يملك فرصة لخلق كيان مستقل في المجتمع يعبر به عن ذاته، فإنه عند التسجيل بمواقع التواصل الاجتماعي وتعبئة البيانات الشخصية، يصبح لك كيان مستقل وعلى الصعيد العالمي.

=أكثر انفتاحا على الآخر: إن التواصل مع الغير، سواء أكان ذلك الغير مختلف عنك في الدين والعقيدة والثقافة والعادات والتقاليد، واللون والمظهر والميول، فإنك قد اكتسبت صديقا ذا هوية مختلفة عنك وقد يكون بالغرفة التي بجانبك أو على بعد آلاف الأميال في قارة أخرى.

=منبر للرأي والرأي الآخر: إن من أهم خصائص مواقع التواصل الاجتماعي سهولة التعديل على صفحاتها، وكذلك حرية إضافة المحتوى الذي يعبر عن فكرك و معتقداتك، والتي قد تتعارض مع الغير، فالجال مفتوح أمام حرية التعبير مما جعل مواقع التواصل الاجتماعي أداة قوية للتعبير عن الميول والاتجاهات والتوجهات الشخصية تجاه قضايا الأمة المصرية.¹²

=التقليل من صراع الحضارات: فقد تعزز مواقع التواصل الاجتماعي من ظاهرة العولمة الثقافية، ولكنها في الآن ذاته تعمل على جسر الهوة الثقافية والحضارية، وذلك من خلال ثقافة التواصل المشتركة بين مستخدمي تلك المواقع وكذلك تبيان وتوضيح الهموم العربية للغرب بدون زيف الإعلام ونفاق السياسة، مما يقضي في النهاية على تقارب فكري على صعيد الأشخاص فالجماعات والدول.

=تزايد من تقارب العائلة الواحدة: فاليوم ومع تطور تكنولوجيا التواصل فإنه أصبح أيسر على العائلات متابعة أخبار بعضهم البعض عبر مواقع التواصل الاجتماعي، خاصة وأنها أرخص من نظيراتها الأخرى من وسائل الاتصال المختلفة.

=تقدم فرصة رائعة لإعادة روابط الصداقة القديمة: حيث بإمكانك من خلال هذه المواقع أن تبحث عن أصدقاء الدراسة أو العمل ممن اختفت أخبارهم بسبب تباعد المسافات أو مشاغل الحياة، وقد ساعدت هذه المواقع في بعض الحالات عائلات فقدت أبناءها إما بسبب التبنى أو الاختطاف أو الهجرة السرية، فيتم العثور على الأبناء.¹³

2- التأثيرات السلبية:

مثلاً يوجد آثار ايجابية لمواقع التواصل الاجتماعي فإنه لها آثار سلبية أيضا فهي سلاح ذو حدين، ومن تلك الآثار السلبية:

=يقلل من مهارات التفاعل الشخصي: فمع سهولة التواصل عبر هذه المواقع فإن ذلك سيقبل من زمن التفاعل على الصعيد الشخصي للأفراد و الجماعات المستخدمة لهذه المواقع، وكما هو معروف فإن مهارات التواصل الشخصي تختلف عن مهارات التواصل الالكتروني، ففي الحياة الطبيعية لا تستطيع أن تخلق محادثة شخص ما فورا و أن تلغيه من دائرة تواصلك بكسة زر.¹⁴

=إضاعة الوقت: حيث أنها مع خدماتها الترفيهية التي توفرها للمستخدمين، قد تكون جذابة جدا لدرجة تنسى معها الوقت.

=الإدمان على مواقع التواصل: إن استخدامها خاصة من قبل ربات البيوت و المتقاعدين، يجعله بسبب الفراغ- أحد النشاطات الرئيسية في حياة الفرد اليومية، وهو ما يجعل ترك هذا النشاط أو استبداله أمرا صعبا للغاية خاصة و أنها تعد مثالية من ناحية الترفيه لملء وقت الفراغ الطويل.

=قلة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لغير الترفيه من قبل مجتمعاتنا العربية.

=ضياع الهوية الثقافية العربية و استبدالها بالهوية العالمية لمواقع التواصل: حيث أن العولمة الثقافية هي من الآثار السلبية لمواقع التواصل الاجتماعي بنظر الكثيرين.

=انعدام الخصوصية: تواجه أغلبية المواقع الاجتماعية مشكلة انعدام الخصوصية مما تسبب بالكثير من الأضرار المعنوية والنفسية على الشباب وقد تصل في بعض الأحيان لأضرار مادية، فملف المستخدم على هذه الشبكة يحتوي على جميع معلوماته الشخصية إضافة إلى ما يبثه من هموم، ومشاكل قد تصل بسهولة إلى يد أشخاص قد يستغلونها بغرض الإساءة و التشهير.

=الصدقات قد تكون مبالغاً فيها أو طاغية في بعض الأحيان: فجميع الأشخاص الذين تعرفهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي نضيفهم كأصدقاء وهو لقب غير دقيق، لأن الصداقة تتشكل مع الزمن وليس فورا، ففيه نوع من النفاق.

=انتحال الشخصيات: تبقى مجهولة المصدر الحقيقي خلف مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي دافعا أحيانا إلى استخدامها في الابتزاز وانتحال الشخصية ونشر المعلومات المضللة وتشويه السمعة، أو في الجريمة كالدعارة أو السرقة أو الاختطاف.¹⁵

=تراجع استخدام اللغة العربية الفصحى لصالح العامية: أضحى استخدام مزيج من الحروف والأرقام اللاتينية بدل الحروف العربية الفصحى خاصة على شبكات التعارف والمحادثة فتحوّلت حروف اللغة العربية إلى رموز و أرقام باتت الحاء "7" والعين "3" وهذا ما أكدته دراسة علي صلاح محمود بعنوان "ثقافة الشباب العربي".¹⁶

المحور الثالث: مكانة شبكة الفيسبوك وتأثيره على ثقافة الطالب الجامعي (دراسة ميدانية)

(أ)- منهجية الدراسة : نظراً لطبيعة الظاهرة الإنسانية وخصائصها التي تعوق في الكثير من الأحيان تطبيق المنهج التجريبي عليها، وجد كبديل منهج آخر تميل إليه البحوث الاجتماعية غالباً، وهو المنهج الوصفي Methode descriptive.

فالمنهج الوصفي هو منهج علمي يقوم أساساً على وصف الظاهرة أو الموضوع محل البحث والدراسة، على أن تكون عملية الوصف الظاهرة أو الموضوع محل البحث والدراسة، على أن تكون عملية الوصف تعني بالضرورة تتبع هذا الموضوع ومحاولة الوقوف على أدق جزئياته وتفصيله، والتعبير عنها تعبيراً أما كيفياً أو كمياً : تعبيراً كيفياً وذلك بوصف حال الظاهرة محل الدراسة، وتعبيراً كمياً وذلك عن طريق الأعداد والتقديرات والدرجات التي تعبر عن وضع الظاهرة وعلاقتها بغيرها من الظواهر. إلا أن عملية الوصف التي تعني التتبع والتي يقوم عليها المنهج الوصفي، تكاد تكون عملية أولية تكمل بعملية تفسيرية قائمة على الاستنتاج واستخلاص القوانين والتعميم، وعادة ما " يعرف المنهج الوصفي بأنه مجموع الإجراءات البحث التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع اعتماداً على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلًا كافيًا ودقيقًا لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة. إلا أن أخذ الوصف كمنهج علمي.

(ب)- تقنيات جمع البيانات : الباحث بعدما ينجح في اختصار مجتمع بحثه، وتشكيل عينته، يعتقد وفق معايير علمية أنها تمثل المجتمع الأصلي تمثيلاً جيداً، يمر إلى خطوة ثانية من خلالها يحاول أن يجدد الوسائل والأدوات التي يستعين بها لجمع هذه البيانات، والوسائل متعددة ومتنوعة، في الدراسة الميدانية تحدد تبعاً لطبيعة العينة ولطبيعة موضوع البحث ومنها : الملاحظة، المقابلة، تحليل المحتوى.

وفي بادئ الدراسة الميدانية هذه استخدمنا الملاحظة والتي هي من أهم الوسائل التي يستعملها الباحثون الاجتماعيون والطبيعيون في جمع المعلومات والحقائق من الحقل الاجتماعي أو الطبيعي الذي يزود الباحثين بالمعلومات.

واستعملت المقابلة كأهم وسائل جمع البيانات، وهي وسيلة يقوم بواسطتها الباحث أو مساعده بتوجيه عدد من الأسئلة لعضو العينة وتدوين إجاباته.

أما تحليل المحتوى هو أداة ووسيلة ميدانية استعملت في دراسة الظاهرة، مكنتنا من جمع المعلومات والمعطيات والبيانات الميدانية المتعلقة بالظاهرة قيد البحث والدراسة، فهي بذلك كالاستمارة والمقابلة والملاحظة، وأداة تحليل المحتوى تستخدم في البحث الاجتماعي لمعالجة واستنطاق النصوص المكتوبة والأشرطة الصوتية والأفلام والمصورة.. الخ، وهي ذات استخدام واسع عند الباحثين والدارسين سلوك الفرد ونشاطه، خاصة في علوم الإعلام والاتصال. هذا بعودتنا إلى المعاجم اللغوية فإن مصطلح تحليل يعني تفكيك المحلل إلى مكوناته الأساسية، أما مصطلح مضمون أو محتوى فيشير إلى ما يحتويه الوعاء اللغوي أو التسجيل الصوتي أو الفيديوي أو الكلامي أو الإيمائي من معان مختلفة، يعبر عنها الفرد في نظام معين من الرموز، لتوصيلها للآخرين.¹⁷

(ت)- مجالات الدراسة : المجال المكاني: تمت الدراسة في جامعة زيان عاشور، بالضبط بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية.

المجال الزماني: تمت الدراسة من نهاية شهر فيفري 2017 إلى نهاية شهر مارس 2017.

المجال البشري: تمت الدراسة على 30 عينة من الجنسين، من مختلف الأعمار والتخصصات والمستويات الدراسية.

(ث)- العينة : تأتي أهمية التعيين أو تشكيل العينات من كونه في أغلب الأحيان، جميع المعطيات، تحول دون الباحث الاجتماعي وقيامه بدراسة ميدانية تشمل جميع المجتمع الإحصائي أو الأصلي للظاهرة الاجتماعية التي يدرس، فرما يخونه في ذلك عامل الوقت، بحيث أنه لو استجوب جميع أفراد المجتمع الإحصائي لأخذ البحث الاجتماعي وقتنا أقل ما يقال عنه طويل، أو تخونه المعطيات المادية، إذ البحث الاجتماعي الميداني يتطلب معطيات مادية كالاستمارات أو المقياس المطبوعة والتنقل إلى المستجوب، وغيرها من المستحقات المادية التي تكون باهظة ومكلفة جدا، لو كان البحث الميداني يشمل جميع أفراد

المجتمع الإحصائي، ولذا يلجأ الباحث إلى دراسة المجتمع الأصلي من خلال عينة Echantillon يشكلها ويعتقد وفق أسس علمية أنها تمثل المجتمع الأصلي تمثلاً جيداً .

ونظراً لطبيعة الموضوع ومجتمع البحث، وكذا المدة الزمنية، قمنا باختيار العينة العشوائية البسيطة: وعن طريق هذا النوع من العينات يعطي الباحث فرصة متساوية لكل فرد من أفراد المجتمع (كلية العلوم الانسانية والاجتماعية) بأن يكون ضمن العينة المختارة، ويكون هذا النوع من العينات مفيد ومؤثر عندما يكون هناك تجانس وصفات مشتركة بين جميع أفراد المجتمع الأصلي المعني بالدراسة، من حيث الخصائص المطلوب دراستها في البحث، وعليه قياس جميع أسماء أفراد المجتمع الأصلي يجب ان تكون محددة ومعرفة لدى الباحث.

التحليل الميداني للدراسة : يُعتمد الجانب الميداني للدراسة إلى توضيح وإبراز كل ما أستنبط وأخذ من العينة من بيانات ومعلومات أفادت الدراسة وعملت على إبراز أهم الأسباب الكامنة وراء ظهور الظاهرة المدروسة، والآثار الناتجة عنها، وبعد إجراء المقابلة مع 30 حالة (طالب/طالبة) منخرطين ضمن شبكة الفيسبوك، كانت الأسئلة والأجوبة كالتالي:

الأجوبة		الأسئلة
15 طالبة (إناث)	15 طالب (ذكور)	
7 طالبات يدرسن ليسانس	9 طلبة يدرسون ليسانس	المستوى التعليمي
8 طالبات يدرسن ماستر	6 طلبة يدرسون ماستر	
نعم	نعم	س1: هل لديك حساب فيسبوك ؟
9 طالبات: للتعبير عن آرائهن	11 طالب: لقضاء وقت الفراغ	س2: سبب انشائك لحساب فيسبوك ؟
6 طالبات: التعارف وتكوين صداقات	4 طلبة: التعارف وتكوين صداقات	
12 طالبة : لا	9 طلبة: - نعم	س3: هل يمكنك الاستغناء عن الفيسبوك؟
3 طالبات: لا	6 طلبة: لا	
6 طالبات : اللغة المستعملة هي العربية	5 طلبة: اللغة المستعملة هي العربية	س4: ماهي اللغة المستعملة في المحادثات مع الاصدقاء ؟
9 طالبات: اللغة المستعملة هي عربية بحروف فرنسية وارقام	10 طلبة: اللغة المستعملة هي عربية لكن بحرف فرنسية وارقام	
5 طالبة: القضايا الثقافية	10 طلبة: القضايا الثقافية	س5: ماهي القضايا التي تهتم بها في الفيسبوك؟
10 طالبات: القضايا الترفيهية	5 طلبة: القضايا الدينية	

انطلاقاً من الاسئلة المطروحة على العينة محل الدراسة، وبناء على اجاباتهم نستنتج التالي:

- ان جميع الطلبة لديهم حساب فيسبوك، مما يبين مدى ارتباط هذه الشريحة من الطلبة به حيث يعد من ابرز مواقع التواصل الاجتماعي في وقتنا الراهن، فهم يواكبون العصر من خلال اتصالهم بالأصدقاء والزملاء وغيرهم مما يولد يشكل لهم في نهاية المطاف افكار موحدة حول ظاهرة معينة او عدة ظواهر. ومنه يمكن القول ان تبرز مكانة الفيسبوك لدى طلبة العلوم الانسانية والاجتماعية كضرورة يمكن من خلالها ربط علاقاتهم وافكارهم وحتى نقاشاتهم مع اطراف معينة.

- ان اغلب الطلبة من العينة المدروسة يستعملون موقع فيسبوك لقضاء وقت الفراغ، وهذا ان دل على شيء انما يدل على ان الطلبة الذكور يعتمدون فيسبوك كبديل لوقت الفراغ، وهذا يحمل شطر ايجابي وآخر سلبي، بمعنى قضاء وقت الفراغ في الفيسبوك يولد في مرحلة متقدمة ادمان، وهذا امر سلبي يقع فيه بعض المنخرطين في موقع فيسبوك، في حين الشيء الايجابي يمكن في مدى الاستغلال الجيد والامثل لموقع فيسبوك من خلال الاطلاع على ما هو جديد من المصدر، اصف الى ذلك يعتبر عملية اقتصادية من حيث التواصل مع الغير باعتباره موقع مجاني متاح للجميع، وهناك العديد من الايجابيات والسلبيات لا يسعنا حصرها في هذا السياق.

- كما نستنتج ان اغلب الطلبة لا يمكنهم الاستغناء على موقع فيسبوك، مما يؤكد لنا درجة الالتماء والانخراط في هذا الموقع من جهة، ومن جهة اخرى هناك احتمال وجود مجموعة من الطلبة يعانون من الادمان وكما تكلمنا سابقاً انه امر خطير يجب الحذر منه. لان الفرد ان اصبح مدمناً بمعنى انه حصر نفسه في دائرة مغلقة وبالتالي يؤثر ذلك على مكانته داخل المجتمع، وحتى على نفسيته بطريقة تعامله مع من حوله.

- الاستنتاج الاخر والذي هو على درجة من الأهمية، هو اللغة حيث نجد ان اغلب الطلبة يستعملون لغة هجينة وهي مزيج من اللغة الفرنسية بمعنى عربي، هذا الامر يضعف من قوة اللغة الأم لدى الفرد، حيث ان اللغة من ابرز ركائز الهوية الثقافية للفرد والمجتمع، وبالتالي يمكن القول ان الطلبة اليوم في طريقهم للانسلاخ من ابرز ركائز القيم الثقافية للمجتمعات، وبالتالي السير نحو التغير التدريجي في احدى اهم مقومات المجتمع.

- اما بالنسبة للقضايا محل الاهتمام من قبل الطلبة في موقع فيسبوك، نجد ان الذكور يهتمون اكثر بالقضايا الثقافية، مما يتيح لهم توسيع دائرة الثقافة لكل فرد منهم، في حين نجد الاناث يهتمن بالقضايا الترفيهية وهذا دليل على انهم بحاجة ماسة الى

ذلك الجانب (الترفيهي)، مما يعكس لنا صورة الحرمان في هذا الجانب، فالقيم والعادات والتقاليد تلعب دورا كبيرا في

تحديد الادوار ومجالات الحرية للفرد، وبالتالي يعتبر الفيسبوك متنفسا صريحا للإنانث.

انطلاقا من التحليل السوسولوجي يمكن ان نخرج بجملة من التوصيات وهي كالتالي:

- ضرورة الحذر من ادمان الفيسبوك وغيره من مواقع التواصل الاجتماعي.
- الاستغلال الامثل لموقع فيسبوك بما يخدم مصالحنا.
- استعمال اللغة الأم في المحادثات مما يعزز قوة اللغة لدى الفرد، فهي من قوام تماسك المجتمع.
- نشر الوعي لدى الطلبة بضرورة الاستفادة من موقع فيسبوك الاتصال بشكل إيجابي .
- تنمية الإحساس بالدين والوطن والالتقاء، كي لا يطنى موقع فيسبوك على قيم المواطنة والدين.
- التقنين وتنظيم الوقت، وحسن توزيعه دون أن يغلب الوقت الذي يخصص لموقع فيسبوك على حساب الواجبات والالتزامات الأخرى.

خاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية يمكن القول ان مواقع التواصل الاجتماعي ومن ابرزها موقع فيسبوك، استطاع ان يحتل مكانة هامة وبارز في حياة طلبتنا اليوم، باعتباره حلقة مهمة في عملية التواصل، سواء من اجل التعارف او من اجل قضاء وقت الفراغ او حتى من اجل التثقيف والتوعية، الا ان هذه الوسيلة لها نتائج سلبية يمكن ان تقود طلبتنا وشبابنا اليوم من وضعية اجتماعية الى اخرى، ومن قيم وذهنيات متوارثة ابا عن جد الى قيم ومبادئ دخيلة وجديدة، والتي من الممكن ان تضعف من هوية الفرد داخل المجتمع من ثم المجتمع ككل، وهذا ما توصلنا اليه من خلال دراستنا هذه، بدليل استعمال اللغة، بالمعنى فقط، وليس بالمعنى واللفظ معا، هذا ما يهز من قوة اللغة لدى الفرد والمجتمع ككل، وبالتالي تصبح تقبل لغة جديد غير أكاديمية ولا منهجة كبديل للغة الام، الأمر الذي يشكل خطرا على نسق وبناء المجتمع.

الهوامش والمراجع :

1. -علي محمد بن فتح محمد، مواقع التواصل الاجتماعي و أثارها الأخلاقية و القيمة، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، ص 189.
2. - خالد غسان يوسف المقدادي، ثورة الشبكات الاجتماعية، دار النفائس للنشر، الأردن، ط1، 2013، ص 24.
3. -علي محمد بن فتح محمد، مرجع سبق ذكره، ص 201.
4. - خالد غسان يوسف المقدادي، مرجع سبق ذكره، ص ص 24-25.
5. - ليلي احمد جرار، الفيسبوك و الشباب العربي، مكتبة الفلاح، عمان، 2012، ص 37.
6. - نفس المرجع، ص 38.
7. - زاهر راوي، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، ع 15، جامعة عمان الأهلية، عمان، 2003، ص 23.
8. - عباس مصحفى صادق، الإعلام الجديد، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، 2011، ص 09.
9. - محاب نصر، "الفايسبوك" صورة المثقف وسيرته العصرية، وجوه المثقف على الفيسبوك هل تعيد انتاج صورته أم تصنع افقا مقابرا؟، جريدة القيس الكويتية اليومية، العدد 13446، 3 نوفمبر 2010، ص 10.
10. - محاب نصر، مرجع سبق ذكره، ص 08.
11. - محمد المنصور، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين، دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الالكترونية "العربية نموذجا" رسالة الماجستير الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، 2012.
12. - جمال معتوق وشريهان كريم، دور شبكات التواصل الاجتماعي في صقل سلوكيات وممرسات الأفراد في المجتمع، ملتقى دولي حول شبكات التواصل الاجتماعي والتغير الاجتماعي، بسكرة، 10/9 ديسمبر 2012.
13. - موسى جواد الموسوي و آخرون، الإعلام الجديد تطور الأداء و الوسيلة و الوظيفة، مكتبة الإعلام المجتمع، بغداد، ط 1، 2011، ص 47.
14. - وائل مبارك خضر فضل الله، اثر الفيسبوك على المجتمع، المكتبة الوطنية للنشر، الخرطوم، ط1، 2011، ص 20.

15. - محمد عجم، الانترنت و التكنولوجيا الحديثة تكشفان انعزال الشباب -عالم افتراضي يتصل بالواقع و ينفصل عنه،

جريدة الشرق الأوسط، العدد 11704، 10 ديسمبر 2010، ص12.

16. - عادل عبد الصادق، استخدام شبكات التواصل الاجتماعي بين الأمن و الحرية،

http://digitalahram.org.ef/articles.aspx?serial=85883&eid\$501.2013/1/15.h 22 :08

17- أحمد عياد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 2009 ص 62.

:

:

أ.بوسعيد رندا. جامعة الخلفة.

ملخص:

أحدثت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في السنوات الماضية تغيرات نوعية في العديد من أوجه الحياة الاجتماعية لدرجة أنها مهدت الانتقال من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات بل تجاوزته نحو خلق نوع من المجتمعات الافتراضية التي تكونت عن بعد بالموازاة مع المجتمعات التقليدية ، فالاختراعات والابتكارات العلمية في وسائل الاتصال تركت أثرا واضحا في ملامح الفعل الاجتماعي وانعكست على الأساليب الفكرية للناس وعلاقاتهم وتفاعلاتهم ومجمل المظاهر الديناميكية للمجتمع الإنساني حتى سمي هذا الجيل بجيل الرقنة والتكنولوجيا.

يخضع التغير الاجتماعي لعوامل موضوعية ولا يحدث بصورة عشوائية بل وفق قوانين وأنماط منهجة ولذلك اهتمت العديد من الاتجاهات البحثية بتفحص العلاقة القائمة بين وسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصال الحديثة وظاهرة التغير الاجتماعي بالنظر إلى قوة هذه الوسائل وأهميتها المتزايدة وتأثيراتها الظاهرة والكامنة على الفرد والمجتمع.

مقدمة:

تُشكل المجتمعات الإنسانية قوالب فكرية متنوعة ذات تعدد فلسفي وثقافي واجتماعي، بسيطة كانت أم معقدة لفهم وتفسير مختلف الظواهر الاجتماعية التي تحدث فيها، وليس هناك جانب من جوانب الحياة الاجتماعية نال الاهتمام الذي ناله موضوع التغير الاجتماعي، إذ يعتبر من أبرز المواضيع السرمديّة التي حاول الكثير من الفلاسفة والباحثين ورواد علم الاجتماع والتاريخ و الاثروبولوجيا، تفسيره وتحديد ميكانيزمات حدوثه .

وتعتبر الثورات تاريخيا إحدى محركات التغير الاجتماعي والثورة في عالم (التكنولوجيا والاتصالات الالكترونية) بالتأكيّد من أبرزها ، فالتطور التقني الحاصل في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات والاختراعات المادية التي تعرفها مختلف جوانب الحضارة البشرية اليوم ، فرضت نفسها كفاعل قوي و مؤثر في مختلف مظاهر التفاعل الاجتماعي ،وحازت اهتمام العديد من الباحثين في الاستخدامات السوسيوثقافية الجديدة وتأثيراتها داخل المجتمع إلى حد قول البعض منهم أن " التقنية هي من تصنع التاريخ".

ومن هذا المنطلق، تستهدف هذه القراءة توضيح أبرز معالم وأفكار نظرية مارشال ماكلوهان التي تعتبر من أهم وافضل ما نظر (بالظمة فوق النون) في تفسير العلاقة القائمة بين التطور التقني والتغير الاجتماعي، والعمود الفقري لمختلف نظريات التأثير الاعلامي والميديولوجية. من خلال الاجابة عن اشكال محوري:

كيف قارب مارشال ماكلوهان موضوع التغير الاجتماعي في اطروحته عن الحتمية التكنولوجية لوسائل الاعلام؟

" هل تدرك السمكة أنها مبتلة بالماء؟" هذا السؤال طرحه عالم الاتصال الكندي مارشال ماكلوهان ، الجواب طبعا " لا" ، فالسمكة لا تدرك أنها مبتلة بالماء لأن البيئة التي تعيش فيها السمكة مغلقة بالماء (بيئة مائية) إلى درجة أنها لا تشعر بالماء إلا في حالة فقدان الماء أو غيابه" ، هكذا هو الحال في علاقة أفراد المجتمع بوسائل الإعلام فهي موجودة حولنا في كل شيء ، نغمرنا لدرجة أننا لانشعر بوجودها وكذلك لا نستطيع تخيل حياتنا بدونها .

فالهواتف الذكية ، التلفاز ، شبكة الانترنت وغيرها من التقنيات التواصلية أصبحت ضرورة وسلطة حتمية في حياتنا، وهي الفكرة التي تتمحور حولها نظرية مارشال ماكلوهان ، فكل اختراع تكنولوجي جديد يستقبل بنوع من الغرابة والدهشة من قبل المجتمع ، حتى يبدأ الفرد بالتعلم والتمرن على هذه الوسيلة ومن ثم بعد أن يصبح التعامل معها عادة يومية، تصبح ظاهرة اعتيادية ومنخرطة ضمن عادات وتقاليد المجتمع وجزءا من تركيبته وبنيته العميقة فيقول "الوسيط يغيرنا ويؤثر على البنية الفردية والاجتماعية، لأننا نتفاعل معه مرارا وتكرارا حتى يصبح جزءا من أنفسنا".

1. مقارنة مفاهيمية : (التغير الاجتماعي - الحتمية - التكنولوجيا)

تعود الجذور الأولى لبحث ظاهرة التغير في الحياة البشرية إلى تلك المحاولات المبكرة التي قام بها الإنسان الأول لمعرفة التغيرات التي تجري من حوله ، مرتبطة بملاحظاته المباشرة وتأملاته في التغيرات التي تحدث في بيئته المحيطة كفضول السنة ونمو النبات وتغير جسم الإنسان والحيوان وغيرها فيقول صموئيل كيوبنج " التغير في حد ذاته ظاهرة طبيعية تخضع لها ظواهر الكون وشؤون الحياة بالإجمال وهومن أكثر مظاهر الحياة الاجتماعية وضوحا (الجولاني ، 1993، ص11).

فالتغيير لا يحتاج إلى تفسير وإنما عدم التغيير هو الذي يستلزم بالضرورة تساؤلات عميقة، لاسيما في خضم الظروف والمعوقات المحيطة بدنامية الحياة البشرية على حد تعبير الفيلسوف اليوناني هيراغليطس "إن المرء لا يستحم في النهر مرتين"، لأن النهر يتغير بتغير جريان الماء فيه مثلما يتغير الشخص فور ملامسته الماء.(العززي، ص3)

* التغيير:

التغيير بالمفهوم المتعارف عليه يعد من السمات التي لزمتم الوجود الإنساني بحيث أصبح أحد السنن المسلم بها، والتفسير اللغوي للتغيير هو التحول والتبدل، فيقال (تغير) الشيء (عن حاله) أي تحول وتبدل وجعله غير ما كان (فلاح جابر الغرابي)، ويشير كذلك إلى الاختلاف ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة أو اختلاف الشيء عما كان عليه خلال فترة زمنية محددة.(زامل، 2010، ص3).

ويتضح من هذا أن التغيير مصطلح محايد لا يحمل معنى التقييم بالسلب أو الإيجاب ويكتسب تلك القيمة انطلاقاً من الموضوع والممارسة التي يصدق عليها وصف "تغير"، ويختلف مفاهيمياً عن مصطلح "التغيير" الذي يشير إلى (إحداث شيء لم يكن قبله) أي أننا أمام فكرتين أو اصطلاحين وهما التغيير كآلية مجتمعية تلقائية والتغيير كفاعلية بشرية إرادية.(زامل، 2010، ص3)

* التغيير الاجتماعي:

إن اصطلاح التغيير change يعني انتقال أي شخص أو ظاهرة من حالة إلى حالة أخرى أو هو ذلك التعديل الذي يتم في طبيعة أو مضمون أو هيكل شيء أو ظاهرة ما، ويقصد بمصطلح social الشخص وعلاقاته وتفاعلاته مع الآخرين، أما تركيبة (التغيير – الاجتماعي) فإنها تشير إلى تلك العملية المستمرة التي تمتد على فترات زمنية متعاقبة يتم من خلالها حدوث اختلافات أو تعديلات معينة في العلاقات الإنسانية أو في المؤسسات أو التنظيمات أو في الأدوار الاجتماعية.(طبال، 2012، ص407)

تعددت تعريفات الباحثين وتقاربت صيغها بتعدد وجهات نظر العلماء وتعدّد ظاهرة التغير الاجتماعي ذاتها ، فيعرفه جيه روشيه أنه " كل تحول في البناء الاجتماعي يلاحظ في الزمن ولا يكون مؤقتا وسريع الزوال لدى فئات واسعة من المجتمع " (عبدلي، 2014، ص4)

ويرى عبد الباسط محمد حسن بأنه " كل تحول يقع في المجتمعات في فترة زمنية محددة، ويصيب تركيبه أو بنيانه الطبقي أو نظمه الاجتماعية أو القيم أو المعايير السائدة أو أنماط السلوك أو نوع العلاقات السائدة ،وقد يكون التغير ماديا يستهدف تغير الجوانب المادية والتكنولوجية والاقتصادية وقد يكون التغير معنويا يستهدف تغيير اتجاهات الناس وقيمهم وعاداتهم وسلوكهم . (بوعطيط،2012،ص119)

بينما يقدمه موريس جنزبرج على أنه " حدوث تغير في بناء المجتمع والذي يشمل حجمه وتركيب أجزائه وشكل تنظيماته الاجتماعية ،كما يتضمن تغيرا في الاتجاهات والمعتقدات والتي طالما تساهم في تحقيق التغير في النظم الاجتماعية (عبدلي،2014،ص4).

حاولت العديد من التعريفات مقارنة المفهوم وأبعاده سواء على مستوى الجماعات والنظم ،أو الأفعال والسلوكيات وأنماط التفاعل داخل النظام الاجتماعي ، غير أن هذا الحقل لازال منفتحا للبحث والتجديد خاصة وتداخل الحدود الفاصلة بين مفهوم التغير الاجتماعي وبعض المفاهيم المقاربة له مثل (ا لتقدم-النمو-التنمية-التطور- التغير الثقافي -التحديث) .

* الحتمية Déterminisme :

أطلق مسمى الحتمية déterminisme منذ القرن التاسع عشر على كل النظريات التي تحولت إلى علوم مستقلة، وما الشعور بالحتمي إلا الشعور بالشيء أو النظام الأساسي كما يقال ، فثمة في الواقع حتمية رياضية وأخرى فيزيائية للكون والعديد من التوجهات التفسيرية التي تبنت هذا المفهوم ، ويقصد بالحتمية "اعتبار متغير واحد على انه المحرك الأساس والمتغير الرئيس في تفسير أو فهم أي ظاهرة ".(بوعلي، 2014، ص89)

بينما يعرفها عزام ابو الحمام بأنها " فلسفة تفترض أن لكل حدث في الكون بما في ذلك المجتمع الإنساني وإدراك الإنسان وتصرفاته خاضعة لقانون منطقي سببي ينطلق من سبب أصيل أو فائض يفضي حسب تعبير الفارابي بدوره إلى أنماط معينة من الظواهر". (أبو الحمام، 2015)

وقدمت أيضا بوصفها مذهبا يرى أن كل ما يحدث في الكون على الإطلاق يخضع لقانون سببي ، فكل حادث تفسير سببي يشرحه و أسباب ضرورية وكافية تفسر حدوثه، وهذا ما دعا بعض المفكرين إلى القول أن الحتمية بمعناها البسيط ليست غير " الارتباط العلي " فالعلية (السببية) هي التعبير الظاهري للحتمية.

إن الحتمية ببساطة هي نموذج تفسيري يقوم على تصور مفاده أن ظاهرة ما تحدث نتيجة تأثير متغير وحيد ، وتتضمن مبدأ العلية أو السببية وتضيف فكرة الضرورة و اللزوم ، وتعددت نظريات الحتمية بتعدد تطبيقاتها والاعتبارات التي دفعت إليها، لكن العنصر المشترك بينها جميعا هو اتفاقها على خضوع الحوادث لقانون سببي ، فاصحاب الحتمية الأخلاقية مثلا يقولون أن الإنسان يسعى إلى اختيار الأفضل لأنه مفطور على الخير ولا يفعل الشر الا جهلا على غرار سقراط وديكارت، وحتى الحتمية التاريخية التي ترى أن للأمم والحضارات دورات حياة تشبه دورة حياة الكائنات الحية أمثال هيغل وابن خلدون... (الموسوعة العربية، المجلد 8، ص40)

*التكنولوجيا:

ارتبط تعريف التقنية "التكنولوجيا " تاريخيا باشتقاقها اللغوي، فكانت بذلك (علم الفنون الصناعية)واختلفت المداخل الإجرائية في تعريفها باختلاف التخصصات المعرفية التي تناولتها بالبحث والدراسة ، إذ يعتبر المفهوم من أكثر المفاهيم شيوعا في المرحلة الراهنة وأكبرها اتساعا وغموضا في آن واحد .

فتعرف بأنها " العملية الاجتماعية الهادفة إلى استخدام المعرفة العلمية في تطوير الإنتاج " (السيد، 2004، ص5)، وتعرف أيضا " بأنها التقنية التي يستخدمها الناس في وقت معين من اجل التكيف مع الوسط البيوفيزيقي " (الآخرص، 187)

ويقدمها علي العيش على النحو التالي " أن العلم أساس المعرفة، والتكنولوجيا هي تطبيق للمعرفة، وأن العلم هو محرك التكنولوجيا، والتكنولوجيا هي محرك التنمية والتطور الاجتماعي ". (عزت ، 2013، ص 448)

ومنهم من يختصرها في عبارة " التكنولوجيا هي فن معرفة الوسيلة " أي أنها مجموعة المعارف والخبرات المتراكمة والمتاحة والأدوات والوسائل المادية والتنظيمية والإدارية والاجتماعية باعتماد المفهوم بشقيه (المادي والفكري)، حيث يشمل الشق المادي جميع المعدات والآلات والوسائل التقنية، ويشمل الجانب الفكري القواعد والأسس المعرفية التي يستخدمها المجتمع بهدف إشباع حاجاته المختلفة وتحسين ظروف بيئته.

إن الاختراعات التكنولوجية عامل متغير مع الزمن ، تنمو وتتطور كماً ونوعاً من الصور البسيطة إلى الصور المركبة بالموازاة مع التطور الذي تعرفه الحضارة الإنسانية (من الفأس والمحراث إلى الذكاء الاصطناعي في الروبوتات الآلية)، حيث يقول الانثروبولوجي الأمريكي ليزلي وايت أنه يمكن ملاحظة تطور الإنسان في استخدامه للطاقة منذ العصور الحجرية ، حيث استخدم أولاً الأدوات ثم النار ثم الآلات البخارية ثم الطاقة النووية ، فتاريخ التطور التكنولوجي ينظر إليه على أنه انعكاس لمراحل تطور وتقدم الحياة البشرية ، وكل تطور تقني مهما كانت ملامحه يستلزم نوعاً من التكيف والتغير وكل مرحلة تعتمد على اكتشافات واختراعات المرحلة السابقة في إطار تغير مستمر على الدوام.(السيد ، 2004، ص5).

وترتبط التكنولوجيا بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً فهي انعكاس لثقافته المادية والفكرية ، ولا يهتم علم الاجتماع بها اهتماماً مجرداً وإنما تنطوي معظم الدراسات التي اهتمت بالتقنية أو التكنولوجية من هذا المنظور إلى محورين رئيسيين : الأول يتناول الوسائل التي تؤثر بها الشروط الاجتماعية في التقنية ، ويتم التركيز في هذا المجال على فكرة التغير التقني . ويتمحور الثاني حول علاقة التكنولوجيا بالمجتمع ، ويعالج الآثار الاجتماعية الناجمة عن استخدامها ، ويهتم بالتكنولوجيا بشكل أعمق كعاني وأبعاد وانعكاسات تؤدي أثرها ودورها في إحداث التغير الاجتماعي عندما تتراكم في مجال الثقافة المادية نتيجة عامل الاختراع والاكتشاف ، الاستخدام والانتشار ، بحيث تعمل الجوانب المادية على دفع عجلة الجوانب اللامادية للمجتمع والتي يعبر عنها عادة بالثقافة والقيم نحو التغير.

2. الاتجاهات الفكرية والنظرية المفسرة للتغير الاجتماعي:

تعني النظرية في المعاجم العربية - قضية تثبت بالبرهان - أو طائفة من الآراء التي تفسر الوقائع العلمية أو الظنية ، وتؤطر البحث في المشكلات القائمة على العلاقة بين الفرد والموضوع أو السبب والمسبب، وطبيعة العلاقة القائمة بين المتغيرات الخاصة

بتلك الظاهرة، فالنظرية الاجتماعية تقليدياً كما يقول جون ماكليود "إما أنها تشرح الاستمرارية أو أنها تشرح التغيير". (ماكليود، توفيق وآخرون، 2014، ص30)

والحديث عن التغيير الاجتماعي في الفكر السوسيولوجي واتجاهاته يحيلنا إلى إسهامات العديد من الرواد الذين اعتبروه أهم موضوعات علم الاجتماع الحديث ، وإن كان مصطلح التغيير الاجتماعي بوصفه دراسة علمية على الحالة التي هو عليها الآن يعتبر من المصطلحات الحديثة نسبياً ، فقد استخدم أول مرة وبصورة عرضية في كتابات " آدم سميث " في كتابه " ثروة الأمم " في القرن 18 ولم يتداول إلا بعد أن وضع وليم أوجبرن كتابه المعروف " التغيير الاجتماعي " عام 1922 (زامل ، 2010، ص 257).

تعتبر نظريات التغيير الاجتماعي من أصعب جوانب دراسة التغيير الاجتماعي، وتختلف عن بعضها البعض من حيث المفاهيم المستخدمة والتوجه الفكري لمنظرها، لكنها تتفق جميعاً في محاولتها فهم وتفسير ميكانيزمات حدوثه، ويمكن تقسيم النظريات السوسيولوجية التي قاربت مفهوم التغيير الاجتماعي إلى اتجاهين محوريين:

يفسر الاتجاه الأول التغيير في ضوء العوامل الداخلية النابعة من المجتمع في حد ذاته والتي يمكن ان يعزى لها هامش من المسؤولية في حدوثه، بينما يؤكد الاتجاه الثاني على العوامل الخارجية ، وهو الشكل الغالب في التفكير الاجتماعي حول التغيير إذ تنطوي تحته العديد من النظريات المعروفة على غرار نظرية الفعل الاجتماعي ، نظرية الدوافع الشخصية ، نظرية الدور الاجتماعي ، نظرية التبادل ، ، نظرية التحديث ، ، نظرية العبقرية والنظريات الحتمية التي تنطوي تحتها أطروحات النظرية محل الدراسة ، وإن لم يكن التغيير الاجتماعي كظاهرة هو السبب والدافع الأول وراء بناء ماكلوهان لفروضها .

النظريات الحتمية :

يعنى بالنظريات الحتمية في الكتابات السوسيولوجية الحديثة المذاهب التي تفسر السلوك الإنساني والتغيرات فيه، تفسيراً أولياً بالظروف البيئية والخارجية ، ويشير إلى هذا النمط من التفسير بالحتمية البيئية أو النظريات الاختزالية (أي أنها تختزل العوامل في عامل واحد) إذ يحدث التغيير الاجتماعي حسبها نتيجة توفر قوى معينة اجتماعية وطبيعية دون أن يكون للإنسان نفسه دخل في معظم الأحوال.(أسامة بدير ، 2015، ص2).

وتختلف هذه النظريات عن بعضها البعض في طبيعة العامل العلي والحتمي المسبب للتغير، فتنفرد منها الحتمية البيولوجية التي تركز على الاختلافات الوراثية في الذكاء والقدرات، والحتمية الجغرافية التي تفسر التغيرات الاجتماعية بعوامل المناخ والتربة والموقع الجغرافي، والحتمية الاقتصادية بناء على العامل الاقتصادي كمحدد للبناء الاجتماعي، والحتمية التكنولوجية التي ترى أن أصل كل تغير اجتماعي هو استجابة للتغير في الوسائل التكنولوجية، وهو الطرح الثوري الذي تبناه الباحث الكندي مارشال ماكluهان في رؤيته للعلاقة القائمة بين التطور التقني لوسائل الاتصال وظاهرة التغير الاجتماعي.

3 - الحتمية التكنولوجية لمارشال ماكluهان

أولاً : ألبرت مارشال ماكluهان Marchal Macluhan

حياته/

مارشال ماكluهان ، باحث في التربية والفلسفة ، عالم اجتماع ، أستاذ أدب انجليزي ومن أشهر الرواد المنظرين في الاتصال ، ولد في 21 جويلية 1911 في مدينة أيدمونت بـ " ألبرتا " بكندا ، والدته كانت ممثلة وأبوه تاجر عقارات، كان ينوي دراسة الهندسة لكنه درس الأدب الانجليزي بجامعة مانيتوبا وتحصل على الماجستير سنة 1934، اعتنق الكاثوليكية سنة 1937 وأصبح مستشارا للفاتيكان لاحقا ، أكمل ماكluهان دراسته بجامعة كامبردج Cambridge بانجلترا تحصل على الدكتوراه منها سنة 1943 في الأدب الانجليزي ، عاد سنة 1944 إلى كندا ودرس بكلية Windsor ومن ثم رحل سنة 1946 إلى (تورينتوا) لتدريس الأدب الانجليزي في معهد سان ميشال أين أصبح عضوا في مدرسة الاتصال المشهورة بها.

امتازت مؤلفات ماكluهان بطابعها التنبؤي لذا أطلق عليه في الغرب لقب " نبي العصر الالكتروني " ويعد أول من استخدم مصطلح العولمة معنيا حينما صاغ جملته الشهيرة القرية الكونية "global village"، مبشرا بتقلص المجتمع الإنساني الى قرية كونية صغيرة تتشابهك بفعل ثورة المعلومات والتطور التكنولوجي الحاصل في وسائل الإعلام والتواصل.

أجريت له سنة 1970 عملية في الدماغ لاستئصال ورم سرطاني وتوفي بعدها في 13 ديسمبر 1980 تاركا إنتاجا علميا ثريا من مئات المقالات المنشورة في المجلات و مجموعة من الكتب المهمة:

- (العروس الميكانيكية) سنة 1951

– (مجرة غوتنبرغ) التي نال عليها جائزة الحاكم سنة 1962

– (لفهم وسائل الاتصال) سنة 1964

– (الوسيلة هي الرسالة) سنة 1967

– (الحرب والسلام في القرية العالمية) سنة 1969. (تواتي، 2013، 187).

ثانيا : المنطلقات الفكرية للنظرية

أبدى العلماء والباحثون في مجال الاتصال وعلم الاجتماع وحتى الانثروبولوجيا اهتماما بالغا بكتابات ماكلوهان وأثارت أطروحته نقاشا وانتشارا منقطع النظير ، إذ تم اعتباره من أوائل كتاب الحدائة الذين يرون أن المجتمع أصبح مجتمع معلومات، وأن التطور التقني في قنوات الاتصال من أعظم الثورات التي تعرفها الحضارة الإنسانية.

استند ماكلوهان في بناء نظريته الحتمية على أفكار وأطروحات الفلاسفة الغربيين أمثال آدم سميث وجون ستيوارت ميل و نيتشه ، إذ تركز في جوهرها على القوة الاقتصادية والصناعية التي عرفتها اوروبا في عصر النهضة الصناعية في القرن 18 حينما كان كل تغير اجتماعي يعزى إلى القوة المادية وسطوة الآلة والتقنية.

وكانت له الأسبقية في التوجه نحو الدراسات ثلاثية (التكنولوجيا -الثقافة - الاتصال) في المجتمع المعاصر ، حيث تأثر بالتوجه البحثي لجامعة (تورينتوا) وأعمال كل من هارولد ائيس و اريك فافلوك ، الذين درسا الكيفية التي ساهم بها الأدب الإغريقي في الانتقال بالمجتمع اليوناني من ثقافة شفوية سائدة إلى ثقافة مكتوبة ناشئة ، خاصة أطروحات أئيس في كتابه (الإمبراطورية والاتصال سنة 1950) الذي مكن ماكلوهان من أن يؤسس لنظريته الخاصة بالتغير الاجتماعي وينقلها في مؤلفه (مجرة غوتنبرغ) إلى حالة القرن 20 ، معتقدا بالفكرة القائلة أن تغير أنظمة الاتصال هو الذي يفسر التغير التاريخي للمجتمعات.

ولهذا كان ماكلوهان شديد الإعجاب بعمل المؤرخين أمثال الدكتور وايت white صاحب كتاب (التكنولوجيا والتغير الاجتماعي) الذي ظهر سنة 1962 وفيه يذكر المؤلف " أن الاختراعات الثلاثة التي خلقت العصور الوسيطة هي الحلقة التي

يضع فيها راكب الحصان قدمه **stirrup** وحدوة الحصان **Nailed horseshoe** ، والسرج **collar hourse** ، فبواسطة الحلقة التي يضع فيها راكب الحصان قدمه استطاع الجندي ان يلبس درعا يركب به الحصان الحربي وبواسطة الحدوة والأرطة التي تربط الحصان بالعربة **Harness** توافرت وسيلة أكثر فاعلية لحرث الارض، مما جعل النظام الاقطاعي الزراعي يظهر ، وهذا النظام هو الذي دفع التكاليف التي تطلبها درع الجندي.. " وتابع ماكلوهان الفكرة بشكل أكثر عمقا ليعرف أهميتها التكنولوجية خاصة في قوله " إن النسيج الاجتماعي هو الثقافة المتقدمة بخطى التكنولوجيا، وتبنى المجتمعات البشرية ثقافيا بواسطة المادة التكنولوجية ، وتبنى اجتماعيا بفضل التطور الاجتماعي " .(جاسم فليحي الموسوي، ص3)

ثالثا : أهم أطروحات النظرية :

تعتبر نظرية الحتمية التكنولوجية من النظريات المادية التي اهتمت بتأثير تكنولوجيا وسائل الإعلام على شعور وتفكير وسلوك الأفراد وعلى التطور التاريخي للمجتمعات ، فحينما ينظر مارشال ماكلوهان إلى التاريخ يأخذ موقفا نستطيع أن نسميه بالحتمية التكنولوجية **technical déterminisme** ، فبينما كان كارل ماركس يؤمن بالحتمية الاقتصادية وأن النظام الاقتصادي للمجتمع يشكل جانبا أساسيا لفهم ديناميكته، ويؤكد فرويد **Freud** بأن الجنس يلعب دورا أساسيا في حياة الفرد والمجتمع ، كان ماكلوهان يؤمن بأن الاختراعات التكنولوجية المهمة هي التي تؤثر تأثيرا أساسيا في التغيير الاجتماعي.(تواتي ، 2013، ص 179).

ويقترض أن " التحول الأساسي في الاتصال التكنولوجي يجعل التحولات الكبرى تبدأ ، ليس فقط في التنظيم الاجتماعي ، ولكن أيضا في الحساسيات الإنسانية " فالنظام الاجتماعي في رأيه تحدده وسائل الإعلام وبدون فهم الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه تقنياتها لا نستطيع أن نفهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تطرأ على المجتمع.

وأعتبرت أفكاره خارجة عن المألوف وغير متواترة عن ما تم الاعتياد عليه في بحوث وسائل الإعلام وتأثيراتها الاجتماعية ، مناقضة للتيار الذي كان قائما حول تأثير الرسالة الاتصالية حينها (المدرسة الأمريكية) إذ يقول "إن مضمون وسائل الإعلام لا يمكن النظر إليه مستقلا عن تكنولوجيا الوسائل الإعلامية نفسها ، فالكيفية التي تعرض بها المؤسسة الإعلامية الموضوعات، والجمهور الذي توجه له رسالتها، يؤثران على ما تقوله تلك الوسائل ولكن طبيعة وسائل الإعلام التي يتصل بها الإنسان تشكل المجتمعات أكثر مما يشكلها مضمون الاتصال".

ويضيف أن وسائل الإعلام التي يستخدمها المجتمع أو يضطر إلى استخدامها، ستحدد طبيعة المجتمع وكيف يعالج مشاكله وأي وسيلة جديدة هي امتداد للإنسان، فالملابس والمسكن و التقنيات هي امتداد لجهازنا العصبي المركزي، وكاميرا التلفزيون تمد أعيننا والميكروفون يمد آذاننا، والآلات الحاسبة توفر بعض أوجه النشاط التي كانت في الماضي تحدث في عقل الإنسان فقط، فهي مساوية لامتداد الوعي وهو ما اختزله في العبارة الشهيرة " وسائل الإعلام امتداد لحواسنا".

أ - مراحل تطور التواصل الإنساني:

ولأن طبيعة وسائل الإعلام المستخدمة في كل مرحلة ساعدت على تشكيل المجتمعات أكثر من المضمون، يقسم ماكلوهان بالاعتماد على وسائل الاتصال الجماهيرية، تطور التاريخ الإنساني إلى سلسلة من المراحل الثقافية والتقنية (التكنولوجية):

المرحلة الشفوية : تعتمد كلية على الاتصال الشفهي،مرحلة ما قبل التعلم أو المرحلة القبيلية .

مرحلة كتابة النسخ: التي ظهرت في اليونان القديمة واستمرت في عام

عصر الطباعة: من سنة 1500م إلى سنة 1900م تقريبا .

عصر وسائل الإعلام الالكترونية : من سنة 1900 تقريبا على يومنا الحالي.

مشيرا بذلك إلى أن التغير الأساسي في التطور الحضاري منذ أن تعلم الإنسان إن يتصل كان من الاتصال " الشفهي " إلى الاتصال " السطري " ثم إلى الاتصال " الشفهي " مرة أخرى.

1- الاتصال الشفهي: يقول ماكلوهان إن الناس يتكيفون مع الظروف المحيطة عن طريق توازن الحواس الخمس (السمع

/البصر/اللمس/الشم/ والتذوق) مع بعضها البعض ، وكل اختراع جديد يعمل على تغيير التوازن بين الحواس ،فقبل اختراع جوتنبرغ الحروف الكاتبة في القرن 15 كانت الثقافة السمعية هي المسيطرة ولذلك نجد الشعر مثلا من أهم مظاهر التحضر حينها.

2- الاتصال السطري: كانت المجتمعات في مرحلة ما قبل التعليم تحتفظ بالمضمون الثقافي في ذاكرة أجيال متعاقبة ،ولكن بعدها

تغير أسلوب تخزين المعرفة وأصبحت الكتب والحروف والعين مكان الأذن كوسيلة الحس الأساسية، وسمحت بتطوير المدن والهندسة والطرق البريدية والجيش والبيروقراطية وبناء الحضارة، فالصحافة المكتوبة حسب ماكلوهان أكثر الابتكارات التكنولوجية تأثيرا على الإنسان ،فالمطبوع جعله يتخلص من القبيلية .

3- التواصل عن طريق المطبوع: وفر اختراع جوتنبرغ الكتب والقراءة والنسخ وساعد المطبوع على نشر المصدر الفردي كوسيلة شخصية للتعليم، وأصبحت الكلمة المكتوبة أساس الحصول على المعلومة بدل الكلمة المنطوقة، وهو محور المقارنة واختلاف بين المجتمعات المتعلمة والمجتمعات ما قبل التعلم، لأن التطور في نظره لم يبدأ بالثورة الصناعية في أوروبا ولكن بأول صفحة مطبوعة سحبها جوتنبرغ من المطبعة.

4- العودة إلى الاتصال الشفهي: يسمي ماكلوهان المرحلة التي نعيشها حاليا عصر الدوائر الالكترونية وتمثل خاصة في التلفزيون، الكمبيوتر، وغيرها من الابتكارات الحديثة التي تشكل ملامح الحضارة في القرن العشرين، حيث أحدثت وسائل الإعلام الالكترونية تغيرا كبيرا في توزيع الادراك الحسي او كما يسميها ماكلوهان نسبة استخدام الحواس (sensory ratios) فامتداد أي حاسة يعدل الطريقة التي نفكر او نعمل بمقتضاها، وتعديل هذه الأخيرة الطريقة التي ندرك بها العالم وحينما تتغير تلك النسب يتغير الإنسان.(تواتي، 2013، 182)

ب- الوسيلة هي الرسالة the medium is the message:

يرفض ماكلوهان نقاد وسائل الإعلام الذين يدعون أن وسائل الإعلام كتقنية حيادية وأن الاستخدام وحده من يحدد قيمتها، بل يدعوا إلى التفكير في طبيعة وشكل هذه الوسائل خاصة الجديدة، فالتأثير العميق للتلفزيون مثلا ليس في المضمون الثقافي أو السياسي بل في الطريقة التي يعدل بمقتضاها الناس الأساليب التي يستخدمون بها حواسهم.

وأن التكنولوجيا الإعلامية أهم وأبقى وأشد فعالية وأعمق تأثيرا من المضمون الفكري والصياغة اللغوية والنوايا الفردية أو الجماعية التي تصدر عنها الرسالة الإعلامية، والتلفاز مثلا كوسيلة اتصال هو بذاته الرسالة وبغض النظر عن محتوى البرامج التي سوف يعرضها فإن الناس لن يتوقفوا عن مشاهدته ومهما كان نمط المشاهدة والتفاعل الذي يبيده المتلقي.

ويقسم ماكلوهان وسائل الإعلام في اهتمامه بتأثيراتها إلى قسمين، وسائل ساخنة ووسائل باردة حسب نمط تفاعل الأفراد معها والجهد الذي يتطلبه فعل التلقي والمتابعة.

ج- القرية الكونية global village:

أو (القرية العالمية) كما هو متواتر في الدراسات الأكاديمية، تعتبر من أهم المفاهيم والعبارات الجوهرية التي طرحها ماكلوهان في نظريته والتي جاءت في كتابه "الحرب والسلام في القرية الكونية"، إذ يرى ماكلوهان أن وسائل الإعلام تحول العالم إلى قرية

صغيرة عالمية ، تتصل في إطارها جميع أنحاء المعمورة ببعضها البعض ، في عالم يتوقف فيه الزمن وتختفي فيه المساحة فيقول "إن العالم في طريقه بفضل ثورة الاتصال إلى أن يصبح قرية كونية صغيرة أو فلنقل قرية إلكترونية بشكل من الأشكال " أي أن العالم اليوم يعيش مرحلة العقل الإلكتروني الموصول بشبكة من الأعصاب الممتدة إلى أجزاء الجسم الكوني، حتى إذا ما نشبت أزمة ما هنا أو حرب هناك جاءت الإشارات لتأثر في تفكير الجميع في هذا العالم وتندبرهم بالخطر المشترك ، أما في وقت السلم تصبح وسائل الإعلام الإلكتروني كتقنية محركا للتغير الاجتماعي.(العيد، 2010).

رابعا : الانتقادات الموجهة للنظرية:

إن القول بان التغيرات الاجتماعية تحدث نتاج تأثيرها بالعامل التكنولوجي وحده ، يعتبر تجاهلا للعوامل الأخرى التي تؤثر في المتغير حيث أن الكثير من التغيرات الاجتماعية تحدث دون تغيرات تكنولوجية.

وفي الإجابة عن السؤال الذي طُرح حول إمكانية اعتبار التغير التكنولوجي حتميا لا مفر منه ؟ أجاب ماكلوهان عن ذلك بقوله أنه "بمعرفة كيف تشكل التكنولوجيا البيئة المحيطة بنا ، نستطيع أن نسيطر عليها وتغلب تماما على نفوذها أو قدرتها الحتمية ، وبفهم عناصر التغير يمكن توجيهه واستثماره للأفضل بدلا من الوقوف في وجهه".

بينما استند البروفيسور برونو لاتور في رده عن الافتراض الرئيسي للنظرية إلى مبدأ الفصل بين الأشياء والناس ، وضرورة التمييز بين أنظمة الكائن الإنساني ووعيه عن الوسائل المادية التي يصنعها محميا بلغت درجة قوتها ، فالحتمية حسبه تتجاهل الإنسان باعتباره العنصر الفاعل في التغير ويستشهد في ذلك بالحركات الاجتماعية والثورات الفكرية التي عرفها التاريخ البشري .

ويؤكد ريتشارد بلاك بأن عبارة القرية الكونية التي قدمها ماكلوهان أصبحت غير صالحة للتوظيف ذلك أنها لم تعد موجودة ، حيث أن العالم استمر في المزيد من التطور والتسارع إلى حد أدى إلى تحطيم هذه القرية العالمية وتحويلها إلى ذرات وشظايا متناثرة ومنعزلة.(فؤاد بداني، 2014، ص 122)

وفي الأخير يقول محمد الفاتح حمدي "إن نظرية الحتمية التكنولوجية تصنف من أهم النظريات الاتصالية في الوقت الراهن وأن كل الدراسات الغربية وحتى العربية انطلقت من أفكار ماكلوهان دون مراعاة للاختلاف في الانتماء الحضاري،

حيث تمّ تقديس هذه النظرية وعلق باب الاجتهاد والتنظير للظاهرة الاتصالية والإعلامية في المجتمعات العربية والإسلامية" ويدعوا بذلك إلى تبني المقاربة المحلية لنفس النظرية من خلال نظرية الحتمية القيمة للمفكر الجزائري عبد الرحمن عزي كبديل يتلاءم في رأيه مع خصوصية المجتمع العربي والإسلامي. (حمدي، 2017)

خاتمة:

يرى الفيلسوف هيرغلطس " أن فلسفة التغير فلسفة عميقة من الصعب تحديدها في سطور أو مؤلف وذلك لامتدادها الزمني منذ وجود الخليفة ، وأن كل شيء متغير وأن التغير سابق للثبات " وبالتالي ليس هينا قراءة وتبسيط نظرية كاملة في مقال موجز خاصة إذا تعلق الأمر بظاهرة كالتغير الاجتماعي ونظرية كالحتمية التكنولوجية .

فالتطور التقني المتسارع الذي تعرفه العلوم البشرية خاصة في مجال التواصل الإلكتروني جعل من الأطروحات النظرية لمالكوهان " أفكارا معفية من الزمن " إذ تزداد أهمية وإقناعا كلما أثبت الاختراعات التكنولوجية قدرتها الثورية في التأثير على الإدراك المعرفي للإنسان المعاصر .

وتكاد تجمع كثير من الكتابات السوسولوجية الحديثة على ان علماء الاجتماع يفتقدون نظرية شاملة متكاملة في تفسير وفهم التغير الاجتماعي بالرغم من ظهور عدة نظريات لتفسيره ، خاصة نظريات المرحلة الكلاسيكية أو ما تسمى بـ " العاملة " التي تنظر إلى الحقيقة من زاوية واحدة ، هذه النظريات أدت إلى ظهور نظرية عامة فالتغير الاجتماعي تقوم على أن الأفراد والجماعات يستجيبون لعوامل التغير على أساس من الاختيار والانتقاء وليس هناك أي نظرية يعود لها الفضل في تفسير عملية التغير .

قائمة المراجع:

1. -أحمد ، عبدلي ، الصحافة والتغير الاجتماعي، محاضرات السداسي الخامس صحافة ، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الامير عبد القادر ، قسنطينة الجزائر.(2014) .
2. - بأحمد ، عزت السيد ، الثورة التكنولوجية وأثرها على تغير القيم ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد29، العدد3+4، (2013).
3. -جون ، مكليود، بحث التغير الاجتماعي (مقاربات كيفية)، ترجمة: سحر توفيق واخرون، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، (2014)، ص30.
4. -سفيان ، بوعطيط ، القيم الشخصية في ظل التغير الاجتماعي وعلاقتها بالتوافق المهني ، اطروحة دكتوراه في علم النفس العمل والتنظيم، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة قسنطينة ، الجزائر ، (2012).
5. -عزام ، ابو الحمام ، المقاربة القيمة في نظريات اتصال غربية وعربية ، ورقة مقدمة في المؤتمر العلمي الثالث للاعلام القمي ، جامعة مستغانم ، الجزائر ، (2015).
6. -عوض ، السيد ، التطور التكنولوجي والجريمة ، ورقة مقدمة لاجمال المؤتمر السنوي34 لقضايا السكان والتنمية ، المركز الديمغرافي ، القاهرة ، 19-22 ديسمبر (2004).
7. -فادية ، عمر الجولاني ، التغير الاجتماعي، مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، (1993).
8. -لطيفة ، طبال ، التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية ، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد8، جامعة ورقلة ، (2012).
9. -محمد ، صفوح الأخرس ، الأبعاد الاجرائية لاثر التقنية في المجتمع العربي ، المركز العربي للدراسات الأمنية ، الرياض (1990).
10. -نصير ، بوعلي ، مفاهيم نظرية الحتمية القيمة في الاعلام عند عبد الرحمن عزي : مقارنة نقدية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد442 ، مركز دراسات الوحدة العربية (2014)، بيروت ، لبنان .
11. -نور الدين ، تواتي ، مكلوهان مارشال (قراءة في نظرياته بين أمس واليوم) ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد10، (2013)، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر.

12- يوسف ، عدنان زامل، سوسيولوجيا التغيير (قراءة مفاهيمية في ماهية التغيير وإنتاجه الفكري) ،مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، العراق ،(2010) .

13- فؤاد ، بداني ، حتمية ماكلوهان لفهم قيمة عبدالرحمن عزي ،مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ،جامعة الوادي ،العدد4، جانفي (2014) .

14- فلاح ، جابر الغراني، وسائل الاتصال الحديثة ودورها في التغيير الاجتماعي ، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مجلد8، عدد2، جامعة القادسية ،(2009).

15- جعفر ، محمد العيد، نحن والتغيير الاجتماعي، بين مؤثر ومتأثر، مجلة الواحة الفصلية، العدد 60، السنة 16، (2010) ،
www.alwahamag.com/act332.

16- محمد فاتح حمدي ،قراءة تحليلية في نظرية الحتمية التكنولوجية والحتمية القيمة ،مقال منشور بموقعه على الرابط -www.mf-hamdi.net/

17- اسامة ، بدير، كلام في نظريات التغيير الاجتماعي ،مقال منشور على موقع الديوان 2015/12/10
www.aldiwan.org/6578462.html.

18- محمد ،جاسم فاجر الموسوي،تكنولوجية وسائل الاعلام وتأثيرها في المجتمعات (نظرية مارشال ماكلوهان) ، . mass comm.kennana online.net/posts/1422614.

19- الموسوعة العربية ،الحتمية ،الفلسفة /علم الاجتماع والعقائد /المجلد الثامن /ص40. www.arab-ency.com.

د.بن سليم حسين. جامعة الأغواط.

أ. سويسي أحمد. جامعة الأغواط.

ملخص:

عرف المجتمع الجزائري منذ الاستقلال تغيرا كبيرا في كافة مجالاته ، أثر ذلك على البناء والتركيب الأساسية لأفراده ، فكان لزاما على الباحثين والمهتمين بفكرة التغير الاجتماعي ان يسعوا إلى إيجاد السبل والآليات التي يمكن من خلالها تحقيق التوازن والاستقرار الاجتماعي والذي من خلاله يتم الوصول إلى اسمي الأهداف المطلوبة، وفي دراستنا هذه سنسلط الضوء على اثر شبكات التواصل الاجتماعي على المجتمع بصفة عامة، والتنويه لمفهوم التغيير الاجتماعي بالنسبة للشباب بصفتهم أهم فئة في المجتمع.

مقدمة:

إن التغير الاجتماعي عملية تعتمد في داخلها على تفاعل جملة من العوامل مثل العامل التكنولوجي والصناعي والاقتصادي والديني، ولا يمكن تغليب عامل على آخر، حتى وان كان يذهب بعض العلماء إلى ان التطور التكنولوجي هو الأساس لكل التغيرات في العلاقات الاجتماعية ، كما يذهب آخرون إلى أن التنافر بين الطبقة التي تمتلك أدوات الإنتاج والطبقة التي لا تمتلك هو الأهم، أي مبدأ الصراع من المنظور الماركسي وأيضا وضع البعض العوامل الأيديولوجية أو الدينية على إنها تؤدي للتعديلات الأساسية في الدور والمكانة.

وعلى الرغم من تعدد الوحدات والظروف المختلفة وما أفرزته مظاهر التغير بفعل العولمة الثقافية، فان الأمر يستدعي الوقوف على آثار هذا التغير على مظاهر الحياة بالنسبة للمجتمع الجزائري .

وما نعيشه اليوم من مظاهر التغير الاجتماعي في الجزائر هو ناتج ما أفرزته العولمة من تأثيرات إعلامية عبر وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي التي أصبحت وسيلة الاتصال المؤثرة في الأحداث اليومية بحيث أتاحت الفرصة للجميع شباب ،سياسيين، وباحثين لنقل أفكارهم و مناقشة قضاياهم السياسية والاجتماعية وما يرغبون في نقله متجاوزين في ذلك الحدود الطبيعية إلى فضاءات جديدة لا رقيب لها فلقد أدى التطور المتسارع لوسائل الإعلام والاتصال إلى إحداث ثورة حقيقية وتغيرات جوهرية مست جميع مجالات الحياة .

فكيف أثرت شبكات التواصل الاجتماعي على المجتمع ؟

أولاً : أساسيات حول شبكات التواصل الاجتماعي:

تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي من التكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديث والتي ظهرت بفعل العولمة وسادت مختلف دول العالم لتجعل العالم في اتصال مباشر وتقريب البعيد .

1-تعريف شبكات التواصل الاجتماعي:

تعرف الشبكات لغة: مشتقة الخلط والتداخل، واشتبك الظلام اختلط

أما التواصل فيعرف في اللغة كما أشار الفيومي بقوله: " وصلت الشيء بغيره وصلا فاتصل به، والوصل ضد الهجر، وبينهما تواصل أي اتصال مستمر لا ينقطع"1.

منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح ل مشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، و من ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها أو جمعه مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية2.

منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والميول، أو جمعه مع أصدقائه3.

و تعرف أيضا بأنها : شبكات اجتماعية تفاعلية تتيح التواصل لمستخدميها في أي وقت يشاءون و في أي مكان من العالم، ظهرت على شبكة الانترنت منذ سنوات وتمكنهم أيضا من التواصل المرئي و الصوتي وتبادل الصور وغيرها من الإمكانيات التي توصلت العلاقة الاجتماعية بينهم4.

تقوم الفكرة الرئيسية للشبكات الاجتماعية على جمع بيانات الأعضاء المشتركين في الموقع و يتم نشر هذه البيانات بشكل علني حتى يجتمع الأعضاء ذوي المصالح المشتركة و الذين يبحثون عن ملفات أو صور... الخ ، أي أنها شبكة مواقع فعالة تعمل على تسهيل الحياة الاجتماعية بين مجموعة من المعارف و الأصدقاء، كما تمكن الأصدقاء القدامى من الاتصال ببعضهم

1 فهد بن علي الطيار، شبكات التواصل وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة "تويتر نموذجا"، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد31، العدد61، الرياض، 2014، ص201. 1

2 راضي زاهر، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، العدد 15، جامعة عمان، عمان، 2003، ص23. 1

3 فهد بن علي الطيار، مرجع سابق، ص202. 1

4 عبد الرزاق محمد الدليمي: الإعلام الجديد و الصحافة الإلكترونية، دار وائل للنشر، ط1، الأردن، 2011، ص 183 .

البعض و بعد طول سنوات تمكنهم أيضا من التواصل المرئي و الصوتي و تبادل الصور وغيرها من الإمكانيات التي توطد العلاقة الاجتماعية بينهم.¹

2-أسباب اللجوء إلى شبكات التواصل الاجتماعي:

هناك الكثير من الأسباب التي تدفع بمختلف الأفراد و خصوصا الشباب منهم للاشتراك في هذه المواقع ما يلي:

1-2-المشاكل الأسرية:

الأسرة هي الحصن المنيع للفرد، و لكن في حالة افتقاد الفرد لهذه البيئة المتكاملة ينتج لديه نوع من الاضطراب الاجتماعي الذي يجعله يبحث عن البديل لتعويض الحرمان الذي قد يظهر مثلا في غياب دور الوالدين أو أحدهما بسبب مشاغل الحياة أو التفكك الأسري.

2-2-الفراغ:

أكثر الأزمت التي تؤدي إلى تفشي الظاهر السلبية في المجتمع هي الفراغ الذي يجعل الفرد لا يحس بقيمته و يبحث عن سبيل يشغل هذا الوقت من بينها مواقع التواصل الاجتماعي حيث أن عدد التطبيقات اللامتناهية الذي تنتجه شبكة الفيسبوك مثلا لمستخدميها ومشاركة كل مجموعة أصدقاء بالصور و الملفات الصوتية يجعل الفيسبوك خاصة و شبكات التواصل الاجتماعي عامة أحد الوسائل ملء الفراغ و بالتالي يصبح كوسيلة للتسلية و تضييع الوقت عند البعض منهم.²

2-3-البطالة:

البطالة الناجمة عن سوء الأحوال الذي يؤدي لدعم الاندماج الاجتماعي و النفسي و منه إلى الإقصاء الاجتماعي الذي هو نتيجة تراكم العوائق و الانقطاع التدريجي للعلاقات الاجتماعية وهي من أهم المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها الفرد و التي تدفعه لخلق حلول للخروج من هذه الوضعية التي يعيشها حتى و إن كانت هذه الحلول افتراضية، فهناك من تجعل منه

¹ ليلي احمد جرار، الفيسبوك و الشباب العربي، مكتبة الفلاح، عان، 2012، ص38.

² مشري مرسى: شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية نظرة في الوظائف، مجلة المستقبل العربي، لبنان، العدد 395، يناير 2012، ص 1.157.

البطالة و استمراريتها شخصيا ناقما على المجتمع الذي يعيش فيه باعتباره لم يوفر له فرصة للعمل و التعبير عن قدراته و ايدولوجياته كربط علاقات مع أشخاص افتراضيين من اجل الاحتيال و النصب.

4-2- الفضول :

تشكل مواقع التواصل الاجتماعي علما افتراضيا مليئا بالأفكار و التقنيات المتجددة التي تستهوي الفرد لتجريبها و استعمالها سواء في حياته العلمية أو العملية أو الشخصية، فمواقع التواصل الاجتماعي تقوم على فكرة الجذب و إذا ما توفرت ثنائية الجذب و الفضول تحقق الأمر.

5-2- التعرف و تكوين الصداقات:

سهلت مواقع التواصل الاجتماعي تكوين الصداقات حيث تجمع هذه الشبكات بين الصداقات الواقعية و الصداقات الافتراضية فهي توفر فرصة لربط علاقات مع أفراد من نفس المجتمع أو من مجتمعات أخرى مختلفة بين الجنسين أو بين أفراد الجنس الواحد.

3- أنواع مواقع التواصل الاجتماعي:

1/تويتر: تويتر يمثل إحدى منصات التواصل الاجتماعي الأخرى، التي كان لها قوة مؤثرة على مستويات عدة خلال الربع الأول من العام. ولقد تجاوز عدد مستخدمي تويتر 200مليون في نهاية 3 مارس للعام ذاته، ليلعب إجمالي عدد التغريدات التي يرسلها هؤلاء أربعة مليارات تغريدة شهريا <1.

فمن مميزات التويتر الأساسية هو خاصية التتبع، أي أن التتبع لمدون معين على الموقع لكي تصل لك تدويناته أولا بأول، وكذلك يمكن للغير أن يتبعوك بمجرد الضغط على زر التتبع follow، و مع الفترة يصبح لك شبكة معارف و منتبعون خاصون بك لهم اهتماماتك نفسها و يجمع بينكم هموم مشتركة.2

1 فهد بن علي الطيار، مرجع سابق، ص 202.

2 حلمي خضر ساري: تأثير الاتصال عبر الانترنت في العلاقات الاجتماعية (دراسة ميدانية في المجتمع القطري) مجلة الجامعة، دمشق، المجلد 24، العدد الأول+ الثاني، 2008، ص 302.

2/ فيس بوك: هو موقع الكتروني للتواصل الاجتماعي، أي أنه يتيح عبره للأشخاص العاديين و الاعتباريين (كالشركات) أن يبرز نفسه وأن يعزز مكانته عبر أدوات الموقع للتواصل مع أشخاص آخرين ضمن نطاق ذلك الموقع أو عبر التواصل مع مواقع تواصل أخرى، وإنشاء روابط تواصل مع الآخرين.1

أن تأثيرات شبكات التواصل الاجتماعي قد تحمل الأثر الإيجابي أو السلبي، وقد تؤثر على القيم؛ لأنها تحمل الاتصال المتبادل بالصوت والصورة أو كليهما بين أفراد لهم نفس الميول والاهتمامات، مع إمكانية التشارك في المواد والمحتوى وتبادل الآراء والأفكار والمقترحات وعلاقة ذلك باكتساب قيم إيجابية أو سلبية من خلال تسجيل الملاحظات والتعليقات حول أي موضوع اجتماعي.2

ونلاحظ اليوم إقبال كبير لكافة فئات المجتمع لاسيما الشباب منهم على شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك، التي أخذت تتوسع بفعل التطور التكنولوجي والاتصال حيث قلصت المسافات بين مختلف شرائح المجتمع.

التواصل الاجتماعي تتيح للشباب فرص التعلم والقيام بمسؤولياتهم الاجتماعية المناطة بهم داخل المجتمع ، وذلك من خلال أدوارهم التي يقومون بها داخل الأسرة والمجتمع ، ولذا كان من الضروري القيام بالبحث عن كيفية تنمية قدرات الشباب وتوجيه استخدامهم لهذه المواقع ، وإكسابهم المهارات اللازمة لإيجاد المسؤولية الاجتماعية لديهم وتمييزها من خلال الأنشطة والبرامج المختلفة التي يمكن أن توفرها هذه المواقع ، ومدى الاستفادة منها في بث روح المسؤولية، وزيادة الخبرات والمهارات، والاعتماد الذاتي والاجتماعي داخل الحياة.3

ثانيا : الشباب والتغير الاجتماعي

1- الشباب: الشباب هو القوة الحقيقية للمجتمع وهي أهم مرحلة من مراحل التطور البشري للإنسان وفيها تعرف بمرحلة العطاء والقوة والحيوية والقدرة على خدمة المجتمع.

¹ محاب نصر : "الفيسبوك" صورة المثقف وسيرته العصرية، وجوه المثقف على الفيسبوك هل تعيد إنتاج صورته أم تصنع أفقا مقابرا؟ جريدة القيس الكوننية اليومية ، العدد 13446 ،

3 نوفمبر 2010، ص 1.10

2 فهد بن علي الطيار، مرجع سابق ، ص 203.

3 حسني عوض، أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية المسؤولية المجتمعية لدى الشباب تجربة مجلس شباني عرار أتمودجا، جامعة القدس، القدس، (ب.ت)، ص 07.

تعتبر فئة الشباب من بين الفئات الأكثر أهمية داخل المؤسسات المجتمعية على اختلافها، خاصة لما تكون عملية التنشئة الاجتماعية، الثقافية سليمة، فيمكن اعتبارهم وقود الدولة الجزائرية، لأنهم هم مستقبل الأمة وهم من يجزؤون بسواعدهم مكائنها بين الأمم الأخرى، في المقابل إذا فشلت هذه التنشئة الاجتماعية فهي انعكس بالضرورة على هذه الفئة وعلى كيان المجتمع وتماسكه، لأنها تضمن التكوين الصحيح للشخصية، والذات الجزائرية، بزرعها حب الانتماء للوطن والإحساس بهويته الفردية والجماعية، خاصة لما يتم توضيح أهم مقومات التكوين الهويات كالدين، اللغة، التاريخ والثقافة¹.

ويمكن تعريف الشباب لغة، كما جاء في لسان العرب لابن منظور هو الفتاء والحداثة، وشاب الشيء أوله، وتجمع على شباب وشبان وشواب².

أما اصطلاحاً فيمكن تعريفه مايلي:

-تعريف محمد علي محمد: ظاهرة اجتماعية تُشير إلى مرحلة من العمر تعقب مرحلة المراهقة، وتبدو خلالها علامات النضج الاجتماعي والنفسي والبيولوجي واضحة³.

..إن الشباب فئة مهمة من بين فئات المجتمع، وما تتميز به من قوة ونشاط وفعالية، لا يعني أنها تنتهي بانتهاء هذه الفترة؛ بل قد تستمر باستمرار حياة الفرد الذي يكون قد تخطى مرحلة الشباب⁴...، ففيها العطاء والازدهار وقوة المجتمع تقاس بشبابه ومدى مساهمتهم في تطور وطنهم بالحفاظ على قيم وثقافة أجدادهم .

2- الشباب وأزمة الهوية:

أكد " علي حرب "المفكر العربي أن العالم اليوم لم يعُد كما كان عليه بعد النسق الاتصالي الجديد وثورة المعلومات والتكنولوجيات الحديثة، وما أفرزته من مفاهيم جديدة أثرت بشكل أو بآخر على مناحي الحياة الاجتماعية خاصة بالنسبة

1 الخنساء تومي، دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي جامعة محمد خيضر بسكرة - أنموذجاً، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، علم الاجتماع الاتصال، جامعة بسكرة، الجزائر، 2016-2017، ص09.

2 ابن منظور، لسان العرب، المجلد 2، ط6، دار صادر، بيروت، 2008، ص10.

3 محمد علي محمد، الشباب العربي والتغيير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص06.

4 الخنساء تومي، مرجع سابق، ص199..

للشباب، فأصبح إقبالهم على هذه التكنولوجيا الحديثة يتزايد بوتيرة متسارعة دون وعي أو معيار يسمح لهم بالتمييز بين إيجابياتها وسلبياتها؛ فالأزمة هي لحظة تغيير واختلال توازن على مستوى الهوية، وحتى على مستويات أخرى كالسلوك والقيم.

وتمر الهوية عبر سيرورة دائمة يتوسطها بالضرورة مرحلتين متميزتين بالاستمرار والتواصل أو الانقطاع وبتراكم ما له صلة بهويتنا الوطنية، هنا يقع الشباب بين مفترق طرق وتبرز لديه الأزمة بشكل جلي؛ فالانتقال من مرحلة إلى أخرى يجد نفسه بين متناقضات من العيار الثقيل، بين الهوية المحلية الوطنية التي تسعى للحفاظ على كل الموروثات القومية الوطنية وبين كل ما تقدمه التكنولوجيا المتطورة؛ العولمة، والعالم الرقمي¹.

3-التغير الاجتماعي:

هو كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال فترة زمنية محددة وقد يكون هذا التغير إيجابياً أي تقدماً وقد يكون سلبياً أي تخلفاً².

ونتيجة هذا التغير الاجتماعي مرده إلى عدة أسباب وأهمها ظاهرة العولمة التي مست مختلف فئات المجتمع لاسيما الشباب وما نراه اليوم من تقليد للغرب في اللباس والأكل والكلام.. ففغزت الثقافة الخاصة بالمجتمع ، وطمست هويته.

لقد حمل العصر الحاضر معه الكثير من التغيرات والتطورات وبخاصة التكنولوجيا منها، والتي أثرت على المجتمع على نحو كبير، وأحدثت تغيرات واضحة فيه وفي ثقافته، ويمكن القول أنه لا يوجد مجتمع أو ثقافة بدون تغيير؛ فالتغير سمة طبيعية تخضع لها جميع مظاهر الوجود، وبعض هذا التغيير يكون نتيجة عوامل من داخل المجتمع ذاته، كحدوث ثورات اجتماعية أو سياسية، عملية التغير الاجتماعي والثقافي تحدث نتيجة عوامل داخلية وأخرى خارجية من شأنها أن تؤدي لإحداث تغيرات

1 نفس المرجع، ص 221، 222.

2 محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 1987، ص 19.

على مستوى العلاقات بين الأفراد وحتى بين المجتمعات، خاصة لما تكون إحدى أدوات التغيير هي التكنولوجيا الحديثة التي أحدثت شرخاً كبيراً في مس مختلف مناحي الحياة اليومية¹.

الثقافة المصنعة سوف تؤدي إلى انتشار ثقافة الاستهلاك، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الفشل في إحداث تنمية اجتماعية متواصلة لبعض الشعوب؛ حيث تصبح متحيزة لصانعي هذه الثقافة التي ترمي لتحقيق التقدم لهم؛ بينما تتعثر الشعوب الأخرى غير القادرة على المنافسة في ظل تزايد تكنولوجيا الاتصالات واتساع الأسواق التي تتحكم فيها قوى فاعلة هي شركات ومؤسسات متعددة الجنسيات؛ بحيث تحاول القفز على حدود وثروات الشعوب والدول من الداخل والخارج².

خاتمة:

من خلال ما تم تناوله يمكن القول ان العصر الذي نعيشه اليوم عصر يتميز بسرعة التغيير في كافة المجالات فالعالم أضحي قرية صغيرة في ظل تحديات العصر، و التغيير ان مس المجتمع يهدف التطور إلى الأحسن فذلك كلام لا غبار عليه فهو آفة التطورات والالتحاق بالركب أمر مهم ، وهدف كل دول سائرة نحو التطور، ولكن ان يكون هذا بشروط وضوابط ومنها عدم المساس بثقافة المجتمع وهويته، فكثيرا ما نرى شباب ينجرون وراء ثقافة استهلاكية بحجة التطور ، والانخلاع من التخلف والبدائية ، لكن ذلك أمر لم يعد يهم شباب اليوم وان كان اغلبهم يعي مخاطر هذا التقليد الناجم عن هذا التغيير السلبي ، والغوص في ثقافة بعيدة كل البعد عن أفكار وعادات وقيم المجتمع الأصيل الذي بنى أفكاره على تعاليم الدين الحنيف.

1 خنساء توي، مرجع سابق، ص79.

2 نفس المرجع، ص82.

قائمة المراجع:

- 1- -أبن منظور، لسان العرب، المجلد2، ط6، دار صادر، بيروت، 2008.
- 2- -الحنساء تومي، دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي جامعة محمد خيضر بسكرة - أنموذجا-، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، علم الاجتماع الاتصال، جامعة بسكرة، الجزائر، 2016-2017.
- 3- -حسني عوض، أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية المسؤولية المجتمعية لدى الشباب تجربة مجلس شبابي علا ر أنموذجا، جامعة القدس، القدس، (ب.ت).
- 4- -حلمي خضر ساري، تأثير الاتصال عبر الانترنت في العلاقات الاجتماعية (دراسة ميدانية في المجتمع القطري) مجلة الجامعة، دمشق، المجلد 24، العدد الأول+ الثاني، 2008.
- 5- -راضي زاهر، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، العدد 15، جامعة عمان، عمان، 2003.
- 6- -فهد بن علي الطيار، شبكات التواصل وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة "تويتر نموذجاً"، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد31، العدد61، الرياض، 2014.
- 7- -ليلي احمد جرار، الفيسبوك والشباب العربي، مكتبة الفلاح، عمان، 2012.
- 8- -مهاب نصر، "الفيسبوك" صورة المثقف وسيرته العصرية، وجوه المثقف على الفيسبوك هل تعيد إنتاج صورته أم تصنع أفقا مقابرا؟ جريدة القيس الكويتية اليومية، العدد 13446، 3 نوفمبر 2010.
- 9- -محمد علي محمد، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
- 10- -محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 1987.
- 11- -مشري مرسي، شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية نظرة في الوظائف، مجلة المستقبل العربي، لبنان، العدد 395، يناير 2012.
- 12- -عبد الرزاق محمد الدليبي: الإعلام الجديد والصحافة الالكترونية، دار وائل للنشر، ط1، الأردن، 2011.

أ.أمال باشي. جامعة ورقلة.

أ.باية لعجال. جامعة الجزائر 2.

ملخص:

يعد التغير الاجتماعي من المفاهيم التي احتلت مكانة مهمة في النظرية السوسولوجية، و ذلك لما له من أثر على مختلف بنيات المجتمعات، بغض النظر عن كونه ظاهرة اجتماعية حتمية تمر بها كل المجتمعات، حيث أنه سمة ملازمة للبشرية جراء التطور و التقدم بحثا عن الاستمرار و البقاء، وقد عرفت المجتمعات العربية و منا المجتمع الجزائري تحولات في مختلف المجالات و لا سيما على مستوى الجانب القيمي إذ برزت عدة مظهرات سوسيوثقافية في المجتمع الجزائري المعاصر على نمط الأسرة، التنشئة الاجتماعية للفرد و كذا مختلف العلاقات الأسرية و طقوس الزواج.

وأدت هذه التحولات إلى الكثير من المشكلات الأخلاقية و التربوية و الاجتماعية التي أصبحت تطفئ على مجتمعا ونلمس مدى انتشارها في أروقة القضاء و على صفحات الجرائد و في التلفزيون.

مقدمة:

يعد التغير الاجتماعي من المفاهيم التي احتلت مكانة مهمة في النظرية السوسولوجية، و ذلك لما له من آثار على مختلف بنيات المجتمعات، بغض النظر عن كونه ظاهرة اجتماعية حتمية تمر بها كل المجتمعات، حيث أنه سمة ملازمة للبشرية جراء التطور و التقدم بحثا عن الاستمرار و البقاء، حيث عرفت المجتمعات العربية تحولات في مختلف المجالات و لا سيما على مستوى الجانب القيمي، القيم الاجتماعية، الأخلاقية و الثقافية و التي تمس جميع جوانب الحياة اليومية للأفراد بشكل أو بآخر، و الجزائر واحدة من هذه الدول التي عرفت تحولات متعاقبة في مختلف المجالات (التصنيع، التعليم، الصحة...إلخ).

سنحاول في هذه الورقة التعرف على مختلف القيم الاجتماعية و الثقافية، و مختلف مظهراتها على الحياة اليومية للأفراد في المجتمع الجزائري المعاصر، أيضا سنتعرف على مظاهر التغير الاجتماعي و تأثيرها على منظومة القيم السوسيوثقافية.

التغير الاجتماعي: يعتبر Guy, Rocher التغير الاجتماعي هو ذلك التغير الذي يحدث في البنية و الناتج على الفعل التاريخي لبعض الفاعلين أو الجماعات ضمن سياق جماعي.¹

كما أن Guy, Rocher وضع أربعة خصائص للتغير الاجتماعي و هي كالتالي:

¹ - Guy, Rocher. Le Changement Social. Paris : éd HMM Points, 1972, p24.

أولاً: هو ظاهرة جماعية... يجب أن يمس شروط أو الأنماط الحياتية، أو العالم الأخلاقي أكثر من الأفراد.

ثانياً: يجب أن يكون تغير في البنية، بمعنى أنه يمكننا ملاحظة تغييرات في التنظيم الاجتماعي في مجموعه أو في بعض مكوناته... فهو من الضروري عند حديثنا عن التغير الاجتماعي فإننا مجبرين عن الحديث عن العناصر البنوية أو الثقافية للتنظيم الاجتماعي.

ثالثاً: هو أن التغير في البنية و مجموع التحولات يجب أن يكون في مجال زمني بين نقطة أ و ب.

رابعاً: يمتاز التغير في البنية بالديمومة، بمعنى التحولات الملاحظة لا يجب أن تكون سطحية.¹

ويذهب جنزيرج إلى أن التغير الاجتماعي هو كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الكل والجزء وفي شكل النظام الاجتماعي، ولهذا فإن الأفراد يمارسون أدواراً اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة من الزمن.²

بعض المفاهيم المرتبطة بالتغير الاجتماعي:

أ- الصيرورة الاجتماعية: ينطوي مفهوم التغير على الحيوية الاجتماعية، فالأحداث المفردة أو الأحادية التي تقع في النسق أو في أي وجهة من أوجهه، فإنها تمثل حيوية النسق لأن الحدث الأحادي لا يحصل بمعزل عن النسق و طبيعته و محيطه لأنه مرتبط بكافة عناصر النسق. لذلك يركز علماء الاجتماع على فكرة الصيرورة الاجتماعية ليصفوا و يشرحوا تبعات و آثار التغيرات المترابطة و المتصلة ببعضها البعض.³

ب- التقدم الاجتماعي: يعتبر مفهوم جوهري مرتبط بالتغير، و هو يعني من الناحية السوسولوجية:

- الصيرورة المباشرة ذات الاتجاه المستقيم.

¹ -Ibid, pp 20, 21.1

² - أحمد، الكلاوي. التغير والبناء الاجتماعي القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1968، ص 8

³ -معن، خليل العمر. التغير الاجتماعي. ط1. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004، ص 46.

- يدفع النسق إلى حالة الرفاهية و الرخاء و الحرية و الرضا و العدالة و الكرامة، لكي يصل المجتمع إلى حالة النمذجة المرجوة أو المأمولة أي اقرب إلى صورة اليوتوبيا الاجتماعية (المجتمع الفاضل). و في هذا السياق علماء الاجتماع المحدثين بدأوا باستخدام النسق العضوي في تفسير أحداث و ظواهر المجتمع الذي بلور اتجاهات فكرية أهمها:

التأكيد على النوعيات الحيوية الدينامية للواقع الاجتماعي، مثل إدراك المجتمع من خلال الصورة (الخيال العلمي).

تجنب التعامل مع المجتمع من خلال الجماعة و التنظيم كموضوع أو هدف أي عدم التعامل مع الواقع الاجتماعي كمادة (الصورة الحقلية أو الخيال الحقلية)، بل التعامل مع المجتمع من خلال العلوم الطبيعية.¹

ج-التحديث: يشير مفهوم التحديث إلى أسلوب الحياة الاجتماعية أو التنظيم الاجتماعي الذي ظهر في أوروبا إبان القرن السابع عشر و بات نموذجاً يحتذى به، و يمكن تحديد التحديث من خلال السياق التاريخي الذي يشير إلى مكان و زمان محددين أي يوم و تاريخ محدد و مكان معلوم إذ أنه يمدد بواسطة مؤشرات نموذجية يحتذى بها أكثر من كونها صفات عددية، للتحديث أوجه مختلفة و هي كالتالي:

-الفردية: الاهتمام بالفرد و سلوكه الاجتماعي دون المجتمع

-الاختلافات أو التباينات: في مجال العمل أين ظهرت عدة اختصاصات دقيقة و محددة تقوم بعمل جزئي مخصص ذي احتراف دقيق.

-العقلانية: و يشير إلى الحساب و الدراسة و التقييم و عدم الأخذ بعين الاعتبار العلاقات القرابية أو الصداقية، بل العلاقات المهنية في العمل أو الشركة و التنظيم.

-الاقتصادية: و يعني تسلط الحياة الاجتماعية بكافة مناحيها بالمنشط الاقتصادية و الأهداف الاقتصادية و صفات الانجاز الاقتصادي.

¹ نفس المرجع، ص 50، 1.51

-التوسع: أي التوسع في المكان و التعمق بالخصوصية و بالعلاقات القريبة في الحياة اليومية (أوقات الفراغ، و الأنشطة الدينية، و الجنسية و أنماط الاستهلاك).¹

-التنمية الاجتماعية: و هي عملية حضارية شاملة لمختلف أوجه النشاط في المجتمع بما يحقق كرامة الإنسان و رفاهيته، كما أنها تنشيط الاقتصاد القومي و تحويله من حالة الركود إلى مرحلة الحركة و الديناميكية عن طريق مقدره الاقتصاد القومي لتحقيق زيادة سنوية ملموسة في إجمالي الناتج القومي مع تغيير في هياكل الإنتاج و وسائله.²

-التغير الثقافي: إن الحديث عن التغير يسمح لنا بالتمييز بين التغير الاجتماعي و الثقافي، فالتغير الاجتماعي يشير إلى تبدل في أنماط التنظيمات الاجتماعية لمجموعات معينة تعيش ضمن مجتمع معين، بينما يشير التغير الثقافي إلى صفات جديدة و مركبة تمثل الجوهر الثقافي، حيث أن الثقافة تشبه أنماط التنظيمات الاجتماعية تتغير بشكل تلقائي إذ يتم اكتساب صفات جديدة و يحدث تحويل و تطوير للصفات الثقافية القديمة، و يمكن القول بأن أكثر أوجه الثقافة تبدلا و تغيرا بشكل واضح و جلي هو الوجه المادي.³

-الحدائثة و قيمها: يرى محمد أركون أن الحدائثة ليست حدثا تاريخيا معينا أو محددا بدايته، بل هي نتيجة لتاريخ طويل ملئ بالأحداث التي أسهم كل منها بقسط في تشكيلها".⁴

أما **Alain Touraine** ، فيرى بأن " فكرة الحدائثة في شكلها الأكثر طموحا، هي التأكيد على أن الانسان هو ما يفعله، اذن هناك صلة تتوطد أكثر فأكثر بين الإنتاج الذي أصبح أكثر فعالية بفضل العلم و التكنولوجيا و الإدارة من جانب و بين تنظيم المجتمع الذي ينظمه القانون و الحياة الشخصية و تنعشه المصلحة الخاصة"⁵

يقول **Crook Steven** بأنه لكي نتعرف على المجتمع الذي تميزه الحدائثة فيظهر ذلك جليا من خلال ثلاثة خصائص:

¹ - نفس المرجع، ص ص 61، 62.

² - نفس المرجع، ص 68.

³ - نفس المرجع، ص 70.

⁴ - فارح، المسرحي. الحدائثة في فكر محمد أركون مقارنة أولية. الجزائر: الدار العربية و دار الاختلاف، 2007، ص 19.

⁵ - آلان، توران. هد الحدائثة. ترجمة أنور مغيث، بيروت: المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص 19.

التميز: المجالات الثقافية، السياسية، الاجتماعية و الاقتصادية أصبحت بشكل متسارع متميزة عن بعضها البعض، و بالاعتماد على آراء ماكس فيبر فإن مختلف مظاهر المجتمع يحكم عليها تبعا للإطار الداخلي الذي تتحرك في داخله. فالعلوم يحكم عليها بعبارة الحقيقة و الأخلاق، و القانون تطبق عليه عبارات الخير و العدالة، و الفن تحكمه عبارات الجمال...مع الإشارة إلى أن هناك من حاول تحطيم ذلك الفصل بين الثقافة العليا و الحياة اليومية لكنها لم تتمكن من ذلك.

العقلانية: يرى Crook بأن العقلانية طبعت على الثقافة الحديثة، حيث تظهر هنا التكنولوجيا كغرض تسهيل استنساخ وإعادة خلق الثقافة...تكنولوجيا الطباعة مكنت من إعادة إنتاج الأعمال الفنية فلا حاجة للاعتماد على جهود الفنانين من الأفراد لكي نشاهد نسخة من الصورة، و يؤكد Crook على أن التكنولوجيا تعزز من قوة و منزلة الثقافة العليا(قاعات الموسيقى، السفرات السياحية، ملاحئ السواحل لأيام العطل).

التشيؤ: و هو تحويل المنتجات الثقافية إلى أشياء أو سلع يمكن بيعها و شرائها بسهولة، و يرى Crook بأن تنمية الذوق عنصر أساسي في الثقافة الحديثة"¹.

وما لا شك فيه أن تأثير قيم الحداثة التي جاءت بها العولمة الثقافية بات واضحاً على الأجيال الجديدة من أبناء المجتمع الجزائري، حيث طرأت وسرت مفاهيم جديدة ومفردات غريبة على لغتنا العربية ، طريقة اللبس، و الشكل و مختلف مظاهر الحياة اليومية، وصار الشباب يرددها ويدافع عنها ، بل صار مكن الخطورة يتمثل فيما يمكن أن تتعرض له قيم الانتماء والاعتزاز بالوطن والعروبة والإسلام من تهديد ، وصار من الواجب على مؤسسات التنشئة الاجتماعية أن تتحمل مسؤولياتها لاستعادة التوازن المفقود والدفاع عن هويتنا وثقافتنا .

من مميزات "التغير الاجتماعي حسب Guy Rocher الانتشار و يصيب البناء الاجتماعي، و يمكن ملاحظ التغير على مستوى النظام القيمي، الاجتماعي و كذا مراكز الأشخاص"² و الذي قد يحدث فجوة ثقافية في تبني أساليب حديثة و متطورة وهو ما أدى إلى ارتباك ثقافي وظهرت لدينا صور جديدة من السلوك داخل المجتمعات حيث أن العولمة بتحدياتها قد أثرت على مرتكزات الهوية الثقافية للشباب المتمثلة في الدين، واللغة، و القيم الثقافية، كما يمكن القول أن الشباب الجزائري بات

1- هارلبس و هولبورن . سوسيولوجيا الثقافة و الهوية. ط1. ترجمة حاتم حميد محسن، دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر و التوزيع، 2010، ص ص81-183.

² - Guy, Rocher. Le Changement social. Op.cit, p20. 1

يعيش في حالة من من الانبهار بالثقافة الغربية وأسلوب الحياة الغربية، وهذه التبعية الفكرية والانبهار الحضاري دائماً يحدث في الشعوب المتأخرة ثقافياً وعلمياً واقتصادياً ... والتي تؤدي بدورها إلى انصهار الهوية الثقافية وأن يصبح التقليد سيد الموقف خصوصاً لدى فئة الشباب.

التغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة:

انطلاقاً من خصوصية المجتمع الجزائري الذي مر منذ منتصف القرن الماضي بمراحل مختلفة، ميزتها وقائع وأحداث غيرت بنية وثقافة المجتمع، ابتداءً من حرب التحرير إلى الاستقلال مروراً إلى المشروع التنموي والبناء الوطني، وأحداث أكتوبر وما تبعه من انفتاح عن العالم من الناحية السياسية والاقتصادية وكذا الأزمات السياسية وانتشار العنف السياسي، كلها وقائع غيرت وجه الجزائر. فكل عشرية ومنذ الحرب العالمية الثانية ميزها حدث محمول كانت له تداعيات كبيرة وعميقة على تاريخ الجزائر الحديث.

ولم يكن للوقائع والأحداث التي ميزت كل حقبة من الحقب نفس الزخم والوتيرة والتأثير، فبعضها تم بطريقة سلمية وسلسة، وبعضها الآخر عرف مخاضاً عسيراً مثل حرب التحرير وأحداث العشرية السوداء. كما كانت حقبة نهاية التسعينات محل تحولات وتغيرات اجتماعية وثقافية مؤثرة على التركيبة الاجتماعية من جل النواحي منها السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الدينية والثقافية. ويظل هذا التغير مؤشراً لظهور تضارب و صراع القيم.

وتقف الجزائر في مصف الدول التي تأثرت بالتغير الاجتماعي الحاصل في العالم، حيث أصبح هناك تصادم بين الأجيال و الثقافات في المجتمع نفسه من خلال القيم التي تشربها المجتمع في الماضي و التي تعتبر من مرتكزاته، و قيم الحاضر التي تستمد قوتها من التفاعل و التواصل بالعالم عبر مختلف وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة المتاحة، هذا كله في خضم الثورة الإقليمية و الرقمية و تكنولوجيا الاتصال الحديثة، حيث وجدت الجزائر نفسها أمام محك للحاق بركب الحضارة و العولمة ما جعلها منفتحة بشكل واضح على العالم، حيث يؤكد عبد الرزاق الدواي " إضافة إلى الهيمنة الثقافية و التمييط الثقافي ، فإن زمن العولمة تطبعه سمة أخرى، تتمثل في ازدهار غير مسبوق للخطاب عن الحرية و الديمقراطية و حقوق الإنسان... كما أن في زمن العولمة الثقافية، و في ظل الأوضاع و العلاقات الثقافية المتوترة و غير المتكافئة التي يخلقها في أجواء العالم اليوم، كيف

يتسنى التوفيق بين جموح الثقافة الغربية المهيمنة لغزو الفضاءات الثقافية لجميع الدول، و احترام مبدأ التنوع الثقافي الذي يقضي باحترام الحقوق الثقافية للشعوب و مراعاتها".¹

وعليه فإن نظام العولمة و الانفتاح الثقافي العالمي أثر بشكل واضح على البناء الاجتماعي الثقافي للمجتمع الجزائري، و حتى على نسق العلاقات.

تأثير التغير الاجتماعي على منظومة القيم الاجتماعية:

إن التغير الاجتماعي و ما ينتج عنه من تنوع ثقافي في مختلف مجالات الحياة بات يشكل تهديدا على الخصوصية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، و يظهر ذلك جليا من خلال الإفرازات التي نلاحظها في المجتمع الحديث، كما أن هناك نتائج ايجابية للتغير الاجتماعي فإن له نتائج سلبية أدت إلى اختلال اجتماعي، تتجلى مظاهرها في أشكال مختلفة نذكر منها:

نمط الأسرة:

الأسرة كنظام اجتماعي تغير نمطها بتغير الزمن و بدأت تفقد انسجامها مقوماتها حيث كانت في السابق الأسرة الممتدة و النظام الأبوي هو النمط السائد في المجتمع الجزائري، ومع التقدم الحضاري وكثرة التخصص و خروج المرأة للعمل أدى إلى ظهور وانتشار الأسرة النواة بكثرة لتصبح هي الصورة النمطية و المحببة للعيش، متخلين بذلك عن قيم و عادات و تقاليد الأسرة الممتدة التي تكون فيها السلطة للجد و الجدة حيث يجدر بنا التذكير هنا، إلى النمط العمراني الحديث و المتمثل في العمارات والذي لا يسمح بتعدد الأسر بل لأسرة واحدة عكس البيوت الأرضية الواسعة التي تتسع لأكثر من أسرة، لتبرز صورة أخرى وهي الأسرة ذات العائل الوحيد في المجتمع الجزائري بسبب انتشار ظاهرة الخلع و الطلاق.

التنشئة الاجتماعية:

في خضم التقدم الحضاري و العولمة بدأت الأسرة الجزائرية تفقد أهم وظيفتها و هي التنشئة الاجتماعية، حيث بات جليا تفكك و تصدع المنظومة الأسرية، فأصبحت تنشئة الأجيال تنشئة مغايرة و مختلفة عن ثقافة مجتمعنا العربي الإسلامي، حيث تقف الأسرة منبهرة أمام ما يكتسبه أبنائها من قيم و سلوكيات دخيلة على مجتمعنا، بمعنى أن التربية الوالدية أصبحت

1-عبد الرزاق، الدواي. في الثقافة و الخطاب عن حرب الثقافات (حرب الهويات الوطنية في زمن العولمة)، ط1، بيروت: المركز العربي للأبحاث و الدراسات السياسية، 2013، ص 1.164.165

مهددة من قبل مؤسسات تنشئة اجتماعية أخرى. حيث وجد الوالدين أنفسهم فجأة أمام تحديات تجعل من موضوع التربية الوالدية إشكالية يجب التمهيد فيها، و مع شيوع نمط الأسرة النووية، كما أن انتشار التخصص و التمايز الاجتماعي و خروج المرأة للعمل زاد من بروز بعض الآفات الاجتماعية و انتشار الرذيلة في ظل غياب الرقابة الوالدية، كما باتت ثقافة العنف صفة ملازمة للفرد الجزائري، بسبب ضغوط الحياة و بالتالي أصبح الكل يجري و راء لقمة العيش و منهم من يبحث عن الكماليات الحياتية و التقليد الأعمى للأخر متجاهلين بذلك أهم وظيفة لهم و هي تنشئة الأجيال بما يتوافق و ثقافة و معايير المجتمع.

العلاقات الأسرية:

تصدعت العلاقات الأسرية و بات الاتصال جد ضعيفا بين أفرادها لكثرة انشغالهم عن بعضهم البعض و استحواذ تكنولوجيا الاتصال على عقول الأفراد إذ لا يكاد يخلو أي بيت من كمبيوتر و هاتف نقال و أجهزة الكترونية مزودة بالانترنت ، ما جعل أفراد الأسرة الواحدة يعيشون الاغتراب الاجتماعي و ضعف الاتصال بالرغم من تواجدهم تحت سقف واحد، وهذا ما يمكن وصفه بالفردانية، حيث أصبحنا نجد في الأسرة الواحدة عدة ثقافات بسبب الانفتاح على العولمة، ما يؤثر على نسيج العلاقات الاجتماعية الأسرية.

طقوس الزواج:

بدأ يفقد الزواج في الجزائر المعاصرة خصوصيته مقارنة بالماضي، حيث أصبح عبارة عن غلاء مهور و تكاليف باهضة والتباهي بالمكانة الاجتماعية، تقليص و تحديد في عدد المعازيم، أصبحت حفلات الزواج تقام في الفنادق و قاعات الحفلات، مما يضطر المتزوجين للحجز المبكر و إقامة حفلة العرس بستة أشهر و قد تصل إلى السنة، مع تأجيل المراسيم الرسمية للزواج (دخول العروسين) ، كذلك أصبحت أيام حفلة الزواج المتعارف عليها سابقا تختزل في يوم واحد ناهيك عن الاختلاط بين الجنسين، و في الأخير قد تفشل أغلب الزيجات في بداية مشوارها.

على المستوى الأخلاقي:

مع تطور التكنولوجيا و كثرة التقنيات، تهطل الفضائيات، تنوع الثقافات، المؤثرات و توافد الشبهات أصبح الأبناء يعيشون اليوم في مفترق طرق أمام التيار الجارف و تحت تأثير هذه المتغيرات و لا شك أنها تسبب لهم كثيرا من المشكلات التربوية والأخلاقية، منها إلهاء النشء والشباب بما تبثه القنوات الفضائية من مسلسلات جنسية فاضحة تنشر الثقافة الجنسية،

كذلك الانحلال الأخلاقي في العالم الافتراضي الذي سيطر على الأفراد، أثر بشكل كبير على النظام الأخلاقي، التعليمي، الثقافي والعلاقات الاجتماعية ونمط الحياة برمتها، وهذا ما تظهر نتائجه في أروقة القضاء الجزائي من قضايا متعلقة بالفعل المحل بالحياء و الاعتداءات الجنسية سواء بين جنسين مختلفين أو من نفس الجنس، و الدعوة إلى المثلية، ما هدد المنظومة القيمية الأخلاقية بصفة عامة.

خاتمة:

من خلال ما تقدمنا به يتضح لنا جليا أن التغير الاجتماعي يؤدي حتما إلى التغير الثقافي، هذا الأخير أوسع نطاقا من التغيرات في البناء والوظائف والتنظيم الاجتماعي، يعتبر أخطرها حيث أن التغيرات التي تطرأ على منظومة القيم، الأفكار و المعتقدات تؤثر في الحياة الاجتماعية ككل و تؤدي إلى تغير في البناء الكلي للمجتمعات، و هذا ما ذهب إليه كارل ماركس حيث خلص إلى أن البناء التحتي

و الممثل في تطور وسائل الإنتاج و شكل الملكية و الذي يتجلى في التطور التكنولوجي و الذي يؤدي بدوره إلى تطور الحياة الاجتماعية يؤثر في البناء الفوقي و الممثل في نسق القيم الاجتماعية و الثقافية، المعتقدات و الأفكار.

قائمة المراجع:

- (1)-أحمد، النكلاوي. التغير والبناء الاجتماعي القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1968.
- (2)-ألان، توران. نقد الحداثة. ترجمة أنور مغيث، بيروت: المجلس الأعلى للثقافة، 1998.
- (3)-خليل العمر، معن. التغير الاجتماعي. ط1. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع ، 2004.
- (4)-عبد الرزاق، الدواي. في الثقافة و الخطاب عن حرب الثقافات (حرب الهويات الوطنية في زمن العولمة). ط1، بيروت: المركز العربي للأبحاث و الدراسات السياسية، 2013.
- (5)-فراح، المسرحي. الحداثة في فكر محمد أركون مقارنة أولية. الجزائر: الدار العربية و دار الاختلاف، 2007.
- (6)-هارلبس وهولبورن. سوسيولوجيا الثقافة و الهوية. ط1. ترجمة حاتم حميد محسن، دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.
- (7)-Rocher, Guy. Le Changement Social. Paris : éd HMH Points, 1972.

علاقة الأنترنت بتغير قيم الأبناء نحو التربية الأسرية (التربية الجنسية أنموذجا)

-دراسة ميدانية على عينة من الآباء بولاية المسيلة

د. جلاب مصباح. جامعة المسيلة.

أ. الحميدي عادل. جامعة قسنطينة.

ملخص:

يعتبر موضوع التربية الجنسية لدى الشباب والمراهقين من المواضيع الحساسة والمؤثرة في سياق علاقاتنا الاجتماعية اليومية، ويعد الإعلام أحد الوسائل والمصادر عموما التي عرفت جدلا واسعا في أوساط المجتمع نظير ما يشكله ويلعبه من دور في تشكيل الاتجاهات وبعث الرسائل المختلفة لدى الفرد في المجتمع، وخاصة الأسر التي تحاول أن تسمو بتربية أبنائها إلى الأفضل، وتعتبر الأنترنت أحد الوسائل المتاحة بشكل يومي ومباشر لدي هاته الفئة، مما يفرض على المؤسسات الإجتماعية فرض رقابة معينة عليها وعلى مضامينها نظرا لما يمكن أن تشطله من تأثير سلبي على الفرد والمجتمع في آن واحد.

مقدمة:

لقد كانت الأسرة إلى وقت ليس ببعيد المصدر الأساسي للتربية وتنشئة الأبناء على القيم الأخلاقية السليمة. لكن بعد الثورة التكنولوجية والمعلوماتية التي بلغت ذروتها بداية الألفية الثالثة، أصبح الفضاء الإعلامي بمختلف أنواعه قوة مؤثرة في تربية الطفل وإكسابه اتجاهات وقيم جديدة تكون غالبا مضادة لقيمه الأصلية. فأصبح مثلا التلفزيون والأنترنت والسما وألعاب الفيديو والهاتف النقال إعلاما مؤثرا في تربية الطفل.

ورغم أن الاعلام والتربية غايتها واحدة هي تعديل السلوك؛ إلا أن التربية تغير السلوك نحو الأفضل، أما الإعلام موجه للجمهور عموما، فقد يكون سلبيا بالنسبة للجمهور آخر، فالبرامج التلفزيونية مثلا توجه للجميع على السواء؛ ولكن لا تستهوي الكثير بحسب محتوى الرسالة الإعلامية وغايتها.

ونظرا لعدم إدراج التربية الإعلامية في المقررات التربوية الجزائرية؛ على عكس بعض دول الخليج كالسعودية والأردن وسوريا وفلسطين... إلا أن آثاره موجودة في سلوك الطفل، ونلمسها يوميا في تصرفاته وتفكيره والتعبير عن آرائه. لذلك شكل الإعلام عموما جدلا واسعا في أوساط المجتمع وخاصة الأسر التي تحاول أن تسمو بتربية أبنائها إلى الأفضل والترفع على ما يوصف حسب بعض المنابر "بالإعلام الهابط" من خلال انتقاء البرامج المتخصصة في وسائل الإعلام على الرغم من قلتها في الجزائر

من أجل تربية سليمة. وسنخصص بالدراسة تحديداً "التربية الجنسية" من خلال تأثيرات برامج الأنترنت والبرامج المحملة عبر الهواتف النقالة وحتى في الألعاب التي يمارسونها على الثقافة الجنسية. وتأثيرها على السلوك الجنسي السوي للطفل، من خلال الاستخدام الذاتي للأنترنت حيث يجد نفسه أمام مواقع مغرية حول مفهوم الجنس والعلاقات الجنسية، وهنا تبدأ التربية الجنسية الأسرية في التلاشي لأن تأثير الأنترنت أقوى، ومنه تظهر خطورة هذه المواقع؛ خاصة على فئة المراهقين. لذلك كانت مشكلة التربية على الإعلام وخاصة السمي البصري؛ من أهم المشكلات التي تطرح؛ كون الإعلام تتحكم فيه قوى كبرى فرضت نفسها على المشاهد بصفة عامة والمشاهد المحافظ تحديداً نظراً لما يتلقاه الطفل من مشاهد مغرية تتعارض مع القيم الصحيحة، ونخص منها قيم التربية الجنسية التي تأثرت ببرامج الإعلام. وسنتناول بالتحديد في هذه الدراسة الإعلام التلفزيوني والآنترنت وتأثيرهما على الأبناء.

إشكالية الدراسة: لا شك أن الجنس يلعب دوراً بالغ الأهمية في حياة الإنسان لما له من أثر في سلوكه وعلى صحته النفسية، ذلك أن النشاط الجنسي يشبع كلا من الحاجات البيولوجية والسيكولوجية (الجسد، النفس) وكثيراً من الحاجات الشخصية الاجتماعية. واحباطه يكون مصدر للصراع والتوتر الشديد، وتختلف الطريقة التي تشبع فيها الحاجات الجنسية ودرجة هذا الإشباع اختلافاً واسعاً باختلاف ظروف الحياة وخبرات تعلم الإنسان(1).

يعتبر موضوع التربية الجنسية لدى الشباب والمراهقين من المواضيع الحساسة والمؤثرة في سياق علاقاتنا الاجتماعية اليومية، فما نشاهده في الحياة اليومية هو وجود ميولات جديدة لبروز اتجاهات سلوكية متميزة في العلاقات الاجتماعية التي صارت تربط بين أفراد المجتمع، وهذا ما يشير من ناحية أخرى إلى تفكك الروابط الاجتماعية والتربوية في المراكز الحضرية الكبرى حيث الكثافة العمرانية والسكانية وشدة الحراك الاجتماعي وانتشار السريع للقيم الثقافية والتربوية الجديدة سواء منها الوافدة أو المحلية، بما يجعل الشباب والمراهقين عرضة للتأثر المباشر بهذه التحولات خاصة إذا علمنا أنها لجمهور المستهدف بالأساس من وراء هذه العمليات التربوية المبرمجة. في خضم كل هذه التحولات نود أن نشير إلى أهمية موقع الأسرة وثقافة المجتمع التربوية بما تحمله من قيم وتعبيرات ورموز وسلوكيات، وتحديد دورها الدينامي العلائقي الذي تلعبه في هذه الصيغ الجديدة من السلوكيات التي تطرح يومياً في إطار العلاقات الاجتماعية وخاصة منها العلاقة بين الجنسين، فالمجتمع صار يعطي هوامش من الحرية لم تكن من قبل بين الفتيان والفتيات، بالإضافة إلى أن وسائل الإعلام حجت دور الأسرة لتأخذ هي مكانها التلقيني والتربوي والقيمي وتلعب دوراً كبيراً يكون في كثير من جوانبه دوراً خطيراً وسلبياً ومؤثراً، خاصة إذا أضفنا إلى ذلك دور المواقع الإلكترونية

التي تبثي هؤلاء الشباب والمراهقين قيما واتجاهات جديدة تؤثر في سلوكياتهم سلبا في كثير من الأحيان (2). وهذا نتيجة تأثير الفضائيات والتكنولوجيات الحديثة منها الأنترنت، التي أنتجت تربية اعلامية جديدة للأبناء مضادة للتربية التقليدية، خاصة العلاقات بين الجنسين. "لذلك فالجدل القائم حول العلاقة بين التربية والإعلام ليس بالجديد، فقد أصبح الإعلام محورا من محاور العملية التعليمية في العديد من الدول (3). من أجل خلق الوعي بين أفراد المجتمع من أجل تحليل وتقويم واتناج الاتصال الإعلامي المناسب. إلا أن الإعلام لا يسير القوى التي لا تنتجها؛ وإنما تستهلكه فقط. وبذلك "ظهرت الحاجة إلى التربية الإعلامية في بعض الدول لأنها فقدت السيطرة الكاملة على البث المباشر للبرامج التلفزيونية، وفقدت قدرتها على التصدي للبث الإعلامي الخارجي والاكتماسح الثقافي الأجنبي، بعد أن ساعدت شبكة الأنترنت على الغزو الثقافي وتهديد كثير من الثقافات الوطنية" (4). ومن أهم النتائج السلبية للإعلام والأنترنت طريقة الاستخدام، وخاصة الاستخدام السيئ الذي يؤدي إلى سهولة ارتكاب الطفل أو الشاب لأي سلوك منحرف أو غير سوي؛ فضلا عن فقدان الحس الاجتماعي داخل الأسرة بسبب تحطم القيم والمبادئ المثلى من خلال كثرة المشاهدات غير أخلاقية للتلفزيون والأدمان على المواقع الاباحية أو العنف والذي كثيرا ما يدفع الاطفال للإصابة بعدوى الامراض الاجتماعية والنفسية والتي قد تجعل الباب مفتوحا لأنواع السلوك المنحرف المجرم (5).

وهكذا ففي ظل العولمة والانفتاح الاقتصادي وثورة الاتصالات وما أتاحته من سهولة التداول ونقل المعلومات ورغم ما تحمله هذه الظاهرة من بشائر الا انها تعتبر من جانب آخر (سلاح ذو حدين) وهذا ما حاولت الدراسة التأكيد عليه والتطرق اليه، سيما في مجال تأثير الأنترنت على التربية الجنسية للطفل أو الشاب، ما قد يسبب في انحراف هؤلاء الأطفال عن السلوك الاجتماعي السوي والانحراف الجنسي. الذي يعتبر بداية لكل عمل اجرامي مستقبلا. ومنه نطرح التساؤلات التالية:

- التساؤل العام: إلى أي مدى تؤثر الأنترنت في تغيير السلوك الجنسي؟ وهل تؤدي إلى ظهور ممارسات جنسية منحرفة؟

- التساؤلات الجزئية:

1- هل توجد علاقة بين شبكة الأنترنت وتغيير التفكير الجنسي لدى الأبناء؟

2- هل توجد علاقة بين مواقع الأنترنت وظهور ممارسات جنسية غير سوية؟

- فرضيات الدراسة:

1- توجد علاقة بين شبكة الانترنت وتغيير التفكير الجنسي لدى الأبناء بنسبة بدرجة كبيرة.

2- توجد علاقة بين مواقع الانترنت وظهور ممارسات جنسية غير سوية بنسبة بدرجة كبيرة.

- أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على أهم موضوعات الساعة وهو تأثير الأترنت على تربية الأبناء؛ خاصة التربية الجنسية التي تعتبر من الموضوعات الممنوعة التي لم تأخذ كل حقها من الدراسة والتناول، نظرا لطبيعة المجتمع من جهمة والجهل من جهة ثانية وعدم وجود نية حقيقية في فتح مجال للنقاش حول هذه الموضوعات، ولما لا ادراج مادة التربية الجنسية في المقررات الدراسية، مثل معظم دول الخليج العربي؛ وفيها يتم التعرض للجوانب السلبية للانترنت، كما يجب التحذير من المواقع الاباحية وعدم تصفح أي موقع هكذا دون مرافقة والدية، لأن كلمة تربية في النهاية تعني وجود نموذج ومقلد، كما تتجلى أهمية الدراسة أيضا في توجيه الآباء إلى مراقبة أبنائهم داخل وخارج البيت، وتنظيم وقتهم، ومراقبتهم أثناء المشاهدة، وحجب المواقع الفاسدة من الانترنت من خلال جعل هذه الأجهزة للاستعمال الجماعي وليس الفردي وفي مكان ظاهر للعيان.

- أهداف الدراسة: تحقق الدراسة هدفين رئيسيين هما:

- التعرف على مدى تأثير الانترنت كوسيلة إعلامية في إثارة السلوك الجنسي؛ من خلال مشاهدة المواقع الفاسدة أخلاقيا، والتي تعمل على نشر الانحلال الخلقي والتفسخ الاجتماعي.

2- التعرف على أنصفح المواقع الاباحية يؤدي إلى الانحراف الجنسي، من خلال التقليد الذاتي مما يؤدي إلى الشذوذ، أو مع الآخرين مما يؤدي إلى الجنس المنحرف والاعتصاب، وجرائم الجنس كالاختطاف والدعارة وغيرها.

مصطلحات الدراسة:

1- مفهوم التربية الجنسية: "هي عملية تربية تتضمن معارف صحيحة عن الوظيفة البيولوجية للجنس والتناسل واتجاهات صحية نحو نظافة الجسم وسلوك متعقل في ممارسة السلوك الجنسي" (6). تعرف أيضا "بأنها التدابير التربوية التي يمكن أن تعين

الشباب بكيفية ما على التهيؤ لمواجهة مشكلات الحياة وخصوصاً تلك التي تتمركز حول الغريزة الجنسية ثم تعرض بعد ذلك بشكل ما في خبرة كل إنسان عادي" (7).

2- الأنترنت: وتقصدها الشبكة العنكبوتية والمواقع التي تحتويها، والعمل الاعلامي والدعائي الذي تقوم به، وانعكاس ذلك على تربية الأبناء.

3- قيم الأبناء: هي مجموعة القيم والمعتقدات والسلوكيات التي تربي الطفل عليها من الأسرة والمحيط.

4- التربية الأسرية: وهي تنشئة الطفل وفق المعايير والضوابط الاجتماعية السائدة في الأسرة والمجتمع، والتي لا تتعارض مع قيم الجماعة.

- الدراسات السابقة:

1- دراسة شريف درويش ودنيا عمر فرحان (2014): قامت الدراسة بوصف وتحليل المخاطر المتعلقة بالمواقع الاباحية على الشباب في ظل انتشار استخدام الشباب للأنترنت وكثافة المادة الاباحية، وقد هدفت الدراسة إلى رصد مدى تعرض الشباب للمواقع الاباحية وتحديد الأسباب الرئيسية لتعرض الشباب لهذه المواقع. واستخدم الباحثان المنهج الوصفي وأداة الملاحظة واستمارة الاستقصاء على عينة من 50 مفردة من طلاب جامعة القاهرة، سنهم من 16-18 سنة. ومن بين نتائج الدراسة أن 50% من عينة الدراسة يتعرضون للمواقع الاباحية (8).

2- دراسة حمدان عبد الله الصوفي (2004): هدفت الدراسة إلى بيان أخطار استخدام الشباب لشبكة الأنترنت، وتقديم تصور تربوي لمواجهة تلك الأخطار. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي على عينة من الشباب الذين يستخدمون الأنترنت، وكانت النتيجة: أن كثير من الشباب أثرت فيهم أخطار شبكة الأنترنت إلى درجة ادمانهم على المواقع الجنسية والدعائية والاباحية مما يستنزف ويشل فاعليتهم (9).

3- دراسة محمد بن عبد الله علي المنشاوي (2003): هدفت الدراسة إلى تحديد حجم ونمط أكثر جرائم الأنترنت شيوعاً بين مستخدمي الأنترنت في المجتمع السعودي خاصة الجرائم الجنسية والممارسات غير الأخلاقية. باستخدام منهج المسح الاجتماعي واستبانة جمع المعلومات على عينة من 150 ألف مستخدم للأنترنت، توصل الباحث إلى النتائج التالية: إن حجم الجرائم

الجنسية والممارسات غير الأخلاقية هي ارتياد المواقع الجنسية و يرتكبا 3541 مستخدم من مجموع المشاركين في الدراسة، و 1675 طلبوا مواد اباحية و 1791 اشتركوا في القوائم البريدية الجنسية و 235 أنشأوا موقعا جنسيا و 410 أنشأوا بريد جنسي و 283 قاموا بالتشهير بالآخرين (10).

- تعليق: أشارت كل الدراسات المتعلقة بالمواقع الاباحية أنها تؤثر على الشباب جنسيا و اخلاقيا ودينيا، وركزت على الجرائم الجنسية التي هي نتيجة للانحراف الجنسي لدى فئات الشباب المدمن على الانترنت.

و قد استفدنا نت هذه الدراسات نظريا و منهجيا، سواء في المداخل النظرية التي تعرضت إدمان الأنترنت أو خطر المواقع الاباحية، وكذلك التشابه في العينة والمنهج والتحليل الإحصائي، مما يدعم كثيرا دراستنا.

الجانب النظري:

- تأثير الأنترنت و المواقع الاباحية على تربية الأبناء و الممارسات الجنسية المنحرفة:

1- الأنترنت و المواقع الاباحية:

لقد أفاضت الأنترنت على العالم بفوائدها و ايجابياتها و مكتسباتها، و استطاعت تغيير وجه العالم و التأثير في كل المجالات، بمنتجاتها و أدواتها و وسائلها و قوتها الرهيبة في المزج الهائل بين المحتوى و التواصل البشري.

و في الوقت نفسه أصبح وجود الأنترنت عاملا مؤثرا و داعما و مساندا و منتجا لكل أنواع الانحرافات الإجرامية و السلوكية و الأخلاقية و الفكرية على مستوى الجريمة المنظمة و المخدرات و الإرهاب و الأفكار المدمرة.

في مقدمة هذه الانحرافات تأتي الاباحية التي شهدت انتشارا عالميا هائلا كان لوجود الأنترنت دورا بارزا في تحقيقه.

لقد أصبحت المواد الاباحية كالنار تحت الرماد و لديها القدرة على الوصول لكل فرد منا، بعيدا عن أي رقابة و انتشرت بين الأطفال و حتى المسنين في مجتمعات العالم أجمع مثل المرض الخطير الصامت (11).

و تمثل المواقع السيئة على شبكة الإنترنت على مواقع محددة على الشبكة للمجلات الخلة بالآداب و تقوم بعرض صور فاضحة أو نصوص اباحية و لغات تخاطب سيئة، و على الرغم من أن هذه المواقع لا تمثل نسبة كبيرة مقارنة بالمواقع التي تحتوي على

مختلف أنواع المعارف البشرية إلا ان الاهتمام بخطورة المواقع السيئة اخذ في الازدياد(12). كما تتخذ هذه المواد صورا مختلفة بعضها صريح مثل المجموعات الإخبارية او المجموعات المتخصصة في مثل هذا الموضوع مثل البلاي بوى Play Boy البنت هاوس Pent House وبعضها الآخر يصعب كشف هويته مثل المكتبات السرية المعروفة لتجار المواد الاباحية (الذين وجدوا في هذه التجارة مصدرا كبير وسريع للربح) إلى جانب الخدمات الجنسية الحية من خلال الفيديو الفوري التي تلبى من خلالها النساء كل ما يوجه اليها من أوامر من جانب المشاهدين الذين يدفعون مقابل هذه الخدمة(13).

2- مؤشرات انتشار الإباحية:

- الصفحات الإباحية تمثل بلا منافس أكثر فئات صفحات الأنترنت بحثا وطلبا وتصفحها على مستوى العالم.
- صناعة المواد الإباحية أصبحت من الصناعات الكبرى التي تستثمر فيها مليارات الدولارات.
- تشهد صناعة المواد الإباحية نموا لحظيا متسارعا وبذلك انتشرت ملايين الصفحات الإباحية واقتزنت الممارسة البهيمية للجنس مع الاغتصاب والعنف؛ بل وأبشع جرائم الاعتداء وأكثرها بشاعة وانحطاطا(14).

3- تأثير المواد الإباحية على الفرد والمجتمع:

- الإصابة بالأضرار والاضطرابات النفسية وفقدان احترام الإنسان لذاته واحساسه بالضيق والقلق والدمار النفسي.
- إضاعة الوقت في السعي وراء هذه المواد والتكاليف المادية للاشتراك في المواقع الإباحية وطرق الوصول اليها.
- تضرر العلاقات العائلية للمدمنين، اضافة إلى فقدان الاحترام والعدوانية والعصبية في التعامل مع أفراد العائلة وانهيار وتصدع قيم الحياة الزوجية وأسس استقرارها.
- الانصراف والعزوف عن الزواج.
- ظهور الممارسات غير الأخلاقية في المجتمع.
- انتشار الأمراض الخطيرة المرتبطة بالممارسات الجنسية المنحرفة.

- إغراق شباب وشابات المجتمع في مستنقعات قذرة ومنحطة، وتعطيل جهود التنمية، والتقدم العلمي والحضاري.

- تعتبر المواد الإباحية هي السبب الأول وراء زيادة وتنوع الجرائم الجنسية وجرائم الاغتصاب وجرائم الشذوذ الجنسي وجرائم الاعتداء على الأطفال.

- تؤدي المواد الإباحية إلى الاستهانة بجرائم الزنا والاعتصاب والتقليل من شأنها.

- تؤدي المواد الإباحية إلى تكوين صورة وهمية عن العلاقات الجنسية، حيث تصور للمدمن بأن الجنس هو شيء يمكنك الحصول عليه متى أردت، وفي أي مكان مع أي شخص دون أية عواقب، وإذا لم يتحقق ذلك تحصل العصبية والعدوانية واللجوء إلى الاغتصاب والاعتداء على النساء والأطفال، وارغام الآخرين على الفاحشة (15).

4- مراحل إدمان الإباحية: يمر مدمن الإباحية بالمراحل التالية:

4-1- التعرض: وهي مرحلة المشاهدة والتصفح بدافع الفضول أو الوصول بالخطأ إلى الصفحة الإباحية.

4-2- الاعتماد: وهي الرجوع إلى مشاهدة الإباحية بعد المرة الأولى، وهي ناتجة عن الصراع الداخلي.

4-3- الإدمان: وهي المعاودة المستمرة إلى التصفح والمشاهدة حتى تصبح جزء من حياة الفرد لا يستطيع الانسحاب.

4-4- التصاعد: وهي مرحلة البحث عن الجديد الغريب اباحيا الذي يختلف عن المشاهدات السابقة.

4-5- التحجر: وهي المرحلة التي يصبح فيها المدمن فاقد الاحساس تجاه الصور والأفلام الجنسية.

4-6- التصرف جنسيا: وهنا يقفز المدمن قفزة حرجة للبحث عن التطبيق الفعلي مع أشخاص، وعادة ما يكون بطرق

مدمرة مثل الاغتصاب والشذوذ التي تنتهي غالبا بجرائم.

منهجية الدراسة الميدانية:

1- منهج الدراسة: استخدم الباحثان المنهج الوصفي لتحليل الاستجابات التي استقيناها من الميدان لوصف درجة تأثير الأترنتتغيير السلوك الجنسي. ودرجة تأثير المواقع الإباحية في ظهور الممارسات الجنسية المنحرفة. من خلال الوصف الكيفي للمعطيات، ثم إعادة تحليلها كميًا من أجل قياس درجة التأثير وإصدار الأحكام التقييمية.

1- عينة الدراسة: شملت عينة الدراسة على (112) أبا وأمامن فئة المعلمين والأساتذة الجامعيين ذكورا وإناثا، تراوحت أعمارهم بين 35 و55 سنة، كلهم متزوجين ولديهم أبناء؛ واحد على الأقل. تم اختيارهم بطريقة قصدية لمعرفة الباحثان الجودة بالمعلمين ومدارسهم وكذلك أساتذة الجامعة، كون الباحثين أستاذين جامعيين. وفيما يلي خصائص العينة:

الفئة	العدد	ذكور	%	إناث	%	المجموع
معلمين	70	42	60.00%	28	40.00%	100%
اساتذة جامعيين	42	30	71.42%	12	28.58%	100%
المجموع	112	72	64.28%	40	35.72%	100%

2- حدود الدراسة: أجريت الدراسة في شهرينوفمبر/ديسمبر / جانفي/1016/2017، ببعض مدارس ولاية المسيلة وجامعة محمد بوضياف بالمسيلة.

3- أداة جمع البيانات: هي عبارة عن استبيان يتكون من 24 عبارة مقسمة إلى محورين:

- المحور الأول: مساهمة الأترنت في تغيير السلوك الجنسي ويتكون من 12 فقرة.

- المحور الثاني: تأثير المواقع الإباحية في ظهور الممارسات الجنسية المنحرفة ويتكون من 12 فقرة.

يتم الإجابة عنها وفق ثلاثة بدائل هي: بدرجة كبيرة (3)، بدرجة متوسطة (2)، بدرجة ضعيفة (1). وقد حدد الباحثان معيارا لتقييم هذه البدائل هو: من 70% فما فوق: يعني بدرجة كبيرة، من 50% إلى 69.99%: يعني بدرجة متوسطة، من 49.99% فما أقل: يعني بدرجة ضعيفة.

4- صدق وثبات الأداة: وللتأكد من صدق وثبات الأداة اعتمدنا على صدق المحكمين وعددهم ثمانية محكمين (08) الذين أشاروا إلى قبول فقرات الاستبيان بنسبة فاقت 92% مع تعديل بعض الفقرات سواء في الصياغة أو اختصارها حتى تكون دقيقة.

كما اعتمد الباحثان في حساب الثبات على طريقة التطبيق وإعادة التطبيق بفواصل زمني قدره 10 أيام على عينة استطلاعية من 20 أبا (10 معلمين، 10 أساتذة جامعيين) بمدينة المسيلة، في الفترة بين 15 ديسمبر و25 ديسمبر 2016 وباستخدام معامل الارتباط بيرسون كانت النتيجة 92%، وبذلك يكون الصدق الذاتي 0.95.

5- الأساليب الإحصائية: استخدمت الدراسة التكرارات والنسب المئوية ومعامل الارتباط بيرسون.

6- عرض النتائج على ضوء الفرضيات:

- عرض نتائج الفرضية الأولى: - توجد علاقة بين شبكة الأترنت وتغيير التفكير الجنسي لدى الأبناء بنسبة بدرجة كبيرة.

جدول 1: استجابات أفراد العينة على فقرات المحور الأول:

الرقم	العبارات	درجة كبيرة	درجة متوسطة	درجة ضعيفة
1	تؤثر الأفلام العاطفية في تحريك الأحاسيس الشهوانية	102	08	02
2	تقديم العلاقات العاطفية كعلاقات انسانية راقية	88	18	06
3	تسويق الصور المحرمة لإغراء المشاهد	105	07	00
4	نشر المشاهد المخلة بالقيم الأخلاقية	110	02	00
5	مشاهدة مفاتن الفتيات عبر صور الإعلام	95	13	04
6	تشجيع قيم مضادة للمجتمع كالاغتصاب	78	22	12
7	الدعوة إلى مظاهر الهوى الفاسد	81	23	08
8	تسويق الأغاني القذرة المليئة بالإثارة	76	11	25
9	انتشار ثقافة العري في صور الإعلام	84	24	04
10	الدعوة إلى التحرش الجنسي بتبادل اللمسات	69	33	10
11	الترويج لصور مغرية على فراش النوم	65	30	17
12	استخدام صور الفتيات في الأعمال الاشهارية	96	12	04
	المجموع	1049	203	92
	النسبة %	78.05	15.10	6.84

جدول 2: ترتيب درجات استجابات أفراد العينة على فقرات المحور الأول:

الرقم	التقييم	العدد	النسبة	الترتيب
1	بدرجة كبيرة	1049	78.05%	1
2	بدرجة متوسطة	203	15.10%	2
3	بدرجة ضعيفة	92	6.84%	3

الجدول (2) يوضح استجابات عينة الدراسة لتقييم المجال الأول. وقد أظهرت نتائج الجدول أنه جاء في المرتبة الأولى المستجيبون بدرجة كبيرة، وذلك بنسبة بلغت 78.05% من إجمالي استجابات أفراد عينة الدراسة على المجال، بينما جاء في المركز الثاني المستجيبون بدرجة متوسطة على هذا المجال، وذلك بنسبة بلغت 15.10% من إجمالي أفراد عينة الدراسة، بينما جاء في المركز الثالث المستجيبون بدرجة ضعيفة بنسبة بلغت 6.84% من إجمالي أفراد عينة الدراسة. هذا يعني الأنترنيت يؤثر بدرجة كبيرة في تغيير السلوك الجنسي. ومنه تحقق الفرضية الأولى.

- عرض نتائج الفرضية الثانية: - توجد علاقة بين مواقع الانترنت وظهور ممارسات جنسية غير سوية بنسبة بدرجة كبيرة.

جدول 3: استجابات أفراد العينة على فقرات المحور الثاني:

الرقم	العبارات	بدرجة كبيرة	بدرجة متوسطة	بدرجة ضعيفة
13	فقدان القدرة الجنسية	99	08	05
14	انصراف الفرد عن الزواج	97	08	07
15	ظهور الممارسات غير الأخلاقية في المجتمع	102	06	04
16	انتشار الأمراض الخطيرة كالسيدا	110	02	00
17	اغراق الشباب في مستنقعات منحطة	87	15	10
18	انتشار الجرائم الجنسية كالاعتصاب	80	22	10
19	انتشار ظاهرة الشذوذ الجنسي	75	30	07
20	انتشار جرائم الاعتداء الجنسي على الأطفال	88	19	05
21	الاستهانة بجرائم الزنا	72	23	17
22	تكوين صورة سلبية عن العلاقات الجنسية	105	05	02
23	اضاعة الوقت في السعي وراء المواد الاباحية	96	08	08
24	اضاعة تكاليف مادية للاشتراك في هذه المواقع	108	04	00
	المجموع	1119	150	75
	النسبة %	83.25	11.16	5.58

جدول 4: ترتيب درجات استجابات أفراد العينة على فقرات المحور الثاني:

الرقم	التقييم	العدد	النسبة	الترتيب
1	بدرجة كبيرة	1119	83.25%	1
2	بدرجة متوسطة	150	11.16%	2
3	بدرجة ضعيفة	75	5.58%	3

الجدول (4) يوضح استجابات عينة الدراسة لتقييم المجال الثاني. وقد أظهرت نتائج الجدول أنه جاء في المرتبة الأولى المستجيبون بدرجة كبيرة، وذلك بنسبة بلغت 83.25% من إجمالي استجابات أفراد عينة الدراسة على المجال، بينما جاء في المركز الثاني المستجيبون بدرجة متوسطة على هذا المجال، وذلك بنسبة بلغت 11.16% من إجمالي أفراد عينة الدراسة، بينما جاء في المركز الثالث المستجيبون بدرجة ضعيفة بنسبة بلغت 5.58% من إجمالي أفراد عينة الدراسة. هذا يعني أن المواقع الإباحية تؤثر بدرجة كبيرة في ظهور الممارسات الجنسية المنحرفة. ومنه تحقق الفرضية الثانية.

7- مناقشة وتفسير النتائج على ضوء الدراسات السابقة:

دلت نتائج الفروض أن معظم الأطفال أو الشباب المتصفحين للإنترنت من رواد المواقع الاباحية، حيث يقصد الأبناء هذه المواقع بهدف الاشباع الجنسي بمختلف الأنواع، من خلال إما مشاهدة صور ومقاطع اباحية ممنوعة أو أفلام جنسية مطولة أو الاشتراك في مواقع اباحية بالبريد الإلكتروني أو الفيس بوك أو المحادثات مع الفتيات بمختلف الأشكال. مما يؤثر على التربية الجنسية للأبناء خاصة الشباب بحيث تتحطم القيم الأخلاقية الاجتماعية والأسرية، فينحرف الشاب نحو سلوكيات مضادة لنفسه وللمجتمع، بحيث يموت فيه الشعور والاحساس ويصبح ينظر إلى الجنس على أنه مباح ويمكن ممارسه في أي وقت ومع أي كان، لكن لا يجد ذلك واقعياً فينحرف جنسياً من خلال ممارسة العادة السرية ممارسة الجنس مع الأطفال والشذوذ الجنسي، ويصل به الأمر إلى الاعتصاب وربما ارتكاب جرائم القتل، لذلك فتصفح المواقع الاباحية يؤثر بدرجة كبيرة على الانحراف الجنسي لدى الأطفال. وهناك دراسات تؤكد ذلك سواء نظرياً أو ميدانياً منها: دراسة شريف درويش ودنيا عمر فرحان (2014): ومن بين نتائج الدراسة أن 50% من عينة الدراسة يتعرضون للمواقع الاباحية. أي أنهم معرضون للانحراف الجنسي بمختلف مفاهيمه. ودراسة حمدان عبد الله الصوفي (2004): التي توصلت أن كثير من الشباب أثرت فيهم أخطار شبكة الإنترنت إلى درجة ادماجهم على المواقع الجنسية والدعائية والاباحية مما يستنزف ويشل فاعليتهم. ودراسة محمد بن عبد الله علي المنشاوي (2003): التي توصلت إلى النتائج التالية: إن حجم الجرائم الجنسية والممارسات غير الأخلاقية هي ارتياد

المواقع الجنسية ويرتكبها 3541 مستخدم من مجموع المشاركين في الدراسة، و 1675 طلبوا مواد اباحية و1791 اشتركوا في القوائم البريدية الجنسية و235 أنشأوا موقعا جنسيا و410 أنشأوا بريد جنسي و283 قاموا بالتشهير بالآخرين. وعليه يمكن القول أن ادمان الأنترنت يصبح اضطراب أو مرض نفسي التي يتعرض لها الشباب كغيرها من الاضطرابات النفسية والاجتماعية...الخ.

الخلاصة:

نستنتج أن موضوع الإعلام التلفزي والأنترنت ممثلة في المواقع الإباحية في تربية الأبناء جنسيا من الموضوعات الجديرة بالدراسة والتقصي، من أجل التعرف عن قرب على الانعكاسات السلبية للاستخدام المفرط للتلفزيون والأنترنت وما ينجر عن ذلك من حرية لدى الأطفال بعيدا عن رقابة الأسرة، فيرتادون المشاهدات المحرمة والمواقع الخطيرة التي تسقطه في المخطور، فينشأ لدينا شباب منحرفين جنسيا ومرضى نفسيا، يرتكبون الجرائم دون مبالاة ودون شعور بأي ذنب، بسبب تحجر مشاعره من كثرة مشاهدة الاباحية، ولعل جرائم الاختطاف التي انتشرت بكثرة في الجزائر نتيجة لذلك وكذلك اختطاف الفتيات، وهروب بعضهن مع الشباب والاعتداء الجنسي على الأطفال والشذوذ الجنسي، وربما مع المحارم لدليل على ذلك.

قائمة المراجع:

- 1- بطرس حافظ بطرس (2008): المشكلات النفسية والعلاج النفسي، ط3، دار المسيرة، عمان، الأردن، ص115.
- 2- عبده النعمي (2008): التربية الجنسية بين تأثير الأسرة ومقتضيات الخصائص التعليمية في مقرر علم الأحياء، رسالة ماجستير في علم الاجتماع التربوي، جامعة الجزائر، ص1.
- 3- حمدان محمد (2004): العلاقة بين الإعلام والتربية في الوطن العربي، أية إشكاليات؟ أي مستقبل؟ ورقة مقدمة إلى ندوة معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس، 17/15 أفريل.
- 4- أشجان حامد الشديفات خمود أحمد الحضاونة (2012): واقع التربية الإعلامية والعوامل المؤثرة بها في المدارس الخاصة في المملكة الأردنية الهاشمية من وجهة نظر طلابها، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، الأردن، المجلد 1، العدد 6، تموز، ص274.
- 5- أمل كاظم حمد: ادمان الأطفال والمراهقين على الأنترنت وعلاقته بالانحراف، مجلة العلوم النفسية، العدد 19، ص107.
- 6- عبد التواب عبد الإله (1988): التربية الجنسية في التعليم الثانوي بين التنظير والتطبيق، دراسة ميدانية، كلية التربية، كلية أصول التربية، جامعة آسيوط، ص2.
- 7- أكرم ديري (1986): أنماطنا السلوكية في بعدها التطبيقي، دار المعارف القاهرة، ص18.
- 8- شريف درويش اللبان ودينا عمر فرحان: https://www.google.fr/?gws_rd=ssl#q=2014
- 9- حمدان عبد الله الصوفي 2004، تصور تربوي مقترح لمواجهة أخطار استخدام شبكة الأنترنت لدى فئة الشباب، بحث مقدم إلى المؤتمر التربوي الأول -التربية في فلسطين وتغيرات العصر- نوفمبر ص946-981.
- 10- محمد بن عبد الله بن علي المشاوي 2003: جرائم الأنترنت في المجتمع السعودي، رسالة ماجستير، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الشرطية، تخصص القيادة الأمنية.
- 11- فهد بن عبد الرحمان الشميري (2010): التربية الإعلامية - كيف تتعامل مع الإعلام- مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، السعودية، ص253.

- 12- نجوى عبد السلام : انماط و دوافع استخدام الشباب المصرى لشبكة الانترنت ، دراسة استطلاعية ، بحث منشور(جامعة القاهرة : كلية الإعلام ، الإعلام و قضايا الشباب، المؤتمر العلمى الرابع ، 25-27 مايو 1998) ، ص 88.
- 13- ابراهيم سعيد عبد الكريم : الانترنت و اثاره الاجتماعية على المراهقين ، بحث منشور (جامعة عين شمس : معهد الدراسات العليا للطفولة ، مجلة دراسات الطفولة ، المجلد الثامن ، العدد 28 ، يوليو 2005) ، ص 29.
- 14- فهد بن عبد الرحمان الشميمري (2010): التربية الإعلامية – كيف تتعامل مع الإعلام- مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، السعودية، ص253.
- 15- المرجع نفسه، ص254.

أ. طاهيري نصيرة. جامعة مستغانم.

أ. بختي زهية. جامعة بالجلفة.

ملخص:

إن الإنسان لا يستطيع العيش وحيداً فلا بد أن ينتمي إلى جماعة يستمد منها القوة والأمن والطمأنينة، ويساهم معها في بناء المجتمع وتقدمه وتطوره، وذلك يتحقق من خلال توفر الأمن الإجتماعي، لذلك فإن التغير في المجتمع يرتبط كثيراً بما يمكن أن يتبناه الفرد من قيم مختلفة تساعده على التأقلم والتكيف والمحيط الإجتماعي الذي يعيش فيه. حيث يركز الشباب على مستقبلهم و تصورهم لنسق القيمة الملائم لمستوى التغير المنشود ولعل هذا الفهم المتكامل يمكن الشباب من التوافق مع نتائج التغيرات الثقافية.

مقدمة:

تعد مسألة الأمن أمراً أساسياً في الوجود مصداقاً لقوله تعالى " فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف " صدق الله العظيم والحاجة إلى الأمن حاجة أساسية لاستمرار الحياة وديمومتها وعمران الأرض التي استخلف الله تعالى عليها بني آدم ، وانعدام الأمن يؤدي إلى القلق والخوف ويجول دون الاستقرار والبناء ، ويدعو إلى الهجرة والتشرد ، وتوقف أسباب الرزق مما يقود إلى انهيار المجتمعات ومقومات وجودها . وقد قيل " نعمتان عظيما لا يشعر الانسان بقيمتها إلا إذا فقدهما ؛ وهما الصحة في الأبدان والأمن في الأوطان " .

وقد تعددت مفاهيم الأمن الاجتماعي وأبعاده في ضوء التحولات التي يشهدها العالم مع بروز أخطار جديدة ومتغيرات تركت آثارها على جميع الانساق الحياتية سواء منها ما يتعلق بحياة الفرد أو الجماعة ، وتجاوزت الأطر التقليدية لمفهوم الأمن المتعلقة بحماية الإنسان من التهديدات المباشرة لحياته ويعتبر الأمن قاعدة من القواعد العامة لمقاصد التشريع، إذ أن القواعد العامة الشرعية لا تكون كذلك إلا إذا اندرج تحتها جزئيات كثيرة تضبطها وترتبط هذه الجزئيات بها، فقد أشار لذلك العز بن عبد السلام فقال: "وأما مصالح الدنيا، ومفاسدها؛ فتنقسم إلى مقطوع ومظنون وموهوم، أمثلة ذلك: الجوع والشبع، والري والعطش، والعري والاكنتساء، والسلامة والعطب، والعافية والأسقام والأوجاع، والعز والذل، والأفراح والأحزان، والخوف

والأمن، والفقر والغنى، ولذات المآكل والمشرب، والمناخ والملابس، والمسكن والمراكب، والربح والخسران، وسائر المصائب والنوائب¹.

مفهوم التغير الاجتماعي:

عادة ما يتراوح استعمال مفهوم التغير الاجتماعي بين الاستعمالات التالية: التطور، التقدم، التحول، التغيير، النمو... وعلى الرغم من هذا التداخل الناجم. التداول الشائع، فإن هناك نقطا فاصلة بين التغير الاجتماعي والمفاهيم السابق ذكرها. لذلك، حري بنا، كخطوة منهجية، قبل الحديث عن التغير الاجتماعي، تحديد هذه المفاهيم دون تعميق النقاش حولها. يعد مفهوم التطور من المفاهيم الأكثر إصاقا بالتغير الاجتماعي، غير أنه يتميز بكونه يحصل على المدى الطويل ويفترض مرور المجتمعات الإنسانية بنفس المراحل. إنه حسب المنظور السوسولوجي انتقال الإنسانية من حالة الهمجية إلى الحضارة². بينما يخضع التحول إلى تغير مفاجئ وقد يكون بطيئا؛ أما التغيير فهو تلك العملية التي تحدث نتيجة ثورات وهزات اجتماعية تتغير معها كل بنيات المجتمع؛ وربط السوسولوجيون مفهوم التقدم بازدهار الرأسالية وظهور البورجوازية³ أما النمو فهو، حسب النظريات السوسولوجية والاقتصادية، العمل على تحقيق أهداف عامة تتمثل في تقدم الإنسانية والمجتمع، وتحقيق المجتمع العصري الصناعي⁴ إن التطرق لهذه المفاهيم بهذا الاختزال لا بد وأن يصاحبه حذر إبستيمولوجي واحتياط منهجي أثناء استعمالها نظرا للحمولة الإيديولوجية التي تتميز بها خاصة مفهوما التقدم والنمو. يترتب عن هذا الخلط الحاصل في استعمال هذه المفاهيم وتوظيفها، نتيجة التداخل القائم بينها، نوع من العتامة التي تفرض علينا إزالتها كمدخل منهجي بغية تمييز التغير الاجتماعي عنها والتي تلحق بها خطأ. لذلك، نجد أنفسنا أمام التساؤلات المنهجية التالية والتي تفرض نفسها علينا. ما المقصود بالتغير الاجتماعي؟ كيف قاربه الفكر الاجتماعي؟ وكيف استعمله السوسولوجيون؟ وكيف وظف في الفكر الأنثروبولوجي؟ وما مدى الاختلاف القائم بين النظريات السوسولوجية التي تداولته؟ وبماذا تتميز المقاربة الفردانية في تناولها لمفهوم التغير الاجتماعي عن باقي المقاربات النظرية الأخرى؟

¹ العز بن عبد السلام السلمي، الفوائد في اختصار المقاصد أو القواعد الصغرى، ط1، دمشق، دار الفكر، 1416هـ، تحقيق خالد الطباع، ص141.

² أنصار، ييار، العلوم الاجتماعية المعاصرة، ت: نخلة فريفر، المركز الثقافي العربي، ط: 1، 1992

³ بودون، رمون وفرانسوا بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ت: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986

⁴ جنات، زهير، «الفردانية في سوسولوجيا رمون بودون: العمق النظري والمرتكبات المنهجية»، انظر www.uluminsania.net : 1

تحديد مفهوم التغير الاجتماعي:

يقوم الباحث السوسيولوجي المهتم بالتغير الاجتماعي بسؤال منهجي وإستيمولوجي حول «ما الذي يتغير اجتماعيا؟» هذا السؤال يعد مدخلا لسلسلة أخرى من الأسئلة التي تدفع به (الباحث السوسيولوجي) إلى تحديد المجالات التي يحدث في ظلها التغير الاجتماعي، والعناصر التي يمسها.

إلى جانب تحديد إشكالية مجالات التغير الاجتماعي، لا يجب أن نغفل قضايا أخرى تتقاطع مع سابقاتها كالتساؤل حول المسار الذي يقطعه التغير الاجتماعي، وهل هو تغير مستمر أم متقطع؟ وهل يتعرض للمقاومة؟ وما هو إيقاعه؟ إن هذه التساؤلات الجوهرية ما هي إلا مداخل ضرورية تساعدنا على تحديد مفهوم التغير الاجتماعي، دون أن يعني ذلك تعميق التحليل حولها. لذلك، فالإجابة عنها تقتضي استحضار التعريف الذي قدمه Guy rocher، حيث قال ان: «التغير الاجتماعي هو ذلك التحول القابل للملاحظة الذي يمس كل تشكيل اجتماعي لجماعة ما سواء كان استثنائيا أو مؤقتا، ويعمل على تغيير مسار تاريخ هذه الجماعة»¹. وهكذا، فالتغير الاجتماعي يعبر، حسب روشيه، عن تلك التغيرات البسيطة التي يمكن ملاحظتها والتأكد منها بالتحقق والدراسة observable et vérifiable في الزمان والمكان. إن الحديث عن التغير الاجتماعي يعني الانطلاق من مجتمع معطى بالنسبة لحالة اجتماعية سابقة عليه قصد تحديد سياقات هذا التغير ومجالاته، وبالتالي، فقد لا يعدو أن يكون هذا المعطى هو المجتمع التقليدي عندما يكون مرتبطا بمعالجة ما هو تنموي، إذ يصبح هذا المجتمع مرجعية لقياس درجة ومستوى التغير الاجتماعي كما يقول لازاريف.²

مفهوم التغير القيمي:

الحديث عن التغير يسمح لنا بالتمييز بين التغير الاجتماعي والثقافي على الرغم من صعوبة التمييز أو الفصل بينهما³. نوع من الصراع الذي تتعرض له فئة الشباب وهذا نتيجة حدوث اصطدام بين رغبات الشباب وقيم المجتمع وموروثاته الثقافية مما ينجر عنه تعارض بين الشباب و مجتمعه بسبب التناقض بين المبادئ التي امن بها و ما يراه ممارسا فعليا في الواقع , فيدخل الشباب في خانة المعارضين للقيم الجديدة و دخول فئة اخرى في خانة التقليد و الاتباع و الانسجام بالقيم الدخيلة و قيم الانفتاح فتقبل هذه التغيرات رغم ما يطرأ منها من تأثير في تغير اتجاهاتهم كل ذلك يزيد من حدة الصراع الذي يتعرض له

¹ حلم، عبد الجليل، (النمية والتبعية)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز، فاس، عدد 8، 1986

² حلم، عبد الجليل، التحديث القروي ورأسمة الزراعة المغربية»، سلسلة ندوات ومناظرات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز، فاس، رقم 10، 1988

³ محمد عاطف غيث: التغير الاجتماعي و التخطيط . دار المعرفة الجامعية ، مصر، 1987، ص:11.

الشباب باعتبار الصراع الاجتماعي هو ظاهرة اجتماعية محورية بمقتضاها يمكن تقديم التفسير الموضوعي للواقع الاجتماعي ليس فحسب المجتمع الراهن وانما ايضا لكل المجتمعات الانسانية عبر الاحقاب الزمنية الغابرة. بميلود هذا الصراع انقسام فئة الشباب الى فئتين بين المؤيدين للتغير والمعارضين له حيث ثمة من يرى ان الصراع الاجتماعي صراع ينشأ بين الافراد المتنافسين تتفوق فيه الجماعات المتماسكة على الجماعات التي تفقد تماسكها¹

منظومة القيم و التنشئة الاجتماعية:

ان بعض الافراد لا يهتمون بالتماثل مع معايير مجتمعهم بل هناك من لا يتماثل معها لعدة أسباب منها طلبا في تحقيق بعض أوجه ذاته او نرجسيتها او لعدم تشبعه بمعايير مجتمعه او تكون تنشئته الاسرية ناقصة او منحرفة او انه لا يعير أهمية لما يتوقعه الآخرون المحيطون به لهذه الأسباب جميعها لا يتم التماثل بشكل مستمر ومع كل المعايير عند الناس وهذا يشير الى ان التماثل لمعايير جماعته يعطي أهمية بارزة لتوقعات أفراد أسرته وأصدقائه وزملاءه وللمؤسسات الرسمية والنقابية². ثمة حقيقة مفادها ان تماثل الأفراد لا يحصل بشكل تلقائي او عفوي بل بعد ولادهم يتعلمون من أبويهم إذ يدرّبونهم على سلوكيات مرغوب فيها من مجتمعهم ومقبولة منهم لكي يجعلوهم قادرين على التعامل والتعايش مع الآخرين في وسطهم الاجتماعي في نفس الوقت يعلمونهم السلوكيات غير المرغوب فيها من قبل مجتمعهم وعند ممارستها يحصلون على عقاب يأخذ إشكالا متنوعة مثل السخرية او الاستهزاء أو النفور أو القطبية أو غيرها. هذه هي بداية تعلم أسس الضوابط العرفية عند الفرد ومن ثم يندرج في تعلم ضوابط أخرى من أنواع ثانية مثل: الضوابط المدرسية والصداقة والمهنية و المحلية ومن هنا يأتي توقع الافراد لتماثل الجميع مع ضوابط مجتمعهم متنافسين ومتماسكين وكل فرد يخرج عنها يعدوه منحرفا يعاقبه على ذلك على شكل النظرة الدونية أو الكلام الجارح او الوصمة السلبية او السخرية منه او النفور منه ومقاطعته. اذا من خلال تنشئتهم على التماثل مع معايير المجتمع الضابطة تأتي توقعا لازم نحوها بشكل طبيعي وهذا لا يثير الغرابة في شأنه بل غرابة تتأني من عدم تماثلهم معها لان كل إنسان بعد ولادته يخضع لتربية أسرية تنشئة اجتماعية يتعلم فيها ما هو مسموح وما هو غير محبب وما هو مكروه أي أن الأسرة تعلم أبنائها معايير مجتمعها فإذا كانت جادة في مسؤوليتها نحوهم أمسى أبنائها متماثلين مع معاييرها وضوابطها و إذا كانت متساهلة مسؤوليتها التنشئية أضحى أبنائها ضعفاء في تماثلهم عندئذ تكون درجة تماثل الفرد معتمدة على درجة جدية

¹ عز الدين منصور : مشاكل الشباب المعاصر تحت رعاية الاسلام , دار اقرأ , ليبيا , 1985 , ص 141

² د. من خليل العمر , المرجع السابق ص ص 41-42 -

والتزام الأبوين في رعية أبنائهم والزائما بعد ذلك تأتي تنشئة الأبناء في احترام المعايير و الالتزام من قبل جماعة الأصدقاء في الحي والمدرسة ودور العبادة والمقهى والنادي جميعها تشجع الافراد على الالتزام بالمعايير والتأثر معها¹.

الضبط الاجتماعي كمفهوم:

لغة: لزوم الشيء و حبسه ، ضبط عليه و ضبطه يضبط ضبطا و ضباطه ، وقال الليث : الضبط لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء ، و ضبط الشيء حفظه بالحزم ، والرجل ضابط أي حازم و . رجل ضابط و ضبطي : قوي شديد و في التهذيب : شد البطش و القوة و الجسم² و رجل أضبط : يعمل بيديه جميعا.

اصطلاحا: من الصعوبة تحديد مفهوم الضبط في لغة المجتمع و مراحل التطورية لأن معناه في اللغة الإنجليزية يختلف عنه في اللغات الأوربية الأخرى الفرنسية – الألمانية – الروسية ففي اللغة الإنجليزية تعني النفوذ أو القوة أو التسلط أو السلطة أو المقدره الفذة على تقيض معناها في اللغات الأوربية التي تشير إلى الإشراف و المراقبة و النقيض و المتابعة. أما في الولايات المتحدة الأمريكية التي تستخدم اللغة الإنجليزية فقد اختلف علماء الاجتماع فيها في التعبير عنه إذ ذهب روس و جارلس هرتون كولي إلى استخدام المعني الأوربي غير البريطاني بينما باقي علماء الاجتماع الأمريكيان فقد عنوا به النفوذ و التسلط و القيود و حسب دور كايم : الضبط أي عامل يتدخل في سلوك الفرد يعد عاملا ضابط ، فالضبط لا يتعلق بالفرد ذاته و ليس مفروضا عليه من الخارج ، إنما هو جزء من الموقف العام الذي يتم فيه الفعل و حسب جارلس هرتون كولي رأي بان الضبط الاجتماعي ماهو سوى احد أوجه العلائق المتبادل بين الفرد والمجتمع أي كل منها يضبط الأخرى من اجل حماية وجوده و بقاءه في النسيج الاجتماعي. أما حال المجتمعات المتخلفة فان القيم والتقاليد والمحافظين ورجال الدين ممثلين للضبط أكثر من القانون والشرطة والحكام والقضاة بينما في المجتمعات المتطورة تكنولوجيا فمكانة القانون ورجاله أجدر بتمثيل الضبط الرسمي ولا مجال في التأثير والضبط لرجال الدين ودعاة التقاليد الاجتماعية³.

¹د. معن خليل العمر، المرجع السابق ص ص 42-143

²د. صلاح الدين مشروخ، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عناية، ص 99.

³د. معن خليل العمر. الضبط الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2006 عمان-الأردن، ص ص 28-29.

الأمن الاجتماعي:

من الباحثين من انتج النظرة التكاملية في تعريفه للأمن الاجتماعي ومنهم مصطفى العوجي، الذي يرى بأن " الأمن الاجتماعي بمفهومه العام يشمل كل النواحي الحياتية التي تهم الإنسان المعاصر، فهو يشمل أول ما يشمل الاكتفاء المعيشي والاقتصادي والاستقرار الحياتي للمواطن، كما يتناول الأمن الاجتماعي بالإضافة إلى ما سبق تأمين الخدمات الأساسية للإنسان فلا يشعر بالعوز والحاجة، ويشمل الخدمات المدرسية والثقافية والرعاية الإنسانية والتأمينات الاجتماعية والمادية في حال البطالة والتوقف عن العمل، كما يهدف إلى تأمين الرفاهية الشخصية، وبالتالي إلى تأمين الوقاية من الإجرام والانحراف"¹، ويتفق معه في هذه النظرة الشمولية نبيل إسكندر الذي يقصد بالأمن الاجتماعي " كل الإجراءات والبرامج والخطط السياسية والاقتصادية و...، الهادفة لتوفير ضمانات شاملة تحيط كل شخص في المجتمع بالرعاية اللازمة، وتوفر له سبل تحقيق أقصى تنمية لقدراته وقواه، وأقصى درجة من الرفاهية في إطار من الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية"⁽²⁾، ويؤيدها من منظور تموي من يرى أن الأمن الاجتماعي " هو حجر الزاوية الذي يرتكز عليه التقدم وتعتمده التنمية والتطور في سبيل تحقيق أهداف المجتمع الجماعية المشتركة"³.

الأمن الاجتماعي عند استاذ الاجتماع د. احسان محمد الحسن يعني " سلامة الأفراد والجماعات من الأخطار الداخلية والخارجية التي قد تتحداهم كالأخطار العسكرية وما يتعرض له الأفراد والجماعات من القتل والاختطاف والاعتداء على الممتلكات بالتخريب أو السرقة " في حين يرى فريق من علماء الاجتماع أن غياب أو تراجع معدلات الجريمة يعبر عن حالة الأمن الاجتماعي ، وأن تفشي الجرائم وزيادة عددها يعني حالة غياب الأمن الاجتماعي ، فمعيار الأمن منوط بقدرة المؤسسات الحكومية والأهلية في الحد من الجريمة والتصدي لها وأن حماية الافراد والجماعات من مسؤوليات الدولة من خلال فرض النظام ، وسط سيادة القانون بواسطة الاجهزة القضائية والتنفيذية ، واستخدام القوة إن تطلب الأمر ؛ ذلك لتحقيق الأمن والشعور بالعدالة التي تعزز الانتماء إلى الدولة بصفقتها الحامي والأمين لحياة الناس وممتلكاتهم وآمالهم بالعيش

1 مصطفى العوجي، الأمن الاجتماعي، مؤسسة نوفل، بيروت، 1983م، ص 1.71

2 نبيل رمزي إسكندر، الأمن الاجتماعي وقضية الحرية، 1988م، ص 4. 1

3 عفاف أحمد هاشم، دراسة حول الأمن في المدن الكبرى، 2000، ص 25. 1

الكريم . في حين يؤكد الباحث الدكتور مؤيد العبيدي " بأن الأمن مسؤولية اجتماعية بوصفه ينبع من مسؤولية الفرد تجاه نفسه وأسرته ، فنشأت أعراف القبيلة وتقاليدها لتصبح جزءاً من القانون السائد"¹.

دور الضبط الاجتماعي في تحقيق الامن الاجتماعي:

الإنسان بطبيعته اجتماعي، لا يستطيع العيش وحيداً ولا بد أن ينتمي إلى جماعة يستمد منها القوة والأمن والطمأنينة ، ويسهم مع الآخرين في تحقيق الخير والمعيشة الكريمة . وقد بدأت المجتمعات البشرية بمجتمع العائلة ، ثم توسعت إلى مجتمع القبيلة ومجتمع القرية ومجتمع المدينة حتى أصبحت مجتمعات قومية.

وترتكز المجتمعات في بنيتها على العناصر التالية:

-قيم أخلاقية يؤمن بها أفراد المجتمع ، وتمثل الأهداف والغايات التي يسعون إلى تحقيقها.

-ترجمة قيم الجماعة إلى أنظمة وقوانين وأعراف تلتزم بها الجماعة في نشاطهم وسلوكهم ، ويعتبرون من يخالفها مذنباً يستحق العقاب².

وفي كل جماعة من الجماعات تنشأ طائفة من الأفعال والممارسات والإجراءات والطرق التي يزاولها الأفراد لتنظيم أحوالهم والتعبير عن أفكارهم وما يجول في مشاعرهم ، ولتحقيق الغايات التي يسعون إليها . وعندما تستقر هذه الأفعال في شعور الجماعة وترسخ في عقول الأفراد تصبح قواعد ملزمة ، تكون نظماً مختلفة تؤدي إلى التنظيم الاجتماعي الذي يركز عليه استقرار المجتمع³

وقد اعتبر العالم "هربرت سبنسر" المجتمع كائناً عضوياً يشبه من كل نواحيه وخصائصه ومقوماته ووظائفه الجسم الحي ، كما أنه يتطور كما تتطور الكائنات العضوية ، فكما أن للجسم العضوي بناء عام أو هيكل يضم مجموعة من الأعضاء الداخلية كالقلب والمعدة والأمعاء ، ولكل عضو من هذه الأعضاء وظيفة معينة تتفاعل مع وظائف الأعضاء الأخرى من أجل إبقاء الجسم أو البناء العضوي حياً ، كذلك المجتمع بناء عام أو هيكل يضم مجموعة من النظم (كالنظام السياسي والأسري

¹ www.policemc.gov.bh/reports/2007/August/15-8-2007/1.doc1

² شطارة ، أسعد سليم (1995) : أنسنة النظم الاجتماعية (تصور لعالم أفضل) . بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر . 1

³ دياب ، فوزية (1980) : القيم والعادات الاجتماعية . بيروت ، دار النهضة العربية . 1

والاقتصادي ...) . ويقوم كل نظام بأداء وظيفة محددة ، في إطار إشباع حاجات أعضاء المجتمع ، وتتفاعل هذه النظم مع بعضها بحيث تبقى المجتمع قائماً بذاته . وإذا حدث خلل جوهري في وظائف أي عضو من أعضاء الجسم ، فإنه يمرض وقد يصل إلى الوفاة ، كذلك فإن اختلال أي نظام من نظم المجتمع يؤدي إلى ظهور الأمراض الاجتماعية متمثلة في الجريمة والتفكك الأسري وانحراف الأحداث والتسيب ... إلخ ، وكما أن الجسم الإنساني يموت فإن المجتمع يمكن أن يتفكك وينحل ¹ .

خاتمة:

يمكن دور المجتمع بمؤسساته في توجيه الشباب الى الطريق الصحيح وذلك بالعمل المنظم من اجل استيعاب الشباب للمثاليات الاساسية و المبادئ التي تركز على فهم علمي دقيق لتطور المجتمع عبر طريق التقدم الاجتماعي. وعليه يجب ان يركز الشباب على مستقبلهم و تصورهم لنسق القيمة الملائم لمستوى التغيير المنشود ولعل هذا الفهم المتكامل يمكن الشباب من التوافق مع نتائج التغيرات الثقافية .

¹ السالوطني ، نبيل محمد توفيق (1981) : الدين والبناء الاجتماعي . الجزء الأول ، جدة ، دار الشروق . 1

قائمة المراجع:

- شطارة ، أسعد سليم : أسسنة النظم الاجتماعية (تصور لعالم أفضل) . بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 1995
- دياب ، فوزية: القيم والعادات الاجتماعية . بيروت ، دار النهضة العربية. 1980
- السالموطي ، نبيل محمد توفيق: الدين والبناء الاجتماعي . الجزء الأول ، جدة ، دار الشروق. 1981
- محمد عاطف غبث: التغير الاجتماعي و التخطيط . دار المعرفة الجامعية ، مصر، 1987.
- عز الدين منصور : مشاكل الشباب المعاصر تحت رعاية الاسلام ، دار اقرأ، ليبيا ، 1985 .
- صلاح الدين مشروخ : علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عناية، .
- ا.د معن خليل العمر . الضبط الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن ، 2006
- مصطفى العوجي، الأمن الاجتماعي، مؤسسة نوفل، بيروت، 1983.
- نبيل رمزي إسكندر، الأمن الاجتماعي وقضية الحرية، ، 1988
- عفاف أحمد هاشم، دراسة حول الأمن في المدن الكبرى، 2000،
- العز بن عبد السلام السلمي ، الفوائد في اختصار المقاصد أو القواعد الصغرى، ط1، دمشق، دار الفكر، 1416هـ، تحقيق خالد الطباع.
- أنصار، ييار، العلوم الاجتماعية المعاصرة، ، المركز الثقافي العربي، ط: 1، 1992
- بودون، ريمون وفرانسوا بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ت: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986
- حلیم، عبد الجلیل، (التنمية والتبعية)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز، فاس، عدد 8، 1986
- حلیم، عبد الجلیل، التحديث القروي ورأسمة الزراعة المغربية»، سلسلة ندوات ومناظرات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز، فاس، رقم 10، 1988
- جنات، زهير، «الفردانية في سوسيولوجيا ريمون بودون: العمق النظري والمركزات المنهجية»، انظر
- www.uluminsania.net
- www.policemc.gov.bh/reports/2007/August/15-8-2007/1.doc

أ. آدم رحمون. جامعة الأغواط.

ملخص:

لا يقتصر تهيمش الشباب على مجرد إحساسهم بأنهم محملون ومتروكين لشأنهم، إذ أن المؤشرات التي تدل على انخفاض فرصهم بالمقارنة مع فرص الجيل الأكبر، واضحة على الصعيد السياسية والمهنية، فمن الناحية المهنية يلاحظ وجود قيم تربط الحراك الإداري والمهني بمعايير تتصل بالأقدمية والعلاقات الشخصية، أكثر من ارتباطها بالكفاءة والإنجاز الفردي، لهذا من النادر أن نجد الفئات الشباب في مواقع القرار رغم أن تحصيلهم العلمي قد يكون أعلى من تحصيل رؤسائهم في العمل. وهذا ما يخلق الشعور بالغبن ويجرم المجتمع من طاقات جديدة وقادرة على العطاء. وهذا ما ينطبق على الصعيد السياسي أيضاً سواء داخل الأحزاب والمشاركة على الصعيد الحكومي أو داخل هيئات المجتمع المدني كالنقابات والجمعيات والتي تشترك في غالبيتها في حصر إدارتها وقياداتها بكبار السن لدرجة أن بعضهم لم يبارح كرسيه منذ جلوسه عليه قبل عشرات السنين.

مقدمة:

أن البعد السلوكي لظاهرة التغير الاجتماعي هو البعد الذي يحدد بصورة فعالة حدوث التغير الاجتماعي المصحوب بتغير في قيم الناس واتجاهاتهم وعاداتهم السلوكية بما يتوافق مع النسق الاجتماعي الجديد، وتقابل عملية التغير الاجتماعي عملية الضبط الاجتماعي وهي العملية التي تحاول بها الجماعة أو المجتمع عدم التمكين لأي تغير غير مرغوب فيه أن يحدث وهي التي يتم عن طريقها توجيه سلوك الأفراد بحيث لا ينحرف عن معايير الجماعة حتى يتحقق التوازن الاجتماعي، وهناك نمطان أساسيان للضبط الاجتماعي أولهما الثواب أو العقاب (المادي أو المعنوي) وثانيهما الإقناع.

ومن بين هذه الفئة التي شملها التغير الاجتماعي فئة الشباب فلم يعد من الممكن أو المستساغ تجاهل الشريحة الاجتماعية التي تعد بالملايين سواء فيما يتعلق بالمشكلات والقضايا التي تعانها وتواجهها، أو ما يتصل بتطلعاتها وآمالها الواسعة صوب حياة أفضل، إنها شريحة الشباب.

يتحدث الكثيرون اليوم عن الواقع الراهن لعلاقة الثقافة والاجتماع والاقتصاد والسياسة بالشباب في المنطقة العربية، ويستهلون إصدار الأحكام المختلفة بصددها وكأنهم يحيلون على واقع معروف تماماً، والحال أن تشابك العناصر المختلفة المكونة للثقافة العربية، وتعرضها للعديد من أشكال التفاعل والتأثير المتبادل، يجعلان كثير من هذه الأحكام في حاجة إلى التدقيق والتحليل.

حقاً إن تزايد اهتمام العلوم الإنسانية في الفترة المعاصرة بقضية الشباب، ولا سيما بعد أعقاب الحركات الشبابية في العالم والتي عبّرت عن منطلقات فكرية وسيكولوجية لم تكن موضع حسابان السلطات السياسية، مثل الحركة الشبابية في فرنسا في ستينات القرن الماضي، والآخر في أمريكا والتي كانت تمثل وضعية التمرد على الأوضاع الثقافية التي كان هؤلاء الشباب يعانون منها، لذا فقد كان الشباب يؤمن بأن الحل الوحيد لكل المشكلات الثقافية أو الحضارية التي يعاني منها المجتمع الأمريكي وهو التغيير الجذري لتلك المسلمات الفكرية والسيكولوجية، التي يقوم عليها النظام الراهن. وإضافة إلى ذلك نجد أن المجتمع الراهن مجتمع يحكمه الكبار، ومهما حاول الكبار أن يكونوا منطقيين وموضوعيين فإنهم على أية حال يفكرون بنفس الطريقة العقلية التي يثور عليها الشباب، ويتحدثون نفس اللغة التي يرفضها الشباب، ثم نجد عناية تلك العلوم بتناول قضية أدوار الشباب في قضايا التنمية والتغيير الاجتماعي في ضوء المتغيرات الحاصلة على الساحة الوطنية والإقليمية والدولية، ومواقف الشباب الجزائري تمثل حصيلة تلك التغيرات الاجتماعية والسياسية والنفسية والاقتصادية والتعليمية والإعلامية، التي شهدتها الفترة الراهنة

خصائص التغيير الاجتماعي وطبيعته:

يتجلى التغيير في كلّ مظاهر الحياة الاجتماعية؛ ما حدا ببعض المفكرين وعلماء الاجتماع على القول بأنه لا توجد مجتمعات، وإنما الموجود تفاعلات وعمليات اجتماعية، في تغيير وتفاعل دائبين. أما الجمود نفسه، في أيّ ناحية من نواحي الحياة الإنسانية، فأمر لا يمكن التسليم، ولا الموافقة عليه؛ إذ المجتمعات الإنسانية المختلفة، منذ فجر نشأتها، تعرضت للتغيير خلال فترات تاريخها، كما لا يقتصر التغيير الاجتماعي على جانب واحد من جوانب الحياة، الإنسانية والاجتماعية؛ وإذا بدأ فمن الصعب إيقافه، نتيجة لما بين النظم الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي بعامة، من ترابط وتساند وظيفي.

وفي هذا الصدد، حدد ولبرت مور Moore أهمّ سمات التغيير، كما يلي:

أ. يطرد التغيير في أيّ مجتمع أو ثقافة، ويتسم بالاستمرارية والدوام.

ب. يطاول التغيير كلّ مكان، حيث تكون نتائجه بالغة الأهمية.

ج. يكون التغيير مخططاً مقصوداً، أو نتيجة للآثار المترتبة على الابتكارات والمستحدثات المقصودة.

د. تزداد قنوات الاتصال في حضارة ما غيرها من الحضارات، بازدياد إمكانية حدوث المستحدثات الجديدة.

هـ. تكون سلسلة التغيرات التكنولوجية المادية، والجوانب الاجتماعية المخططة، منتشرة على نطاق واسع، على الرغم من الجنوح السريع لبعض الطرق التقليدية.

معوقات التغير الاجتماعي

تواجه عملية التغير الاجتماعي بعدد من العوامل المعوقة، داخل المجتمع، من أهمها:

أ. المصالح الذاتية

يُجِبُّه التغير الاجتماعي بالمعارضة، كلما تهددت مصالح الأفراد والجماعات، فلقد أكد أوجبرن مقاومة أصحاب المصالح الذاتية للتغير؛ حرصاً على امتيازاتهم، مثل: معارضة أصحاب السيارات لبناء السكك الحديدية، لخوفهم من منافستها؛ أو معارضة بعض العمال الزراعيين لدخول الآلة الزراعية، لتأثيرها في حياتهم؛ أو معارضة العمال في القطاع الصناعي لسياسة الخصخصة، لتأثيرها في طرد بعض العمال من شركات قطاع الأعمال العام.

ب. العادات والتقاليد

تمثل بعض العادات القديمة والتقاليد المتوارثة، معوقات دون الابتكارات، ويتصلب هذا العائق حينما يكون الكبار والشيوخ هم الحل والعقد؛ إذ يكبر عليهم تغير عاداتهم.

ج. الخوف من الجديد، وتبجيل الماضي وتقديسه:

الشك في الجديد وما سوف يأتي به، يُريب كل المجتمعات، وبخاصة تلك التقليدية والمتخلفة. وتبجيل الماضي وإجلال موالده، هما من معوقات التغير، ولذلك طالما قاومت المجتمعات كل تغير، يعتري ما ألفته من مفاهيم راسخة كالتغيرات التي تتعلق بخروج المرأة للعمل، أو للتعليم أو السفر إلى الخارج، أو إدخال التكنولوجيا الحديثة.

د. العوامل البيئية

وهي تتعلق بالموقع والمناخ؛ فلقد قرن بعض العلماء الموقع الجغرافي بدرجة تخلف المجتمع وتقدمه ففي المناطق الاستوائية مثلاً، يكون المناخ أحد المعوقات الأساسية للتغير؛ إذ على الرغم من الحاجة إليه والشعور بأهميته، إلا أن الإنسان في تلك المناطق، يتسم بالكسل والإهمال أكثر من الإنسان في المناطق الشالية.

وهكذا يتضح أن مفهوم التغير مفهوم شامل، يهتم أو ينصب على الأوضاع الراهنة، أو ما هو كائن بالفعل، بمعنى أنه ينصب على الوجود الحقيقي، فالتغير يشير إلى تبدل في الظواهر والأشياء، من دون أن يكون لذلك التغير اتجاه محدد يميزه؛ فقد يتضمن تقدماً وارتقاء، في بعض الأحيان؛ وقد ينطوي على تخلف ونكوص، في بعضها الآخر.

وأما مصطلح الشباب:

بعض الدراسات تنظر إلى هذا المصطلح من خلال المستوى العمري، على أساس أن تلك الفترة الزمنية تشهد اكتمال النمو جسمياً وعقلياً، بحيث يكون الفرد على استعداد لأداء الوظائف الأساسية، ومعظم التقديرات لدى علماء الاجتماع تذهب إلى القول بأن تلك الفترة العمرية لدى الشباب تنحصر بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين من العمر، وثمة رؤية ثانية ترى بأن الشباب يمثل حقيقة اجتماعية في الأصل والمعيار لهذا التقدير كامن في النضج والتكامل الاجتماعي للشخصية، وتبدو مجموعة من السمات والخصائص التي تعتبر بمثابة معايير تعتمد على أساسها في مفهوم الشباب عن بقية الفئات الأخرى، ورؤية ثالثة تكاد تكون تمثل الدقة والتي تأخذ بالمفهوم الاجتماعي دون إغفال الجانب أو البعد البيولوجي، لذلك يكون الشباب ظاهرة اجتماعية متناسبة مع ظواهر بيولوجية، ولا يمكن الفصل بينهما، إذن من السياق السابق لمفهوم الشباب يمكن النظر إليه في حدود إطار العمر الزمني، وعدم تناسي أساسيات توضع في الاعتبار، منها مؤشرات لتحديد خصائص معينة في الشريحة الاجتماعية التي يطلق عليها الشباب، ذلك لأن الشباب على قدر كبير من التنوع من حيث مستوى النمو الاجتماعي والعقلي والعاطفي والمستويات الأخرى التعليمية والمهنية والبيئية. ثقافة الشباب: بدون شك أن الشباب كمرحلة عمرية زمنية وحقيقة اجتماعية تظهر بعادات وتقاليد وأفكار واتجاهات وميول وأشكال تعبير وأوجه نشاط مختلفة.

وحيث أن الشباب يشكلون قطاعاً واسعاً من السكان في العالم العربي، إذ تبلغ نسبتهم 20.5% من إجمالي المجتمع فإن هذه البنية الديمغرافية النشطة والخصبة هي ما يميز المجتمع العربي ويضفي أهمية إضافية على قطاع الشباب في بلداننا. وقد

أشارت الإحصاءات إلى أن عدد الشباب العربي قد بلغ عام 2000 حوالي 58 مليون شاب من أصل 300 مليون نسمة⁽¹⁾.
علماً بأن تقديرات أخرى تشير إلى أن الشباب يشكّلون حوالي ثلث السكان في العالم العربي⁽²⁾.

ونظراً لاختلاف وتعدد وجهات النظر الاجتماعية والقانونية في تعريف مفهوم الشباب وتحديد السن والشخصية الشبابية من حيث النضوج والمسؤولية الاجتماعية والقانونية، فإننا سنعمد تعريف الأمم المتحدة المتفق عليه الذي حدد الشباب بالفئة العمرية التي تتراوح بين 15 و 24 عاماً⁽³⁾.

بيئة الشباب العربي :

إن الشباب العربي بشكل عام وهو يعيد اكتشاف ذاته ليتحقق موضوعياً من حقائق " الوجود " الاجتماعي - والكوكبي - والكوني، بحثاً عن أدوار فاعلة في الحياة يتسع حيزها لعطاءاته الحيوية، .. تتلقفه الموجات العاتية، خاصة أن المؤسسات الرسمية والدينية بالدولة باهتة في ميولها التنويرية ساطعة في اتجاهاتها المحافظة :

- فالخطاب الديني الرسمي يتسم بالسطحية والتلفيقية الأمر الذي يتيح الفرصة، ضمن عوامل أخرى، لبروز التيارات والجماعات الدينية الأكثر مصداقية في التعبير عن هذا الموروث بصيغته التقليدية، ونظم التعليم المدنية، والمتجاورة والمتداخلة والمتقاطعة مع نظم تعليم دينية، تتبنى مناهج وأساليب ووسائل تعليمية تعتمد التلقين والتقليد والتفتيت والتلفيق والحفظ والاستدعاء، ويتم تأطير ذلك كله في المنتجات الإعلامية والثقافية والفنية السائدة بأجهزتها ومؤسساتها المترامية، والتي لا تخلو وربما في المنتج الواحد من تناقضات ظاهرة ومستتفة للكفاءة.

- يعيش الشباب العربي في تنظيم مجتمعي يحمل بذور " وأد الحرية "، إذ يمكن تشبيهه هيكل التنظيم المجتمعي في البلدان العربية، على شدة تنوعه وتعقد تركيبه بسلسلة متشابكة الحلقات تبدأ من التنشئة في نطاق الأسرة مروراً بمعاهد التعليم وعالم العمل والتشكيكية المجتمعية وانتهاء بالسياسة في الداخل والخارج، حيث تفتص كل حلقة من الفرد قسطاً من الحرية وتسلمه مسلوباً ذلك القسط من الحرية إلى الحلقة التالية، ويشكل تكامل الحلقات هذه نظاماً قسرياً على الكفاءة.

- على صعيد آخر تركز المؤسسة التعليمية العربية قيم التلقي والخضوع حيث لا تسمح بالحوار الحر والتعلم الاستكشافي النشط ولا تفتح من ثم الباب لحرية التفكير والنقد، بل تضعف القدرة على المخالفة وتجاوز الراهن يغذيها مؤسسات إعلامية وطنية تعزز قيم الخضوع والفقير المعنوي.

- يسكن الشباب العربي قلب أوطان تعتمد التمييز بكفاءة بالغة، وتنوع هائل، فالقبلية تفرض تمييزاً حاسماً يتم وفقه تقسيم المزايا والموارد والسلطة، والعائلات الكبرى تستحوذ على عناصر القوى، والأثرياء يملكون المال وطاقات الفقراء ومصائرهم، والحضر يتعالى على الريف الفقير، والرجال هم العناصر الأرقى من النساء، والفقيرات هن الأقل قدراً من غيرهن، والأسوياء أكثر حظاً من الأشخاص ذوي الإعاقة الذين يشكلون 10/1 المجتمع العربي تقريباً.

البطالة:

تعتبر بطالة الشباب في العالم العربي اعلي معدلات البطالة في العالم وقد أشار تقرير صادر عن منظمة العمل الدولية بعنوان " اتجاهات التشغيل في العالم 2003 إلى تفوق معدل البطالة دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حيث تبلغ نسبة البطالة بين الشباب 25.6 % وتعاني النساء من بطالة أكثر من الذكور حيث يبلغ معدل بطالة الإناث 31.7 % وتعتبر لبنان هي الدولة الأعلى في معدل البطالة والتي تبلغ 30 % يليها الأردن 24 % ثم البحرين 24 % في حين تعتبر الكويت هي النسبة الأقل 6.2 %

وقد أشار التقرير إلى أن السمات المشتركة المميزة لبطالة الشباب تلخص في:

* بطالة الشباب أكبر من بطالة البالغين.

* الإناث أكثر تعرضاً للبطالة.

* الشباب أكثر عرضة لظاهرة نقص التشغيل.

* بطالة الشباب هي بطالة الداخلين لأول مرة الى سوق العمل بالدرجة الأساسية وغالبا ما يكون تشغيلهم ضمن أجور متدنية، كما أن الشباب والإناث منهم علي وجه التحديد يعتبرون من أكثر الفئات الاجتماعية تعرضا لمخاطر التهميش الاجتماعي وقد أكد الهدف الثالث من الأهداف الإنمائية للألفية علي وجوب " تخفيض الفجوة وتمكين المرأة " .

وجدير بالذكر أن بطالة الشباب أيضا لا تعني مجموع الشباب بل تبقي وفقا للتقسيم الأول حول الشباب وهم أولئك الشباب الذين حرموا من عناصر التمكين الملائمة للمرحلة الراهنة بما يعني القدرة علي التعامل مع التكنولوجيا الحديثة والتأقلم معها وامتلاك لغة أجنبية أو أكثر وهو ما يعزز التهميش الاجتماعي والاقتصادي ويدفع بهم نحو مخاطر مريعة مثل المخدرات أو الجريمة أو الهجرة .

المخدرات:

ويشير مكتب الأمم المتحدة الإقليمي لمكافحة الجريمة والمخدرات لمنطقة الشرق الأوسط إلى أن هناك ما يقرب من نصف مليون شاب عربي ينطبق عليهم صفة "مدمن".

لقد استخدمت الآليات الاتصالية للعوامة في رفع كفاءة تهريب المخدرات ، وبخاصة إلى الدول النامية والدول العربية تحديدا - والتي تجاور مناطق معروفة عالمياً بإنتاج المخدرات مثل "أفغانستان" أو منافذ عبور منظمة مثل "إسرائيل".

إن الساحة العربية تقدم للشباب البطالة والفقر والإحباط واليأس والفراغ النفسي والوطني فضلا عن وسائل إعلامية فقيرة ومنخفضة المصداقية، أي أنها تقدم البيئة النموذجية لنمو ظاهرة إدمان المخدرات.

وقد أفاد تقرير عن مصر - صادر من نفس المكتب لعام 2001 - بأن " متوسط أعمار المدمنين بلغت 26 عاماً بينما متوسط عمر مستخدمي المخدرات للمرة الأولى كان 16 سنة " ، وفي دراسة عن عام 1996 نفذها المركز القومي ... شملت 3 محافظات استهدفت 0.2% من السكان وأشارت الى أن 20% من العينة جربت المخدرات مرة واحدة في حياتها ، 14% تعاطوا المخدرات يوميا ، 28% أسبوعيا ، 38% شهريا لتكون نسبة من تعاطوا أو جربوا المخدرات 1 : 15، شكلت الفتيات نسبة 3% من العينة بينما أشارت دراسة شبيهة صادرة من مكتب الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة والمخدرات طبقت في

الأردن عام 2002 الي أن تعاطي العقاقير المهدئة منتشرة بين طلبة المدارس العليا والجامعات بنسبة 14.8 % بين الشباب من الذكور ، 10.6 للإناث يليه الكحول الذي يتعاطاه 22.5 % من الشباب في مقابل 3 % من الشابات.

الهجرة :

حسب تقرير التنمية الإنسانية العربي 2002 فإن 51 % من الشباب العربي ، 54 % من المراهقين الأصغر سنا عبروا عن رغبتهم في الهجرة، ضيقا من الأوضاع السائدة بالنسبة لفرص التعليم والعمل وحيث يعانون قلقاً نحو المستقبل، وهجرة الشباب العربي تنقسم الى:

هجرة من الريف الي الحضر

يشكل الريف في الوطن العربي النسبة الأضخم من المساحة والسكان معاً ، ويعاني هذا الريف إجمالاً من تدنى مستوى الخدمات المتعارف عليها ، ومن قصور وتخلف معظم مؤسساته التعليمية والتنموية ، الأمر الذي يغذي رغبة الشباب الريفي في الهجرة نحو مجتمع أكثر انفتاحاً واطل قيوداً حيث يمكن الاستمتاع بالكثير من المستجيدات الحضرية لا تؤدي الهجرة إلى خلل ديموغرافي فحسب ، بل أيضاً الي خلل قيمي انعكس في اتساع هوة الغربة داخل الشباب.

هجرة من الداخل الي الخارج :

تجتذب الدول الغربية الشباب العربي الواعد ,بطرق وأساليب متعددة حيث يتاح لهم فرص دراسية وبحثية أفضل ,ومناخ علمي ومهني أكثر استقراراً ويندر أن توجد كفاءة شابة عربية، خاصة العلمية منها لا يراودها حلم التحقق في بيئة مواتية، وهكذا تخرج الكفاءات العربية الشابة والقادرة علي تشكيل المستقبل هاربة أما من مناخ إداري خانق أو فاسد أو من فقر علمي وبحثي أو من فقر اقتصادي.

إن لهجرة العقول العربية دوافع كثيرة متداخلة يصعب معها الجزم بحتمية تأثير احدها دون الآخر، ونظرياً تقع هذه الدوافع ضمن وجود قوي إما دافعة لهذا الشباب الي خارج الوطن العربي أو جاذبة تستقبل هذه العقول.

إن تحليل دفع الشباب الي خارج الوطن العربي لا يتم إلا بتحليل قطاع عريض من الواقع العربي تنشط بداخله مسارات النظم السياسية والتقدم المهني وأنظمة البحث العلمي.

أما في مجال أنظمة البحث العلمي والسياسات التقنية فيدفع بالشباب العربي الى الخارج، بطء التطور في التعليم الجامعي الرفيع المستوي، بسبب عدم توفير الاقتصاد العربي سوقا للبحث والتطوير ذلك في ظل الخلل الأكاديمي الواضح في الجامعات العربية وعجز المجتمع العربي عن استيعاب الطاقات الإبداعية، إن اثر هذه العوامل في دفع الشباب العربي الى خارج الوطن العربي يختلف من قطر عربي الى آخر.

ويبقى بعد ذلك أن عوامل الطرد الاقتصادية وتلك المتعلقة بالأوضاع الأكاديمية والأبحاث التقنية هي التي تسهم بصورة كبيرة في تشكيل قوي دفع الأدمغة الى خارج الوطن العربي . كما أن الخلل الأكاديمي يؤيد وجوده وجود شبكات ومجموعات للعلماء العرب في المهجر يسعون لاستقطاب طلاب الدكتوراه والدراسات العليا في العلوم الاجتماعية والتطبيقية . ويمكن القول أيضا أن الحضور الفاعل للمفكرين والباحثين والكتاب والعلماء العرب في أوروبا والولايات المتحدة يشكل جزءا مهما في فهم طبيعة دوافع الهجرة وفيه دلالة علي أن المجتمع العربي لا يزال قاصرا عن استيعاب هذه الطاقات والاستفادة من معارفها وخبراتها في تحقيق تقدمه .

- اهتمامات الشباب العربي:

نختار كمدخل علمي للتعرف على مشكلات الشباب العربي عموماً وشباب الجزائر بشكل خاص مدى التوافق أو التعارض بين ما يتوقعه المجتمع من الشباب وبين ما يريده الشباب لأنفسهم، ولعل خير وسيلة لمعرفة مشكلات الشباب هي الاستماع لآرائهم وإعطائهم الفرص للتعبير عن أنفسهم ومشاعرهم سواء تم ذلك عبر استخدام الدراسات الاجتماعية واستطلاعات الرأي أو عبر المقابلات المباشرة والحوار.

ضمن هذا الإطار تضمن "تقرير التنمية الإنسانية العربية 2002" استطلاعاً لقياس اهتمامات الشباب أجري تحت رعاية مكاتب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في البلدان العربية، وكان الاستطلاع يهدف إلى معرفة آراء عدد محدد من الشباب العربي حول أكثر القضايا أهمية في كل دولة عضو في الجامعة العربية، غير أن الأجوبة التي تضمنها التقرير تعود إلى شباب ستة بلدان عربية مصر، الأردن، لبنان، ليبيا، الإمارات، السعودية).

تشير إجابات عينة المجموعة الشابة إلى أنهم يرون أن أكثر القضايا أهمية من بين المواضيع التي نظر فيها التقرير هي: أولاً: فرص العمل بنسبة 45% من الإجابات، يليها التعليم بنسبة 23% فالبيئة بنسبة 12%، ثم توزيع الدخل والثروة

بنسبة 8%، فالمشاركة السياسية بنسبة 5%، فالرعاية الصحية بنسبة 4% وأخيراً الفقر بنسبة 4% أيضاً. وقد أظهرت الشباب اهتماماً بالتعليم والمشاركة السياسية والرعاية الصحية أكبر من الاهتمام الذي أظهره الشباب. ولعل أكثر ما يلفت النظر في نتائج الاستطلاع أن نسبة 51% من الشباب قد عبروا عن رغبتهم في الهجرة إلى بلدان أخرى، مبيّنين بوضوح عدم رضاهم عن واقع الحال وفرص المستقبل في بلدانهم(6).

في دراسة ميدانية أجراها المجلس الأعلى للشباب والرياضة في مصر على عينة مؤلفة من 3200 شاب للتعرف على اهتماماتهم، تبين أن النشاطات الطلابية تأتي في مقدمة اهتمامات الشباب بنسبة 84%، يليها الاهتمام بالسياسة بنسبة 82%، بينما حاز الكمبيوتر وشبكة الانترنت على اهتمام 90% من الشباب، وقد جاء الاهتمام بالأدب في آخر قائمة الأفضليات عند الشباب المصري. وختمت الدراسة بنتيجة مثيرة تقول "الرياضة في مقدمة اهتمامات الشباب المصري والقراءة في آخرها".

بينما بينت الدراسة أعدها "مركز الأردن الجديد" للتعرف على بعض آراء الشباب الأردني حول بعض القضايا من خلال استمارة اعتمدت اقتراحات شبابية، أن نحو 34% من الذين شملتهم العينة يرون أن البطالة هي أهم مشكلة تواجه الشباب الأردنيين في حين رأى نحو 10% أن التمييز ضد المرأة هي المشكلة الأهم، وقال 8% من الشباب أن استثمار وقت الفراغ هو مشكلتهم الأساسية، وأخيراً رأى 8% أن تضخم مشكلة إدمان المخدرات تشكل استحقاقاً بدأ الأردن بمواجهته(7).

وخلصت الدراسة إلى أن مشكلات الشباب الأردني تتصل بالعديد من المجالات والمستويات أهمها:

1- الأسرة : تدخل الأسرة في شؤون الشباب، وصعوبة التفاهم بين الأجيال، والتمييز بين البنين والبنات، وعدم مشاركة الشباب في اتخاذ القرارات داخل الأسرة، وأخيراً ضعف دور الأسرة في تنشئة الشباب.

2- المشاركة في المجال العام: ويأتي في هذا الإطار عدم توفر المراكز الشبابية والطلابية، وقلة وعي الشباب بأهمية المشاركة في الحياة العامة، واهتمام الشباب بمشكلاتهم الحياتية الذي يقلل من مشاركتهم في المجال العام، والقوانين التي تعيق مشاركة الشباب، وقلة الحرية المتاحة أمام الشباب للمشاركة، إلى جانب ضعف المنظمات غير الحكومية وعدم الاهتمام برأي الشباب فيما يتصل بالقضايا العامة.

3- العمل: شيوع الصورة السلبية عن بعض المهن والأعمال، وتدني الأجور، والبطالة، واعتماد الوساطة بدلاً من الكفاءة في التوظيف، والظروف الصعبة لموظفي القطاع الخاص، وصعوبة الهجرة للعمل، وندرة التدريب والتأهيل، وقلة الصناديق التي تدعم مشاريع الشباب، وعدم تشجيع واعتماد الكفاءات الشابة.

4- الثقافة والهوية الثقافية: وقد جرى التأكيد على عدم المساواة، وعدم وضوح سقف الحريات، واحترام الرأي والرأي الآخر، والتعصب والعشائرية وضعف التوعية والتنشئة الديمقراطية. إضافة إلى انتشار التقليد الأعمى للغرب، وسلبية بعض العادات والتقاليد، والابتعاد عن المبادئ الأخلاقية والدينية وأخيراً التأثير السلبي لعدم المساواة الاجتماعية على الوحدة الوطنية.

وقد صنفت دراسة أخرى مشكلات الشباب العربي عموماً والسوري بصفة خاصة إلى أربعة أنواع:

1- مشكلات نفسية: كالشعور بالضياع والغربة والإحباط بسبب التفاعلات السياسية المتباينة وضغط الأسرة.

2- مشكلات اقتصادية: وهي المتعلقة بالعمل والسكن وضمان المستقبل، أو بالبطالة والعوز والحرمان من آمال الغد.

3- مشكلات أخلاقية – اجتماعية: ناجمة عن التناقض القيمي بين جيل الشباب وجيل الآباء، كذلك ناجمة عن التطرف الديني وعن عدم استغلال أوقات الفراغ، وقلة أشكال الترويح وصولاً إلى مشكلات الانحراف والجنوح وتعاطي الكحول والمخدرات .

4- مشكلات سياسية: وتتعلق ببعض النظم القائمة والحريات المهدورة ثم بالتجزئة الإقليمية(8).

فما هي القواسم المشتركة بين الدراسات السابقة، وإلى أي حد يمكننا التعرف من خلالها على أهم مشكلات الشباب واهتماماتهم؟.

تشير المعطيات المتوفرة إلى توافق معظم البحوث الاجتماعية والدراسات التنموية حول أهم المشكلات التي تواجه الشباب وهي: البطالة والفقر، التهميش والتمييز وقلة فرص المشاركة، ثم التطرف ومشكلات الهوية الثقافية، وأخيراً صراع الأجيال.

مشاكل متنوعة:

ولقد كانت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية قد أوضحت مشكلات الشباب ضمن الخطة الشاملة للثقافة العربية (10) في الجوانب الآتية:

1 - مشكلات سيكولوجية: كالشعور بالضياع، والغربة، والإحباط، بسبب التفاعلات السياسية والأيدولوجية المتباينة، وضغط الأسرة، ورفضها، والمبالغة في الإحساس الفطري بسبب قهر النظم، والإهمال في التوجيه المهني، وفي تعهد المواهب والهدر في الطاقات.

2 - مشكلات اقتصادية: تتعلق بالعمل والسكن، وضمان المستقبل، وبالحرمان من آمال الغد، بالإضافة إلى التبعية وسيادة الثقافة الاستهلاكية، والهروب من الريف.

3 - مشكلات أخلاقية واجتماعية: ناجمة عن التناقض القيمي بينهم وبين جيل الآباء، وبينهم وبين السلطة، وناجمة عن التطرف الديني والاجتماعي (11)، وعن عدم استغلال أوقات الفراغ، وقلة أشكال الترويح، ومشكلات الزواج وتفكيك الأسرة والانحراف والجروح، بوصفها رد فعل على المشكلات المختلفة.

4 - مشكلات سياسية: تتعلق بالنظم القائمة والحريات المهذورة وبالتجزئة الإقليمية، فهذه المشكلات يختلط بعضها مع البعض الآخر، كما تلتقي مع المشكلات الوافدة مع الثقافة الغربية، وهي بالتالي ليست مجرد شكاوي بدون جذور، لا يتمرده الشباب عليها، ذلك لأنها تشكل ثقلاً وقيوداً ترهق حركته، وتشوه رؤيته الخاصة للمجتمع، وإحساس الشباب بهذه المشكلات يعدّ أحد العوامل التي تحدّ من فاعلية التعامل النفسي المقصود مع الشباب كونه جعل التفاعل النفسي يرتبط بظاهرة معقدة ومتشابكة، ويعاني الشباب من تباين المواقف والأدوار المطلوبة منهم من قبل المؤسسات المتنوعة، ويطلق اصطلاح «انقطاع الأدوار» على عملية المطالبة بممارسة أدوار مختلفة أو مناقضة لأدوار سابقة فكرياً وعاطفياً (12).

وأجريت دراسة ميدانية عن الشباب اللبناني مركزاً على مشكلات الشباب، ومن بين ما انطوى عليه الإطار النظري مسألة السلطة الأبوية داخل الأسرة التي اعتبرها الباحثون نتاجاً للسلطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية العامة داخل المجتمع. وقد أشار البحث إلى أن لبنان تمثل عينة هي خلاصة التناقضات العربية وحدوده على صغر حجمه هي حدود العالم العربي. وحددت الدراسة أن اتجاه القبول والخضوع يمكن أن يكون سلبياً، أي أن يقبل الشباب السلطة كبن بار دون تساؤل أو شكوى أو استفهام، وبشكل ميكانيكي يكاد يكون بارداً.. أو إيجابياً: أي يقبل السلطة عن وعي بدقائقها وبمصلحته

في التزامها وبتجاه الإعداد الذاتي لأن يكون حاملها والمتحمس لها. ثم إنها حددت أن اتجاه الرفض والعنف يمكن أن يكون سلبياً: أي غير فاعل ينقصه الوعي والموضوعية بدقائق الأمور.. أو إيجابياً: من خلال الوعي العميق والموضعي والمسييس والمعقلن لحقائق الأشياء(13).

وحيثما نتخذ منهج المقارنة في هذا البحث فسوف نلاحظ كثير من الحركات الشبابية في العالم اتخذت أسلوب التمرد على كثير من الأفكار وسلوكيات السلطة الاجتماعية والسياسية، فمثلاً ظهرت في هولندا حركات تمرد تعتبر من الحركات المبكرة في أوروبا المعاصرة، فلقد هاجم الشباب خلالها مجتمع الكبار وقاموا بحملات إرهابية، وشاركهم في تحركهم بعض الكبار.. وكذلك في فرنسا وبلجيكا برزت ظواهر احتجاج شارك فيها طلبة وأساتذة وكانوا أثناء احتجاجهم يؤكدون على أن حل بعض المشكلات يتطلب أعمالاً جريئة، وكانت ثورة الطلبة التي اجتاحت فرنسا عام 1968 من الاحتجاجات الشبابية الكبيرة، وكانت تؤكد على أنها تريد تحطيم الحالة الحاضرة، وثورة الشباب في أمريكا وتمردتها على السلطة السياسية، وأن أهم الأبعاد في هذا التمرد هو سيطرة عنصر الشباب على حركات السخط هذه، إذ أن هذه السيطرة تلقي مزيداً من الضوء على الدور القيادي الذي يقوم به شباب الأمة الأمريكية في صيغ حركة الشباب العالمية بطابع إنساني، وتحديد الأبعاد الثقافية والفكرية لهذه الحركة تحديداً واضحاً»(14).

الخاتمة:

إنكار المشكلات أو التقليل من تأثيرها لا يعني زوالها أو معالجتها، فإن العبرة في كيفية تناولها قبل أن تتحول إلى حالات مستعصية وبؤر للتعصب والعنف أو دوافع للانحراف السلوكي وتعاطي المخدرات كعلاج وهي لحالات اليأس والإحباط وانعدام الأمل.

بالمقابل لا بد من التأكيد على العديد من القيم والعلاقات الإيجابية التي تتمتع بها الأسرة العربية، وما توفره لأبنائها من أشكال الرعاية والإشباع العاطفي، وما ينجم عنها من حماية للشباب من مظاهر العزلة والوحدة التي يعانيها العديد من أبناء المجتمعات الغربية المعاصرة، ويكفي إلقاء نظرة على أرقام انتشار مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) في مختلف مناطق العالم للتأكد بأن المنطقة العربية من أقل مناطق العالم إصابة بهذا المرض، والفضل في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى مجموعة القيم العربية والإسلامية التي ينشأ عليها شبابنا منذ نعومة أظفارهم مروراً بالمؤسسات التعليمية والتثقيفية المختلفة التي تساهم في عملية التنشئة الاجتماعية مثل المدرسة والجامعة ووسائل الإعلام المختلفة، والتي أصبحت مطالبة اليوم، وأكثر من أي وقت

مضى ، بتطوير مناهجها وبرامجها كي تستطيع المنافسة والقيام بالأدوار والوظائف المناطة بها في عالم مفتوح على كافة الخيارات والتأثيرات بسلبياتها وإيجابياتها.

ولهذا يعتقد العديد من علماء الاجتماع والتربية إن إتاحة الفرصة للشباب لعيش تجاربهم وتكوين خبراتهم لا يتطلب سوى تمكن هؤلاء من تحصيل المعارف والعلوم الضرورية والتعلم من أخطائهم واختياراتهم المعبرة عن وعيهم، أما النصائح واتباع أساليب الوعظ والحماية، فإنها على الأغلب لا توصل إلى الغايات المرجوة.

الهوامش:

- (1)-الشباب وأمن المجتمع، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1408هـ، ص 242.
- (2)-المجموعتان الإحصائيتان، جامعة الدول العربية، إدارة الإحصاء، القاهرة، 1990-1985.
- (3)-الشباب وأمن المجتمع، مرجع سابق، ص 243.
- (4)-حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص 655-684.
- (5)- A.B.Clinard and D. About, crime in developping countries: A comparative perspective (New York, N.Y): Thonwiley and sons,1973, p.p 48-86.
- (6)-تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002، مجموعة مؤلفين بإشراف نادر الفرجاني، الطبعة العربية، عمان، 2002.
- (7)-حال البطالة والمخدرات والتمييز ضد المرأة، مركز الأردن الجديد، الحياة، العدد 13677، 22 آب/أغسطس، 2000.
- (8)-التفاوت الثقافي بين الأجيال في المجتمع السوري المدني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 1999.
- (9)-التقرير الاجتماعي العربي الأول، جامعة الدول العربية، الإدارة الاجتماعية، القاهرة، 2001.
- (10)-عبد الباسط عبد المعطي: حال الأمة (1999) الدراسات الأساسية، الأوضاع الاجتماعية، ورقة مقدمة إلى المؤتمر القومي العربي العاشر، الجزائر، 2000، ص 26.
- (11)-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: الخطة الشاملة للثقافة العربية، المجلد الأول، 1986، ص 127.
- (12)-انظر قيس النوري: مشكلات الشباب إلى أين؟ مجلة الفكر العربي، منشورات معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، يناير، العدد 19، بيروت، 1981، ص 143.
- (13)-محمد عيسى: مشاكل الشباب وأطرها الاجتماعية، الفكر العربي، منشورات معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، العدد، السنة 1، بيروت، 1978، ص 177.

(14) -انظر فؤاد زكريا: شباب أمريكا وفلسفة التمرد، مجلة الفكر المعاصر، العدد 8، القاهرة، 1969، ص6. وانظر كذلك محمد العزب موسى في ثورة الطلبة وأزمة الديمقراطية الأمريكية، مجلة الكاتب، العدد 111، القاهرة، 1978، ص 69 - 70.

المراجع والمصادر:

- (1) -تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002، مجموعة مؤلفين بإشراف نادر الفرجاني، الطبعة العربية، عمان، 2002.
- (2) -حال البطالة والمخدرات والتمييز ضد المرأة، مركز الأردن الجديد، الحياة، العدد 13677، 22 آب/أغسطس، 2000.
- (3) -التفاوت الثقافي بين الأجيال في المجتمع السوري المدني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 1999.
- (4) -التقرير الاجتماعي العربي الأول، جامعة الدول العربية، الإدارة الاجتماعية، القاهرة، 2001.
- (5) -انظر تقرير التنمية الإنسانية العربية 2002، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، عمان، 2002.
- (6) -عبد الباسط عبد المعطي: حال الأمة (1999) الدراسات الأساسية، الأوضاع الاجتماعية، ورقة مقدمة إلى المؤتمر القومي العربي العاشر، الجزائر، 2000، ص26.
- (7) -الدقس، محمد عبد المولى: التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، عمان: دار مجدلاوي، 1987م.
- (8) -الطنوبي، محمد عمر: التغير الاجتماعي، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1995م.
- (9) -عضيات، عاطف العقلة: الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب/ وعمان: منتدى الفكر العربي، 1990.
- (10) -غيث، محمد عاطف: التغير الاجتماعي والتخطيط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1987.
- (11) -القريشي، علي: التغير الاجتماعي عند مالك بن نبي: منظور تربوي لقضايا التغير في المجتمع المسلم المعاصر، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1989.
- (12) -كارة، مصطفى عبد الحميد: "التغير الاجتماعي وأثره على الوقاية من الانحرافات السلوكية"، المجلة العربية للدراسات السلوكية، السعودية: مج8، ع15، 1993م،

أ. الهاشمي مليك. جامعة البليدة 2.

ملخص:

إن التغير الاجتماعي الذي عرفته الجزائر في مراحل تاريخها الحديث، انعكس على العديد من المؤشرات ذات العلاقة المباشرة بالبناء الاجتماعي، وعلى رأسها الشغل والتعليم ونمط الأسرة وغيرها. ومن جهة أخرى كان للتحول الديمغرافي بمراحله الثلاث التي عرفتها الجزائر، علاقة جد مباشرة، مع التغير في مستويات هذه المؤشرات، وهو ما يدل على وجود علاقة قوية بينها وهو ما أطلقنا عليه في مقالنا هذا اسم التغير السوسيوديمغرافي، والذي حاولنا من خلاله ربط التغيرات الاجتماعية والمتمثلة في مؤشر الشغل كوجه الأساسي، مع التحول الديمغرافي المستند إلى التغيرات في معدلات النمو والولادات والوفيات.

ومن خلال استخدامنا للمنهج التطلبي الوصفي، نستنتج وجود هذا التغير ما يؤكد أن التحول الديمغرافي جزء لا يتجزأ من التحول الاجتماعي، والذي يمكن القول أنه تلازمي لدى الدول، استنادا على معطيات دول أخرى، خصوصا تلك التي تخطت اغلب مراحل التحول الديمغرافي.

مقدمة:

لقد عرف العالم العربي في الفترة ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية جملة من التطورات و التغيرات، مست مختلف بنياته الاجتماعية و السياسية وحتى الاقتصادية، تلك العوامل مشتركة ساهمت في إيجاد نموذج جديد للعالم العربي يختلف ابستومولوجيا عن نماذجه السابقة التي اختلفت فيما بينها من نواحي عديدة خاصة الاقتصادية منها، إلا أن هذا الاختلاف مس السلوكات الديموغرافية أيضا، لبقى التشابه حاصلًا في شكلها العام الذي مس العالم العربي قاطبة، فعلى الصعيد العربي عموما والجزائري خصوصا امتازت الثقافة السكانية بالتشجيع على الزيادة والحث على إنجاب، لكن حصول الانفتاح الثقافي والتغير في النشاط الصناعي ساهم نمط متشابه جسده مجموعة من التغيرات شملت مختلف مكونات البناء الثقافي، الاقتصادي و حتى السكاني، لنحصل على عدد من المراحل سبق لدول أخرى المرور بها، مشكلة بذلك نمطا عاما يتشابه كثيرا من ناحية العوامل والمسببات وحتى النتائج، وهو ما أطلقنا عليه بالتحول السوسيوديمغرافي.

(1) تعريف التغير الاجتماعي:

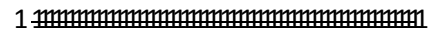
عندما نأخذ بعين الاعتبار متغير الزمن، وتتبع أحوال المجتمع، أو أجزاء منه، فننظر في حركته ومصادرها، وما تشمله هذه الحركة من عمليات اجتماعية ديناميكية، ونلاحظ ما يلحق بالمجتمع من عوارض وتحولات، فإننا نبحث في التغير الاجتماعي

الثقافي، والتغير من الخصائص الثابتة المستمرة تاريخيا، يختلف في معدل حدوثه ومداه من مجتمع إلى آخر، كما قد يختلف في هذا بين أجزاء المجتمع الواحد. ولقد كان التغير كعملية اجتماعية ثقافية من المحاور الأساسية في البحوث الاجتماعية، ولهذا نج له تعريفات كثيرة منها على سبيل المثال تعريف ماكينوس الذي عرفه " بالتحول في تنظيم المجتمع، وفي أنماط الفكر والسلوك عبر الزمن"، أما ريتز فيقول " أن التغير الاجتماعي يشير إلى التباين التاريخي في العلاقات بين الأفراد والجماعات والتنظيمات والثقافات والمجتمعات، ويعرفه فارلي بأنه التبدل في أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية والنظم والبناء الاجتماعي.¹

2.1) مراحل التغير الاجتماعي في الجزائر- الشغل²:-

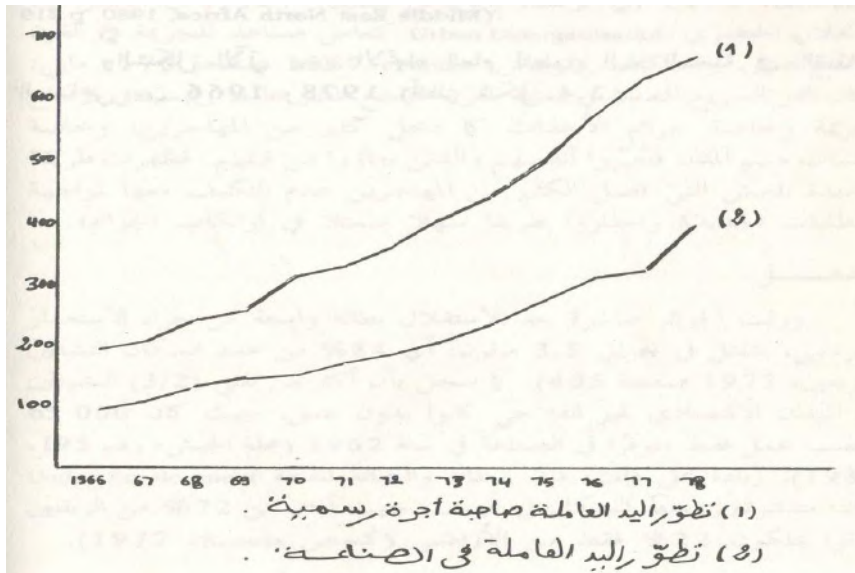
ورثت الجزائر مباشرة بعد الاستقلال، بطالة واسعة من جراء لاستعمار الفرنسي، تتمثل في 3.5 مليون بطال، أي 84% من عدد السكان النشطين، كما سجل بأن أكثر من ثلثي (2/3) النشطين في الميدان الاقتصادي غير الفلاحي كانوا بدون عمل . حيث كان 65000 منصب عمل فقط متوفر في الصناعة في سنة 1962 زيادة على ذلك، فإن البطالة والبطالة المقننة كنتا منتشرتين وسط سكان الريف، حيث أكثر من 72% من الريفيين كانوا يملكون 22% فقط من الأراضي.

وعليه فقد سطرت برامج اقتصادية كثيرة وبالتالي توفرت الآلاف من مناصب العمل. وقد سجل خلق 600000 منصب شغل عن طريق التصنيع خلال الفترة من 1965-1974، وخاصة في المناطق الحضرية مثل عنابة، سكيكدة، قسنطينة، قالمة، سطيف وبجاية، وفي ولايات أخرى التي عرفت وتعرف تغيرا اجتماعيا ملحوظا، زيادة إلى ذلك فإن الحكومة الجزائرية خطت أيضا لخلق 450000 منصب عمل في القطاع الغير فلاحي خلال الفترة من 1974-1977، هادفة بذلك لمشكل البطالة مع سنة 1980. والشكل التالي يوضح الاتجاه العام لتطور اليد العاملة في القطاع الصناعي بين 1966-1978 كما يلي:

1 

¹ ابراهيم عيسى عثمان- مقدمة في علم الاجتماع - دار الشروق - 2009 ص337.

² علي مانع-جنوح الاحداث والتغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة-ديوان المطبوعات الجامعية- 1996 ص138



(2) تعريف التحول الديمغرافي:

تتكون كلمة التحول الديموغرافي من مقطع التحول والذي يقصد به التغير والانتقال من حالة واضحة إلى حالة تكون غامضة أو واضحة كسابقها، ديموغرافي والتي يقصد بها العلم الذي يهتم بدراسة الجانب السكاني وأهم التطورات و التغيرات الحاصلة عليه، من هنا يمكن تعريف التحول الديمغرافي على انه: جملة التغيرات والتطورات الحاصلة على البنية السكانية خلال مدة زمنية معينة، تختلف من حيث خصائصها عن مرحلة التي سبقها.

و هو أيضا وجود تغير في معدل نمو السكان، يعكس بدوره تزايدا غير متعادل من حيث التغير في معدلات المواليد والوفيات، و غالبا ما تحدث العملية نتيجة التصنيع أو التطورات العصرية¹.

هو المرور من وضعية توازن ذات خصوبة و وفيات عاليتين إلى وضعية توازن ذات خصوبة و وفيات منخفضتين خلال مدة زمنية و هذا موازيا للتنمية الاجتماعية و اقتصادية².

و من خلال ما سبق ظهرت نظرية التحول الديمغرافي التي استخدمت لتفسير آلية معدلات النمو السكاني في أوروبا الغربية، حيث اكتسبت زخما كبيرا بعد كتابات دافيز في عام 1945م رغم أن الجوهر الكامل للعلاقة بين التحديث و انخفاض

1 [http://www.ijerph.com](#)

¹ ميمونة مناصرية- التحول الديمغرافي وأثاره على التشوه العمري - مذكرة لنيل درجة الماجستير - 2005-ص24.

² بعيط فاتح - الانتقال الديمغرافي في الجزائر - مذكرة لنيل شهادة الماجستير - 2008 - ص 16.

الوفيات و الخصوبة إضافة للمراحل الثلاث صيغت من قبل نوتستين، وقد وضع نوتستين هيكلية لتفسير الكلاسيكي لتحول الديمغرافي¹.

كما أن النمو الاقتصادي في دول أوروبا قد استدعى زيادة السكان ، حيث كانت فرنسا أول دول أوروبا في نسبة السكان في القرن 17 ثم فقدت مركزها في القرن 18 ، و لم تستطع الحروب النابليونية أن تعيد إليها مركزها القديم ، وهكذا تناقص السكان الفرنسيون بالنسبة لبقية سكان أوروبا، فبعد أن كانت تشير هذه العملية إلى وجود تغير في معدل نمو السكان، يعكس بدوره تزايداً غير متعادل من حيث التغير في معدلات المواليد والوفيات، وغالباً ما تحدث العملية نتيجة التصنيع أو التطورات العصرية².

وفي سياق حديثه عن النمو الحضري أكد السيد الحسيني بأنه يرتبط عموماً بزيادة السكان بوجه عام، وأنه إلى غاية منتصف القرن 17 لم يكن عدد السكان في العالم يزيد بأكثر من % 0.4 سنوياً، ويقدم القرن 18 تضاعف عدد السكان في العالم مرة واحدة، ويصف بعض الدارسين هذه التغيرات السكانية بأنها تعبير عن "تحول ديموغرافي" أو "ثورة ديموغرافية" ولقد طرأت زيادة سكانية مفاجئة خلال النصف الأخير من القرن 18 ، ولم يكن مصدر هذه الزيادة ارتفاع معدلات المواليد فقط، بل أيضاً انخفاض معدلات الوفيات. وفضلاً عن ذلك استمرت هذه الزيادة السكانية في الارتفاع خلال القرنين 19 و 20، وهو ما دفع ببعض الباحثين إلى استخدام مصطلح "التحول الديمغرافي" للإشارة إلى الانتقال من مرحلة ارتفاع معدلات المواليد) التي كان يقابلها، ارتفاع معدلات الوفيات (إلى مرحلة انخفاض معدلات الوفيات وصولاً إلى مرحلة انخفاض معدلات المواليد التي تنتهي بتحقيق

نوع من التوازن النسبي بين نسب الميلاد ونسب الوفاة، ويمكن تفسير انخفاض معدلات الوفيات في ضوء التطورات التكنولوجية التي طرأت في مجال الزراعة³.

1. [http://www.egyptology.com/egyptology/egyptology.asp?cat=1&subcat=1&item=1](#)

¹ صالي محمد - مقياس نظرية التحول الديمغرافي - بالتصرف

² حسين احمد سعد الشديدي- "مقالة بعنوان: التوظيف الأمثل لفرصة التحول الديموغرافي (الهبة الديموغرافية)-جامعة بغداد - مركز التخطيط الحضري والأقليمي للدراسات العليا.

³ ميمونة مناصرة- التحول الديمغرافي وأثاره على التشوه العمراني - مذكرة لنيل درجة الماجستير- 2005 ص24.

2.2) مراحل التحول الديموغرافي¹:

لقد دفعت دراسة التغيرات التي طرأت على معدلي الوفيات الخام في البلدان الصناعية خلال القرنين الماضيين إلى بلورة نموذج نظري يسعى إلى تفسير تطور ونمو السكان عبر الزمن عرف بنظرية التحول الديموغرافي، حيث تشرح هذه النظرية العالقة بين معدل الوالات الخام ومعدل الوفيات الخام و على الرغم من محاولات أدولف الندي 1909-1934، وورن ثومبسون عام 1929، وكنغسلي دايفس عام 1945 كان للباحث فرانك نوتشتين الفضل في نشرها، والذي صاغها بشكل واضح في عام 1953 وفقا لهذه النظرية فهناك أربع مراحل للتحول الديموغرافي تمر بها المجتمعات البشرية:

المرحلة الأولى:

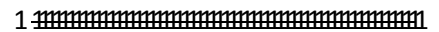
تتميز هذه المرحلة بارتفاع المعدل العام لكل من الوالات والوفيات ويكونها بطيئة وقريبة إلى الثبات وتبرز بشكل كبير في المجتمعات الزراعية ذات البناء الاجتماعي التقليدي المتخلف.

المرحلة الثانية:

تتميز بسرعة نمو السكان نتيجة هبوط معدلات الوفيات بدرجة أسرع من هبوط معدل الوالات بسبب تحسن الأوضاع الصحية والاقتصادية والتعليمية، حيث أن الدول الصناعية المتقدمة قد مرت بهذه المرحلة واستمرت مدة طويلة قاربت قرنا كاملا، أما الدول النامية فكان دخولها لهذه المرحلة سريعا مستفيدة من التقدم الحاصل في مجالات الطب العلاجي والوقائي حيث وصل معدل النمو السكاني فيها إلى أكثر من 2% .

المرحلة الثالثة:

يبدأ النمو السكاني في هذه المرحلة في الانخفاض التدريجي نتيجة هبوط معدل الوالات (معدل النمو بين 1%- 2% سنويا وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الانتقالية).

1 

¹ حسين احمد سعد الشديدي - مقالة بعنوان: (التوظيف الأمل لفرصة التحول الديمغرافي) - جامعة بغداد - ص 6

المرحلة الرابعة :

تتميز النمو في هذه المرحلة بكونه متدرجا في الانخفاض ويسود نمط الأسرة صغيرة الحجم، وتتميز المجتمعات التي تدخل هذه المرحلة بانفتاح النافذة الديموغرافية فيها حيث يصل معدل النمو إلى اقل من 1% سنويا.

3.2) مظاهر التحول الديموغرافي في الجزائر¹:

المرحلة الأولى: 1901-1945:

تتميز هذه المرحلة بنمو طبيعي قريب يتراوح من 0.5%، حيث شهدت ارتفاع كل من معدلات الولادات، ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى فترتين:

الفترة الأولى: 1901-1920:

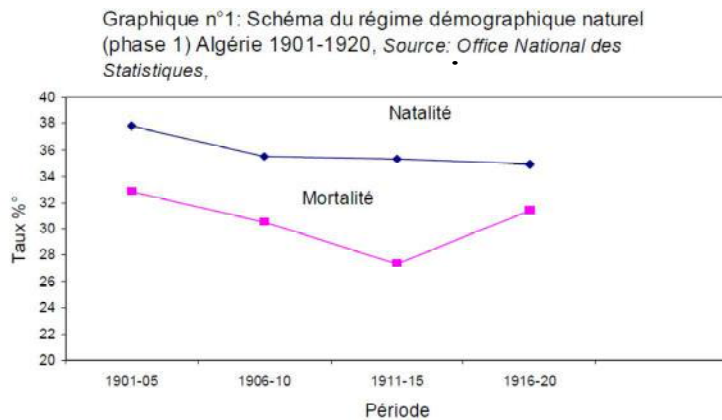
عرفت هذه مرحلة معدل نمو لا يتجاوز 0.5%

الفترة الثانية: 1920-1945:

بلغ معدل نمو حوالى 1%، فقد بدأت الوفيات بالانخفاض ابتداء من 1921 في حين بقي معدل مواليد مرتفعا،

ليسجل معدل خام للوفيات وصل حد الذروة 43.1%، حيث يرجع ذلك في الغالب للأحداث 8 ماي، وانتشار الأوبئة

كالكوليرا وتفويد وإصابتها شريحة كبيرة من المجتمع.



1

¹ محمد صالي- مقياس: التحول الديموغرافي في الجزائر- 2013 - ص 28 - بالتصرف.

المرحلة الثانية: 1946-1985 :

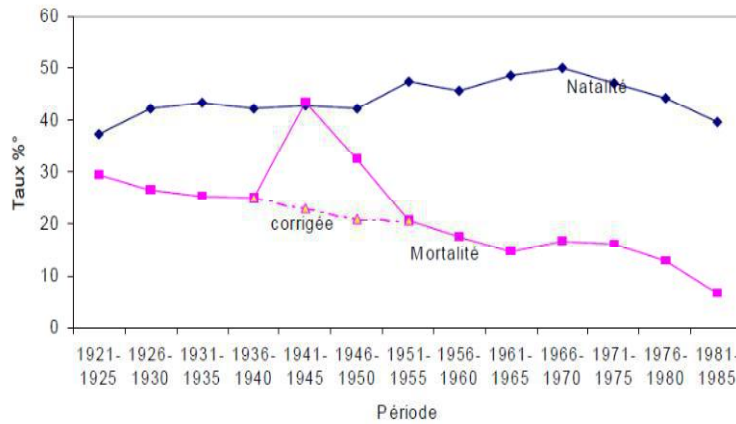
الفترة الأولى 1946-1970:

والتي تميزت بارتفاع معدل المواليد الناتجة عن الخصوبة الطبيعية حيث بلغ معدل المواليد مستوى لم يصل إليه من قبل ببلوغه 47% سنة 1955 بعد أن تجاوز 45% عام 1951، كما تميزت الوفيات في هذه الفترة بالانخفاض المنتظم مع البقاء على مستوى أعلى من 15%، إلا أن معدل النمو تجاوز 3% ابتداء من 1961 إلى 1965.

الفترة الثانية 1971-1985:

بلغ معدل المواليد في هذه الفترة ما يفوق 40%، ومعدل وفيات ينخفض باستمرار لكنه يتجاوز 5%، إلى غاية سنة 1985.

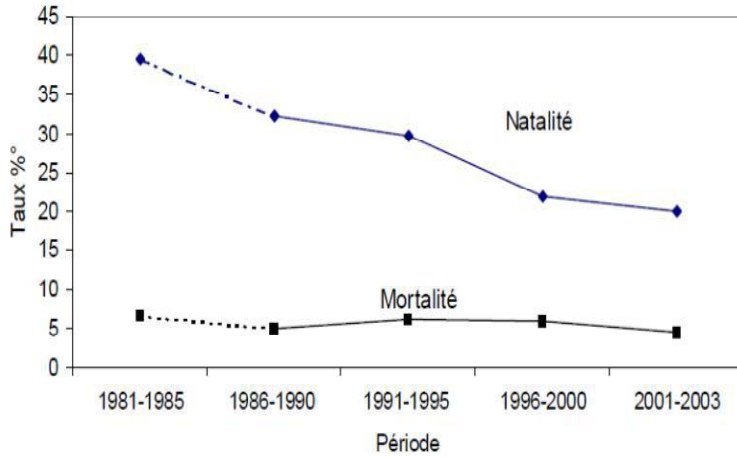
Graphique n°2: Evolution des indicateurs de la transition démographique Phase 2, Algérie 1921-1985 (Source des données: Office National des Statistiques)



المرحلة الثالثة: من 1986 إلى يومنا هذا:

شهدت هذه الفترة انخفاضا في معدل المواليد ومعدل الوفيات الذي بلغ 5% في الفترة 1986-1990 والذي تزامن مع بداية المرحلة الثالثة لنظرية التحول الديمغرافي. وفي الواقع فإن معدل النمو الطبيعي قد تراجع منذ عام 1986 ليصل إلى مستوى 1.4% عام 2002. إلا أنه ارتفع مجددا ليصل إلى 1.9% سنة 2008، ليستمر إلى في ارتفاعه إلى بلوغه 2.15% سنة 2014، ما يدل على وجود تذبذب كبير خاصة في فترة العشرية السوداء.

Graphique n°3: Evolution des indicateurs de la transition démographique, Phase 3, Algérie 1986-2003; Source:ONS



التحول السوسيوديمغرافي في الجزائر:

حسب تقرير مكتب منظمة العمل الدولية للقوى العاملة عام 2000 فانه سوف تزيد قوة العمل العالمية بنسبة 68% أي بمعدل يزيد عن 1 بليون، وتشكل هذه الزيادة تحديا رئيسيا خطيرا خاصة أمام الدول النامية في جهودها لتحقيق التنمية الكافية وتوفير وظائف وفرص العمل لقوة المتضاعفة الناتجة عن الانفجار السكاني فيها، فعندما تكون معدلات الخصوبة مرتفعة فان الفئة العمرية دون الخامسة عشر تشكل نسبة كبيرة مقارنة بنسبة البالغين الذين هم في سوق العمل، وبما أن السلوك الاقتصادي يختلف باختلاف مراحل الحياة عند البشر فانه يترتب على ذلك أن الهيكل العمري للسكان له اثر كبير على الأداء الاقتصادي للإنسان حيث أن جزء كبيرا من الدخل يذهب ليصرف على الإنفاق الاستهلاكي عندما ترتفع معدلات الخصوبة وتنسج قاعدة الهرم العمري للسكان.¹

إن جانبا كبيرا من الأسباب العامة للمركز والتخلل السكاني في المدينة داخل المنطقة الحضرية قد استوعبه التراث الإجماعي في هذا الصدد، وإيجاز شديد يمكن القول أن اختراع الآلة البخارية وتطور نظام المصنع، وتطوير تقسيم المعمل واتساع الأسواق، وظهور الكثير من وظائف الخدمة المتخصصة، والتقدم الملحوظ في تكنولوجيات الزراعة إلى جانب اعتبارات باختلاف الزمان والمكان، كانت كلها من أهم العناصر التي ساهمت كثيرا في القوة الجاذبة التي أدت إلى خلق

1 [http://www.ons.gov.dz](#)

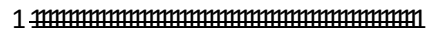
¹ فرليس عباس فاضل البياتي- علم اجتماع السكان-دار الجيل- 2018—ص230.

تجمعات حضرية كبيرة من السكان وبالمثل يمكن القول أيضا أن قدوم السيارة والطرق العامة الممهدة، ووسائل النقل الحديثة والأهمية المتزايدة للكهرباء، كمصدر للقوة والطاقة لتحريك وسائل النقل لمسافات طويلة، والتحسين المطرد في وسائل الاتصال¹، كانت كلها عوامل ساهمت في خلق العلاقة بين التغيرات الاجتماعية والمتمثلة خاصة في (الشغل)، والمتغير الديمغرافي والممثل في الغالب في معدل المواليد والنزوح السكاني.

لقد عانت الجزائر كثيرا من عبء النمو الديمغرافي خلال سنوات السبعينات والثمانينات، حيث وصلت معدلاته إلى أكثر من 3.8% ليشجع من ثمة في انخفاض منتظم، الشيء الذي جعل البعض يؤكد على دخول الجزائر مراحل الانتقال الديموغرافي. إن انخفاض معدل النمو الديمغرافي في الجزائر في السنوات الأخيرة، وانخفاض كل من معدل الولادات ومعدل الخصوبة العامة هو نتيجة الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها البلاد، ولا يعكس نضجا اجتماعيا وسيكولوجيا وهو ما تبينه الإحصائيات الأخيرة، إذ ارتفع معدل النمو الطبيعي وذلك نتيجة الانتعاش الاقتصادي الذي عرفته البلاد، ومن الناحية الاقتصادية عرف عدد المشغلين ارتفاعا مستمرا إلى جانب نسبة السكان النشطين²

الخاتمة:

إن التغير الاجتماعي بأبعاده الثقافية، الاقتصادية، وحتى سياسية يوحي بوجود إلزامية مباشرة لوجود ترابط بين هذه الأبعاد، ومن خلال قراءتنا لكتابات السيسولوجية حول التغير ومن خلال كل ما سبق، نستنتج في الأخير بأن التغير الديموغرافي جزء لا يتجزأ من التغير الاجتماعي العام، ورغم كون هذا الأخير يختلف عن مفهوم التقدم الاجتماعي، إلا أن حدوثه بأي صفة كانت يستلزم تأثيره المباشر على البنية السكانية بمختلف أبعادها، بما فيها السن، الجنس، وحتى التوزيع، المتمثل في حركة النزوح الريفي.

1 

¹ مريم احمد مصطفى، السيد عبد المعاطي، السيد السيد رشاد غنيم- التغير ودراسة المستقبل- دار المعرفة الجامعية ص240- بالتصرف
² توبين علي - مذكرة ماجستير بعنوان: النمو الديمغرافي وأثره على التنمية الاقتصادية حالة الجزائر (1970-2002)- جامعة الجزائر ص101.

قائمة المراجع والدراسات السابقة:

- (1) -ميمونة مناصريه- التحول الديمغرافي وآثاره في التشوه العمراني- مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير - جامعة قسنطينة- 2005.
- (2) -بعيط فاتح - الانتقال الديمغرافي في الجزائر - مذكرة لنيل شهادة الماجستير - 2008.
- (3) -محمد صالي- مقياس : نظرية التحول الديمغرافي في الجزائر - 2013.
- (4) -حسين احمد سعد الشديدي- "مقالة بعنوان: التوظيف الأمثل لفرصة التحول الديموغرافي (الهبة الديموغرافية) - جامعة بغداد - مركز التخطيط الحضري والأقليمي للدراسات العليا.
- (5) -رعد مفيد أجد - مقالة بعنوان: المؤشرات الزمنية للنافذة الديموغرافية وتداعياتها في العراق - الجامعة المستنصرية.
- (6) -توين علي، رسالة ماجستير: النمو الديمغرافي وأثره على التنمية الاقتصادية، جامعة الجزائر، قسم العلوم الاقتصادية، 2003-2004.
- (7) -بركاني وردة، رسالة ماجستير بعنوان: انتقال الخصوبة وأثره على التركيبة السكانية، ، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، جامعة باتنة، 2008-2009.
- (8) -عيسى نور الدين، مقالة بعنوان: ظاهرة الشيخوخة في الجزائر و عوامل تطورها، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر 2، العدد 19 جوان 2015.
- (9) -إبراهيم عيسى عثمان- مقدمة في علم الاجتماع - دار الشروق - 2009.
- (10) -علي مانع- جنوح الأحداث والتغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة-ديوان المطبوعات الجامعية- 1996- ص138.
- (11) -فرلس عباس فاضل البياتي- علم اجتماع السكان- دار الجيل- 2013.
- (12) -حمد عاطف غيث. قاموس علم الاجتماع. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. 1989 .
- (13) -السيد الحسيني. المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري. ط. 3. دار المعارف. 1985 .

14) مريم احمد مصطفى، السيد عبد المعاطي، السيد رشاد غنيم- التغير ودراسة المستقبل- دار المعرفة الجامعية.

15) موقع الالكتروني <http://populationpyramid.net/>

أ.بن عائشة الزهرة. جامعة تلمسان.

ملخص:

أصبح للإعلام اليوم دور أساسي في نهوض الأمم و تقدّم الشعوب، ووصل الأمر بالإعلام الجديد، إلى مستوى أصبح هو الفاعل والمؤثر الأقوى في العلاقات الاجتماعية، والاقتصادية والإنسانية على وجه العموم، وبالتالي في تشكيل منظومة القيم. وتتطور الوسائل خاصة في المجال الاتصالي، تحدث هزات ثقافية، ولما ظهرت الانترنت بخصائصها وخدماتها، وخاصة من خلال المدونات ومواقع التواصل الاجتماعي، أحدثت هذه الأخيرة، هزة ثقافية كبيرة، حيث غيرت من شكل الهويات، وأصبح اليوم بما يعرف الهوية الافتراضية، هذه الهويات الافتراضية قامت بالتغيير عن طريق الثورة، حيث رأت أنها الحل الأمثل كما رأى من قبل "كارل ماركس". ومن أهمها الثورات العربية، فالإعلام الحر ليس غاية وحسب؛ ولكن وسيلة لتحقيق التحول والتغيير الاجتماعيين.

مقدمة:

تشهد المنطقة العربية مرحلة انتقالية في تاريخها، ومما لا شك فيه أن الحدث الأبرز الذي يعتبر المؤشر لتأريخ هذه الحقبة، و الذي ساهم في هذه النقلة هي الثورات العربية، التي اندلعت في أواخر سنة 2010 و مطلع 2011، كانت شرارة تلك الثورات في تونس مع البوعزيزي، الذي نجح في كسر الخوف لدى المواطن العربي، و أصبح لديه الثقة و القدرة في تحقيق التغيير. ونتيجة لذلك ما لبثت أن قامت الثورة في مصر و "المطالبة بإسقاط الرئيس"، ثم ليبيا فاليمن و وصلت أصداؤها حتى البحرين و الأردن و العراق و المغرب، و بالفعل ما لبثت أيام حتى سقط النظام في مصر، و حوصر القذافي، و لجأ كل من الرئيس اليمني و التونسي إلى السعودية، أما في سوريا فكانت بداية الإصلاحات، و لكن أخذت انزلاقات أخرى خطيرة مازالت إلى يومنا اليوم، أما في المغرب فكان الاستفتاء على تعديل الدستور، أما البحرين فقد لجأت إلى الحوار و الأردن يجري البحث عن تسوية.

لقد أثارت هذه الثورات العربية جدال واسع و لازالت في جميع الأوساط السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، الأمنية، و الدينية، و الإعلامية....

كان الجدل و الاختلاف أولا في تسميه تلك الثورات، فهناك من أطلق عليها عصر التنوير العربي، و هناك من سهاها الربيع العربي و أول من أطلق عليها هذه التسمية هو الرئيس الأمريكي "باراك أوباما"، و هناك من اكتفى بتسميتها انتفاضة أو حرب أهلية، و بالرغم من الجدل الكبير، و الزخم الهائل من البيانات و المعلومات و الآراء حول هذه الثورات-انطلاقا من التسمية

إلى الأسباب و الدوافع، إلى قاداتها (من يجرها)، إلى إنجازاتها، إلى نجاحها أو فشلها-إلا أن هناك شبه إجماع على الدور الذي لعبه الإعلام في هذه الثورات. فاليوم نجد أن هذا الإعلام، فرض نفسه و تحول إلى رقم صعب، في معادلة التغيير السياسي بالمنطقة العربية، بعد سنوات سادت فيها قناعة أن المنطقة باتت عصية على التغيير على مستوى الهرم السياسي، إلا أن مسلسل الثورات العربية أظهرت أن محرك الأحداث إن لم نقل "وقودها" هو الإعلام¹، و تركز هذا الطرح بعد أن استطاعت الحقيقة تجاوز الحدود و كسرت القيود التي كانت مفروضة قبل سنوات، من خلال القنوات الفضائية والمواقع الالكترونية و التي أصلت لحقيقة أن الصورة لم تعد حكرا على أحد بل بات أبسط فرد يمكن أن يشارك في صناعة الحدث و توصيل "الخبر" أو بصيغة أدق أن أبسط مواطن تحول إلى صحفي أو رجل إعلامي².

من خلال هذا الإجماع (أو شبه إجماع) ما يهمننا هنا التغيير الذي حدث في هذه البلدان عن طريق إسهامات وسائل الاتصال و بالتحديد و لغرض منهجي وسائل الإعلام الجديد، و بالتالي تأتي هذه الورقة البحثية لرصد آلية هذا التغيير من خلال التحليل السوسيو-اتصالي لهذه الثورات. و باعتبار أن الظاهرة الثورية ظاهرة اجتماعية، إن صح ذلك، كانت أقرب نظرية قادرة على تفسير الثورات العربية، نظرية الصراع ل"كارل ماركس" التي استنبطها من "هيجل".

و منه نطرح بعض التساؤلات كما يلي:

ما مدى توافق المقاربة الماركسية للتغيير العربي المتجسد في الثورات العربية؟ ثم الدور الذي لعبه الاتصال في هذا التغيير عن طريق التحليل الوظيفي لوسائل الإعلام الجديد؟.

المبحث الأول: التحليل السوسيوولوجي للثورات العربية.

أولا: الحتمية المادية عند "ماركس" و الواقع العربي.

تقوم نظرية التغيير الاجتماعي عند "كارل ماركس"، على فرضية أساسية و هي الحتمية الاقتصادية و الصراع، و هما المحور الأساسي لبناء المجتمع و تطوره. و يقول "كارل ماركس" بأن الطبقات هي التي تشرح البنية الاجتماعية للمجتمع و أن هذا التقسيم لا يتم على أساس قانوني أو أساس ديني بل على أساس امتلاك وسائل الإنتاج و السلطة، و يقسم المجتمع إلى



¹ عبد الحليم موساوي، التعاطي الإعلامي مع الثورات العربية (قراءة في التحديات المهنية والأخلاقية)، مجلة دراسات و أبحاث، العدد الأول، منشورات دار الحكمة، الجزائر، 2012، ص 115.

² عبد الحليم موساوي، مرجع سبق ذكره، ص 115.

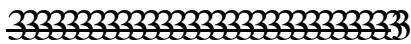
طبقتين: البروليتاريا و البرجوازية¹. و يعتقد "ماركس" أن القوى الإنتاجية في المجتمع تدخل في مرحلة من تطورها، في صراع، مع علاقات الملكية و مع الإطار الاجتماعي و السياسي القائم، و عندما تصبح علاقات الملكية معوقة للإنتاج، تحدث أزمة و تبدأ حقبة من الثورات الاجتماعية و لا تستطيع الطبقات الحاكمة، و لا تريد الطبقات المستغلة أن تعيشا معا في ظل الشروط القائمة، و هذا التناقض بين الطبقات هو الذي يفضي إلى التغير عن طريق ثورة عنيفة². و بالتالي فإن التغير الاجتماعي يتم في إطار جدلي وفق ثلاث مراحل: مرحلة الإثبات، مرحلة النفي، مرحلة الأضداد.

إن تشرح البنية الاجتماعية ل"ماركس"، لا يختلف عن تقسيم السيد "رالف دراندروف"³ حيث قسم المجتمع إلى طبقتين و فسرها من خلال توزيع السلطة وفق ثنائية (حاكم/محكوم) و التي تفسر الطبقة في المجتمع العربي بشكل أكثر وضوحا و المتكونة من :

الحكام: و هم شاغلي السيطرة الايجابية يصدرن الأوامر و يتحكمون في أفعال الآخرين و المتمثلة بالرئيس و الحكومة.

المحكوم: و هم شاغلي أدوار السيطرة السلبية أفراد يطيعون الأوامر و يتركون الحكم للآخرين. و هي الشعوب. و يتجلى هذا خاصة في المجتمع المصري حيث توجد فئتين فئة الرئيس و عائلته و حكومته التي وظيفتها الظاهرة تتمثل في خدمة الفئة الثانية و هي الشعب، و لكن كما يقول "ماركس" في البيان الشيوعي: "إن الحكومة ليست سوى هيئة تشرف على إدارة المصالح العامة للطبقة البرجوازية"⁴. و تلكم هي الوظيفة الكامنة.

إن تقسيم كل من "ماركس" و "دراندروف" للمجتمع ينطبق على المجتمع العربي بالرغم من الفروقات الجوهرية لطبيعة المجتمعات. حيث أن الباحث الاجتماعي "أحمد موسى بدوي" في كتابه "تحولات الطبقة الوسطى في الوطن العربي"⁵ يقسم المجتمع العربي إلى ست طبقات أساسية: الطبقة المركزية المتحكمة، و الطبقة الوسطى المنتفذة، و الطبقة الوسطى المستقرة، و الطبقة الوسطى الفقيرة، الطبقة العاملة و الفئات اللاطبقية الكادحة. إلا أن الباحث يرى أن هذه الطبقات و في لحظة حاسمة من عام 2011 أصبحت تندرج تحت طبقتين و هما: الأولى الطبقة المركزية المتحكمة و الطبقة الوسطى المنتفذة. و الثانية الطبقة



¹ خيرة لكل، الثورات العربية برؤية ماركسية، مجلة دراسات و أبحاث، مرجع سبق ذكره، ص 19.

² عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، 1979، ص 1871.

³ خيرة لكل، مرجع سبق ذكره، ص 20.

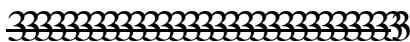
⁴ حسن ملحم، التحليل الاجتماعي للسلطة، منشورات دحلب، بوزريعة، الجزائر، ص 80.

⁵ محمد حمامي، الطبقة الوسطى تتأكل في فوضى الربيع العربي، جريدة العرب، العدد 9475، بتاريخ 20/02/2014.

الوسطى الفقيرة و الطبقة العاملة و اللاطبقية الكادحة ثم انضمت الطبقة الوسطى المستقرة، و العامل الأساسي و الذي لا يمكن الاختلاف عليه في هذا الاتحاد بين هذه الطبقات سواء في المجتمعات العربية أو غير العربية و الذي أدى إلى نقطة اللارجوع و المطالبة بل و المشاركة بالتغيير سواء بالسلم أو العنف، هو حسب "كارل ماركس" العامل المادي أو الاقتصادي، بالرغم من النقد الموجه إلى الحتمية المادية، إلا أن ذلك لم يمنع من أن جل الباحثين و الخبراء قد اتفقت آرائهم حول الدافع المادي لقيام هذه المجتمعات بالثورات، كما ركزت الأبحاث المتعلقة بالعملة¹، على موضوعين رئيسيين حيث أنهما يؤثران مباشرة على ظاهرة و مستقبل الثورات و هما: النقاش حول مدى الفقر في العالم و درجة مساهمة العملة في خفض الفقر و عدم المساواة أو تفاقمها في أنحاء العالم في العقد الأخير أو ما شابه، و النقاش الثاني البحث عن تضائل أهمية الدولة_الأمة. و ما يهمننا هنا هو مدى الفقر في العالم و بصفة خاصة في المجتمعات العربية و ليس علاقة العملة بالفقر و عدم المساواة لأن المسألة معقدة و متنازع عليها بالفعل. إنه من الواضح أن العلاقات بين الشمال و الجنوب هرمية و غير متساوية إلى حد كبير و هذا يرجع بالدرجة الأولى لطبيعة النظام الاقتصادي. يقول "روبن هانل": "...لكل دولة صناعية حديثة برزت عشر دول متأخرة خلال مرحلة الازدهار النيوليبرالية. لكل مستفيد ثري من عملية ارتفاع الأسهم و حصص الأرباح و الرواتب العالية، هناك 10 ضحايا لانخفاض الأجور و أمان العمل و خسارة المنافع..."². و قد عبر عن ذلك "تشوسودوفسكي" عام 1998 بالقول: "ستعرف أواخر القرن العشرين في التاريخ العالمي بمرحلة زيادة الفقر الشامل"³.

أما بالنسبة للأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في العالم العربي، فهي ترجع إلى أن البلدان العربية في مجملها تندرج تحت مجموعة الدول الريعية، و يعرف الفكر الاقتصادي الربيع بأنه "المردود لملكية الموارد الطبيعية و لكل ما يتعلق بجميع الموارد التي لم تكن من صنع الإنسان كالمناخ، و الموقع الجغرافي الذي يأخذ في كثير من الأحيان بعدا استراتيجيا. كما هو الحال في معظم دول الوطن العربي"⁴.

لقد مكن التدفق الريعي الحكومات المعنية (العربية)، من انتهاج سياسة الإصلاح الاقتصادي التي روجتها مؤسسات صندوق النقد الدولي و البنك الدولي، الذي اعتمد من تسعينيات القرن الماضي، حتى تتجنب العلاقة التصادمية الطبيعية بين المكلفين



¹ جون فوران، مستقبل الثورات، ط 1، ترجمة: تانيا بشارة، الأبيار، الجزائر، 2007، ص 1.15

² نفس المرجع، ص 1.15

³ نفس المرجع، ص 1.16

⁴ زياد حافظ، أوضاع الأقطار النفطية و غير النفطية، ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006، ص 1.429

والحكومات. وهي عبارة عن خدمات عامة، و إعانات سخية طوال عقود، في مساعدة السكان على الخروج من الفقر و زيادة الرفاه الاقتصادي، و توسيع حجم الطبقة الوسطى، و كل هذا عن طريق توزيع الربح الذي يشكل أكثر من 95% من واردات التصدير. وبالتالي فإن السمة الأساسية لهذه الدول هي توزيع الربح، وفقا لمعايير أساسية اجتماعية محددة¹. وبالفعل أدت التحسينات الكبيرة التي أجريت في مجالي الصحة و التعليم إلى زيادة التحصيل العلمي لشريحة كبيرة من الطبقة الوسطى، كما ضمنت سياسات الدولة فرص العمل للمتخرجين من الجامعات و المدارس الثانوية². إلا إن هذه السياسة المتهجة و المقايضة السلطوية لم تكن لتستمر طويلا، و عجزت عن تحقيق معدلات نمو مرضية، بالرغم من الإمكانيات الهائلة، مما جعلها تتخلف حتى عن منظومة الدول النامية كمجموعة. و تشير الدراسات أن الفقر في الوطن العربي، يزداد منذ الثمانينات و لا ينخفض، و يعيش حاليا 65 مليون نسمة و يشكلون نحو 20% من السكان في فقر مدقع، بمعدل إنفاق للفرد يقل عن دولار يوميا. بينما يعيش 150 مليون مواطن عربي يشكلون 52% من السكان بأقل من دولارين إلى أقل من 5 دولارات في اليوم. و مازال هناك واحد من بين 5 من العرب يقل دخلهم عن دولارين في اليوم³. فمثلا في مصر كانت ظاهرة الفقر في الخمسينات ما بين 30 إلى 35% أقل مما هي عليه في السبعينات، و هذا ناتج عن تحول مهم في توزيع الدخل لمصالح الفقراء، و رغم تراجعها نسبيا في الثمانينات، إلا أن الظاهرة عادت إلى الارتفاع من جديد في التسعينات ب 45.8% .

و يشير تقرير الإسكوا لعام 2014 في دراسة "الطبقة الوسطى في البلدان العربية" عن تراجع حجم الطبقة الوسطى في مصر نتيجة لارتفاع نسبة الفقراء و المعرضين للفقر بسبب عمليات النمو الاقتصادي المناهضة للفقراء و الطبقة الوسطى. و بالتالي كان 49% من سكان مصر عام 2011 من الفقراء⁴. و تترتب على هذه النسب عدة مشكلات أخرى، منها ظاهرة تشغيل الأطفال دون سن 15. و بالرغم من نجاح 9 أقطار في القضاء على هذه الظاهرة، و لكن لا يزال معدل تشغيلهم مرتفعا في السودان 28%، موريتانيا ب 23%، اليمن ب 19%، كما توقع تقرير التنمية الإنسانية العربية عام 2002 باستمرار أزمة البطالة



¹ نفس المرجع، ص 1.432.

² الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية و الاجتماعية لغربي آسيا، الطبقة الوسطى في البلدان العربية قياسها و دورها في التغيير، بيروت، لبنان، 2014، ص 1.14.

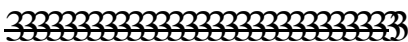
³ محمد إبراهيم منصور، تداعيات الزيادة السكانية في الوطن العربي و تأثيره على آليات الرفاهية الاجتماعية، ندوة الرفاهية الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 1.469.

⁴ الأمم المتحدة، مرجع سبق ذكره، ص 1.56.

في الوطن العربي باعتبارها من المشكلات الاقتصادية المزمنة، و باعتراف نفس التقرير أن هناك 65 مليون عربي أميا ثلثهم من النساء، و ليس من المتوقع أن تحل هذه المعضلة قبل ربع قرن على الأقل¹.

ثانياً: تزييف الوعي و صحوة الوعي الاجتماعي العربي.

إن سياسة الإصلاح الاقتصادي العربي، أو المقايضة السياسية، القائمة على توزيع الربح، الذي يخدم مصالح النظام السياسي القائم، و ليس لتحقيق عقد اجتماعي بين الدولة و المجتمع، تعتبر من بين الوسائل و السياسات العديدة التي ساهمت في تزييف الوعي لدى المواطن العربي لبقاء الوضع على ما هو عليه. و يعرفه "كارل ماركس" بأنه الوعي الناتج عن إدراك الطبقة الحاكمة من الرؤساء الذين يملكون السلطة و يديرون قوى الإنتاج و العمل إدراك عقلاني بالعلاقات في أهدافهم المختلفة و وسائل تحقيقها و المهين عليهم و المقصود هنا هم الشعوب الذين لا يملكون مثل هذا الإدراك². و لوعي الطبقة الحاكمة لأهدافها سعت دائماً إلى إبقاء الفرد محتكراً في البحث عن اكتفاء الذات بيولوجياً و إبقاءه في أدنى هرم ماسلو للحاجات. كما جوهر الدولة البرجوازية هو نتيجة لانقلاب يحول بشراً واقعيين، يكونون هم أنفسهم منقسمين إلى أغنياء و فقراء، مالكين و غير مالكين، برجوازيين و بروليتاريين إلى متحد وهي يتكون من "مواطنين" متساوين شكلياً، و بالتالي فهي أي الدولة البرجوازية، قبل كل شيء، تصوراً مخادعاً للمجتمع، مخصصاً لإخفاء التناقض الداخلي فيها، و الذي يتحقق في أشكال الحق "العام"³. و بالتالي كان اهتمام الأنظمة العربية الأساسي هو حماية النظام القائم و المستفيدين منه أكثر من تحقيق رؤية سياسية اجتماعية متكاملة. فالمهم هو توزيع ما يمكن توزيعه من الربح، من دون المساس بأمن النظام و مصالح النخب النافذة، و التخلص من المساءلة. ففي نظر النخب الحاكمة، أن توزيع الربح هو من مبادرة الحاكم، و ليس كنتيجة لعقد اجتماعي، و بالتالي سيعنى من المساءلة و المحاسبة⁴. و في هذا الإطار فقد انحسرت وظيفة الدول العربية إلى تأمين الحد الأدنى من الخدمات العامة، و إن كانت بكمية و جودة متفاوتة بين الدول، من دون التركيز على تخفيف الفوارق الاجتماعية.



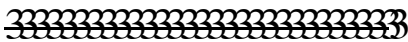
¹ محمد إبراهيم منصور، مرجع سبق ذكره، ص 461.

² خيرة لكحل، مرجع سبق ذكره، ص 21.

³ أندريه توزيل و آخرون، ماركس و فقهه للسياسة، ط 1، ترجمة: جوزيف عبد الله، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1981، ص 104.

⁴ زياد حافظ، مرجع سبق ذكره، ص 410.

و باستمرار الوضع أي زيادة الغني غنى و الفقير فقرا ،ظهرت حالة الاغتراب التي هي نتاج سياسة الدولة فهي نتاجه وصورته،و قد عبر عنه "كارل ماركس" بأنه حالة نفسية يحس بها المهين عليه،و التي كرستها السياسة المتبعة من المالكين¹، كما تناول "ايريك فروم" فكرة الاغتراب من فكرة أخرى هي "الصنمية"،و يشير إلى أن المقصود منه متجاوز للمعنى الديني،المقصود ب"الصنمية" كل ما يصنعه الإنسان من أشياء يركع لها،و يرى أن الأصنام الحديثة يمكن أن تكون الدولة، أو النظام،أو الزعيم،أو النجاح،أو الممتلكات....²، أما "شيلر" فقد تحدث عن الإنسان الحديث،الذي يعاني الغربة و الانفصال في ظل ظروف لا إنسانية،تلك الظروف التي تمخضت بفعل الثورة الصناعية،و أصبحت تمثل تهديدا جسيما للأحوال الإنسانية في أوروبا،إن الإنسان الحديث كما يصوره "شيلر" في رسالته عن "التربية الجمالية" ،هو إنسان ممزق، انفصلت لديه المتعة عن العمل، و الوسيلة عن الغاية ،و الجهد عن العائد³،بين الشعوب و الحكام،بين المواطن و وطنه،فالمواطن المصري و التونسي و اليمني و الليبي وجد أنه ينتمي إلى دولته و لكن لا يمكن أن يشارك في صياغة قوانينها،فالرؤساء يتغنون بالمواطنة و الشعوب محرومة منها،أضف إلى أن العامل العربي أصبح يشعر بأنه مجرد مسير أو مستخدم لآله الإنتاج من أجل غيره فهو لا يضيف على عملية الإنتاج و لا على السلطة الخاضع لها أي بعد إنساني و بالتالي أصبحت العلاقات رسمية إن هذا العامل الذي يعمل لفترات طويلة من أجل وطنه في النهاية لا تستطيع دولته من توفير أدنى متطلبات الحياة من أكل و صحة و تعليم و سكن،ففي مصر وصلت نسبة الأمية إلى 29% بما يعادل 17مليون مصري تتراوح أعمارهم بين 15-45سنة⁴.و تضطر الكثير من العائلات إلى توقيف أطفالهم عن التعليم بعد سن العاشرة لإلحاقهم بسوق العمل بسبب العجز إن هذا الوضع يزيد من الشعور بالاغتراب، و كلما يزيد هذا الشعور و تزداد درجة الاغتراب و تتفاقم إلى حد وصوله إلى الذروة حيث يسمح بتبدد الوعي الزائف و يشعر المواطن بحقيقة الوضع و بالتناقضات التي يعيشها،فمن جهة يتخبط هذا المواطن العربي في مشاكل تحصيل لقمة العيش،و من جهة أخرى يشاهد و يسمع مثلا عن إهدار المال العام،فقد شهدت مصر 63369 قضية فساد سنة 2002،توزعت بين المصالح و الوزارات،بمعدل قضية فساد كل دقيقتين.و في عام 2002 أعلن



¹ خيرة لكحل،مرجع سبق ذكره،ص22.

² حسن حاد،الإنسان المغرب عند إريك فروم،مكتبة دار الحكمة،القاهرة،مصر،2005،ص1.60.

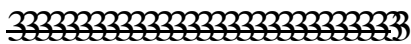
³ نفس المرجع،ص1.75.

⁴ خيرة لكحل،مرجع سبق ذكره،ص23.

مجلس المحاسبة المصري عن 36269 قضية فساد إداري و مالي مست كل أوجه الحياة الإدارية و القضائية و المجموعات المحلية. كما قدرت قضايا الفساد، للإضرار بالمال العام اليمني عام 2003 ب 11.9 مليار ريال و 12.5 مليون دولار¹.

و مسألة اختلاس 26 مليار في نهاية الثمانينات بالجزائر²، أو 500 مليون أورو التي تغادر الجزائر سنويا. ففي الوقت التي تصنف الأمم المتحدة الجزائر عام 1960 بين الدول الغنية، إلا أنه في عام 2001 ينحدر مؤشر التنمية فيها 0.69%.

و لما يدرك المواطنون حقيقة الوضع يحصل عندهم ما أسماه "ماركس" بالوعي الاجتماعي. هذا الوعي الطبقي الذي يتعارض مع سياسية الاعتزاز هي سياسة ثورية تتأثر مع امتلاك الوعي و آثاره، كما أنه يعبر عن الانتقال من "الطبقة في ذاتها" إلى الطبقة من أجل ذاتها" ، و بالتالي فالوعي الطبقي هو عملية فكرية. إنه قبل كل شيء سيرورة تطور عملي. إنه المحصلة والتكامل التدريجي لجميع الممارسات التوحيدية و التنظيمية للشغيلة، في مجرى نضالاتهم ضد الاستغلال³. وفي هذا الصدد يقول "ماركس": "وعي البشر ليس هو الذي يحدد وجودهم إنما على العكس فإن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم". وهو ما تشهد الشعوب العربية من وعي اجتماعي عبر عنه "كاي بيرد": "يشهد هذا العام صحوة ثورية في العالم العربي وتغير نرحب به، لسنوات ظلت الهوية العربية تقتصر على الهزيمة و الظلم و العجز، و ظلت الهوية العربية مصابة بعقدة النقص وكأنها لم تنته"⁴. و بالتالي زاد الوعي الاجتماعي للطبقة المحكومة، و أصبحت سياسات الطبقة الحاكمة غير مرضية لأهداف الوعي الاجتماعي المتزايد، و رأت هذه الشعوب الحل الأكثر مثالية لدى "ماركس" على الأقل و هو الثورة. حيث يقول "هيجل": "إن هذا النقد يفضي إلى أمر مطلق القائل بالإطاحة بكل الأوضاع التي تجعل من الإنسان موجودا ضعيفا ومستعبدا ومستغلا"⁵. إن هذه الثورات العربية و ما سبقها من وعي اجتماعي الملايين من المواطنين، حيث بلغ سكان الوطن العربي في عام 2002 حوالي 294 مليون نسمة و هم يشكلون في نفس العام 5% من سكان العالم⁶، قد سبقتها حسب الدراسات ثورة أخرى، أدت إلى انكماش الوطن العربي جغرافيا و عمليا، و تشكيل لوعي اجتماعي ثوري عربي، هي الثورة



¹ راضية بوزيان، النحول الاقتصادي و السيادة الشعبية في العالم العربي: بين الوهم والواقع (تجربة الجزائر)، مجلة دراسات و أبحاث، مرجع سبق ذكره، ص 1.53.

² نفس المرجع، ص 1.53.

³ أندريه توزيل و آخرون، مرجع سبق ذكره، ص 1.105.

⁴ خيرة لكحل، مرجع سبق ذكره، ص 1.24.

⁵ نفس المرجع، ص 1.25.

⁶ محمد إبراهيم منصور، مرجع سبق ذكره، ص 1.455.

الإعلامية التي ألغت الحدود الزمانية و المكانية، و وقع في شبكتها تلك الملايين المتفرقة، و أصبحت في بوتقة واحدة هو عالم الإعلام الجديد أو العالم الافتراضي.

المبحث الثاني: السوسيولوجيا الوظيفية لوسائل الاتصال.

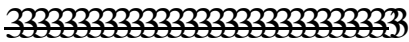
أولاً: الإعلام التقليدي.. و السلطة الرابعة.

دخلت وسائل الإعلام الجماهيرية في العالم العربي قبل أكثر من قرنين من الزمان، و رغم تنوع و تعدد وسائل الإعلام في العالم العربي (الفضاءات المغلقة)، و التطور الكبير الذي شهدته خلال القرن العشرين، إلا أن هناك عوامل كثيرة ساهمت في وأد حلم الممارسة الحرة، حتى أصبح الإعلام العربي في كل قطر هو إعلام الصوت الواحد. و على النقيض نجد في الفضاءات المفتوحة، نفس الوسائل و لكن بممارسة أكثر حرية، مستمدة قوتها من الشرعية التي امتلكتها باعتبارها سلطة رابعة مهمتها مراقبة باقي السلطات التشريعية و التنفيذية و القضائية، القائمة على مبدأ الفصل في السلطات و لولا هذا الفصل ما كان لوظيفة الرقابة لوسائل الإعلام أي معنى.

إن مفهوم السلطة الرابعة، اخترعه burke عام 1787م، للدلالة إلى التأثير البارز الذي تحدثه وسائل الإعلام في المجتمع، و بالأخص في المجتمعات التي أرست قواعدها على فلسفة "مونتسكيو" و "لوك" -أي الفضاءات المفتوحة-، و المقترنة بحزمة من الحريات و ردت في أكثر من إعلان لحقوق الإنسان، نجد أبرزها في إعلان حقوق الإنسان و المواطن المنبثق عن الثورة الفرنسية، و في إعلان الحقوق الأساسية لولاية فرجينيا، حيث يعتبر الإعلان حرية الصحافة إحدى أكبر معاقل الحريات في المجتمع، ثم بعد ذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان¹.

و بالتالي فإن هذه السلطة تستمد سلطتها الفعلية بحد ذاتها من هامش الحرية المتوفر لها، هامش يسمح لها بالمتابعة و المراقبة و التوجيه و التأثير في القوى المسيطرة في المجتمع. لأن موضوع السلطة الرابعة يتمثل في وجود قوة مضادة ضد القوى السياسية و الاقتصادية و الثقافية المهيمنة.

و هكذا أصبح الإعلام الآلية التي تحدث من خلاله التوازن بين القوى السياسية و الاقتصادية و الثقافية.

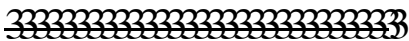


¹ عبد الله الزين الحيدري، الفضاء العمومي الجديد للسلطة الخامسة، المجلة العربية للإعلام و الاتصال، العدد 12، الجمعية السعودية للإعلام و الاتصال، 2014، ص 95.

و من أبرز و أشهر القضايا التي أدى فيها الإعلام دور المراقب لميزان القوى السياسية، نجد "قضية ووترغيت"، حيث كشف الإعلام عن وجود عملية تجسس كان يديرها الرئيس الأمريكي السابق "ريتشارد نيكسون"، لحساب حملته الانتخابية، أثناء معركة تجديد الرئاسة، مما اضطر إلى الاستقالة من رئاسة الولايات المتحدة. و في هذا الصدد قال "ديف جيرجن"¹ و هو مسئول سابق عن العلاقات العامة في البيت الأبيض: "منذ 15 عاما كان مساعدو الرئيس، لا يتخرجون من كتابة تقارير صريحة و التعبير عن اختلافهم مع زملائهم-أو مع الرئيس-حول موضوعات مهمة، و لكن بعد "فضيحة ووترغيت" اختفى ذلك، فسرعان ما تعلم الجميع ألا يكتبوا ما لا يحبون أن يجدوه في الصفحة الأولى من جريدة البوست... و أصبح الشعار: "لا تقولوا شيئا مثيرا للجدل أو اللبس في وجود أكثر من شخص واحدا".

لقد أتاحت فضيحة "ريكرت-كوزموس" المالية، التي أدت في عام 1989 إلى سقوط رئيس الوزراء الياباني "نوبورو تاكيشيتا"، إلى تأكيد دور الصحفيين و ذلك باعتراف "تاكاشي كاوما" و هو مؤلف لعدة كتب عن الفساد في اليابان بقوله: "إنني واثق أن التحقيق كان سيتوقف لولا المعلومات التي تم تسريبها إلى الصحافة"². و هناك قضايا عديدة لعبت فيها الصحافة أدوارا كبيرة، من بريطانيا إلى فرنسا إلى الفيلبين، إيطاليا، الاتحاد السوفيتي سابقا، أزمة الصواريخ بكوبا، الحرب الأمريكية ضد الفيتنام.

إن الانجازات الكبيرة التي حققتها الصحافة الليبرالية، و التي استمدتها كما هو معلوم من هامش الحرية، بقيت الصحافة في المجتمعات المغلقة تناضل من أجل ذلك الهامش من الحرية، ففي الإعلام العربي و الإعلام الرسمي العربي خصوصا، نلمح نماذج متماثلة، و متكررة للمعالجة الإخبارية للواقع السياسي و الاقتصادي و الثقافي العربي، معالجة تفضي إلى إنتاج نموذج في الإدارة السياسية و الاجتماعية، متجسمة في صورة الزعيم السياسي الذي ينبغي الاقتداء بمبادئه و بمنهجه، و هي صورة نموذجية يسعى الإعلام إلى تسويقها باستمرار و ترسيخها في المجتمع على نحو تظل فيه الحياة السياسية محكومة بمقاييس النموذج الذي يصنعه الإعلام. و ليس من مبالغة القول أن أجهزة و مؤسسات الإعلام العربية، حالها كحال السلطة السياسية، قد تم تكميمها و المساومة على حريتها. و من المفارقات التي يمكن أن تسجل في هذا السياق، أن مستوى الأداء الإعلامي في الوطن العربي الذي شهد تطورا واسعا بعد انتشار البث التلفزيوني المحلي و الفضائية، و تنوع شكل التواصل و فوريته، كان يتراجع في إطار



¹ ألفين توفلر، تحول السلطة، ج 2، ترجمة: لبنى الريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 1.41

² ألفين توفلر، مرجع سبق ذكره، ص 1.39

التعبير عن حاجيات المواطن العربي للإصلاح و التغيير، بل تعدى ذلك إلى مساهمتها بشكل أو بآخر، في تكريس واقع التشرذم و التفكك و تسويق القيم السلبية للحياة إن مساومة الإعلام العربي مع النظام القائم، أدى إلى أزمة الثقة و الخوف بين المتلقي و المرسل¹.

ثانيا:الإعلام الجديد..و السلطة الخامسة.

يشهد العالم اليوم تحولات و تغيرات بنبوية مهمة في خريطة الإعلام العالمي و العربية، و مما لاشك فيه أن العامل الرئيسي لمجمل التغيرات الاجتماعية-و الإعلام جزء منه- هو عامل التقنية، فمن خلال الاندماج بين تكنولوجيا الحاسبات و تكنولوجيا الاتصال في نهاية القرن العشرين، شهد العالم ميلاد شبكة المعلومات الدولية "الانترنت" أو شبكة الشبكات.

وكلما حدث تطور مثير في تكنولوجيا الاتصال يحدث هزة ثقافية خاصة، و تضفي هذه الثقافة الخاصة و الجديدة قوة و سلطة جديدة لنظام أو طبقة جديدة، فإكتشاف الكتابة أوجد لغة الرموز، و إكتشاف الإذاعة، و التلفاز أدخل ثقافة سمعية بصرية، في ظل هذه الإكتشافات الهامة، لقد أدى الإعلام وظائف متعددة في المنظومة المشهدية (الإذاعة والتلفزيون، السينما، الصحافة)، وخاصة في الأنظمة المفتوحة، متمثلة في وظيفة المراقبة التي أشرنا إليها سابقا، مما أضفى عليها شرعية جديدة وبالتالي ظهرت سلطة جديدة، أطلق عليها السلطة الرابعة.

إن مفهوم السلطة الرابعة الذي ارتبط بالمنظومة المشهدية، يتخبط اليوم في ظل منظومة جديدة، هي المنظومة التفاعلية الالكترونية، أو ما يسمى الاتصال الشبكي، الذي حقق مجالا شبكيا يتحول فيه المرء ما بين موقعي الإرسال و التلقي، و تنصهر بداخله العوالم الفردية، و تمثل فيه "شبكة الويب" فضاء جماعيا يشترك فيه المستخدمون في إنتاجه، و هو بهذا المعنى يمكن النظر إليه على انه نموذج تواصل جديد، لا يتعلق بعملية بث مركزية، لقد أحدثت الانترنت، بوصفها العنصر الرئيس في هذه المنظومة، تغيرات بنبوية أخرى و جديدة في خريطة الإعلام بشكل عام، و فصح المجال بقيام تعددية إعلامية افتراضية².



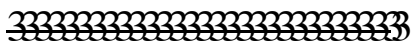
¹فايزة بخلف، الثورات العربية بين مسوغات الإعلام التقليدي و سلطة الاتصال الشبكي، مجلة دراسات و أبحاث، مرجع سبق ذكره، ص 168.

²انتصار إبراهيم عبد الرزاق، صفد حسام الساموك، الإعلام الجديد، ط1، الدار الجامعية للطباعة و النشر و الترجمة، جامعة بغداد، العراق، 2011، ص 124.

¹ ويرى "بيار ليتي" أن انبثاق المنظومة التفاعلية الالكترونية يعني نهاية الجمهور و ولادة الذات الجماعية، وهذا هو الحل البديل لمجتمع المشهد، ولا يهم إن كانت هذه المضامين علامات أو أيقونات أو رموز.²

لقد مهدت الشبكة العنكبوتية بخصائصها و خدماتها، وخاصة أنها الأقل تكلفة من بين وسائل الاتصال الأخرى، لظهور أنماط جديدة من العلاقات و المعاملات، و فتحت فضاءات أخرى للتعبير، حيث كان التواصل العمومي يقتصر على النخب السياسية و الثقافية من أحزاب و جمعيات و غيرها. كما أن ما يميز هذا التواصل الافتراضي لا يتعلق بما يسمى "الكثرة المعلوماتية"، و لكن بتعميم القدرة على الكلام للأفراد، و بهذا تشكل فضاء عمومي أكثر انفتاحاً.³

لقد عرف الاتصال الشبكي رواجاً كبيراً في السنوات الأخيرة بين مستخدمي الانترنت، حيث تزايد عددهم عالمياً بمعدل 20% سنوياً، و هو في ازدياد مستمر⁴. إن هذا الارتفاع في عدد المستخدمين، يرجع لظهور الجيل الثاني من تطبيقات الويب "WEB2.0"، حيث يعد أهم التطورات التي أضفت للشبكة أشكالاً تواصلية جديدة، خاصة النشر الإلكتروني (المدونات الإلكترونية، مواقع التواصل الاجتماعي)، و سهولة إنشائها و التعامل معها، فكل فرد غير ملم بالبرمجة، بإمكانه أن ينشئ مدونة له أو موقع اجتماعي من "الفايسبوك" أو "تويتر"، في وقت قصير و بدون تكلفة⁵. لقد أدى النشر الإلكتروني إلى تشكيل فضاء عمومي جديد، أدى بالمقابل إلى خلخلة منظومة القواعد و النصوص التي قام عليها الإعلام التقليدي كسلطة رابعة، تمارس نفوذها على حركة التغيير في المجتمع. فمن كانوا يمثلون القاعدة الأساسية للسلطة الرابعة، أي أفراد المجتمع الجماهيري، هم أنفسهم اليوم في الوسط السيرياني، يمثلون السلطة الخامسة (صحافة المواطن). وهذه الأخيرة ليست ضد السلطة السابقة-الرابعة-، مجرد أنها هدم للقواعد الإعلامية و الصحفية الكبرى، التي ظل يعمل بها الإعلام الجماهيري على امتداد أكثر من قرن. و ليست كذلك امتداداً له في المقابل، و ليست في آخر الأمر نهاية السلطة الرابعة، إنما هي أسلوب



¹ نفس المرجع، ص 24.

² نفس المرجع، ص 24.

³ نفس المرجع، ص 25.

⁴ سوهيلة بضياف، المدونات الإلكترونية في الجزائر (دراسة في الاستخدامات و الاشباعات)، رسالة ماجستير، قسم علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009.

1.7، ص 2010.

⁵ عبد الله الزين الحيدري، مرجع سبق ذكره، ص 122.

جديد لبناء الواقع الاجتماعي خارج القوالب الميديا تيكية المهيمنة و الضوابط المعتمدة في صناعة المعنى. لقد تجلت السلطة الخامسة، بمثابة القدرة العامة على بناء الواقع، من خلال إعادة إنتاج الايدولوجيا السائدة في المجتمع¹.

و لقد ظهرت قوة وسائل الإعلام الاجتماعية في 17 يناير 2001، لدى بحث قضية تنحية الرئيس الفليبي "جوزيف استرادا"، حيث صوت الموالبون له في الكونغرس الفليبي لصالح تجاهل أدلة ضده، و في أقل من ساعتين وزعت رسائل نصية تقول: اذهب "استرادا"، و قد جرى توزيع سبعة ملايين رسالة نصية، و بحلول 20 يناير، نحي "استرادا عن الحكم. وشكلت هذه الحادثة أول سابقة تتمكن فيها وسائل الإعلام الاجتماعي على المساعدة على إجبار زعيم دولة على ترك الحكم².

و في إسبانيا عام 2004، أفضت المظاهرات التي نُظمت بواسطة الرسائل النصية إلى إسقاط رئيس الوزراء الإسباني "خوسيه ماريا أزنانر"، و نُظمت احتجاجات ضد قوانين التعليم في تشيلي في عام 2006، و احتجاجات اللحم المقلب في كوريا الجنوبية في عام 2008، و فقد الحزب الشيوعي السلطة في مولدوفا في عام 2009، عندما انفجرت المظاهرات بعد انتخابات مزورة بشكل واضح، و استُخدمت وسائل الإعلام الجديد في كثير من حركات الاحتجاج³، بما فيها ضد الحراس السيخ في الهند في عام 2009، و خلال انتفاضة «الحركة الخضراء» في إيران عام 2009، استخدم الناشطون، كل وسيلة تنسيق تقنية ممكنة، من أجل الاحتجاج على إساءة إحصاء الأصوات، التي أيدت "حسين موسوي"، لكنه جرى إجبارهم على الركوع في النهاية بسبب القمع العنيف، و في تايلاند اتبعت حركة «القميص الأحمر» في عام 2010.

إن هذه الاحتجاجات التي فجرتها وسائل الإعلام الاجتماعي، في مناطق متفرقة من العالم، ألقَت بصددها إلى العالم العربي، ففي تونس، يوجد أكثر من مليون مستخدم للانترنت، حيث سمح الفضاء الافتراضي لهم، و خاصة من موقع "فيسبوك" بتجاوز خطاب الأحزاب المعارضة و قفز بالحركات الشعبية إلى مرحلة متقدمة من التخطيط أنضجت "ثورة الياسمين"⁴.



¹ ياسر النير، الإعلام الاجتماعي المؤثر، <http://www.islamweb.net/ramadan/index.php?page=article&lang=A&id=181867> أطلع عليه بتاريخ: 30-12-2015

² نفس الموقع.

³ نفس الموقع.

⁴ نفس الموقع.

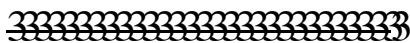
و بهذا شهد موقع "الفييسوك" في الحالة التونسية، تحولا في وظيفته من موقع اجتماعي إلى سلطة خامسة. بعد أن تحولت فيه كل الذوات إلى ذات جماعية، و تشكل وعي اجتماعي، مضاد لحالة الاغتراب، التي ساهمت فيها السياسة العامة للدولة بصفة عامة، و سياسة التعتيم الإعلامي بصفة خاصة.

وما حدث في تونس، كسر حاجز الخوف و الصمت، في المجتمعات العربية، ففي مصر، حيث يوجد أكثر من 16 مليون مستخدم للانترنت، و يعتبر موقع "الفييسوك"، أحد المواقع الرئيسية التي ساهمت في اندلاع ثورة 25 يناير المصرية، وكان لصفحة "كلنا خالد سعيد"، و الذي قام بإنشائها الناشطون "وائل غنيم و عبد الرحمن منصور" منذ أكثر من عام، و بخاصة بعد حادث مقتل الشاب "خالد سعيد" مباشرة، و الذي قتل في الإسكندرية في 2010، بعد تعذيبه حتى الموت على أيدي مخبري شرطة قسم "سيدي جابر"، مما أثار احتجاجات واسعة، مثلت بدورها تمهيدا لإطلاق الشرارة الأولى للثورة المصرية. كما زاد عرض مقاطع الفيديو المشجعة للثورة، خاصة من خلال موقع "اليوتيوب"، الذي لعب دورا في التأثير على الرأي العام القومي و العالمي، خاصة أثناء الثورة المصرية، من خلال عرض الواقع المرير الذي يعيشه الشعب، بالمقابل إبراز مساوئ الحكام العرب¹.

كما أطلق الناشطون في سوريا صفحة "الثورة السورية ضد بشار الأسد"، حيث تم تجميع عشرون مليون توقيع لإعلان العصيان المدني في سوريا. و في المغرب أيضا، ظهرت صفحة "صرخة المغرب الأقصى 20 مارس"، كما ظهرت مؤخرا قناة إخبارية على "اليوتيوب" تسمى "قناة الثورات العربية"، بلغ عدد مشاهديها أكثر من مليون و نصف مشاهدا².

خاتمة:

ومن خلال ما سبق وبتحرر الوسيلة الإعلامية بفضل العامل التقني، من أيدي الحكام و الموالين لهم، و من أيدي تجار القطاع، شهدنا تعددية إعلامية، أكثر حرية، حيث كان النضال و لعقود طويلة من أجل هذه الحرية، و طالما انبثقت قوانين و مراسيم من أجل هامش معين من الحرية، و اليوم يمارس هذه الحرية كل أطراف المجتمع، و بالتالي تحررت الرسالة، التي سعت في البداية إلى المستور، و إظهار الفوارق بين الحكام و المحكومين، و بالتالي إلى تكوين وعي اجتماعي، يعرف ما له حقوق و ما عليه من واجبات، في ظل هويات جديدة أو بما يعرف الهوية الافتراضية، تلك الهوية التي بلورتها وسائل الإعلام



¹ نفس الموقع.
² نفس الموقع.

الجديد، خاصة من خلال الأنترنت التي وفرت بواسطة مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات الالكترونية، فضاء جديد مختلف تماما عما ساد سابقا، حيث ساهم هذا الفضاء العمومي الجديد، الذي تشارك فيه مختلف الفئات، في إعادة النظر إلى الواقع الاجتماعي، وهكذا تمثل جوهر الرسالة في تأمين العدالة الاجتماعية، من خلال المطالبة بالتغيير لاستعادة ما هو بالأصل مشروع وحق لها، بالسلم أو بالعنف.

المراجع و المصادر:

- 1-عبد الحلیم موساوي،التعاطي الإعلامي مع الثورات العربية(قراءة في التحديات المهنية و الأخلاقية)،مجلة دراسات و أبحاث،العدد الأول،منشورات دار الحكمة،الجزائر،2012.
- 2- خيرة لكحل،الثورات العربية برؤية ماركسية، مجلة دراسات و أبحاث،العدد الأول،منشورات دار الحكمة،الجزائر،2012.
- 3- عبد الوهاب الكيالي،الموسوعة السياسية،الجزء الأول،المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت،لبنان،1979 .
- 4- حسن ملحم،التحليل الاجتماعي للسلطة،منشورات دحلب،بوزريعة،الجزائر.
- 5- محمد حمامي، الطبقة الوسطى تتآكل في فوضى الربيع العربي،جريدة العرب،العدد9475،بتاريخ 20/02/2014.
- 6- جون فوران،مستقبل الثورات،ط 1،ترجمة:تانيا بشارة،الأبيار،الجزائر،2007 .
- 7- زياد حافظ،أوضاع الأقطار النفطية و غير النفطية،ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية،ط 1،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،لبنان،2006.
- 8- الأمم المتحدة،اللجنة الاقتصادية و الاجتماعية لغربي آسيا،الطبقة الوسطى في البلدان العربية قياسها و دورها في التغيير،بيروت،لبنان،2014.
- 9- محمد إبراهيم منصور،تداعيات الزيادة السكانية في الوطن العربي و تأثيره على آليات الرفاهية الاجتماعية،ندوة الرفاهية الاجتماعية،ط 1،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،لبنان،2006.
- 10- اندريه توزيل و آخرون،ماركس و ثقه للسياسة،ط 1،ترجمة:جوزيف عبد الله،دار التنوير للطباعة و النشر،بيروت،لبنان،1981.
- 11- حسن حجاد،الإنسان المغترب عند إيريك فروم،مكتبة دار الحكمة،القاهرة،مصر،2005.

12- راضية بوزيان، التحول الاقتصادي و السيادة الشعبية في العالم العربي: بين الوهم و الواقع (تجربة الجزائر)، مجلة دراسات و أبحاث، العدد الأول، منشورات دار الحكمة، الجزائر، 2012.

13- عبد الله الزين الحيدري، الفضاء العمومي الجديد للسلطة الخامسة، المجلة العربية للإعلام و الاتصال، العدد 12، الجمعية السعودية للإعلام و الاتصال، 2014.

14- ألفين توفلر، تحول السلطة، ج 2، ترجمة: لبنى الريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.

15- فائزة يخلف، الثورات العربية بين مسوغات الإعلام التقليدي و سلطة الاتصال الشبكي، مجلة دراسات و أبحاث، العدد الأول، منشورات دار الحكمة، الجزائر، 2012.

16- انتصار إبراهيم عبد الرزاق، صفد حسام الساموك، الإعلام الجديد، ط 1، الدار الجامعية للطباعة و النشر و الترجمة، جامعة بغداد، العراق، 2011.

17- سوهيلة بضيف، المدونات الالكترونية في الجزائر (دراسة في الاستخدامات و الاشباع)، رسالة ماجستير، قسم علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009-2010.

18- ياسر النير، الإعلام الاجتماعي المؤثر. أطلع عليه بتاريخ 2015/12/30

<http://www.islamweb.net/ramadan/index.php?page=article&lang=A&id=18867>

د. نادية بن ورقلة. جامعة الجلفة.

ملخص:

تشكل تكنولوجيا الاتصال البنية التحتية لصياغة ونشر ثقافة تفرض قيمها، بهدف ضبط السلوك الإنساني بما يتلاءم مع النظام العالمي الجديد، أي عوامل إنتاج معرفي. وتتجلى الوظيفية أساسا في جانبين الأول إفهام أفراد المجتمع لمهامهم واحتياجاتهم في التربية على الإعداد النفسي للعمل والحركة، كما تقوم بدور خاص في العمليات الاتصالية -السيكولوجية- لتراص ووحدة الذات الاتصالية للنشاط الاتصالي الجماهيري. أما الثاني يتجلى في والذين يقللون من أهمية تلك الوسائل ويرون أنها لا تحدث سوى الصراخ وتكريس ثقافة التحريض والتفكير المسطح يخطئون أيضا في تقدير دور العناصر المحفزة في مساعدة أية عملية تغيير اجتماعي موسعة في الحدوث.

تقديم:

أشارت جين روت في كتابها الموسوم "افتح الصندوق" و الذي يهدف إلى بيان ما تتمتع به وسائل الإعلام من إمكانيات وتأثير، تقول فيه: (لوسائل الإعلام دور في تحديد طريقة تفكيرنا... إنها تعمل على إعطاء صورة مفصلة عن ذاتنا). وإذا أردنا تبين مدى تأثير وسائل الإعلام فإن علينا أن نشخص مثل هذا التأثير ونحدده وفق فهمنا وعلاقة ذلك بالمجتمع وتأثيره الشامل. هذا و يرى علماء الاجتماع أن الاتصال الجماهيري ظاهرة اجتماعية لها دورها في تراس و تماسك المجتمع، كما يرون أن لها دورها في بناء العلاقات الاجتماعية، الشيء الذي يوضح أن المجتمع الإنساني يقوم على مجموعة من العلاقات قوامها وأساسها الاتصال. وأن ما يجمع بين أفراد المجتمع هي حقيقة علاقات الاتصال، التي هي ضرورة من ضرورات صيرورة الحياة الاتصالية. وفي هذا الصدد نجد أحمد بوزيد يعرف الاتصال بأنه: "العملية التي يمكن بمقتضاها تكوين العلاقات بين أعضاء المجتمع بصرف النظر عن حجم المجتمع وطبيعة تكوينه وتبادل الآراء والمعلومات والأفكار فيما بينهم".

هذا ويمكن توضيح العلاقة التي تجمع بين علم الاجتماع والاتصال الجماهيري، في كون علم الاجتماع يقوم بدراسة الظواهر الاتصالية التي تؤثر في وسائل الاتصال داخل البنية الاتصالية، فالعلاقة الأساسية التي تجمع بين علم الاجتماع والاتصال تكمن في أن الاتصال ووسائله عبارة عن ظاهرة من الظواهر الاتصالية، وعلم الاجتماع مسؤول لا محال عن دراستها وتفسيرها.

وفي المحصلة يمكن القول أن الاتصال الجماهيري من حيث مفهومه وأنواعه وأهميته وعلاقته بعلم الاجتماع، يقدم للمجتمع خدمة جليلة، تتمثل في أن الإعلام والاتصال الذي يتزايد تداوله هو الذي يقوم بإحداث التغييرات في المجتمع، فالباحث الاجتماعي لا

يستطيع دراسة الظواهر الاتصالية في غنى عن الاتصال ووسائله. أي أن وسائل الاتصال تستطيع أن تقدم مساهمة كبيرة لعلم الاجتماع في دراسة التغير الاجتماعي. بالإضافة إلى صحة القول، المتضمن: أن علم الاجتماع بحاجة للاتصال حيث تكون العلاقة بينهما علاقة تؤدي إلى الترابط .

يحدد التأثير الاجتماعي في تلك النتيجة الهامة التي تترتب على مرحلتي المواجهة والتبادل. ومعنى ذلك، أن الحديث عن التأثير الاجتماعي يفترض مرحلة أساسية وإستراتيجية، وهي التفاعل الاجتماعي باعتباره يتم بين طرفين أو جماعتين. وبعد هذه المرحلة والعلاقة الاتصالية الضرورية يحصل التأثير الاجتماعي . إذ الأول، هو ذلك الفرد أو تلك الجماعة التي اعتمدت القدرة على إثبات الصواب لديها عن طريق المهارة والبرهان...، في حين أن الثاني، هو ذلك الشخص أو تلك الجماعة المغيرة لسلوكها حيث انبهارها بصواب الطرف الآخر الذي أثر في سلوكها وجعلها تغير موقفها .

وظيفة وأهمية الاتصال الجماهيري بالنسبة إلى المجتمع:

مما لا شك فيه أن وسائل الاتصال الجماهيري تؤدي عدة مهمات ووظائف لا تخفى عنا. وتتجلى بالأساس في إفهام أفراد المجتمع لمهامهم واحتياجاتهم في التربية على الإعداد النفسي للعمل والحركة، كما تقوم بدور خاص في العمليات الاتصالية – السيكولوجية – لتراص ووحدة الذات الاتصالية للنشاط الاتصالي الجماهيري.

وهناك أيضا أهمية بالغة وكبيرة للاتصال الجماهيري بالنسبة إلى المجتمع، حيث لا يختلف اثنان في صعوبة الحديث عن أية عملية اجتماعية تلنج بين الأفراد، وجماعات، ومؤسسات دون قناة ووسيلة للاتصال. إذ لا تصح نماذج العملية الاتصالية في التوافق والاتفاق والتعاون والتخصص والتنقيف دون اتصال.

كما تتجلى أهمية الاتصال الجماهيري، في عدم إمكان تصور علاقات منسجمة، وتفاعلات حقيقية، وأنماط سلوك واعية دون اتصال ودون وجود عمل ووسائل الاتصال. حيث اختفاء الاتصال ووسائله، يعني بالمقابل محو وموت الحياة الاتصالية المعاصرة، وانتفاء لكل أشكال التفاعل الاجتماعي وأنماط السلوك المتحضر .

ويرى الباحث وعالم الاجتماع البريطاني أنطوني جيدنز، أن "لوسائل الإعلام أهمية تعادل ما للمدارس والجامعات في إقامة مجتمع المعرفة، وكلما اتسع هامش الحريات التي تتمتع بها وزاد اهتمامها بالقضايا المهمة مثل الحكم الصالح، والتمكين الاتصالي، تعززت الحوافز لتأسيس مجتمع المعرفة".

غير أن أوجه القصور في وسائل الإعلام العربية حسب ذات الباحث جيدنز: «تقلل من فاعليتها في هذا المجال، كما أن السيطرة الحكومية وغياب الحريات الصحفية يقفان حجر عثرة ويجولان دون وصول عامة الناس إلى المعلومات. وبالمقارنة مع المعدلات العالمية عموماً، فإن نسبة وسائل الإعلام لعدد السكان هي الأدنى في البلدان العربية. وأن أكثر من 70% من قنوات التلفزيون العربية هي تحت إشراف الدولة التي تملك بدورها، وكالات الأنباء. وكان من ذلك نشر أخبار سلطوية الطابع هزيلة المضمون، تكاد تقتصر على الأخبار الرسمية، أو أنشطة كبار رجال السلطة، ونادراً ما تحمل المعلومات التي تهم أغلبية الناس و تثير مخزون المعرفة الناقصة لديهم . ولعل أهمية هذا التصور لجيدنز، تبين بأن الإعلام قد يقدم ويساهم في بناء مجتمع المعرفة ما لم يكن مقيداً تحت السيطرة الحكومية.

أشكال الإعلام في التأثير على الأسرة والجماعة:

إن لوسائل الإعلام دور كبير و تأثير واضح في بناء أو تخريب الأسرة. أي تعتبر وسائل الإعلام سلاح ذو حدين، فقد تؤثر بالإيجاب على الأفراد من خلال تعليمهم السلوكيات الصحية، وقد تؤثر عليهم سلباً حين تساهم في جعلهم مدمنين أو منحرفين أو مجرمين، لكن، الملحوظ هو قلماً نجدها في النوع الأول، وفي المقابل كثيراً ما نجدها تؤثر سلباً وتخرّض على الانحراف. وهذا ليس حكم قيمة وإنما حصيلة الباحثين والمهتمين بعلم النفس وعلم الاجتماع لنتيجة التأثير السلبي لوسائل الإعلام، وتدعيماً لذلك نجد: "أن موضوع التأثير السلبي لوسائل الإعلام لا سيما التلفزيون والسينما يثير جدلاً كبيراً بين المهتمين بهذا الموضوع وعلى وجه الخصوص علماء النفس والاجتماع... ويكاد يكون من المسلم به أن التأثير السلبي لوسائل الإعلام يتجلى خصوصاً لدى الأشخاص الذين لديهم الاستعداد للتأثير بالجوانب السلبية التي تبثها وسائل الإعلام، بحكم تكوينهم الشخصي وتنشئتهم وظروفهم الاتصالية والحالة النفسية التي يوجدون فيها أثناء تلقيهم للرسالة الإعلامية".

ومن الأمور الصعبة نذكر أن الإعلام أصبح ينافس دور الأسرة والمدرسة، وتماشيا مع ذلك، «يتفق عدد من المهتمين بقضايا التنشئة الاجتماعية على أن وسائل الإعلام، ولا سيما التلفزيون، تلعب الآن دورا معارضا لدور الإيجابي لكل من الأسرة والمدرسة فيما يخص التأثير على الأطفال والشباب. ويشير الخبير الإعلامي «هالوران» إلى أن إحدى الدراسات الميدانية في هذا المجال توصلت إلى نتيجة مرعبة على حد تعبيره. وتمثل هذه النتيجة في أن 87% من الأطفال في سن الحادية عشرة، الذين شملتهم الدراسة، أعلنوا أنهم يثقون بالتلفزيون أكثر من ثقتهم بأي مصدر آخر. ويضيف: «وعندما سألنا هؤلاء الأطفال: إذا سمعتم قصة من والديكم أو من مدرسكم أو من التلفزيون، فأية رواية تصدقون، أجاب 54% من هؤلاء أنهم يصدقون التلفزيون».

هذا ويميل عدد من الخبراء الذين تناولوا بالدرس والتحليل ظاهرة تأثير وسائل الإعلام على السلوك الإنساني إلى تأييد وجهة نظر «هالوران». حيث يرى هؤلاء: "أن الكثير من القيم التي كانت تتمسك بها الأسرة والمدرسة - خاصة في المجتمعات الغربية - أخذت في الاضمحلال لتحل محلها قيم مأخوذة من وسائل الإعلام ولا تستند إلى معايير أخلاقية واجتماعية. وهذه الظاهرة بدأت تغزو بلدان العالم الثالث، بما فيها المجتمعات العربية، حيث بدأ جيل الشباب يفقد تدريجيا المرجعية الثقافية الوطنية وأصبح أكثر تأثرا بما ينقله إليه الإعلام الغربي مما أضعف تمسكه بما يسود مجتمعاته من قيم روحية وأخلاقية ومن عادات وتقاليد"....

ونجد عالم الاجتماع البريطاني جيدنز يتحدث في أشكال الإعلام من حيث التأثير على الجماعة، إذ يعتبر أن «طبيعة الوسيلة الإعلامية المستخدمة في المجتمع تؤثر في بنية المجتمع أكثر مما يتركه المضمون أو المحتوى أو الرسالة التي تنقلها وسائل الإعلام». كما نجده يضيف أن «وسائل الاتصال في الوطن العربي، مع استثناءات قليلة هي بنت السلطة أو ربيتها، وهي الأدوات الأساسية للتعبة السياسية، أو الشحن العاطفي النفسي». وفي أخرى نجد جيدنز يعتبر أن: "المواطن العربي مجرد هدف للاتصال الذي يستهدف قلوبته في قوالب ذهنية معينة، ذات أبعاد محددة، تزيد من سلبيته، وقلة مشاركته في الحياة السياسية، هذا وإن كانت مشاركته السياسية مطلوبة أصلا أو مرغوبا فيها من قبل النظم الاجتماعية القطرية".¹

"وتعدّ وسائل الاتصال عنصرا أساسيا في المجتمع، لكن النظر إليها على أنها أساس عملية التغير الاجتماعي ينقلها إلى دائرة "الحتمية"، وهذا ما رفضه علم الاجتماع المعاصر. وتؤدي الثقافة اللامادية، كالإيديولوجيات السياسية والاجتماعية إلى

تغير واسع في حياة المجتمع، أكثر من تأثير الثقافة المادية في بعدها التكنولوجي، ولكن يصعب قياس هذه التغيرات "التغير المادي واللامادي"، مما أدى إلى إطلاق النظرة النسبية".²

ولا يمكن القول إن عوامل التغير يمكن تحليلها بعامل وحيد، إذ يبين الواقع تساند عوامل عدة، "اقتصادية، وتعليمية، وأيدي عاملة، وجغرافية، وتكنولوجيا، وقادة مخلصون، وإعلام مسؤول، وإيديولوجيا موجهة"، تتفاعل هذه العوامل لإحداث التغير. لذلك يصعب تحديد العامل الفاصل في التغير، بشكل ديناميكي عبر الزمن. "ولكن نستطيع القول أن الثقافة فقدت السيطرة على المجال التقني، وتحولت إلى أداة تطوع ما تفرضه هذه التكنولوجيا من متطلبات. وبرز ذلك في تقليد "الحتمية التقنية" ثم لاحقاً في "الحتمية الإعلامية".

ويتميز التأثير الاجتماعي بكونه شرطاً أساسياً يميز عملية التفاعل الاجتماعي، التي في تعريفها يظهر معنى التأثير. ويعرف التفاعل بأنه: «التقاء سلوك شخص أو مجموعة أشخاص مع سلوك شخص آخر أو مجموعة أشخاص آخرين في عملية توافق تبادلية، يترتب عليها أن يتأثر سلوك كل طرف بسلوك الآخر. حيث يكون سلوك أي منها منها أو مثيراً لسلوك الطرف الآخر. ويعرف التفاعل الاجتماعي بصورة عامة، بأنه: "العملية التي يرتبط بها أعضاء الجماعة بعضهم مع بعض عملياً وواقعياً وفي الحاجات والرغبات والوسائل والغايات والمعارف".

أما إجرائياً، فالتفاعل الاجتماعي هو ما يحدث عندما يتصل فرد أو أكثر «وليس بالضرورة اتصالاً مادياً ويحدث نتيجة لذلك تعديل السلوك.

ارتبط مفهوم التغيير في الدراسات الإعلامية، ومثلها الدراسات الاجتماعية، في العالم الثالث ومنه العربي بمفهوم التنمية، ويقر الكثير من الدارسين بالارتباط بين مفهومنا للتنمية والفكر الذي نؤمن به، فالفكر وعاء للتنمية تتشكل بحسبه، والتنمية في مخرجاتها تعبير عن رؤيتنا الفكرية التي تحكم عملية التنمية، ولذا يمكن القول بأن الفكر الليبرالي الرأسمالي نظرية في التنمية، وكذا الفكر الماركسي نظرية في التنمية كذلك.³

وقد أصبحت التنمية الشغل الشاغل للعالم الثالث بعد تشككه في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وتحوله إلى بؤرة نزاع وصراع سياسي وثقافي، ولذا تسابق الباحثون الغربيون في تقديم الدراسات التي تستجيب لهذه الحالة في هذا العالم، وظهرت العديد من النظريات في هذا المجال، والتي جاءت بعناية وتوجيه مباشرين من جهاز الأمم المتحدة ممثلاً في منظمة اليونسكو.

وقد كان من نتيجة ذلك الدراسة التي أعدها ولبر شرام عام 1962م بطلب من اليونسكو بعنوان: دور الإعلام في البلدان النامية، ونشرته بالعربية وزارة الثقافة في مصر، وجاء في مقدمة المؤلف قوله: (الإعلام الحر ليس غاية فحسب، بل إنه أيضاً وسيلة لتحقيق التحول الاجتماعي المنشود)⁴.

وقد تحدث في ثنايا الدراسة عن العديد من التصورات التي يراها لازمة للتنمية، وهي وإن كانت دراسة شملت العديد من الدول النامية في أفريقيا وآسيا، على اختلاف ثقافتها وأديانها، إلا أن الدراسة تعرضت للكثير من القيم المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية والأسرية، بل والدينية كذلك التي تمس قيم المجتمعات المسلمة باعتبارها عوائق للتنمية.

ولم تكن النظريات مجرد رؤى تأملية بقيت في دائرة النقاش العلمي، أو نصائح ظلت في دائرة الوعظ التعموي، بل إن الكثيرين من الدارسين للنظم الإعلامية في العالم الثالث يعترفون بأثر تلك النظريات على صناعة القرار في العالم الثالث، كما يقول أحدهم: (وعلى الرغم من أن مناقشات دارجي الإعلام قد أخذت في بعض الأحيان الطابع التأملي، فإنها كانت مؤثرة للغاية على صانعي القرار السياسي في كثير من دول العالم الثالث في المرحلة الأولى الحرجة للتنمية الوطنية)⁵.

لقد تعرضت مسيرة الإعلام العربي إلى صور متعددة من التأثيرات الفكرية والرؤى التنموية لهذه الدراسات، واصطبغت جوانب منها بالعديد من الطروحات المتعلقة بالقيم الاجتماعية، والعلاقات الأسرية، وكل ذلك تحت ذريعة التنمية والتحديث، حتى أخذت في الوقت الراهن صوراً أكثر عمقاً في التغيير تحت مسميات التغيير أو التسويق الاجتماعي.

وأما منا في هذا الجانب ثلاث نظريات، أو ثلاث مراحل، هي مرحلة أو نموذج التحديث، ومرحلة أو نظرية انتشار المبتكرات، ومرحلة أو نظرية التسويق الاجتماعي.

ويبرز في هذا الجانب (نموذج التحديث) الذي قدمه (ليرنر)، من خلال كتابه (اندثار المجتمع التقليدي) في عام 1964م والذي (حظي باهتمام كبير بين الباحثين في الإعلام التنموي، لما قدمه من أفكار اعتمدت البحث الميداني في الدول النامية "

دول الشرق الأوسط " لتبيان الصلة بين عملية التنمية-أو التحديث كما أطلق عليها-والاتصال الجماهيري)⁶، وهو النموذج الذي يعتمد على مفهوم التقمص الوجداني الذي يعني: مقدرة المرء على وضع المرء نفسه مكان الآخر وفي ظروفه، والتشبه به وذلك من خلال التعرض لوسائل الإعلام التي تقوم بدورها بعرض وتقديم شخصية وبيئة وظروف المجتمع النموذج من أجل محاكاتها وتقمصها"⁷.

ثم جاء نموذج انتشار المبتكرات، أو (التجديد) على يد الباحث (روجرز) عام 1971م، الذي يركز على (نشر المعلومات المتعلقة بالمبتكرات والتجديد بين أفراد المجتمع أو قطاع منه بهدف تحقيق التنمية، وهو في الوقت نفسه يعتبر التغيير الهدف النهائي لنموذج الانتشار، ويأتي على المستوى الفردي في صورة تغيير الأفكار والعادات كنوع من التعلم أو التنشئة الاجتماعية أو التحديث وتطور الفكر، وعلى المستوى المجتمعي كنوع من التنمية أو التكيف المجتمعي)⁸.

ويمثل هذا النموذج (نموذج روجرز) نوعاً من التعديل في فهم التعامل مع الإنسان، حيث يسعى للتأثير عليه ليس من خلال التقمص والمحاكاة كما في النموذج السابق، وإنما من خلال الفكر والمعرفة والتعليم.

وقد تطور مفهوم التغيير أو التنمية هذا حتى ظهر ما أطلق عليه مفهوم أو نظرية التسويق الاجتماعي الذي أخذ بعداً جديداً عندما عقد أول مؤتمر دولي لليونسكو عام 1975م عن التسويق الاجتماعي في بروكسيل والذي خلص إلى أهمية تسويق الوعي عبر وسائل الإعلام، وسار في مرحلتين، الأولى الإعلان الاجتماعي، حيث برز استخدام الإعلان لتغيير الاتجاهات العامة والسلوك من قبل منظمات تنظيم الأسرة في بعض الدول، والثانية عندما تحول إلى منهج الاتصالات الاجتماعية من خلال التركيز على وسائل البيع الشخصي والنشر بالإضافة إلى الإعلان. وفي عام 1995م وضع ستانلي ودنس الملامح الرئيسة لنظرية التسويق الاجتماعي التي تتلخص في:

(كيفية ترويج الأفكار التي تعتنقها النخبة في المجتمع، لتصبح ذات قيمة اجتماعية معترف بها) .

إن للإعلام ووسائله دورٌ كبيرٌ في توجيه المجتمع نحو السلوكيات الرشيّدة والعادات الحسنة وتنفيذه من السلوكيات الخاطئة، ومثال على ذلك حملات التوعية التي تقوم بها وسائل الإعلام تحت إشراف وزارات الصحة للتحذير من مخاطر آفات معيّنة مثل التدخين والمخدرات وغيرها، وهذه الحملات تُوعي المجتمع لضمان بقاء أفرادها في صحة وعافية، كما يكون للإعلام دورٌ كبير

في التحذير من الجرائم الأخلاقية التي تستهدف أمن المجتمعات وأخلاقهم من سرقة واغتصاب وغير ذلك ببيان خطورتها وسلبياتها .

إن للإعلام دور في توجيه الأفراد نحو استخدام المرافق العامة التي توفرها الدولة لخدمة الأفراد في الدولة بصورة سليمة، ومثال عليها المراكز الصحية والمستشفيات والحدائق والمتنزهات العامة والمتاحف الوطنية، ويكون ذلك التوجيه من خلال حملات إعلامية عن طريق التلفزيون أو المذياع، كما تتضمن بيان لفائدة المرافق العامة للمجتمعات، وضرورة استمرارية وجودها لخدمة الأفراد والترفيه عنهم، كما تتضمن توجيه الأفراد نحو اجتناب كثير من السلوكيات التي تفسد هذه المرافق العامة مثل العبث فيها بالتخريب أو الحرق أو غير ذلك. كما أن للإعلام دور في توجيه المجتمع للاقتصاد في استهلاك المياه، وترشيد استخدام الكهرباء وغير ذلك من موارد؛ فهذه الموارد يجب على المجتمعات أن تُحافظ عليها حتى لا تنضب وتنفى، فكل ما على هذه الأرض من خياراتٍ معرّضة للتأية والافتراض إذا ما أسيء استخدامها .

إن للإعلام دور في تثقيف الناس وزيادة وعيمهم بالمخاطر المحدقة بالدولة والمجتمع؛ فالمجتمعات تغفل أحياناً عن استشعار المخاطر حولها ويكون للإعلام دورٌ كبير في إيقاظ المجتمعات للتنبّه باستمرار لما يحيط بها من مخاطر وتهديدات وضرورة الاستعداد لمواجهةها والتصدي لها.

يمكن القول بأن تأثير وسائل الإعلام العربي في التغيير جاء ضمن مجموعة من العوامل والمؤثرات التي أسهمت في صناعة التغييرات التي طرأت على الأفراد والمجتمعات العربية، ومن جانب آخر أسهمت في إعطاء وسائل الإعلام الفرصة للتأثير، وهيات لها المناخ المناسب لتحدث ما أحدثته، ومن أبرز تلك المؤثرات:

التخلف الحضاري:

إن التخلف الحضاري الذي تعيشه المجتمعات العربية والإسلامية، في مقابل التقدم المادي التقني والإداري في الغرب جعل من هذا الوضع المتخلف بيئة مناسبة لنمو الأفكار الأخرى التي تنادي بالتحديث مدخلة في هذه الدعوة النمط الغربي أو الشرقي باعتباره النموذج الأمثل لتحقيق بيئة التقدم باعتباره المثال الحي للمجتمع المتقدم، لاسيما في مرحلتي التحديث، ونشر المبتكرات.

التطبيقات الخاطئة للإسلام:

في بيئات التصوف الخرافي، أو الغلو في الصالحين لدرجة التعبد والتدين التراجيدي، كما في البيئات التي تطغى فيها العادة على العبادة، والعرف على الشرع، تنبت بذور التمرد على الدين، والخروج على الثوابت، وتنشأ البيئة المناسبة لاستنابات بذور الشك والريبة، وهو القدر الذي تستطيع وسائل الإعلام أن تؤثر فيه، حيث تستطيع أن تؤثر في القيم غير الراسخة، لكنها تؤثر أيضاً فيما له علاقة طردية بها.

المؤثرات السياسية الداخلية:

هناك العديد من الدول العربية تبنت الفكر الشرقي، وأعلنت اشتراكيتها مثل العراق سابقاً، وليبيا، والجزائر واليمن الجنوبي، ودول أخرى صرحت بأنها دول علمانية مثل تركيا وتونس على سبيل المثال، ومثل هذه الأوضاع السياسية جعلت من وسائل الإعلام أدوات طيعة للتغيير وفق مقتضيات هذا الفكر المتبنى رسمياً، وتهيأت البيئة السياسية لهذا النوع من التغيير، الذي أصبح توجهاً رسمياً تسخر له كافة الوسائل والفرص ليأخذ طريقه في حياة الناس بجوانبها المختلفة.

العوامل الاقتصادية:

وقد لعب العامل الاقتصادي دوراً مزدوجاً، فقد هيأت الطفرة الاقتصادية في بيئة مثل دول الخليج العربي الفرصة للتواصل المفتوح مع ثقافات المجتمعات الأخرى، والوصول بالصناعة الإعلامية إلى مستويات متقدمة في تطوير التقنية، وتوفير البدائل الإعلامية بشكل كبير للجمهور الخليجي، كما أسهم العامل الاقتصادي من جانب آخر في توجيه وسائل الإعلام الوجهة التي يريدونها الممول، والذي يتمثل في شركات الإعلان الكبرى، التي كان لها أثرها الفاعل في استمرار العديد من وسائل الإعلام وبلوغها مستويات قياسية في التطور بسبب التمويل المدفوع من هذه الشركات، وهو تمويل مشروط باستحقاقات فكرية ومنهجية معينة.

الأوضاع السياسية العالمية:

لقد كان للحروب التي شنتها أمريكا ودول العالم الغربي أثرها الواضح والجلي في التغيير الاجتماعي في العالم العربي والإسلامي، وكانت الحرب الأمريكية الأخيرة على أفغانستان والعراق تعلن أنها لم تكن حرب تحرير كحرب الخليج السابقة، وإنما هي حرب

نشر للديمقراطية وقيم الحرية، وقد صاحب هذه الحرب حملات إعلامية ودعائية واسعة النطاق، شملت العديد من أساليب التأثير الإعلامي، سواء في شكل إعلام دعائي أمريكي مباشر، أو غير مباشر من خلال التأثيرات المتعددة على وسائل الإعلام ورجاله في العالم العربي.

بل قدمت الصفات الدقيقة لطرائق العمل الإعلامي من أجل نشر القيم الأمريكية من خلال العديد من التقارير التي أصدرتها مؤسسة راند وغيرها.

إن القول بأن هناك فعلا علاقة واضحة بين مفهومي «التأثير الاجتماعي» و«وسائل الاتصال الجماهيري» ولعل ذلك تبين من خلال السالف والمراجع التي إلتقيناها، حيث كلها أكدت أن الاتصال الجماهيري له علاقة فعلية بالتأثير الاجتماعي. وذلك من خلال غزوه وتأثيره الصادم، بل وإرهابه على تغيير مواقف واتجاهات الأفراد.

كما يُخلص من هذا العرض أننا أمام علاقة معقدة تتشابك فيها عوامل نفسية واجتماعية وأيديولوجيا... وأن وقاية الأفراد والجماعات من التأثيرات السلبية التي يحدثها الإعلام يعتبر مسؤولية الجميع: حكومات، والهيئات الرسمية وغير الرسمية، والمربين، وعلماء الاتصال، وعلماء النفس، وحارس البوابة ..

ويمكن الاستخلاص أيضا، أن موضوع التأثير الاجتماعي لوسائل الاتصال الجماهيري من بين المواضيع الغنية والدسمة والفضفاضة في علم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي، على حد سواء، وذلك واضح من خلال الكم الكثير للكتابات حولها.

ما هو تأثير وسائل الإعلام على المجتمع ..؟

تعتبر وسائل الإعلام سلاح ذو حدين، وذلك لأنها تملك آثار ايجابية، و سلبية على المجتمع، ويمكن إيجاز لآثار الإيجابية في النقاط التالية :

-تحاول وسائل الإعلام نشر الوعي بين صفوف الشباب، وذلك لتجنب الظواهر الخاطئة مثلاً كالزواج العرفي أو تكوين علاقات خاطئة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وتوضيح الآثار السلبية التي من الممكن أن تنتج عن ذلك، وهذا من أجل تخفيف الكوارث التي من الممكن أن تحدث نتيجة لمثل هذه الظواهر.

-تقوم وسائل الإعلام بعمل حملات توعية لأبناء المجتمع بأهمية الممتلكات العامة ، و ضرورة المحافظة عليها من العبث ، و الإهمال ، والاهتمام بنظافة الشوارع ، و الميادين ، و الحد من الظواهر الخاطئة مثلاً كإلقاء القمامة في الشارع أو الكتابة على جدران المستشفيات أو كسر الآلات و المعدات .

-تلعب وسائل الإعلام دوراً هاماً في توضيح أهمية ترشيد الاستهلاك للمحافظة على الموارد وتخفيف حدة الأزمات و الأعباء التي تتحملها البلاد نتيجة للإسراف في استخدام مواردها مثل المياه، والطاقة الكهربائية، وتقوم وسائل الإعلام بتوضيح الطرق التي من الممكن أن يتبعها المواطنين من أجل ترشيد الاستهلاك، وتحقيق النفع للدولة، للمواطن.

-زيادة ثقافة أبناء المجتمع، ومعرفتهم بوضع بلادهم في مختلف النواحي سواء الاقتصادية أو السياسية، ويتم ذلك من خلال النشرات.

-نشر الوعي الديني فنجد أن وسائل الإعلام من الناحية العقائدية تلعب دور هام للغاية، وذلك لأن هناك العديد من القنوات والبرامج الدينية، والمهمة الأساسية لهذه القنوات نشر الثقافة الدينية وفتح باب التواصل بين المواطنين، والشيوخ من خلال الاتصال للسؤال عن أمر ما.

وبالرغم من إيجابيات وسائل الإعلام إلا إن لها عدة جوانب سلبية من أبرز هذه الجوانب ما يلي:

-نشر الشائعات، وإثارة الرأي العام تجاه أمر أو قضية ما بشكل يتسبب في زعزعة الأمن والاستقرار في المجتمع.

-ظهور ما يسمى بالإعلام الموجه، والذي لا يمتاز بالشفافية و الموضوعية كونه يسعى لخدمة مجموعة ما أو فريق ما.

-عرض أفلام و مسلسلات لا تليق بقيم، وعادات أبناء المجتمعات العربية الإسلامية، وذلك لاحتوائها على عدد كبير من المشاهد الخارجة عن الحياء.

-دعوة مجموعة من القنوات الإعلامية إلى الانفتاح و التحرر و التمرد على الواقع الذي نشأنا، وتريننا عليه سوسولوجياً وتاريخياً، سوف يُرصد الدور المركزي لوسائل الإعلام الفضائية العربية في سياق رصد التغيير الاجتماعي والسياسي الذي سيلحق حتماً بهذه المجتمعات، ويدرجهما في سياق الحداثة السياسية والاجتماعية، بكونه "الدور المحفز" إلى تنشيط تفاعل معادلة التغيير وليس إحداثها. والذين ينيطون بالفضائيات العربية دوراً جوهرياً في إحداث التغيير قد يخطئون في تقدير ما

يمكن وما لا يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام هذه؛ ففي نهاية المطاف لا بد من ديناميات اجتماعية لما يتم طرحه علناً في وسائل الإعلام الفضائية من أطروحات، وإلا بقي كلاً في الهواء. والذين يقللون من أهمية تلك الوسائل ويرون أنها لا تحدث سوى الصراخ وتكريس ثقافة التحريض والتفكير المسطح يخطئون أيضاً في تقدير دور العناصر المحفزة في مساعدة أية عملية تغيير اجتماعي موسعة في الحدوث.

وفي سياق تأمل التغييرات الاجتماعية والسياسية العميقة والواسعة النطاق، ليس من السهل رصد أدوار العناصر المختلفة خلال فترة زمنية قصيرة؛ فالمهم هنا هو عملية التراكم، وما هو أهم من دور الفضائيات العربية مدى تطور بنيات مدنية، ووعي مدني وسياسي، وهياكل شبكية، وثقافة تعددية، وأنماط حكم وعلاقات خارجية صحية تقرب شرائح أي مجتمع عربي بعضها إلى بعض؛ لتخلق القاسم المشترك الاجتماعي والثقافي الأدنى الذي من دونه لا تقوم قائمة لمجتمع من المجتمعات. ويمكن دور الفضائيات العربية والإعلام العربي بشكل عام في إدامة تسليط الضوء على غياب ذلك القاسم، واستدعاء الأطروحات والأفكار التي تزعم أنها تسعى إلى إيجادها، ومناقشتها بعلانية مطلقة، واختبار عقلانيتها وواقعيتها وشعبيته .

إن من واجب وسائل الإعلام لدينا هو غرس القيم السليمة والعادات الإسلامية وتأسيس ثقافة الحوار وقبول وجهة النظر الأخرى إضافة إلى تشجيع الفرد إلى الإبداع والابتكار والحث على العلم والتعلم والسعي إلى تقديم ما هو مفيد وجديد، وتحقيق ذلك تصبح وسائل الإعلام قد أعدت أجيالاً واعية ومثقفة قادرة على الاعتماد على نفسها وذلك باكتفائها فكرياً وسلوكياً.

خاتمة:

إن تأسيس هيئة إعلامية احترافية مختصة تضع الأهداف والقوانين والمعايير الواضحة التي يجب على كل ملاك القنوات الفضائية السير على نهجها من خلال متابعة نوعية البرامج وأهدافها والتقنية المستخدمة في بث تلك القنوات وتقديم الاستشارات الإعلامية أو الفنية المتعلقة بأمور البث وتقديم دورات تأهيلية احترافية وعلى مستوى عال للمقدمين والمذيعين في تلك القنوات ومتابعة أداء مقدمي ومذيعي كل قناة سيرتقي بإعلامنا وبوطننا وسيسهل على الإعلام توصيل رسالته بشكل متقن للجمهور الداخلي والخارجي .

ولكن لكي يحدث التغيير في المجتمعات العربية، لا بد من أن يصاحبه تغيير في "الذهنيات" وفي "البنية الثقافية" ككل حتى يتم التأقلم مع الأوضاع الجديدة. وبالمقابل كل ما يطرأ من تبدل قيمي أو مفاهيمي "إيجابي" يحدث تغييراً في الممارسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية تؤثر في بناء المجتمع العربي. وتشكل تكنولوجيا الاتصال البنية التحتية لصياغة ونشر ثقافة تفرض قيمها، بهدف ضبط السلوك الإنساني بما يتلاءم مع النظام العالمي الجديد، أي عوامل إنتاج معرفي.

قائمة الهوامش :

- 1.ويليام ريفرز وتيودور باترسون وجاي جينسون، الاتصال الجماهيري والمجتمع المعاصر، ترجمة: الدكتور أحمد طلعت البشبيشي، الطبعة الأولى، 2005، دار المعرفة الجامعية .
- 2.علي. محمد رحومة،((الانترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية))، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2007م، ص75.
- 3 انظر: د. محمد سيد محمد: الإعلام والتنمية / 83.
- 4 ولبور شرام: أجهزة الإعلام والتنمية الوطنية / ص11.
- 5 جون مارتن وشودري: نظم الإعلام المقارنة/ ص 152.
- 6 عصام سليمان/المدخل في الاتصال الجماهيري/ص202.
- 7 المرجع السابق/203.
- 8 المرجع السابق/204-207.
- 9 ياسر الشهري/ تسويق قيم العمل الخيري في ضوء نظرية التسويق الاجتماعي / رسالة دكتوراه غير منشورة/ص53 وبعدها.

أ.ملاك السعيد. جامعة الجزائر 2.

ملخص:

اخترط العالم اليوم في موجة جديدة من تطور تكنولوجيا الاعلام والاتصال التي تعد وسيلة أكثر أهمية لنقل المجتمعات النامية إلى مجتمعات أكثر تطوراً، فهي تساهم في بناء مجتمع جديد يتوافق مع موجة التغيرات والتحويلات التي مست مختلف نواحي الحياة، أين تم الانتقال من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات الذي يتخذ من المعرفة والتقنية مرتكزا له. ولعل أبرز الفتوحات التقنية الحاصلة في العالم من انترنت، طرق المعلومات، شبكات الاتصال تهدف جميعا إلى تحقيق السرعة في الوصول إلى المعلومات والبيانات التي قد لا يحول الوصل إليها نظرا للتغير التقني الغير متكافئ في السياق الاجتماعي مما أدى إلى زيادة التفاوتات الاجتماعية واتساع الفجوة بين الطبقات الاجتماعية وعدم المساواة بين الافراد الذين يجيدون استخدامها وأولئك الذين يعانون من الامية الرقمية، مما جعل بعض فئات المجتمع على هامش من التقدم التكنولوجي، ويرون أن الفجوة الرقمية هي مؤشر على زيادة الاقسامات الاجتماعية والثقافية والتنمية الذي يؤدي بدوره الى التمايز الاجتماعي.

وعلى ضوء ما تقدم يمكن طرح التساؤل الجوهرى التالي: ما هي الآثار المترتبة على الفجوة الرقمية في التغير الاجتماعي والثقافي؟

مقدمة:

أدى التطور الهائل في الصناعة والتكنولوجيا خلال القرنين الماضيين إلى زيادة تركيز القوة الاقتصادية في أيدي قلة قليلة من الناس. وهذا لا يعني أن المسألة الاجتماعية "القديمة" التي تتمثل في بؤس العمال المستغلين قد اختفت من كوكبنا، ولكنها تفاقمت مع ازدياد وانتشار وسائل الإعلام والاتصال الحديثة وأصبحت أقل وضوحا ورؤية منذ بدايتها.

والمقصود بهذه الحقيقة الاجتماعية أن الملايين من الناس على حد سواء في البلدان الغربية و النامية لا تتوفر لها إمكانيات الوصول إلى شبكة المعلومات العالمية، وهذه المجموعة هي من "لا تمتلك المعلومات" وتتألف غالبا من أفراد ينتمون إلى الفئات المحرومة من المجتمع، إذ تبدو الفرص متفاوتة بين الجماعات والدول لدخول أعتاب هذا المجتمع، وهذا التفاوت في الفرص ومستويات التطور يعبر عنه بمفهوم (الفجوة الرقمية) التي تشير إلى عدم عدالة توزيع فوائد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات داخل وبين البلدان والمناطق والقطاعات والمجموعات الاجتماعية الاقتصادية، إنما تدل على المهمة الشاقة التي تواجه البلدان النامية والجماعات والأقسام المحرومة في المجتمع (حتى في البلدان المتقدمة) في محاولاتها لجني فوائد متساوية ظاهرياً ومن المفترض أن توفرها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

والمفارقة حول هذا الوضع هي الحقيقة المثبتة تجريبيا، بأن الوضع الحياتي للأشخاص المحرومين اجتماعيا يمكن تحسينه بشكل كبير من خلال الاستخدام الذكي لوسائل الإعلام الجديدة. وتشير العديد من مشاريع التعاون الإنمائي إلى أن شبكة الإنترنت ليست قادرة فقط على دفع التغيير الاجتماعي في العالم الصناعي، بل أيضا في حالة الاستخدام الذكي تعتبر عاملا حاسما أيضا في التنمية الاجتماعية والثقافية للبلدان النامية.

والهدف من هذا الورقة هو تحليل للفجوة الرقمية المعقدة -ومحاولة الاجابة عن السؤال المتعلق بمدى تمكين الفئات السكانية المهمشة والمحرومة، ومساعدتهم على استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات على نحو مستهدف وذكي.

1- التحول من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات

قبل التطرق إلى الفجوة الرقمية وأثرها على الفرد والمجتمع ينبغي أولا توضيح أسبابها التي تعتبر مهمة في فهم التغيير الاجتماعي. وهذا يثير مسألة البنية الاجتماعية الحالية التي يمكن أن تكون أساسا لعمليات التنمية الاجتماعية الجارية في الإطار المحلي والعالمي. وبشكل مطلق ومبسط، فإن المطالبة بنهضة شاملة حتى الان مر بثلاث ثورات صناعية جميعها أثر بشكل كبير في تغير المجتمعات (Warsaw 2003: 13).

حيث حدثت الثورة الصناعية الأولى في أواخر القرن الثامن عشر مع اختراع المحرك البخاري والاستفادة التقنية من طاقة البخار، وبالتالي كان من الممكن تطوير الآلات التي كانت قادرة على تنفيذ معظم أداء الجهد العضلي بسرعة أكبر وأكثر دقة وكفاءة. في سياق هذا التطور تم استبدال العمل البشري تدريجيا بالآلات، وعلى المستوى الاجتماعي نشأت طبقة عاملة حول المناطق الصناعية وظهرت حرف صناعية، وبدأ الواقع الجديد يُغير بشكل ملموس أنماط العيش وعادات الناس، وأخذ مفهوم التمدن في التبدل فأصبح معياره الأساسي وجود المصانع التي باتت تميز الحواضر الكبرى عن الوسط القروي، الذي كان في أغلبه لا يزال يعيش عصر ما قبل الصناعة.

كما أحدث تطور الآلة ثورة في عالم الاتصالات وخطوط المواصلات وطرق النقل ما شجع على نزوح الباحثين عن عمل من مناطق الريف والتوجه إلى المراكز الصناعية لتأمين السكن والوظيفة. وأدى التحول في بني علاقات الاجتماع إلى توسع المدن وتطورها وازدهارها مستفيدة من ذلك النمو المطرد في تعداد السكان (طفرة ديموغرافية) الكثيف ما أسس لاحقا قواعد اقتصادية معاصرة لنشوء المدينة الحديثة.

وتفجرت الثورة الصناعية الثانية أواخر القرن التاسع عشر باكتشاف الكهرباء الذي شاع استعماله اعتباراً من 1880، كما رافق هذا التحول الهائل اكتشاف البترول والطفرة الكبيرة في الصناعة الكيميائية التي صاحبت إنتاجه. وبعد ذلك توالى الإنجازات العلمية بابتكار طرق لتكثيف الموجات الصوتية وظهور التلفون والإذاعة والتلفزيون والطائرة، وفي سياق هذه الابتكارات نمت المصانع والشركات الكبيرة.

استمرت الثورة الصناعية الثالثة في العملية التطورية للتحول في منتصف القرن العشرين ولا تزال مستمرة.

وقد مكنت القفزات العلمية في مجال تكنولوجيا المواصلات والالكترونيات الدقيقة من إكتشاف وتطوير الرقائق الالكترونية الصغيرة (*Micro-processors*) باخسة الثمن، الأمر الذي ساعد بدوره في اختراع "الكمبيوتر الشخصي" كما أن دمج تكنولوجيا الاتصالات و تقنيات معالجة المعلومات قد أنشأ أسس الانترنت (Bornschieer, 2001:240).

هذه المرحلة لم تنشأ فجأة بل كانت موجودة طوال تاريخ البشرية، إن الفترة التي نعيشها الآن هي فترة بداية مجتمع المعلومات فلم تعد الأرض هي قوام المجتمع، ولم يعد راس المال هو قوام المجتمع كما كان عليه الحال في المجتمع الصناعي، وإنما أصبحت المعلومات هي قوام المجتمع المعاصر (محمد فتحي عبد الهادي، 2000: ص13).

دفعت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الجديد إلى خلق نموذج التسلسل الهرمي المسطح في المؤسسة للتنافس مع الهرم البنائي التقليدي الذي شيد عمودياً. جعل منه في كثير من الأحيان السبب في ظهور مجتمعات الشبكة (Wellmann and Hampton 1999: 648)

يمكن لنا من خلال هذا المفهوم الذي عبر عنه مانويل كاستلز CASTELLS أن نفهم بأن مجتمع الشبكات أو المعلومات يمكن وصفه بأنه تدفق وانسياب للمعلومات، والذي يتم من خلال شبكات المنظمات والمؤسسات، وهذا التدفق والانسياب يمثل سلسلة مكررة ومبرمجة من التبادل والتفاعل بين الفضاءات المادية، غير المتصلة والمحتملة من الفعالية الاجتماعية في المنظمات الرسمية والمؤسسات الاجتماعية.

إن ما أكدته كاستلنز على حقيقة هذه الثورة الصناعية الثالثة لا يقصد به في المقام الأول هو عملية إنشاء مشروع "مجتمع الإنترنت" العالمية، ولكن الأكثر أهمية في هذه العملية هي شراء المعلومات والتوزيع والتعاملات للمواد الخام الفعلية لهذه الموجة الثالثة (ما بعد الصناعية) التي تمثل المعارف المتحصل عليها، والتي نتجت عن الجمع بين مختلف المعلومات ومصادرها.

ومن المفيد أن تكون المعلومات التي تتكيف مع الاحتياجات الفردية والقدرة على معالجة المعلومات هي عوامل أساسية للتنمية الفردية والاجتماعية. حيث أن "المعرفة" يمكن أن تتخذ أشكالاً واستخدامات مختلفة على سبيل المثال، فإن معرفة أو خبرة محلل السوق المالية، الذي يقوم بالبحث في الإنترنت والذي يتصفح مصادر مختلفة للمعلومات عن الشراء أو البيع سيكون أكثر تحليلاً للأسواق من الذي يقرأ دائماً نفس الصحيفة ويتناقش مع نفس الأشخاص. كما أن المعلومات على الشبكة العالمية يمكن أيضاً أن تخدم مزارع في بلد نام إذا ما تلقت معلومات عن سعر الحبوب الحقيقي في الأسواق المحلية. وبهذه الطريقة، تمكنه في التعامل مع الوكيل الذي يبيع حبوبه بأفضل الأسعار. وتشهد هذه الأمثلة على إمكانية استخدام الإنترنت بكفاءة عالية وبطرق عديدة لأغراض نقل المعلومات.

إن دمج وسائل الإعلام المطبوعة والمنطوقة والسمعية والبصرية في قالب واحد، وتنوع تطبيقات الاتصالات (البريد الإلكتروني، والدردشة، والمؤتمرات عبر الإنترنت.. الخ) وإمكانية إنشاء الشبكة عبر كامل التراب الوطني هي أسباب وجيهة لنقول إن الإنترنت حقاً يمكن أن تغير أسس المجتمع (DiMaggio et al 2001: 308).

ولكن تبقى المشكلة في الوصول إلى الإنترنت، وتوزيعها بالتساوي هي أهم التحديات بالنسبة للدول والمجتمعات كما أكد ذلك الأمين العام السابق للأمم المتحدة، (كوفي عنان)، الذي حذر من الآثار السلبية الناجمة عن الفجوة الرقمية الدائمة بقوله:

وتعد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الجديدة من بين القوى الدافعة للعولمة. إنها تجمع الأشخاص وصناع القرار بشكل غير مسبوق كما تعتبر أدوات جديدة للتنمية في الوقت نفسه، ومع ذلك، فإن الفجوة الفاصلة بين تبادل المعلومات "يملكون" و "لا يملكون" آخذ في الاتساع، وهو خطر حقيقي على الفقراء في العالم سيتم استبعادهم من الاقتصاد القائم على المعرفة الناشئة " (عنان 2002).

وقد أعرب وارسشور (Warschauer) الذي فحص العديد من مشاريع الإنترنت في البلدان النامية ورافق برامج الدعم للفئات السكانية المهمشة في الولايات المتحدة، عن مخاوف مماثلة:

كونك جزءا من هذه الشبكة أمر بالغ الأهمية ليس فقط من أجل الاندماج الاقتصادي بل بالنسبة للجميع تقريبا هي جانب من جوانب الحياة اليوم، بما في ذلك التعليم والمشاركة السياسية، والشؤون المجتمعية، والإنتاج الثقافي، والترفيه، والتفاعل الشخصي. وتتيح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات هياكل تنظيمية جديدة للمشاركة الاجتماعية، كغرف الدردشة للمراهقين، وخدمات اللقاءات عبر الإنترنت، إلى مواقع العمل السياسي، والتعلم القائم على الإنترنت، وتنظيم المجتمع والسياسة والنقاش في شبكات التواصل الاجتماعية واتخاذ القرارات وتدفق وسائل الإعلام عبر الإنترنت..الخ تعبر عن أشكالاً كثيرة في التواصل. وأن أولئك الذين ليس لديهم إمكانية الوصول إلى التكنولوجيا سيمنعون من الفرص لممارسة مواظنتهم كاملة.

2- براعة الاعلام الجديد

يتم علم الاجتماع دائما بمسائل العدالة الاجتماعية والتفاوت الاجتماعي والتمهيش وتوزيع السلطة والموارد داخل البنى الاجتماعية. وبشكل عام يمكن وصف هذا المسار لعلم الاجتماع بأنه تحليل البنية الاجتماعية. ويجاول التحليل البنيوي الاجتماعي "تحديد أهم العناصر البنيوية (المهيمنة) في النظام الاجتماعي وتحديد نفوذها وتفاعلها على البنى الاجتماعية" (Schäfers 2000: 330).

وتظهر العديد من كتابات التحليلات الاجتماعية-البنيوية بأنها لا ترى المجتمع متأكفا ومرصوفا، بل تؤكد على "الاستقلال النسبي للتقسيمات الاجتماعية (النظم الاجتماعية الفردية)". ويمكن العثور على هذه التقسيمات في الرأسالية حيث ينقسم النظام الاقتصادي تقريبا إلى نظامين فرعيين هما:

التكنولوجي الاجتماعي - الثقافي أو الاجتماعي - المؤسسي، حيث تغيير أي بنية في النظام الاقتصادي الفرعي سيحدث تأثيرا في النظام الاقتصادي الفرعي الآخر (Bornschieer 2001: 238). والتفاعلات المعقدة بين هذه النظم الفرعية تؤثر على البيئة الخارجية التي هي مسؤولة عن التغيير الاجتماعي على المستوى الجزئي والكلبي (Lenski and Nolan 1995: 67).

والجانب المذهل في تكنولوجيات المعلومات والاتصالات الجديدة - وخاصة على شبكة الإنترنت - هو حقيقة أن تطبيقاتها المتنوعة قادرة على تشكيل النظامين الفرعيين في وقت واحد. وهكذا، فإن اختراع الانترنت لم يحدث ثورة سريعة النمو ذات تداعيات لا حصر لها (نظام تقني اقتصادي) فحسب، بل أحدثت ثورة أيضا في عمليات التواصل والتفاعل فيما بين البلدان

وفما بينها، مما أدى تبسيط عمليات شراء المعلومات ونشرها، الهيكل الداخلي للمنظمات، وتعبئة الشبكات وتعبئة الموارد الابدولوجية ذات الصلة بالمجموعات إلى مستوى لم يسبق له مثيل (النظام الاجتماعي الثقافي) (Geser 1997, 2001) وبالنظر إلى التقدم التقني السريع، والتعقيد التكنولوجي الهائل وزيادة الاعتماد على الشبكة وعلى المواد الخام "المعرفة". والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما يحدث لجميع الأشخاص الذين لا يسمح لهم بالسفر على الطريق السريع للبيانات بسبب نقص الموارد. وإلى أي مدى تقوم شبكة الإنترنت بإعادة إنتاج أو تعزيز هيكل التفاوت التي يمكن تقليصها في حالة المعالجة السلمية سياسيا واقتصاديا؟

وهل يمكن اعتبار الفجوة الهائلة بين "من يملكون المعلومات" و "الذين لا يملكون المعلومات" عاملا حاسما يؤثر على التحول الاجتماعي والثقافي للأمم ككل في المستقبل؟

3- الفجوة الرقمية (تعريفها، أسبابها و عواملها، نطاقها وهيكلها، قياسها)

3-1 تعريف الفجوة الرقمية

من الصعب العثور على تعريف واحد وشامل لمفهوم الفجوة الرقمية رغم المحاولات المبكرة لاستقصاء المفهوم، إذ بدأ أول استخدام للمفهوم في تقرير يعود إلى عام 1995 بعنوان (السقوط من الشبكة) صدر عن وزارة التجارة الأمريكية يقول: (الفجوة الرقمية هي الفجوة الفاصلة بين الدول المتقدمة والدول النامية في النفاذ إلى مصادر المعلومات والمعرفة، والقدرة على استخدامها واستغلالها، ولهذه الفجوة أسباب علمية تكنولوجية وتنظيمية فضلاً عن توفر البنية التحتية) (نبيل على ونادية حجازي، 2005: ص47)

فالسيسيون، يرون الفجوة الرقمية بوصفها إشكالية تدرج ضمن قضايا الاقتصاد السياسي، ولا حل لها في نظرهم من دون سند من التشريعات والتنظيمات، من أجل حماية المجتمع من فوضى وشيكة يمكن أن تلم به بفعل المتغير المعلوماتي.

والاقتصاديون يرون الفجوة الرقمية نتيجة لعدم القدرة على اللحاق بركاب اقتصاد المعرفة وعلى استغلال موارد المعلومات لتوليد القيمة المضافة، ولا حل لسد الفجوة الرقمية إلا بتحرير الأسواق وإسقاط الحواجز أمام تدفق المعلومات والسلع والخدمات وحركة رؤوس الأموال، وكل ذلك يتطلب سرعة الاندماج في الاقتصاد العالمي.

أما التربويون فيرون الفجوة الرقمية قضية تعليمية في المقام الأول ومظهرها لعدم المساواة في النفاذ إلى فرص التعليم، والحل في رأيهم هو في إكساب المتعلم القدرة على التعلم ذاتياً مدى الحياة.

ويرى الاتصاليون أن الفجوة الرقمية أساسها عدم توافر شبكات الاتصالات، ووسائل النفاذ إليها ونقص السعة الكافية لتبادل النوعيات المختلفة لرسائل المعلومات، والحل في رأيهم هو في توفير بدائل رخيصة لإقامة شبكات الاتصالات ونشرها على أوسع نطاق.

والاجتماعيون يرون الفجوة الرقمية ضرباً من عدم المساواة الاجتماعية عبر الفواصل الاجتماعية المختلفة كالدخل والسن والنوع ومستوى التعليم وسكنى المدينة والريف، وهم يرون ضرورة توفير الشروط الاجتماعية والثقافية التي تساعد على توطين التقنية في التربة المحلية.

كما عرف الاتحاد الدولي للاتصالات هذا المفهوم بالقول: الفجوة الرقمية هي الاختلاف بين من يملك ومن لا يملك فرص النفاذ أو الوصول إلى المعلومات عبر وسائل وتقنيات الاتصال (الهاتف الثابت والمحمول والحاسوب والإنترنت وخدمة الحزمة العريضة) وقد تكون الفجوة الرقمية بين البلدان المتقدمة والنامية، أو بين البلدان ضمن المجموعة الجغرافية الواحدة، أو في البلد الواحد بين الريف والمدينة، أو بين السكان بحسب خصائص (العمر- والجنس- والدخل- والعرق).

كما يصف جيمس James الفجوة الرقمية بأنها "التوزيع غير المتكافئ للحواسيب ووصلات الإنترنت وآلات الفاكس وما إلى ذلك بين البلدان" (James 2003: 23).

أما نوريس فأرجعها إلى ثلاثة أبعاد حيث أكد في حديثه بأن الفجوة الرقمية تفهم "كظاهرة متعددة الأبعاد تشمل ثلاثة جوانب مميزة، فالفجوة العالمية تشير إلى الاختلاف في النفاذ إلى الإنترنت بين المجتمعات الصناعية والمجتمعات النامية، والفجوة الاجتماعية هي الفجوة بين مصادر المعلومات بين الاغنياء والفقراء في كل أمة (Norris 2001: 4).

كما وصفها سيرفون Servon بأن ظاهرة الفجوة الرقمية هي أكثر دقة في القياس بالمقارنة إلى ما ذهب إليه نوريس ، حيث تطرق إلى ثلاثة أبعاد رئيسية: البعد الأول يتعلق بالوصول إلى الإنترنت ولهذا الغرض يلزم وجود بنية تحتية كافية من أجل التمكن من السفر على طول الطريق السريع للبيانات. أما البعد الثاني فيركز على جانب التعليم الضروري، وهو ما يسمى بـ

"محو الأمية". وهذا يعني القدرة على "استخدامه لمجموعة من الأغراض ومعرفة كيف ولماذا يمكن استخدامها كمورد رئيسي ويتضمن البعد الثالث من الفجوة الرقمية جانب من جوانب المحتوى المقدم على شبكة الإنترنت." (7 : Servon 2002).

في رأي سيرفون والباحثين الآخرين، يجب على المستخدمين أن يفهموا أولا الإمكانيات التي توفرها هذه الوسيلة الجديدة، وكيف يمكن استخدامها بشكل جيد، والمهام التي يمكن معالجتها باستخدامها. والنماذج المهنية المطلوبة وتوفير التدريب الشامل. ووفقا لسيرفون تركيب محتوى معلومات في شبكة الانترنت يجب أن تتوافق مع رغبات الزبائن غير المتجانسة. ولهذا فإن مشكلة الإنترنت ليست موجهة لجميع الأفراد بنفس وفرة المعلومات المتنوعة والمتاحة وبعبارة أخرى عندما تقوم المجموعات المحرومة بتسجيل الدخول في الانترنت، فإنها غالبا لا تجد محتوى مناسباً لطبيعتها أو لما تبحث عليه. أي أن نوع المعلومات التي يسعون للحصول عليها لها صلة مباشرة بحياتهم ومجتمعاتهم وثقافتهم غير موجودة، ولهذا السبب، من المهم بصفة خاصة أن يتاح للأفراد والمجموعات المحرومة اجتماعيا خيار تغذية المعلومات لاستخدامهم الخاص في الشبكة.

مثل هذه المشاركة يمكن أن تشكل خطرا على الطبقات المحرومة عندما لا تجد أي معلومات مناسبة وبهذه الطريقة يتم تشييطها في بحثها، وأخيرا التخلي عن أداة "الإنترنت" تماما.

2-3 كيفية قياس الفجوة الرقمية؟

هناك اساليب منهجية مختلفة لقياس الفجوة الرقمية تجريبيا. وفي رأينا فإن أفضل وأرقى هذه المناهج هو الإجراء الذي وضعه كل من كوروش وأوردانيني **Corrocher and Ordanini** اللذان يقيسان الفجوة الرقمية باستخدام أسلوب المقارنة بين كل بلد على حدى ويتم بناء أسلوبها على ثلاث مراحل:

في المرحلة الاولى يتم تحليل المتغيرات التي توفر المعلومات في مرحلة تطور التكنولوجيات الرقمية في بلد ما وعندما يصل انتشار التكنولوجيات الرقمية إلى كتلة حرجة يتم تحليل كثافة التسجيل في مرحلة ثانية. بالنظر إلى معدلات انتشار الأجهزة المختلفة المطلوبة لاستخدام التطبيقات الرقمية. ويتم التوصل إلى المرحلة الثالثة والأخيرة عندما يمكن وصف التكنولوجيا بأنها متكاملة اجتماعيا. وفي هذا المستوى يتم فحص الخصائص النوعية، مثل "أثر التحول الرقمي على الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية، وعلى هيكل الإنتاج والاستهلاك وعلى العمالة" (13 : Corrocher and Ordanini 2002).

كما أن حداثة مفهوم الفجوة الرقمية وتباين تعريفاتها وتعدد وجهات النظر في شأنها، خلق صعوبات عديدة لقياس "الفجوة الرقمية"، منها صعوبات منهجية تتمثل في صعوبة إجمال قدرات الشعوب في إحداث التنمية بمؤشر واحد، ومنها صعوبات احصائية تتمثل بقصور جمع البيانات وادماجها وتمثيل المؤشرات للواقع الفعلي. ومع ذلك يمكن اجمال أهم المؤشرات بالآتي:
(الاسكوا، 2002)

1- عدد المستخدمين في شبكة الانترنت.

2- بنية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وامكانية الوصول إليها.

3- قدرة المواطنين على شراء الوسائط التكنولوجية.

4- التأهيل التكنولوجي.

5- مضمين ومحتويات تناسب حاجات السكان.

6- امتلاك مهارات تكنولوجيا المعلومات.

7- الفقر.

8- خصائص ديموغرافية (عرق، جنس، الدين، اللغة...الخ).

وتتيح لنا النتائج التراكمية من الخطوات الإجرائية الثلاث اختتام مرحلة التنمية الرقمية في بلد ما، ولكنها لا تفسر الاختلافات والخصائص المحددة لكل بلد والسياق.

في الفصل التالي، سيتم مناقشة هيكل ونطاق الفجوة الرقمية بمزيد من التفصيل.

3-3 نطاق وهيكل الفجوة الرقمية

نشر موقع الاحصائيات العالمية للانترنت (Internet world Stats) تقريراً حول تقديرات حول مقياس وهيكل الفجوة الرقمية العالمية في مؤشر الوصول إلى الانترنت إلى غاية مارس 2017 كما هو موضح في الجدول أدناه:-

نمو الاستخدام % 2016-2000	نسبتهم من مستخدمي الانترنت %	نسبتهم % من عدد السكان	عدد مستخدمي الانترنت	نسبتهم % من عدد سكان العالم	عدد السكان	القارات
7.557.2	9.3	27.7	345.676.501	16.6	1.246.504.865	إفريقيا
1.539.4	50.2	45.2	1.873.856.654	55.2	4.148.177.672	اسيا
506.1	17.1	76.7	630.710.269	10.9	822.710.362	اوروبا
2.035.8	10.3	59.6	385.916.382	18.6	647.604.654	أمريكا اللاتينية والكاريبينان
4.220.9	3.8	56.7	141.931.765	3.3	250.327.574	الشرق الاوسط
196.1	8.6	88.1	320.068.243	4.8	363.224.006	امريكا الشمالية
261.5	0.7	68.1	27.549.054	0.5	40.479.846	أستراليا
933.8	100	49.6	3.731.973.423	100	7.519.028.970	المجموع العالمي

إن الوصول إلى تكنولوجيات المعلومات والاتصالات موزع بشكل غير متساو بين البلدان الصناعية والبلدان النامية حيث نلاحظ من الجدول السابق أن قارة أمريكا الشمالية، والتي تضم الولايات المتحدة الأمريكية وكندا تنصدر المناطق الأكثر إستخداما للانترنت من حيث مجموع عدد سكانها بنسبة 88.1 % بالمقابل نلاحظ أن قارة إفريقيا هي القارة الأقل حضا، حيث أنه من إجمالي سكانها البالغ 1.2 مليار تقريبا هناك 345 ألف فقط يستخدمون الانترنت أي ما يعادل 27.7 %، وهذا يفسر الفجوة القائمة بين البلدان النامية والمتقدمة من حيث الربط بالانترنت.

نمو الاستخدام % 2016-2000	نسبتهم % من عدد السكان	عدد مستخدمي الانترنت	عدد السكان	الدولة
3150.8	52.7	731.434.547	1.388.232.693	الصين
9142.5	34.4	462.124.989	1.342.512.706	الهند
200.9	87.9	286.942.362	326.474.013	و.م.أ
2682.2	65.9	139.111.185	211.243.220	البرازيل
6535.0	50.4	132.700.000	263.510.146	إندونيسيا
151.6	94.0	118.453.595	126.045.211	اليابان
3272.7	72.9	104.553.491	143.375.006	روسيا
46.695.6	48.8	93.591.174	191.835.936	نيجيريا
198.9	89.0	71.727.551	80.636.124	ألمانيا
2477.6	53.7	69.915.219	130.222.815	المكسيك

من الجدول أعلاه والممثل في - العشر 10 دول الأكثر إستخداما للإنترنت- يمكن ملاحظة أن اليابان تتواجد في طليعة إستخدام الإنترنت بالمقارنة مع سكانها حيث يبلغ عدد المستخدمين 118 مليون تقريبا من أصل تعداد سكانها المقدر بـ 126 مليون تقريبا، والمثير للانتباه هو وجود نيجيريا كدولة نامية ضمن الدول الأكثر إستخداما للإنترنت، وكذلك بنمو كبير عال جدا قدر بـ 46.695.6 % ما بين سنة 2000-2016 وهذا يعبر عن الجهود التي تقوم بها مثل هذه الدول لسد الفجوة الرقمية.

الدولة	عدد السكان	عدد مستخدمي الإنترنت	نسبتهم % من عدد السكان	نمو الاستخدام % 2016-2000
الجزائر	41.063.753	15.105.000	36.8	302.1
المغرب	35.241.418	20.207.154	57.3	202.0
تونس	11.494.760	5.800.000	50.5	58
ليبيا	6.408.742	2.800.000	43.7	280
موريتانيا	4.226.448	714.132	16.7	142.8

من خلال الجدول السابق -استخدام الإنترنت وفقا لعدد السكان في دول المغرب العربي- يتبين لنا بأن المغرب وتونس التي يزيد عدد مستخدمي الإنترنت في كل منها عن النصف من إجمالي عدد سكانهم، وهو مؤشر إيجابي يدل عن مجهودات هذه الدول في تقليص الفجوة الرقمية، أما موريتانيا فقد إحتلت المرتبة الأخيرة. كما يتضح من إحصائيات الجدول رغم أن هذه النسب التي لا ترقى إلى مصاف نسب الدول المتقدمة من حيث الربط بالإنترنت، إلا أن هناك نموا متزايدا في كل دول المغرب العربي من حيث إستخدام الإنترنت، حيث حققت الجزائر نموا بـ 302 % وهذا مؤشر إيجابي. ووفقا للمعطيات الاجمالية لاستخدام الإنترنت في المغرب العربي، نجد أن الإنترنت ما زالت مقتصرة على نخبة معينة داخل هذه المجتمعات المؤهلة ثقافيا.

استعراض عدد سكان العالم لمستخدمي اللغة 2016	نمو اللغة في شبكة الانترنت ما بين 2016-2000	عدد مستخدمي اللغة من بين مستخدمي الانترنت	نسبة مستخدمي اللغة من بين كافة مستخدمي الانترنت	أكثر اللغات أكثر استعمالا في الانترنت
1.400.052.373	%573.9	%67.8	948.608.782	الانجليزية
1.415.572.934	%2.227.9	%53.1	751.985.224	الصينية
450.235.963	%1.424.3	%61.6	277.125.947	الاسبانية
388.332.877	%6.602.5	%43.4	168.426.690	العربية
266.757.747	%1.939.7	%57.9	154.525.606	البرتغالية
126.464.583	%144.5	%91.0	115.111.595	اليابانية
289.702.633	%1.809.3	%37.8	109.400.983	الملايو
146.358.055	%3227.3	%70.5	103.147.691	الروسية
393.892.299	%751.5	%25.9	102.171.481	الفرنسية
94.973.855	%204.6	%88.3	83.825.134	الالمانية
4.972.343.316	%848.4	%65.6	2.814.329.132	المجموع
2.367.750.664	%1.141.0	%33.7	797.046.681	باقي اللغات الاخرى

من خلال معاينة جدول- اللغات الأكثر شيوعا في شبكة الانترنت- نجد أن اللغة الإنجليزية ما زالت تتصدر المرتبة الأولى، حيث تستخدم من قبل أكثر من 67.8 % من مستخدمي الانترنت، هذه النسبة تفيد كذلك بأنها هي اللغة الأكثر شيوعا بين لغات مواقع الانترنت، مما يتيح للمتحدثي الإنجليزية فرصا تفوق متحدثي أي لغة أخرى، أما اللغة العربية فقد وصلت كذلك إلى نادي اللغات الأكثر شيوعا، حيث حازت على المرتبة الرابعة (04) بنسبة 43.4 % من مستخدمي الانترنت المتحدثين بالعربية، كما نجد أن نموها هو الأكبر من بين كل اللغات والمقدر بـ 6.602.5 % وينذر بتنافس شديد مع اللغات الصينية والاسبانية.

وتظهر البلدان والمجموعات السكانية والطبقات الاجتماعية التي تعاني بالفعل من الفقر والتمييز لأسباب مختلفة تشهد أدنى معدلات انتشار واستخدام الانترنت كما ذكر أيضا نوريس Norris "عند النظر في التفسيرات البديلة لظاهرة الفجوة الرقمية، تشير الأدلة بقوة إلى أن التنمية الاقتصادية هي العامل الرئيسي الذي يدفع إلى الوصول إلى التكنولوجيات الرقمية، بحيث تعكس الانترنت وتعزز أوجه التفاوت التقليدية بين المجتمعات الغنية والفقيرة (...). بعيدا عن النمط الجديد للانتشار العالمي الانترنت ويعكس الأنماط القائمة للوصول إلى وسائط الإعلام التقليدية بما في ذلك التلفزيون، والصحف، وأجهزة الراديو، والفوارق التي كانت موجودة منذ عقود، والتي لا تظهر أي علامة على الإغلاق التدريجي مع مرور الوقت"

هذه النتيجة ليست مفاجئة، لان وجود البنية التحتية مثل خطوط الهاتف والكهرباء والحواشيب تعتمد اعتمادا كبيرا على الدخل. ومقارنة بالبيانات التي جمعها سيرفون Servon مثيرة للإعجاب فقد وجد أن متوسط مستخدمي الإنترنت في جنوب أفريقيا أعلى بسبع مرات من المتوسط الوطني لبغداد، أيضا فيما يتعلق بتكاليف الاتصال يجد مقارنة مناسبة حيث تبلغ تكاليف الاتصال بشبكة الإنترنت الشهرية في الولايات المتحدة 1.2 % فقط من متوسط الراتب الشهري مقابل 80% في بوتان و278 % في نيبال.

وتنق مع ما قاله ماير Meyer بأن هياكل الظلم وعدم المساواة الحالية، التي كانت قائمة لفترة طويلة والتي لا تزال مستمرة نسبيا، لا يمكن أن تتوقف إلا بمساعدة تكنولوجيات المعلومات والاتصالات الحديثة. وان مدى انتشار واستخدام الإنترنت سيسهم في رصد الهياكل الاجتماعية كعدم المساواة بين الجنسين، والاتجاهات التمييزية ضد الأقليات، أو كمثل عالمي، يمكن أن يتهك التدرج الهائل بين الشمال والجنوب. وحتى الان يمكن أن يكون هناك شيء واحد مؤكد: إن توزيعات الإنترنت وزيادة اعتماد الاقتصاد على المواد الخام "المعرفة" لم تقلل من هياكل عدم المساواة القائمة على الصعيدين الوطني والعالمي بل تعززت (Katz and Rice 2002: 29).

4-3 الاسباب وعوامل التأثير

وكما ذكر سابقا، فإن التخطيط الاقتصادي في بلد ما بالنظر إلى مؤشر استخدام الإنترنت وانتشاره على المستوى الكلي المجتمعي، يبدو أن هذه العلاقة منطقية للوهلة الأولى: فالبلدان المزدهرة اقتصاديا يمكنها أن توفر البنية التحتية الباهظة الثمن اللازمة لدفع انتشار استخدام الإنترنت. وفي الوقت نفسه، تنفق البلدان الغنية قدرا كبيرا من المال على البحث والتطوير، وهو ما يرتبط بدورها الاقتصادي في انتشار الإنترنت (Afele 2003: 61, James 2003: ix) بالإضافة إلى ذلك، فإن التعليم يقاس بمعدل الالتحاق بالمدارس وعدد الخريجين وسنوات الدراسة، حيث نجد أن هذا المؤشر في الدول المزدهرة أعلى بكثير مما هو عليه في البلدان النامية، وهو ما ينعكس على معدل الإلمام بالقراءة والكتابة، وهو بالطبع له الأثر الكبير في استخدام الإنترنت أيضا، فالرخاء الاقتصادي، والمستوى التعليمي، وجهود البحث العلمي يمكن اعتبارها عوامل متفاعلة تزيد أو تقلل من الفجوة الرقمية العالمية السائدة على المستوى الكلي المجتمعي. ومع ذلك، فإن المعادلة البسيطة "الأكثر شراء، الأكثر انتشارا للإنترنت" ليست صحيحة دائما، وبالنظر إلى حقيقة البلدان المزدهرة اقتصاديا مثل إيطاليا وإسبانيا وبلجيكا ..

الخ التي لديها معدلات انتشار انترنت أقل من فنلندا ونيوزيلندا وهولندا..الخ على سبيل المثال، حيث أن وارسو Warsaw تابع مجدية هذه الظاهرة وحدد العوامل المتعددة التي تؤثر على الفجوة الرقمية. وبالإضافة إلى الوضع الاقتصادي المذكور أعلاه، فإن نظام الوضع الاقتصادي السائد (التنظيم القوي للدولة أو المشاريع الخاصة المستقلة نسبياً)، وحالة البنية التحتية والإنفاق على التعليم، والنظام السياسي والثقافة الخاصة بالبلد كلها سياقات هامة في معدلات انتشار الإنترنت المختلفة (Warsaw 2003: 51).

كما قام سيرفون Servon بتقديم حجج مماثلة بقوله "إن قوى السوق، والتوزيع غير المتكافئ للاستثمار في البنية التحتية اللازمة، والتمييز بين الفئات الاجتماعية، والجهود السياسية غير الكافية، والمعلومات المقدمة على شبكة الإنترنت هي أسباب للفجوة الرقمية (Servon 2002: 8-11). كما أكد كل من كاتس ورايس Katz and Rice في هذا الجانب عن المواد الإعلامية المتاحة على شبكة الإنترنت. وهم يرون أن الطابع الغالب في المواد الإعلامية القابلة للاسترجاع على الإنترنت يمكن أن تؤثر بشكل كبير على الفجوة الرقمية. كما أن الهيمنة القاطعة للغة الإنجليزية في الفضاء السبراني مثلت عتبة كبيرة لكثير من الناس، والتي لن تختفي في المستقبل المنظور (DiMaggio et al 2001: 311).

أما فيما يتعلق بالعوامل المؤثرة المحتملة التي تؤثر على الفجوة الرقمية في هذا الصدد نجد تعليقات ماير Mayer المثيرة للاهتمام وهو يتحدث عن الحواجز المختلفة التي تجعل الوصول واستخدام الإنترنت أكثر صعوبة، وخاصة على المستوى الجزئي أي الفردي. حيث أن العقلية (عدم الرغبة، المصالح المفقودة، المساعدات المفقودة وانعدام الحاجة والمواد) (معدات باهظة الثمن، وارتفاع سعر الشراء) الحواجز المعرفية (المحتوى المفقود) حاجز المهارات (نقص التدريب ونقص المعرفة) (Meyer 2003: 40 Akbar).

هذه الحواجز هي أساساً نفسها التي أوضحها وارسو، والذي حدد أربعة موارد مركزية لاستخدام تكنولوجيايات الاتصال. وهي "الموارد المادية، والموارد الإلكترونية، والموارد البشرية، والموارد الاجتماعية (...)

تشمل الموارد المادية الوصول إلى استخدام الحواسيب والاتصالات عبر الإنترنت)، أما الموارد الاجتماعية

وتتمثل في الرجوع إلى مؤسسة المجتمع ووصول دعم تكنولوجيا المعلومات للهيكل المجتمعية والمؤسسية".

باختصار فإن الانظمة الاجتماعية الاقتصادية والاجتماعية الثقافية هي عوامل الفجوة الرقمية وهي المسؤولة على المستوى الاجتماعي الكلي وكذلك العوامل المؤثرة مثل الازدهار الاقتصادي، والمستوى التعليمي، الإنفاق على البحث العلمي، والنظام السياسي والمناخ الثقافي كلها عوامل تؤثر على الفجوة الرقمية، أما على المستوى الجزئي الاجتماعي كمصلحة الفرد، المهنة، الدخل، السن، الصحة العقلية والبدنية، والجنس

4- الآثار المترتبة على الفجوة الرقمية في التغير الاجتماعي والثقافي

وفيما يتعلق بمسألة الآثار المحتملة للفجوة الرقمية على التغير الاجتماعي والثقافي، يمكن التطرق إلى موقفين متعارضين في الأدبيات الحالية. فمن ناحية تهمين النظرة "البائسة" التي تؤكد بأن انتشار الانترنت ليس جيدا وتسلب الضوء على العواقب الاجتماعية السلبية الفعلية والمحتملة. وعلى الجانب الآخر هناك النظرة "المثالية" وهي تضع توقعات كبيرة بشأن إمكانيات تطبيق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتأمل أن تتمكن من القضاء على هيكل عدم المساواة القائمة بمساعدة وسائط الإعلام الجديدة.

ويبدو أن كلا الجانبين على حق في طرحهما. حيث أننا لا يمكن أن ننكر أن الفجوة الرقمية موجودة فعلا، ولا يمكن أن ننسى أن الانترنت هي ملائمة للطبقات الاجتماعية المحرومة والمجموعات السكانية التي جلبت فوائد كبيرة وفتحت آفاقا جديدة. ومع ذلك، فإن الخطر الذي تنطوي عليه الفجوة الرقمية هو التهميش الاجتماعي الذي يؤدي بالفعل إلى مزيد من العزلة الاجتماعية، حيث تصبح عملية الإقصاء الاجتماعي هذه أكثر دراماتيكية كلما أسرع عالم الانترنت دون مشاركة فعالة أو تشكيل هؤلاء المستبعدين اجتماعيا وكلما زاد اعتماد المجتمع أو العالم المعولم على المواد الخام "المعرفة":

"إن الشاغل الرئيسي للفجوة الرقمية هو أن الطبقة السفلى في المجتمع التي تفتقر إلى المعلومات قد تصبح أكثر تهميشا في المجتمعات التي تصبح فيها المهارات الحاسوبية الأساسية ضرورية للنجاح والتقدم الشخصي والدخول إلى فرص وظيفية جيدة وفرص تعليمية والوصول الكامل إلى الشبكات الاجتماعية، وفرص المشاركة المدنية" (Norris 2001: 68).

كما يرى مانويل كاستيلز أن الاعتماد المتزايد في المجتمع على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الجديدة عامل للتمييز.

وكلما أصبحت الإنترنت الوسيلة الرئيسية للأعمال التجارية، والتعليم، والخدمات الاجتماعية، والتنمية الشخصية، والتفاعل الاجتماعي، كلما زادت القدرة على استخدامها على مستوى الشعب تعليمياً وثقافياً.

وبعبارة أخرى، يبدأ التفاوت الحقيقي عندما نعتمد جميعاً على الإنترنت لأن القدرة الثقافية على تحديد المعلومات التي نحتاجها، ومعرفة أين نبحث عنه، وماذا نفعله، والتركيز عليه في أداء المهام التي نريد إنجازها، يصبح مصدر التمايز الاجتماعي وهكذا، إذا كان المستوى التعليمي والثقافي والقدرة على الاستقلالية الشخصية هي دائماً عوامل رئيسية في تشكيل عدم المساواة الاجتماعية، فإن تأثيرها التفاضلي يصبح ضخماً في عصر الإنترنت" (Castells, cited in Servon 2002: xviii)

والحلقة المفرغة على وجه التحديد هي أن تلك المجموعات من الناس والطبقات الاجتماعية والأمم التي هي بالفعل محرومة في السياق الوطني والدولي تفقد علاقاتها مع العالم المتطور بسرعة، وتؤدي قوة الطرد المركزي لآلية الإقصاء الاجتماعي هذه إلى دفع مجموعة المحرومين اجتماعياً إلى الهامش، الأمر الذي يجعل التقدم الاجتماعي يكون أكثر صعوبة وهناك تنشأ عوالم موازية يتم فصلها عن بعضها البعض من خلال وجود فجوة متباينة "المعلومات والمعرفة" (Katz and Rice 2002: 18f) حيث جاء في تقرير التنمية البشرية 2003: يتكون المجتمع الرقمي أو مجتمع المعلومات من بيانات ومعلومات وارشادات وأفكار ورموز تملكها المجتمعات في سياق تاريخي محدد، توجه السلوك البشري في مجالات النشاط الإنساني كافة، بالتالي فإن المجتمع الرقمي يقوم أساساً على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي: الاقتصادية، السياسية، الثقافية، الاجتماعية، وفي الحياة الخاصة والعامة، وفي كافة الجوانب المتعلقة بالمجتمع المدني وصولاً للارتقاء بالحالة الإنسانية باطراد، أي تحقيق التنمية البشرية.

إن علاقة الانترنت بالعمولة الثقافية مرتبطة بتدفق المعلومات الهائل في الفضاء الإلكتروني، بالإضافة الى موجات الهجرة البشرية بحثاً عن العلم أو العمل. والتي لا يمكن فصلها عن التدفق المعلوماتي في أسواق السياسة والاقتصاد. وعلى الرغم من تعدد تعريفات العمولة الثقافية تبعاً لكل مجتمع ورؤيته الا أن تبني الافكار الجديدة "العمولة" في المجتمعات ليس بالأمر السهل. وهذا ما يجعل قالب العمولة الثقافية متحولاً من مجتمع لآخر من ناحية التأثير. فتوفر الانترنت والرقابة جعل الفجوة الرقمية تحدياً قوياً أمام خلق مجتمع عالمي متجانس تماماً ناهيك عن مكونات الثقافة نفسها كالدين واللغة والعادات والتقاليد والمعتقدات التي تشكل سداً منيعاً كونها تمثل الهوية الفردية والجمعية.

لعل من التشبيهات الملائمة لوصف التغيرات في المجتمعات هو "المستويات". فيرى الباحث الأمريكي جوزيف ستروبار (2008) أن العولمة الثقافية تشكل طبقات جديدة انتقالية في الهوية الفردية والجمعية لمستخدمي الانترنت كما الناظر الى نهر في اسفل المنحدر يرى بشكل جانبي مستويات متعددة للمياه الجارية ويلاحظ أن هناك مستويات جوهريّة من المياه لا يمكن الاستغناء عنها ليم استقبال مستويات جديدة. وهنا يشير الباحث الى مستويات اللغة والدين والتعليم والطبقة الاجتماعية والعرق كمستويات أساسية لا تتجزأ مهما تأثرت أجزاء منها بالعولمة إثر الهجرة المؤقتة أو الاتصال بالانترنت.

لعل الانترنت أيضاً يحفز الروابط بين المجتمعات المضطهدة سياسياً كحال اللاجئين الفلسطينيين الذين وجدوا فيه مساحة للتواصل مع اخوانهم في الأراضي المحتلة والشتات. وربما هذا ما يمثل نظرية عالم الاجتماع الاسباني مانويل كاستلز (2004) حول روابط الهوية الجمعية المتينة التي تجمع القوميات المتفرقة سياسياً وغير المحمية بسيادة دولة كاملة. ولعل اتساع حدود الخيارات المتوفرة على الانترنت تجعل من السهل على الفرد أن يختار مجتمعه الافتراضي والذي يكون بالعادة متقارب أو مماثل لثقافته؛

ومن ناحية أخرى تلعب اللغة في هذا المجال دوراً صريحاً خصوصاً مع اعتماد اللغة الانجليزية كلغة الانترنت. ومع ذلك تلحظ حرص مواقع الانترنت العالمية ومحركات البحث ومنصات الاعلام الاجتماعي على توفير عدة لغات لضمان الوصول الى أكبر عدد ممكن من المتصفحين.

أما الفجوة الرقمية التي تفصل الدول الفقيرة عن الثرية قد تكون مسبباً آخر لتفاوت مظاهر العولمة الثقافية. فتوفر الشبكة العنكبوتية وجودة الاتصال بها مرتبط بشكل مباشر بالحالة الاقتصادية في الدولة وهذا ما يفسر تطور استخدام تكنولوجيا المعلومات في دول الخليج العربي مقارنة بفلسطين والاردن ولبنان وسوريا. ناهيك عن دور الرقابة التي تلعبه الحكومات في ضبط قدرة المواطنين على الوصول الى بعض محتويات الانترنت والتي يظهر أكثر أشكالها تطرفاً في الصين.

5- الاستنتاجات والتوقعات:

مما سبق يمكن القول أن الفجوة الرقمية هي عبارة عن الهوة الفاصلة بين الدول المتقدمة و الدول النامية في النفاذ إلى مصادر المعلومات و المعرفة والقدرة على استغلالها، إضافة إلى أن حدوثها لا يكون إلا بوجود جملة من الأسباب التي دعت إلى ذلك، و يمكن العمل على تقليص الهوة الرقمية من تحقيق أكثر ما يمكن من التوازن على مستوى فرص الحوار و التواصل

الحضاري و الثقافي بين الأفراد و بين المجتمعات ويعتبر التضامن و التعاون الدولي هو الضامن الأكبر لتحقيق هذا التوازن بين الدول والمجتمعات فكما أن التضامن بين الأفراد يمكن من انتشار الأفراد الأقل حظا على مستوى الثروة و تمكينهم من الحصول على فرص مناسبة للعيش فان التضامن بين الدول يمكن الدول الفقيرة و النامية من الحصول على فرص لتحقيق التنمية و توفير وسائل الحياة و التعليم و الصحة لأفرادها ويمثل التضامن الدولي استكمالاً لما يفتحه الحوار بين الثقافات من سبل التفاهم و الرغبة في العيش المشترك.

وفي هذا الصدد تنقسم رؤية المتخصصين حول مستقبل الفجوة الرقمية في العالم إلى رأيين:

***المتفائلون:** وهم يرون أن قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يوفر للدول النامية فرصة للتقدم والقفز خطوات في مجال التنمية التكنولوجية، ومنافسة الدول المتقدمة في ذلك المجال.

***المتشائمون:** وهم يرون أن الفجوة الرقمية سوف تتزايد باضطراد مع مرور الوقت، حيث سيزداد في الدول الصناعية، في حين ستفتقر معظم الدول النامية إلى وجود الخبرات العلمية في انتشار التكنولوجيا اللازمة وكذا الأسواق المحلية المهيأة مما سيجعلها غير قادرة على المنافسة.

خاتمة:

بعيدا عن التفاؤل أو التشاؤم وبالرجوع إلى التاريخ الحديث، نجد نماذج لمجتمعات نامية تمكنت من تحقيق نهضتها الاقتصادية والاجتماعية بالاستفادة من ثمار الثورة المعلوماتية- الرقمية، حيث أصبحت رائدة في إنتاج تكنولوجياتها، وتبدوا النور الآسيوية خير دليل على ذلك ، في حين لم تكن أكثر الإحصائيات تفاؤلاً منذ عقود قريبة تشير لاحتمال أي نهضة فيها.

قائمة المراجع

- 1- محمد فتحي عبد الهادي، المعلومات وتكنولوجيا المعلومات على أعتاب قرن جديد، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 2000، ص 19.
- 2- نبيل علي ود.نادية حجازي، الفجوة الرقمية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2005، عدد 318، ص. 47.
- 3- AFELE, J.S. (2003): *Digital Bridges. Developing Countries in the Knowledge Economy.* Hershey/ London. Idea Group Publishing.
- 4- AKBAR, S.U. (o.J.): *Bridging Digital Divide: Bangladesh Aspect.* URL:
<http://www.unpan1.un.org/intradoc/groups/public/documents/APCITY/UNPAN005828.pdf>
f
(10.07.04).
- 5- ANNAN, K. (2002): *On the digital divide.* URL:
[http://www.un.org/News/press/docs/2002/20021105.sg5nov-](http://www.un.org/News/press/docs/2002/20021105.sg5nov2002.htm)
2002.htm (12.07.04).
- 6- ATTEWELL, P. (2001): Comment: The First and the Second Digital Divides. In: *Sociology of Education*, Vol. 74, Nr. 3, 252-259. URL: <http://www.jstor.org/sici?sici=0038-0407%28200107%2974%3A3%3C252%3ACTFASD%3E2.0.CO%3B2-3> (26.05.04).

- 7- BORNSCHIER, V. (2001): Generalisiertes Vertrauen und die frühe Verbreitung der Internetnutzung im Gesellschaftsvergleich. In: *Kölner Zeitschrift für Soziologie und Sozialpsychologie*, Jg. 53, Heft 2, 233-257.
- 8- BOURDIEU, P. (1987): *Die feinen Unterschiede. Kritik der gesellschaftlichen Urteilskraft*. Frankfurt am Main. Suhrkamp Verlag.
- 9- BRAUN, E./ HEINE, F./ OPOLKA, U. (2000): *Politische Philosophie*. Reinbek bei Hamburg. Rowohlt Taschenbuch Verlag.
- 10- COLEMAN, J. S. (1988): Social Capital in the Creation of Human Capital. In: *The American Journal of Sociology*, Vol. 94, 95-120. URL: <http://www.jstor.org/sici?sici=0002-9602%281988%2994%3CS95%3ASCITCO%3E2.0.CO%3B2-P> (29.06.04).
- 11- COLEMAN, J.S. (1991): *Grundlagen der Sozialtheorie*. Bd.1. München. Oldenbourg Verlag.
- 12- CORROCHER, N. / ORDANINI, A. (2002): Measuring the digital divide: a framework for the analysis of cross-country differences. In: *Journal of Information Technology*, Nr. 17, 9-19.

URL:<http://www.unpan1.un.org/intradoc/groups/public/documents/APCITY/UNPAN007361.pdf> (10.07.04).
- 13- CUSTER, U. (2004): Die Alpen als Technologie-Barriere. Studie zur Kommunikationstechnik in den Haushalten. In: *Neue Zürcher Zeitung*, Nr. 151, 2.07.04.

14- DASGUPTA, S./ LALL, S./ WHEELER, D. (2001): *Policy Reform, Economic Growth, and the Digital Divide: An Econometric Analysis*. Development Research Group. World Bank. URL: <http://www.econ.worldbank.org/view.php?id=1615> (10.07.04).

DIMAGGIO, P./ HARGITTAI, E./ NEUMANN, R.W./ ROBINSON, J.P. (2001): Social Implications of the Internet. In: *Annual. Review of Sociology*, Vol. 27, 307-336. URL: <http://www.princeton.edu/culturalpolicy/workpap17.html> (06.07.04).

15- EHRENBERG, J. (2002): Equality, Democracy, and Community from Tocqueville to Putnam. In:

16-MCLEAN, S.L./SCHULTZ, D.A./STEGER, M.B. (eds.): *Social Capital. Critical Perspectives on Community and „Bowling Alone“*. New York/ London. New York Press, 50-7

د.دوداح علجية، جامعة البويرة.

أ.ماقري مليكة. جامعة البويرة.

ملخص:

تتعدد مظاهر التغير الاجتماعي باعتبارها تمس علاقاته مع مختلف الأنساق الاجتماعية ومن أهم المظاهر التقدم الاجتماعي ، النمو الاجتماعي ، الحراك الاجتماعي ، الإنتشار الثقافي ، التحول الاجتماعي ، هذا الأخير يتداخل مع التغير الاجتماعي ، غير أن ما يميز بينها هو مستويات الإنتقال وامتداد الفترة التاريخية لأن التغير يكون أي ومتأني بينما التحول يكون بين فترة وأخرى نسبيا إلا أن هذا لا يبني التداخل بينها في الواقع . ولهذا سوف نتطرق إلى هذا الموضوع من خلال تناول ظاهرة التحول الاجتماعي القيمي لدى الشباب الجزائري من خلال رصد جوانب هذا التحول ومعرفة المتغيرات الاجتماعية المفسرة لها والآثار والانعكاسات الملاحظة من خلال رصد و تتبع وضعية هذه الفئة.

مقدمة:

تعد دراسة التغير القيمي من الدراسات ذات الأهمية الكبيرة، كونها تهدف إلى التعريف بالنسق القيمي السائد لدى جيل من الأجيال أو فئة من الفئات، مما يعني التعرف على موجهات العقل الاجتماعي والتعرف على المفاهيم التي تتمسك بها تلك الفئة من المجتمع من جهة والقيم التي تتعرض إلى التغير السريع أو البطيء من جهة أخرى. وتعد القيم بمثابة معالم للمجتمع وصور في عقول أفرادها أنها بمثابة الإطار المرجعي الذي يوصل العقل الاجتماعي إلى أهدافه. وتعد القيم واحدة من القضايا التي دار حولها جدل كبير نتيجة التغيرات السريعة التي يشهدها المجتمع، ولا سيما مع تناهي موجات العولمة. وما رافقها من تطورات هائلة في شتى المجالات المجتمعية وما أحدثه ذلك من تغيرات في النسيج الاجتماعي والثقافي. فهنالك من يعتقد أن القيم ثابتة. وغير قابلة للتغير. وهنالك آخرون لهم رأي آخر. إذ يشيرون إلى أن القيم تتغير باستمرار. وهو ما يؤثر على النظام الاجتماعي العام.

قراءة في بعض المفاهيم :

مفهوم القيم: يعد مفهوم القيم من أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية غموضا وارتباطا بعدد كبير من المفاهيم الأخرى كالاتجاهات والمعتقدات والدوافع والرغبات... الخ، ويرجع هذا الغموض إلى ارتباط المصطلح بالتراث الاجتماعي من جهة، ووقوعه على أرض مشتركة بين مجموعة من العلوم من جهة أخرى. وقد حاول الكثير من العلماء والمختصين وضع صياغة تعاريف محددة للقيم

اتفقت في إطارها العام إلا أنها اختلفت من الناحية الفعلية فهي على العموم أكدت على أن القيم تنتج من الثقافة، المجتمع والشخصية.

وقد عرفها (فليب جاكوب) بأنها مستويات معيارية يتأثر بها الإنسان في اختياره بين بدائل السلوكيات المدركة.⁽¹⁾ كما عرفها تالكوت بارسونز بأنها عنصر في نسق رمزي مشترك يعتبر معياراً، أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف⁽²⁾ كما تعرف القيم بأنها عبارة عن معايير وجدانية وفكرية يعتقد بها الأفراد، وبموجبها يتعاملون مع الأشياء بالقبول أو الرفض⁽³⁾.

ونخلص إلى أن القيم هي مجموعة من المعتقدات والمبادئ التي يحملها الفرد بحيث تعمل على توجيه وضبط سلوكه من جهة وتنظيم علاقاته في المجتمع في جميع مبادئ الحياة من جهة أخرى.

مفهوم القيم في علم الاجتماع: إن القيم في نظر علماء الاجتماع عنصراً هاماً من عناصر البناء الاجتماعي، تتطور بتطور المجتمع الذي توجد فيه، فالقيم نسبية في ثقافة أي مجتمع وليست مطلقة تختلف من مجتمع لآخر، فلكل ثقافته ولكل معاييرها الاجتماعية. كما يرى علماء الاجتماع أن القيم من صنع المجتمع، وإنما تعبر عن الواقع، فالقيم حقائق واقعية توجد في المجتمع.

مفهوم النسق القيمي: إذا نظرنا إلى المجتمع نظرة تحليلية، فإننا نجد أنه يتكون من عدة نظم كالنظام الاقتصادي والسياسي والديني... الخ ويتكون كل نظام من قيم معينة تحدد هويته، ويعكس النظام من ناحية أخرى هذه القيم في مجموعة من المعايير التي قد تكون مكتوبة فتأخذ شكل قوانين أو شفوية فتأخذ شكل العرف أو العادة، وهذا ما يطلق عليه بالنسق القيمي.

مفهوم التغير القيمي: الواقع إن مفهوم التغير القيمي من المفاهيم التي يكتنفها الكثير من الغموض والتعقيد، فقد يضيق البعض من استخدام المفهوم ليقصر على بعض العادات والتقاليد أو التغيرات المتتالية والسريعة في الطرائق الشعبية، وقد يوسع البعض من استخدام المفهوم ليشتمل على كل التحولات في القيم الثقافية للمجتمع. من المعروف أن بعض أجزاء النسق القيمي سرعان ما يلحقها الفتنور نتيجة ظروف اجتماعية واقتصادية متجددة، وكما كانت هذه الظروف تخضع لقانون التغير فإن القيم بدورها لا تسلم من هذا التغير وحتى وإن كانت تتسم بالثبات والديمومة.

إن عملية التغير الثقافي (والقيم جزء منها) يمكن أن تكون على شكل تغيرات طفيفة في العادات الموجودة، هذه التغيرات تبدأ محدودة الحجم، لكن مع تراكمها عبر الزمن تأخذ في الاتساع شيئاً فشيئاً، ثم تبدأ ثمار هذا الاتساع بالظهور من خلال تحول القيمة إلى شكل جديد. والتغير في القيم عملية أساسية تصاحب التغير في بناء المجتمع، وتعني تغيراً في تسلسل القيم داخل

النسق القيمي، وكذلك تغير مضمون القيمة وتوجهاتها، فنجد أن القيم ترتفع وتنخفض، وتتبادل المراتب فيما بينها، إلا أنها تختلف في سرعة التغير، فبعضها يتغير ببطء مثل القيم الأخلاقية والروحية، وبعضها يتغير بسرعة كالقيم الاقتصادية (المرتبطة بالمال، الملابس...) (4).

2- مكونات القيمة :

تتكون القيمة من ثلاث مكونات رئيسية هي :

المكون المعرفي: ويشمل المعارف والمعلومات النظرية وعن طريقه يمكن تعليم القيم، ويتصل هذا المكون بالقيمة التي نود تعليمها وحسب أهميتها وما تدل عليه من معاني مختلفة ومتعددة، وفي هذا الجانب تعرف البدائل الممكنة وينظر في عواقب كل بديل، ويقوم بالاختيار الحر والإرادي بين هذه البدائل.

المكون الوجداني: ويشمل الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الداخلية التي لا تظهر. وعن طريقه يميل الفرد إلى قيمة معينة ويتصل هذا المكون بتقدير القيمة والاعتزاز والافتخار بها وهذا الجانب يشعر الفرد بالسعادة لاختيار القيمة ويعلن الاستعداد للتمسك بالقيمة على الملأ.

المكون السلوكي : وهذا الجانب هو الذي تظهر فيه القيمة على أرض الواقع فالقيمة تترجم إلى سلوك ظاهري عن طريق التفاعل، ويتصل هذا الجانب بممارسة القيمة أو السلوك الفعلي والأداء النفس حركي وفي هذا الجانب يقوم بممارسة القيمة وتكرار استخدامها في الحياة اليومية العادية.

3- القيمة عند بعض الرواد :

القيمة عند دوركايم : لقد اهتم دور كايم بمشكلة القيمة أي الجانب المعياري للحياة الاجتماعية ويظهر إسهامه في تأكيده على دور نسق القيمة في تحديد السلوك الاجتماعي وفي الحقيقة إن دور كايم وجه انتباه السوسيولوجيين إلى أهمية القيم والأفكار في الحياة ولتأكيد المستوى الاجتماعي للقيم فإن دور كايم رفض العملية التقييمية التي يقوم بها الفرد، ولقد وضع دور كايم كتاب بعنوان (تقسيم العمل) ولقد حاول في هذا الكتاب التصدي لدراسة التغيرات التي تحدث في المجتمع نتيجة للتكنولوجيا وكيف يؤثر ذلك في نسق القيم والتوقعات المشتركة وطبيعة النظام الأخلاقي، وأطلق دور كايم على ذلك اسم التضامن العضوي في مقابل التضامن الآلي فهذا الأخير عند دور كايم متأصل في نسق القيمة. وهكذا ففي المجتمعات غير الصناعية يتم الوصول إلى التكامل أو التضامن العضوي فانه نتيجة العلاقات المتداخلة لنسق مركب من تقييم العمل.

فإذا حاولنا الرجوع إلى المجتمع الجزائري نلاحظ أن الفرد الذي يعيش في بيئة ريفية يكسب أنماطا سلوكية معينة كالنشابه في نوع العمل مما يجعل علاقته الاجتماعية بمن يعيش معهم في تلك البيئة تتركز على المعرفة الشخصية ورأي الجماعة، لكنه حينما ينتقل إلى العمل في المجال الصناعي في بيئة حضرية فإنه يواجه أنماطا سلوكية مغايرة.

القيم عند ماكس فيبر: أما ماكس فيبر فان نظريته السوسيولوجية تتجلى في أن السلوك الذي تفرضه القيم هو سلوك يصدر أصلا لتحقيق قيمة اجتماعية معينة بالذات، ذلك انه حينما يسلك الفاعل الاجتماعي سلوكا وفقا لقيمة ما أو طبقا لمثل أعلى، إنما تفرض عليه هذه القيمة أن يوجه نمط سلوكه وفقا لمعنى القيم عبارة عن الوجهات التي تفرض نمط السلوك وشكله (5).

4- أهمية القيم : تلعب القيم دورا محما في حياة الفرد والمجتمع، حيث تحتل مرتبة رفيعة في أحاديثنا وسلوكياتنا اليومية، ومما يؤكد هذه الأهمية تعدد وتنوع الدارسين لموضوع القيم باعتبارها انعكاسا للأسلوب الذي يفكر به الأشخاص، ومحددات هامة للسلوك الفردي والاجتماعي على السواء.

كما أنها توجه سلوك الأفراد وأحكامهم فيما يتصل بما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه من أشكال السلوك في ضوء ما يضعه المجتمع من قواعد ومعايير، وعليه يمكن اعتبار القيم الركيزة الأساسية في تشكيل كينونة المجتمع، وحماية البناء الاجتماعي من التدهور والانهيار.

"كما يتخذ بعض الباحثين من القيم الاجتماعية دليلا موحما في دراستهم للثقافة والشخصية ويعتمده الكثير من الباحثين الأنثروبولوجيين والاجتماعيين كقاعدة عامة تركز عليها بحوثهم بشكل أو بآخر⁽⁶⁾ والقيم تفرض نفسها على الأفراد كمقاييس مشتركة يسخرونها في أي مجتمع كانوا حل مشاكلهم وحسم خلافاتهم وتحقيق حالة من الإجماع والاتفاق الضمني والعلني حول قضايا مختلفة. "وتعمل القيم كقوى اجتماعية في تشكيل اتجاهات الاختيار عند الأفراد وهي التي توجه الفعل الاجتماعي نحو الأهداف الخاصة أو العامة، وكذلك تشكل المعايير التي بدورها تحكم على الفعل بالصواب أو الخطأ، وتعمل كمبررات أو كمرشد للسلوك، أكثر من هذا فان القيم هي ما ينبغي أن يكون أو الواجب أو المثال لأي تراث أو ثقافة⁽⁷⁾.

التغيير هو إلى حالة أخرى .وعندما نقول التغيير الاجتماعي (Social change) يعني الانتقال من نظام اجتماعي إلى آخر ، من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث . فالنظام الاجتماعي الموجود الآن يختلف عن النظام الاجتماعي المشاعي أو النظام الما قبل رأسمالي ، أو المجتمع الما قبل صناعي . أي أن المجتمعات البشرية عرفت العديد من الأنظمة الاجتماعية قبل أن تصل هذه المرحلة من التطور . والدافع وراء تغيير الأنظمة الاجتماعية ، هو أن النظام الموجود لا يعبر عن إرادة الأفراد المكونون للمجتمع،

فطالما أن هناك فجوة بين ماهو قائم وما ينبغي أن يكون يحدث التغير للوصول إلى مجتمع يعبر عن إرادة أفرادهِ.
- التغير الاجتماعي :

يستخدم هذا المصطلح في دراسة التاريخ ، والاقتصاد ، والسياسة ، وتشمل موضوعات مثل نجاح أو فشل مختلف النظم السياسية ، والعملة ، والتحول الديمقراطي ، والتنمية والنمو الاقتصادي. مصطلح التغير الاجتماعي يمكن إن يشمل مفاهيم واسعا بقدر ثورة ونقل نوعية ، لتضيق تغييرات مثل قضية معينة داخل الحكومة. مفهوم التغير الاجتماعي ينطوي على قياس بعض خصائص هذه المجموعة من الأفراد. وفي حين إن هذا المصطلح عادة إلى تطبيق التغييرات التي تعود بالفائدة على المجتمع ، وإنما قد تؤدي إلى آثار جانبية سلبية أو العواقب التي تؤدي إلى تقويض أو إلغاء أساليب الحياة القائمة التي تعتبر ايجابية.

- أشكال التغير الاجتماعي :

التغير الاجتماعي هو موضوع في علم الاجتماع والعمل الاجتماعي ، ولكنه ينطوي أيضا على العلوم السياسية ، والاقتصاد ، التاريخ ، علم الإنسان ، والعديد من العلوم الاجتماعية الأخرى ⁽⁸⁾. ومن بين العديد من أشكال التغير الاجتماعي هي تهيئة المسرح للتغير الاجتماعي ، والعمل المباشر ، والاحتجاج ، والدعوة ، وتنظيم المجتمع المحلي ، والمجتمع الممارسة ، والثورة ، والنشاط السياسي.

عوامل التغير الاجتماعي:

1. التغير لا يحدث دون سبب يحركه أو يدفعه إلى الأمام.
 2. الإتصال الثقافي يعتبر أحد العوامل الهامة في إحداث التغير.
 3. كما يرتبط التغير في أحيان أخرى بأشكال من التجديد الداخلي.
- فالعوامل الخارجية : هي تلك العوامل التي ترتبط بمؤثرات لا دخل للإنسان فيها، كالعوامل الفيزيقية أو التغيرات الطبيعية في السكان والتي ترتبط بمؤثرات ثقافية قادمة من الخارج، كتلك المرتبطة بعمليات الإتصال و الإنتشار الثقافيتين.
- أما العوامل الداخلية: فيقصد بها العوامل الناتجة عن تفاعلات أو خصائص داخلية، كالدور الذي يقوم به التنظيم السياسي ودور الإختراعات التكنولوجية ودور الأفراد. ⁽⁹⁾

العوامل المعوقة للتغير وهي :

1-بطئ الاختراعات التكنولوجية : تعد العوامل التكنولوجية من أهم عوامل الإنتاج التي يستعملها الإنسان للتطور ، وعدم الاهتمام بالتكنولوجيا والاختراعات من شأنه أن يحدث نوعا من الإعاقة للتغير الاجتماعي والاقتصادي الشامل.

2-عدم توفر الإمكانيات المادية.

3-عزلة المجتمع : تؤدي العوازل الاجتماعية وعدم الانفتاح الخارجي سواء اقتصاديا وثقافيا إلى حدوث نوع من التخلف في كافة المجالات.

4-لحوف من التغير والمحافظة على القديم.

5-عدم تجانس البناء الاجتماعي : تؤثر مظاهر الاضطرابات والتفكك داخل المجتمعات.

- الشباب والمجتمع : واقع وتطلعات

يشكل المجتمع المحيط العام الذي يتحرك فيه الشباب والذي يتفاعل معه بصفة يومية ودائمة في حياته الشخصية العادية، وهو مركب من عدة عناصر ابتداء من الأسرة ومن الشارع والمؤسسات والعادات والتقاليد التي جميعها تشكل البيئة التي ينمو فيها وتساهم بقوة في تشكيل شخصته. وهذه البيئة مليئة بالمعوقات والكوابح كما هي مليئة بفرص النجاح والتفوق، والشباب وحده القادر على التصرف بحكمة مع هذا المحيط ليضمن لنفسه التوافق معه .

- مظاهر اللامعيارية لدى الشباب الجزائري:

على الحالة التي تفقد المعايير E.Durkheim يطلق الفيلسوف و عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم الاجتماعية السائدة في مجتمع ما من فاعليتها في ضبط سلوك أفرادها و تنظيم سلوكهم لتحقيق القدر المطلوب من التوافق الاجتماعي باللامعيارية فحالة اللامعيارية السلوكية هذه تحدث كنتيجة لعوامل نفسية واجتماعية تنسم بألم نفسي ناتج عن فقدان قيمي واقعي أو ذهني، يجعل الفرد عرضة للشعور بالاعتراب النفسي والثقافي معا، هذه الخبرة النفسية المؤلمة تشكل أما أثبتته العديد من الدراسات جوا خصبا لتفانم اللامعيارية بأشكالها ودرجاتها المختلفة.

أ- اللامعيارية : غياب منظومة أو نسق قيمي منسجم ومتكامل نتيجة لتعدد المؤسسات وتناقض المفاهيم والمعاني الرمزية التي تمررها عبر خطاباتها والتي تنسم بالاختلاف إلي درجة التناقض، فيصعب إدراك الصواب من الخطأ، والقبول من الالاقبول ،

والحسن من السيئ ، من اللامنطقي واللامعقول⁽¹⁰⁾ . أي تضارب مقاييس الاستحسان والاستهجان كمقومات لعملية الضبط الاجتماعي غير الرسمي.

ب- الالاهدية : في ضوء التناقض السابق في منظومة الضبط يفقد المرء القدرة على تحديد أهداف طموحه تخدم مصالحه وتتوافق مع المصالح العامة ، مما يعرقل الطموح لديه ويكبح حرايته ، ويحد من حماسه إزاء تصور المستقبل ، والنضال من أجل تحقيق وتجسيد مضامين هذا الطموح.

ج- اللامعنى : إذا فقد المرء الرؤية الواضحة لما يجب أن يكون، وإذا عجز عن إدراك ما يجب أن يفعله وما يجب أن يسعى إلى تحقيقه من أهداف، صارت حياته آلهما بدون معنى ولا مدلول، يغذيها الشعور بالضياح والحسرة والرغبة في مفارقة الدنيا والموت يحملان المعنى ذاته.

ولعلنا نجد من خلال هذا الطرح تفسيراً لانتشار ظاهرة الانتحار في أوساط الشباب الجزائري لاسيما في السنوات الأخيرة.

د-اللاحرية :عدم معرفة ما الذي يجب فعله، عدم امتلاك حق الحلم لأنه ما من هدف يمكن رسمه وتحقيقه، ثم فقدان الحياة معناها وقيمتها والشعور بغير فائدة ترجى من الوجود، تجعل المرء المغترب فريسة للخضوع والتبعية للغير أي فقدان الحرية وعدم الإحساس بها ومن ثمة تحوله إلى أداة تستخدم لتحقيق غايات وأهداف الآخرين.

2- نتائج الاغتراب واللامعيارية على الأفراد والمجمعات :

أ تدمير الذات :من خلال الإدمان على المخدرات، الاسترسال في إتيان الفواحش ما ظهر منها وما بطن، الإنفاق من غير حاجة وتبديد الطاقة في غير ضرورة.

ب - تدمير الآخر :التمرد على القيم، العنف اللفظي والجسدي، أعمال الشغب، تخريب الأشياء، الإرهاب والإجرام... وفي هذا الصدد ورد عن عيشور نوعين من الاغتراب يتجلى ويؤدي كل منهما إلى مجموعة من المظاهر والسلوكات اللامعيارية والتي قد تصل بالفرد إلى حالة اللامعنى وهي فقدان الفرد للمعنى من الحياة، ونلخصها في الآتي:

أ - الاغتراب عن الذات :ويشمل:العجز ، الضياع ، اللاتئام ، العزلة ، اليأس ، الكبت ، الإحباط ، اللاتئمة بالنفس ، كراهية الذات ، غياب الحلم ، فقدان الإحساس بالوجود الفعال ، مهاجمة الذات (الإدمان ، الانتحار) ، العدوانية إزاء المجتمع (أعمال العنف ، الإرهاب ، التخريب⁽¹¹⁾

ب - الاغتراب عن الآخرين : عدم فهمهم ، عدم الثقة بهم ، عدم التعاون معهم ، عدم الشعور بالانتماء إليهم وإلى قضاياهم ،.....الاستسلام لهم. وتطلق على هذه الحالة عموما بظاهرة التخدير الثقافي.

- الشباب وأزمة الثقة في المجتمع : تدني مستوى الثقة في العلاقات الاجتماعية ونحو المؤسسات.

تعرف الثقة على أنها الرصيد العاطفي الذي يمتلكه شخصان ، والذي يعينها على التوصل إلى اتفاق على أداء مصلحة الطرفين ، فعندما يثق اثنان في بعضهما استنادا إلى جدارة كل منهما بثقة الآخر فيه ستقودهما الثقة المتبادلة تلك إلى التعاضد المثمر فيما بينهما والتمتع بحسن التواصل المبني على الشفافية والتعاون والمشاركة العاطفية والوجدانية .ومن ثمة يعتقد بأن الثقة هي مفتاح المرور إلى الروابط الاجتماعية الحديثة بعيدا عن الروابط العصبية والتقليدية.⁽¹²⁾

لقد تعرضت الثقة الرأسية والأفقية إلى انهيارات كبيرة وبقيت محصورة في نطاق ضيق ولهذا سادت العلاقات الشبكية القائمة على العلاقات الشخصية ، ولهذا الوضع جذور تاريخية سببها البطش والقمع والقهر ، ومما زاد من تعميقها الظروف المؤلمة التي مر بها المجتمع الجزائري في العشرية السوداء حتى ، أصبح الشك والخوف متغلغل في النفوس حتى بين أقرب المقربين .

- حاجات الشباب الجزائري:

أ - الحوار داخل الأسرة الجزائرية والشباب:

يعتبر الحوار والتواصل والتفاعل الداخلي بين الآباء والأبناء من أهم الحاجات الاجتماعية للشباب ، فالحوار دليل وعنوان التفاهم والتقدير الاجتماعي ، وقد برزت إلى السطح في السنوات الأخيرة بسبب التحضر وضغوط الحياة ظاهرة الفتور وعدم التواصل الداخلي بين أفراد الأسر وبالأخص بين الآباء.

ب - حاجة الشباب الى العدل والمساواة في المجتمع:

ويشار بذلك الى الحقوق والواجبات تجاه مؤسسات الدولة التي يرتبط بها الشباب ارتباطا عضويا في دراسته ونشاطه وقضاء حاجاته الإدارية.

الخاتمة:

في خلاصة هذه المداخلة يمكن القول بأن الباحث الذي يحاول تتبع الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية التي تناولت طبيعة وهوية النظام والثقافة والسلوكيات الاجتماعية للمجتمع الجزائري من أجل محاولة وضع محك ثابت نسبيا لتشخيص مشكلات الشباب خصوصا والمشكلات النفسية والاجتماعية لمختلف فئات المجتمع بصورة عامة سوف يواجه صعوبة في عملية التحديد التشخيصي الدقيق لجملة من الاعتبارات العلمية والمنهجية والتي نوجزها فيما يلي:

التأثر الواضح للباحثين الجزائريين خصوصا والعرب عموما ومن ثمة تأثر أعمالهم البحثية وفلسفتهم في البحث بالفلسفات والمناهج وطرائق البحث الغربية، والتي انعكست على نتائج البحث العلمي للبلاد العربية والتي منها الجزائر، وأصبحنا نلاحظ اختلافا واضحا في النتائج يصل في بعض الأحيان إلى حدّ التناقض.

ولذلك ننوّه إلى ضرورة إيجاد منطلق وفلسفة علمية مستمدة من فلسفة المجتمع الجزائري وهويته الاجتماعية والثقافية والحضارية وذلك على مستوى الشكل والمضمون والمنطلق والمنهج. فالقيمة العلمية والعملية للبحث تؤتي ثمارها أما هو معروف إذا انطلقت من حاجات المجتمع وهويته وسخرت نتائجه في خدمة هوية المجتمع وحاجاته هذا أولا.

أما فيما يتعلق بالنتيجة الثانية التي يمكن الخروج بها كمحركات لتشخيص مشكلات الشباب الجزائري في ظل ما سبق توضيحه من معطيات واقعية وذهنية وتحولات متسارعة على مختلف المستويات وفي مختلف الأصعدة نقتح:

أولا : توضيح طبيعة وأصول بنية المنظومة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري (تقليدية أم حديثة، أموية - أثوية أم أبوية- ذكورية (...حتى يمكن بناء بحث علمي ينطلق من مبادئ ومسلمات مشتركة. إذ وبناء على ما تمت معالجته في هذا البحث نجد أن هناك مشكلات تتعلق بطبيعة المنظومة والثقافة الاجتماعية بهويتها التقليدية وأخرى تتعلق بالتضارب المعاري بين القيم التقليدية والقيم المستدخلة والدخيلة، وأخرى تتعلق بذهنية الشخصية الجزائرية وقناعاتها وصرعاتها المعاشة بين تمثلاتها

الشخصية من جهة ومطالب الحياة الجمعية من جهة ثانية وخيار مواآبة التحولات والتطورات الراهنة من جهة أخرى. ...

ثانيا : فتح آفاق جديدة للبحث تهدف إلى إعادة بناء نظرية ومنهجية تنطلق من هوية المجتمع الجزائري وتصب في خدمة حاجاته وتطلعاته.

ثالثا : تتوقع من خلال المعطيات العلمية الواردة في المداخلة أن مشكلات الشباب الجزائري مكنها في تضارب أصول الهوية بمستجداتها- قاعدة تقليدية بمظهر عصري - ولذلك نتصور مبدئيا أن علاج مشكلات الشباب يتطلب معالجة جوهر هذه القضية.

الهوامش:

- 1- ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق، الأردن، 2006، ط1.ص113 .
- 2- نورهان منير حسن فهيم، القيم الدينية من منظور الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1999. ص 56.
- 3- فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية- مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.ص98.
- 4- إبراهيم محمد الشافعي، الاشتراكية العربية كفلسفة للتربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1981، ص184 .
- 5- إجلال عراي، الزواج واختيار الشريك، مجموعة بحوث، منشورات جمعية تنظيم الأسرة، دمشق، 1996، ص 121 .
- 6- إبراهيم رمضان الديب، أسس ومهارات بناء القيم التربوية وتطبيقاتها في العملية التربوية، مؤسسة أم 2007.ص 96 .
- 7- الحسين حاش، تأثير التربية الأسرية على الدور الاجتماعي للشباب، رسالة ماجستير، معهد علم النفس، 1993، ص 67.
- 8- جامعة الجزائر، 1993، ص 67.
- 9- حجازي عزت، الشباب العربي ومشكلاته، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ط2، الكويت، 1985، ص 123 .
- 10- حصة بنت صالح الملك وآخرون، العلاقات الأسرية، دار الزهراء، ط2، الرياض، 2006، ص 96 .
- 11- محمد سعدي، رمزية الفضاء بين المقدس والديني في الثقافة الشفوية، مجلة إنسانيات، العدد1997، ص152 .
- 12- فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980، ص 87 .

تنمية الوعي الاجتماعي المحقق من استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى الطالب الجامعي

أ.عيشة علة، جامعة الجلفة.

أ.أحمد بلول. جامعة الجلفة.

ملخص:

أصبحت متنفسا لكل فئات المجتمع متخطية النمط التقليدي في الاتصال، لينتقل الطالب وبشكل خاص عبر هذه الشبكات إلى فضاء يتيح فرصة الإرسال والاستقبال معا وبطريقة سهلة وبعيدة عن القيود المفروضة على الوسائل الإعلامية الأخرى. والتي تساعد على تنشئة الشباب وتحقيق الوعي الاجتماعي لديهم وكيفية تنمية مشاركتهم في قضاياهم الاجتماعية ليكونوا عنصرا فعالا في بناء المجتمع. وهذا ما سنتطرق إليه من خلال هذا الموضوع حول الوعي الاجتماعي واستخدام شبكات التواصل الاجتماعي.

مقدمة:

إنّ مواقع التواصل الاجتماعي تلعب دورا هاما في تنمية مشاركة الشباب في قضايا المجتمع وذلك من خلال قيام المجموعات الشبابية بإنشاء صفحات خاصة بهم على هذه المواقع يتبنون بها قضايا المجتمع التي تقع في صلب اهتماماتهم فيعملوا على نشرها والدفاع عنها باستخدام مهارات التواصل والمناصرة والضغط لهذا يتم التركيز على مرحلة الشباب باعتبارها المرحلة الحاسمة في تقدم المجتمع أو تأخره وأهمية هذه الدراسة ترجع إلى محاولة التعرف على الدور الذي تلعبه شبكات التواصل الاجتماعي والتي يلجأ إليها الطالب الجامعي والتي تساعد على تنشئة الشباب وتحقيق الوعي الاجتماعي لديهم وكيفية تنمية مشاركتهم في قضاياهم الاجتماعية ليكونوا عنصرا فعالا في بناء المجتمع، وكذا تحديد الدور الذي تقوم به شبكات التواصل الاجتماعي عبر الانترنت في ظل التطور التكنولوجي والزخم الإعلامي، ومدى مقدرة هذا النوع من الإعلام على خدمة المجتمع، وتعتمد مواقع التواصل الاجتماعي على مستخدميها في تشغيلها وتغذية محتوياتها، وحيث أن الهدف من شبكات التواصل الاجتماعي ليس مجرد تبادل الأفكار والآراء حول الاهتمامات المشتركة والظواهر المعاصرة فقط، ولكن البحث عن الحلول وتقديم الاقتراحات للقضايا والمعضلات في المجالات الاجتماعية والثقافية وغيرها من المجالات، ومن خلال تحقيق التواصل وتبادل الأفكار بين منتسبي الجامعات.

2-تحديد الإشكالية:

لاقت شبكات التواصل الاجتماعي إقبالا واسعا من قبل الجمهور المتلقي، وأصبحت متنفسا لكل فئات المجتمع متخطية النمط التقليدي في الاتصال، لينتقل الطالب وبشكل خاص عبر هذه الشبكات إلى فضاء يتيح فرصة الإرسال والاستقبال معا وبطريقة سهلة وبعيدة عن القيود المفروضة على الوسائل الإعلامية الأخرى، وتنوع استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي ما بين استخدامات التواصل والتفاعل مع الآخرين والاستخدامات التعليمية والدينية والتثقيفية والإعلامية والتسويقية والترفيهية، حيث تتنوع الاستخدامات وفقا لهدف الفرد، ويتصدر الطالب النسبة الأكبر في استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي في الجامعة، من خلال ما سبق عرضه فإن الهدف من الدراسة هو البحث في دور شبكات التواصل الاجتماعي في خلق الوعي الاجتماعي لدى الطالب الجامعي، من أجل معرفة طبيعة هذه الاستخدام لهذه الشبكات، ودوافعهم لاستخدامها.

3-أهمية الدراسة:

- الوقوف على الأهمية التي تسهم بها شبكات التواصل الاجتماعي لدى الطلبة على المدى الطويل في تكوين آراء ومعتقدات تكنولوجية ومعلوماتية فعالة.
- الكشف عن قدرات ومهارات الطالب التي يكتسبها من خلال استخدامه لشبكات التواصل الاجتماعي.
- توضيح دوافع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى الطلبة الجامعيين.
- الوقوف على إيجابيات وسلبيات استخدام شبكات التواصل الاجتماعي.
- الوقوف على أنماط استخدام الطالب لشبكات التواصل الاجتماعي.

I. -الإطار النظري:

أولاً- مفهوم الطالب الجامعي: يقصد به في هذه الدراسة الطالب المنتمي لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجميع الجامعات ذكراً أو أنثى، ومن كل التخصصات العلمية التي تدرس بالكلية وينتمي إلى أحد الفئات الاجتماعية المختلفة، تم اختياره من الوسط الجامعي (حمداوي، عمر، 2011، ص472)

ثانياً مفهوم الوعي الاجتماعي: Social Consciousness

والوعي لغة هو: " الفهم وسلامه الإدراك -" ويعرف الوعي بأنه: " اتجاه عقلي يمكن الفرد من إدراك نفسه والبيئة المحيطة به بدرجات متفاوتة من الوضوح والتعقيد" (مذكور، 1975، ص 64).

يرى سكوت Scott أن " الوعي هو استيعاب أو الانتباه إلى الظواهر المتصورة أو التي يتم تجربتها، ويرتبط وعى الشخص بالعالم من خلال توسط الحواس باعتبارها الوسيلة التي يتم من خلالها بناء التوجهات ودورات العمل والتالى، فإن ممارسة الانتباه والتفكير والحكم تسمح بدرجة من السيطرة الواعية على الغرائز الموروثة من خلال التقييم العملى للوسائل وتأجيل الإشباع، إنها القدرة على الوعي التي تسمح للبشر تدريجياً بالتأقلم مع الواقع الخارجى والتكيف معه باعتباره وسيلة لتحقيق أهدافهم." <http://www.anfasse.org/2010-/5866-social-consciousness>

ويعرف ماركس الوعي الاجتماعى بأنه مجموع الأفكار والنظريات والآراء والمشاعر الاجتماعية والعادات والتقاليد التي توجد لدى الناس، والتي تعكس واقعهم الموضوعى. وبما أن الوجود الاجتماعى للناس يتصف بالتعقيد والتنوع، فإن الوعي الاجتماعى يتصف أيضاً بالتعقيد والتنوع. وبدل استعراض التاريخ الاجتماعى أنه مع تغير الوجود الاجتماعى للناس يتغير أيضاً وعيم الاجتماعى كما أكد ماركس أيضاً على أن الوعي الاجتماعى يتصف بخاصية الاستقلالية النسبية فى تطوره. فالوعي الاجتماعى قد يتخلف عن تطور الوجود الاجتماعى أو قد يسبقه وتتضح الاستقلالية النسبية للوعي الاجتماعى فى استمرارية التطور. فالوعي ليس فى علاقة سلبية مع الوجود ولكن الوعي يؤثر تأثيراً إيجابياً على الوجود الاجتماعى. (أحمد، 2006. ص 189-190)

ويعرف الوعي الاجتماعى، فى دائرة المعارف البريطانية بأنه: " هو الفهم وسلامة الإدراك، ويقصد بالإدراك هنا معرفة الإنسان لنفسه، والمجتمع الذى يعيش فيه" (dictionary; 1984, p 310)

كما ويعرف الوعي الاجتماعى بأنه: " مجموعة من المفاهيم والتصورات والآراء والمعتقدات الشائعة لدى الأفراد فى بيئة اجتماعية معينة، والتي تظهر فى البداية بصورة واضحة لدى مجموعة منهم ثم تبنيها الآخرون، لإقناعهم بأنها تعبر عن موقفهم" (جلس، 2002، ص 87-91).

1- أشكال الوعي الاجتماعي:

1- الوعي الاجتماعي: الوعي الاجتماعي واعي عام يشتمل على إحاطة أفراد المجتمع بمجمل القضايا الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية وحتى العلمية التي لها دخل في حياتهم (بوجلال، 1991، ص 42- ص 45).

2- الوعي السياسي: إن الحياة الاجتماعية هي المكان الذي يعيش فيه الإنسان، فهو بحاجة إلى السياسة، فالحكم طبيعة في الإنسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما يقول ابن خلدون: "فلا بد من نظم سياسية ينتظم بها أمر العمران البشري" فالوعي السياسي خبرة عامة نحتاجها من أجل شئون المجتمع. كما يلعب الوعي السياسي دوراً هاماً في إنارة الطريق للممارسة السياسية.

3- الوعي الثقافي: الثقافة في مجملها هي المعرفة والتعليم وأن الوعي بهما يرقى بالفرد إلى مستوى اجتماعي أفضل، والوعي الثقافي يعني الوعي بالحياة اليومية بما يشمل من عادات وتقاليد وأعراف وتدين وأحكام وتفاعل وصور النشاط العام التلقائي المنظم، وهناك أشكال أخرى من أشكال الوعي وهي، الوعي الأخلاقي والوعي القانوني، والوعي العلمي، والوعي الجماهيري، والوعي بالذات، والوعي الطبقي. (محمد، 1980، ص 222)

4- الوعي الديني: يمثل الدين جزءاً لا يتجزأ من السلوك الاجتماعي وينظر إليه باعتباره مجموعة من المعتقدات الإلهية والشعائر، والثواب والعقاب التي تؤثر في أشكال ودرجات ومستويات الوعي الفردي والجماعي. (عبد المعطي، 1989، ص 7-8)

5- الوعي الاقتصادي: يعبر الوعي الاقتصادي عن نفسه في التصورات النظرية واليومية مثل: تنظيم وإدارة وسائل الإنتاج على المستوى، وفاعليه البشر وروابطهم في عملية الإنتاج، والتوزيع، والتبادل، والاستهلاك. (حلس، 2010، ص 147)

2- مستويات الوعي الاجتماعي: يشير عبد الباسط عبد المعطي إلى أن للوعي الاجتماعي ثلاثة مستويات وثلاثة أبعاد كالتالي:

1.2- المستوى الأول- الوعي اليومي المباشر: الذي اهتم به الموظفون أكثر من غيره، وهو تعبير عن خبرة الحياة اليومية المباشرة وحاجات البشر اليومية، أى أنه أكثر ارتباطاً بالوجود العياني المباشر، ولذلك فهو تفصيلي وتجزئى، ويتسم بالعمومية

والتقائية، ويرتبط بالخصائص النفسية الاجتماعية للبشر، التي تعكس وجوداً اجتماعياً له خصائصه ومكوناته، ونظراً لأن الوجود الاجتماعي المرحلي، والخصائص النفسية المتعينة بناء عليه ليسا منقطعي الصلة بمراحل تاريخية مضت، فإن خصائص أنماط من وجود اجتماعي سابق، وخصائص نفسية اجتماعية مرتبطة بها، تنعكس هي الأخرى من خلال الخبرات اليومية والمباشرة للجاهير.

2.2-المستوى الثاني-الوعي النظري الأيديولوجي: الذي يعكس وجوداً طبقياً محدداً، ويأتي إدراكاً وتصوراً طبقيين للمجتمع وما يحويه من علاقات، وما توجد بينها من تناقضات، وأيضاً تصوراً للعلاقة بالطبيعة سواء كانت علاقات سيطرة وخضوع من البشر أو للبشر، وخبرتهم الماضية في السيطرة عليها، وما اخترعوه من فنون في الإنتاج والعمل والتفاعل والتنظيم..الخ. ويحاول من منظور تاريخي ومعاصر فهم جوهر الواقع الاجتماعي وظواهره والقوانين الأساسية التي تحكم سيرورته.

3.2-المستوى الثالث- الوعي العلمي: الذي طورته قوى الإنتاج، وتوظفه لخدمة مصالح إنتاجية وأيديولوجية، وهو أيضاً نتاج لتراكمات الماضي، والاتصال العلمي مع مجتمعات أخرى، إن استعارة أو تبعية أو تطويعاً. (عبد المعطى، 1983. ص 25، 56).

ثالثاً- مفهوم الاستخدام: حسب معجم **le robert de sociologie** فإن الاستخدام نشاط اجتماعي يتحول إلى نشاط عادي لدى ثقافة معينة بفضل التكرار وبظهور الوسائل الاتصالية الحديثة تعزز مفهوم المستخدمين والذي يرمز إلى الجمهور النشط الإيجابي، يحدد نوع الموضوع الذي يرغب في التعرض له الوسائل التي يتعرض وفقاً للمعلومات التي يرغب في الحصول عليها (عبد الفتاح، 2009، ص 72)

رابعاً-تعريف شبكات التواصل الاجتماعي **Social Networking**: يعرفها إيهاب خليفة في كتابه بأنها " مواقع تتشكل من خلال الانترنت، تسمح للأفراد بتقديم لمحة عن حياتهم العامة، وإتاحة الفرصة للاتصال بقائمة المسجلين والتعبير عن وجهة نظر الأفراد أو المجموعات من خلال عملية الاتصال، وتختلف طبيعة التواصل من موقع لآخر(خليفة، 2016، ص 42)، وتعرف موسوعة ويب اويديا الشبكات الاجتماعية بأنها: "عبارة تستخدم لوصف أي موقع على الشبكة العنكبوتية يتيح لمستخدمه وضع صفحة شخصية عامة معروضة، ويتيح إمكانية تكوين علاقات شخصية مع المستخدمين الآخرين الذين يقومون بالدخول على تلك الصفحة الشخصية مواقع الشبكات الاجتماعية يمكن أن تستخدم لوصف المواقع ذات الطابع

الاجتماعي، مجموعات النقاش الحي غرف الدردشة وغيرها من المواقع الاجتماعية الحية، كما عرفها الشهري " أنها عبارة عن منظومة من الشبكات والمواقع الإلكترونية، التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والميول والهوايات، أو جمعه مع أصدقائه، ومن ثم تتيح للفرد إنشاء رسائل إلكترونية ونشرها بين أعضاء الموقع والمواقع المشتركة على الشبكات بحرية تامة". (الشهري، 2008، ص 12).

1- مميزات شبكات التواصل الاجتماعي: تتعدد مميزات شبكات التواصل الاجتماعي التي تعطيها التفوق على غيرها من وسائل الاتصال الأخرى من حيث القدرات الاتصالية المتعددة والتفاعلية وسرعة التواصل ودمج وسائط ووسائل متعددة وغيرها من المميزات الأخرى، ونورد هنا أبرز هذه المميزات:

1.1- سهولة البناء والاستخدام: تتميز شبكات التواصل الاجتماعي بمعالم جديدة من حيث البناء والاستخدامات تسهل على المستخدم التعامل معها، وهي:

- الاشتراك المجاني في الاستفادة منها.

- سهولة بناء الروابط للموضوعات ذات الاهتمام المشترك بمواقع أخرى

- استخدام وسائل النشر الفوري على الجماعات أو التشكيلات الاجتماعية .

- سهولة المشاركة في هذه الشبكات والاستفادة منها (عبد الحميد، 2009، ص 129).

2.1- قدرات اتصالية متعددة: تتمتع مواقع شبكات التواصل الاجتماعي بقدرات اتصالية متعددة، فهي تدمج بين البريد الإلكتروني والرسائل وبنء الموقع، وكتابة اليوميات وتحميل الملفات والموسيقى والفيديو، وهذا ما يجعلها تدمج مميزات متعددة لوسائل اتصال أخرى في باقة واحد للمستخدم (شريف اللبان، 2011، ص 88).

3.1- بناء وتكوين صداقات متعددة: تساعد شبكات التواصل الاجتماعي مستخدميها على تكوين صداقات جديدة عبر بيئة ومجتمع افتراضي، حيث أصبح بإمكان أي فرد أن ينشئ موقعه الخاص على شبكات التواصل الاجتماعي بسهولة ويسر والالتقاء بالأصدقاء القدامى وزملاء الدراسة.

4.1- سرعة وفورية نقل الحدث والمعلومة: يحسب لشبكات التواصل الاجتماعي أنها تتعامل مع المعلومة والحدث لحظة وقوعها، ويمكن تبادل هذه المعلومات بين الأصدقاء معززة بالصور ومقاطع الفيديو والتعليق والرد على بعضها، وهذا ما لم تتمكن منه وسائل الإعلام الحديثة، فإن وضع احد المستخدمين أي معلومة على صفحته تصل في نفس الوقت إلى باقي المستخدمين المشتركين معهم في نفس الوقت تلقائياً.

1.5- خلاصة الأخبار والأحداث: توفر شبكات التواصل الاجتماعي للمتلقى إمكانية الحصول على خلاصة وافية لما تنشره المواقع الإلكترونية، التي يرتبط بها مباشرة أو من خلال أصدقائه، حيث أوجد موقع الفيس بوك وشبكات التواصل الاجتماعية بشكل عام نوعاً جديداً من الخدمات الإخبارية، هذا النوع يتميز بسرعة التحديث واختصار المادة الإخبارية، فقد نشأت في الفترة الماضية صفحات إخبارية على الفيس بوك فاقت في شهرتها كثيراً من المواقع الإخبارية المتخصصة، عبر هذه الصفحات ستصلك الأخبار فور وقوعها وعلى شكل رؤوس أقلام أو ملخصات توفر عليك الوقت

6.1- شمولية الاستخدام: أصبح استخدام شبكات التواصل الاجتماعي غير مقتصر على الأفراد أو المؤسسات بأشكالها المختلفة فقط، ولا استخدامها من قبل بعض المسؤولين والسياسيين في دول عديدة في العالم فحسب، وإنما أصبحت الكثير من الجامعات والمعاهد العلمية في العالم أجمع تتواصل مع طلابها عبر الشبكات الاجتماعية والمواقع الإلكترونية، ونتيجة لإقبال الناس على التسوق الإلكتروني، فقد زادت نسبة الإعلانات على المواقع الإلكترونية، مما حقق بالتالي ارتفاعاً خيالياً في أرباحها (ابو صلاح، 2014، ص 90).

7.1- دمج وسائل ووسائط متعددة: تتميز شبكات التواصل الاجتماعي بأنها تدمج الوسائل المختلفة القديمة والمستحدثة في مكان واحد، على منصة الكمبيوتر وشبكاته، وما ينتج عن ذلك الاندماج من تغيير انقلاي للنموذج الاتصالي الموروث بما يسمح للفرد العادي إيصال رسالته إلى من يريد في الوقت الذي يريد في موقع ثورة بطريقة واسعة الاتجاهات، وليس من أعلى إلى أسفل وفق النموذج الاتصالي التقليدي، فضلا عن تبني هذه الشبكات للتكنولوجيا الرقمية وحالات التفاعلية والتشعبية وتطبيقات الواقع الافتراضي وتعددية الوسائط وتحقيقه لميزات الفردية والتخصيص. (صادق، 2008، ص 8)

2- أهم الخدمات التي تقدمها شبكات التواصل الاجتماعي: ونلخصها في الملفات الشخصية، الأصدقاء /العلاقات، الألبومات المصورة، إمكانية ترك إعلان مصور عن نشاطك، إمكانية تبادل الهدايا الإلكترونية بين الأعضاء.

-إمكانية التواصل عن طريق البريد الإلكتروني أو عن طريق المحادثة الفورية.

-تتيح خدمة مشاركة الملفات لمستخدمين معينين أو بشكل مفتوح.

-تقدم خدمة ترك رسالة معينة تسمى حالة كي يراها المستخدمون الآخرون.

-يمكن لأي مستخدم ترك لمحة عن نفسه واهتماماته وإنشاء مجموعات.

-إمكانية التواصل مع عدة أشخاص حسب أي نوع من الاهتمام تريد.

-إمكانية تحديد الموقع الجغرافي وتبديله كلما استدعت الحاجة، والتواصل مع الآخرين حسب الموقع الجغرافي.

-إمكانية ممارسة الألعاب مع أطراف عدة من خلال هذه الشبكات. (صلاح ، 2014 ، ص91)

3-دوافع استخدام منتسبي الجامعات لشبكات التواصل الاجتماعي: ويمكن القول إن استخدامات شبكة التواصل الاجتماعي قد أدت إلى ظهور المجتمعات الافتراضية التي تسعى إلى غرس الوطنية وتحقيق الانتماء والولاء وحب الوطن لدى منتسبي الجامعة، ويتم ذلك من خلال استثمار غايات ودوافع استخدام منتسبي الجامعات لها والتي تتمثل فيما يلي: (Boyd, & Ellison, 2007)

-غايات دينية أخلاقية: وتتحقق هذه الغايات من خلال المناهج الدراسية والأنشطة المتنوعة للدعوة وتبادل النصيحة والمواد الدينية المسموعة والمرئية والمكتوبة.

-غايات تعليمية: وتتضح هذه الغايات من خلال تبادل الأفكار والمواد التعليمية وتبادل الأخبار والمعلومات والخبرات.

-غايات تجارية: وتتضح هذه الغايات من خلال التسويق والإعلان والترويج للبرامج الأكاديمية والإدارية والأنشطة.

-غايات سياسية: وتتضح هذه الغايات من خلال الدعاية والتوجيه، وقد عاين العالم العربي ما كان لمواقع التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك وتويتر من تأثير بالغ في انتقال الثورات من بلد عربي إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى.

-غايات ترفيهية: وتتضح هذه الغايات من خلال تبادل الموسيقى والصور والمقاطع المصورة وما إلى ذلك.

-غايات أدبية: وتتضح هذه الغايات من خلال تبادل الكتابات الأدبية وتبادل الآراء حولها.

-غايات نفسية اجتماعية: خروجاً من العزلة وسعيًا إلى بناء علاقات اجتماعية تشبع حاجات البشر بوصفهم كائنات اجتماعية.

خاتمة:

لقد صارت شبكات التواصل الإجتماعي أحد الوسائل المنتشرة في المجتمعات المعاصرة والتي تساعد على تنشئة الشباب وتحقيق الوعي الاجتماعي لديهم وكيفية تنمية مشاركتهم في قضاياهم الاجتماعية ليكونوا عنصرا فعالا في بناء المجتمع، حيث تتيح إمكانية تكوين علاقات شخصية مع المستخدمين الآخرين الذين يقومون بالدخول على تلك الصفحة الشخصية مواقع الشبكات الاجتماعية يمكن أن تستخدم لوصف المواقع ذات الطابع الاجتماعي، وبالتالي يمكن إستغلال هاته الوسائل لتنمية الوعي الفردي والاجتماعي لدى أفراد المجتمع بما يحقق التغير الإيجابي الذي يخدم الفرد والجماعية في آن واحد.

المراجع المعتمدة:

I. المراجع العربية:

1. أبو صلاح، صلاح محمد (2014). استخدامات طلبة الجامعات الفلسطينية لشبكات التواصل الاجتماعي والإشباع المتحققة " دراسة ميدانية " رسالة ماجستير منشورة. الجامعة الإسلامية- غزة.
2. أحمد، سمير نعيم (2006). النظرية في علم الاجتماع، ط 10، القاهرة: د ن.
3. بوجلال، عبد الله (1991)، الإعلام وقضايا الوعي الاجتماعي في الوطن العربي، المستقبل العربي، العدد 147. ص ص.....
4. حلس، موسى وناصر مهدي (2010). دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى الشباب الفلسطيني دراسة ميدانية على عينه من طلاب كلية الآداب جامعة الأزهر. مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 12، العدد 1. ص ص 135-180.
5. حمداوي، عمر (2011). دور الإنترنت في خدمة البحث العلمي. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية: 6ع، خاص: الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات في التعليم العالي، ص ص 471-485
6. خليفة، إيهاب (2016). حروب مواقع التواصل الاجتماعي _ دراسات في الإعلام، القاهرة: العربي.
7. الشهري، موسى بن أحمد موسى (2008). تطوير التعاون بين الإدارة المدرسية والمؤسسات الأمنية في مجال التوعية الأمنية لطلاب المرحلة الثانوية . رسالة ماجستير، عسير : جامعة الملك خالد
8. صابر، شكري وموسي حلس (2002)، الوعي الاجتماعي العربي، تحليل سيولوجي، غزة: مكتبة دار المنارة
9. صادق، عباس (2008). الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتطبيقات، ط 1. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
10. عبد الحميد، محمد (2009). المدونات " الإعلام البديل، ط 1. القاهرة: عالم الكتب.
11. عبد الفتاح، علياء سامي (2009). الانترنت الشباب، دراسة في آليات التفاعل الاجتماعي، ط 1، مصر: دار العالم العربي.
12. عبد المعطي، عبد الباسط (1983). الوعي التنموي العربي، ممارسة بحثية، القاهرة: دار الموقف العربي للصحافة.
13. عبد المعطي، عبد الباسط (1989)، الوعي الديني والحياة اليومية في القرية المصرية، القاهرة: مركز دراسات الوحدة العربية.

14. العفون، نادية حسين(2014).التعلم التعاوني واستراتيجيات معالجة المعلومات.ب ط، الأردن:المناهج
- 15.اللبان، شريف (2011).مداخلات في الإعلام البديل والنشر الإلكتروني على الإنترنت، ط₁. القاهرة: دار العالم العربي.
16. محمد، احمد(1980). علي الشباب والمجتمع، ط₁، الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 17.مذكور، إبراهيم وآخرون(1985)، معجم العلوم الاجتماعية، ط₁، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.

IV. المراجع الأجنبية:

- 1.-Boyd, d., & Ellison, N. (2007). **Social Network Sites: Definition,History, and Scholarship**. Journal of Computer-Mediated Communication, 13(1), 210-230.
- 2.-Longman dictionary of the English language, great British culture center, 1984.
- 3.-<http://www.anfasse.org/2010-/5866-social-consciousness>.

توجهات الشباب الجزائري نحو زواج الوساطة عبر مواقع التواصل الاجتماعي في ظل التغيرات الاجتماعية (دراسة تحليلية في ضوء بعض الدراسات لتغير الزواج من طريقة الاختيار التقليدية إلى الطريقة الحديثة)

أ.ب.ن. سعدة حنان. جامعة الأغواط.

أ.ب.ن. سعدة أمال. جامعة الأغواط.

ملخص:

إن الشباب عموماً والشباب الجزائري بوجه الخصوص تتعدد اليوم اهتماماته وانشغالاته، فهو كثير من فئات المجتمع يتأثر بالأحداث الجارية على المستوى العام وله تطلعات بما فيها اهتمامه بمؤسسة الزواج، التي عرفت تطورات هامة بفعل عوامل التغير والتي أثرت بدورها على أسلوب الاختيار الذي انتقل من الأسلوب الوالدي الذي يقوم على السيطرة إلى الاختيار الشخصي، أين يقوم فيه الراغب في الزواج بالبحث عن شريك الحياة عن طريق وسائط حديثة يختارها هو برغبته دون تكليف من احد.

ففي الوقت الراهن قد تغيرت نظرتهم نحو الزواج وذلك بفعل آثار التغيرات الاجتماعية التي مست منظومة القيم داخل المجتمع حيث ساهمت في نشر الوعي الذي زاد من الحرية الفردية بين الأفراد والشباب الجامعي بوجه الخصوص مما جعله يتعد عن عاداته وأعرافه في مسألة الزواج وأصبح يرى في أهله الأسلوب التقليدي الذي لا يتماشى وعوامل التحديث ومستواه وثقافته التي تلقاها، ومن خلال هذا الطرح نود معرفة أسباب اتجاه الشباب الجزائري نحو زواج الوساطة ودور المعايير الاجتماعية في ذلك.

مقدمة:

يعد الزواج أهم حدث في حياة الإنسان وهو ضرورة بيولوجية واجتماعية لا بد منها للفرد داخل المجتمع لضمان المكانة الاجتماعية وكذلك الاستقرار النفسي، بل أكثر من ذلك أن الجماعات الإنسانية جعلت منه عملية تخص المجتمع ككل كونه وسيلة لتنظيم الحياة الاجتماعية وابعثه نظام مقدس فقد أحاطته بأعرافها ونظمها وحرصت من خلال مؤسساتها على إنجاحه بتوفير كل السبل الحسنة للوقوف بإيجابياته، ولأن نجاح هذا الأخير يتوقف على مقدار التوافق بين الطرفين كان لا بد من الاختيار السليم والانتقاء الصائب، فالاختيار للزواج عملية حدثت ولازالت عبر التاريخ الإنساني برمته وهو سلوك اجتماعي لا يتحدد فقط برغبات الشخص وميوله بل وفقاً لمعايير مجتمعية ولكل مجتمع نظمته وأسالبيه الخاصة به والتي تتحكم في عملية الاختيار طبقاً للقيم والعادات والتقاليد والأنماط التي تسود ذلك المجتمع ظف إلى ذلك أن عملية الاختيار هذه قابلة للتطور والتغير مع التغير الثقافي والاجتماعي ونظراً لكون الزواج قضية مهمة وجادة ظهرت الحاجة إلى إيجاد الوسيط وقد مثل هذا الوسيط في البداية امرأة عجوز كان يطلق عليها اسم الخاطبة تجول المنازل بغرض البحث على الفتاة المناسبة لتعرضها على العائلة التي ترغب في تزويج ابنها، إذ كان الزواج من اختصاص العائلة فهي التي كانت تقوم بترشيح العروس وعلى الراغب في الزواج

أو بالأحرى الابن القبول والانصياع لأوامر أهله، فكانت ترى فيه وسيلة لتدعيم المكانة الاجتماعية للعائلة ووسيلة لإعادة إنتاجها وضمان استمراريتها عن طريق الإنجاب، إلا أن هذا الأسلوب لم يعد كافيا للاختيار للزواج نظرا لتعدد وتشابك الحياة الاجتماعية بفعل عوامل التغير وارتفاع المستوى التعليمي للشباب الذي فتح أمامهم أفقا جديدة من جهة واتساع دائرة العلاقات وتعدد الوسائط وفرص اللقاءات وزيادة الحريات الفردية من جهة أخرى.

حيث أصبح الشباب ومع فقدان الأسرة لوظيفتها التزويجية يرغب في الاستقلالية الذاتية في اتخاذ القرارات خاصة في قضية الزواج التي لم يعد يرى فيها خدمة مصالح الجماعة وإرضائها وإنما هو توافق واقتراح طرفين يحقق كل منهما رغبات الآخر، فهم يرون أنه من حقهم تسير عملية الاختيار للزواج بأساليب ووسائط يختارونها بمحض إرادتهم كالاستعانة بأصدقائهم أو اللجوء إلى وسائل الاتصال كمواقع التواصل الاجتماعي أو إعلانات الزواج المعروضة في الصحف والتي أصبحت تلقي رواجا كبيرا بين الشباب لقيامها بالمهمة التزويجية كما ينبغي في مجتمعات مختلفة، فإن كانت كذلك فما هي اتجاهات شبابنا الجامعي باعتباره شريحة مثقفة وأكثر إدراكا بتلك التحولات والتغيرات بفعل احتكاكه بها بحكم مستواه التعليمي نحو هذه الوسائط وما هو الوسيط الأكثر إقبالا من طرفهم ويلجئون إليه لاختيار شريك الحياة

1- الاشكالية:

ير المجتمع العربي عموما والمجتمع الجزائري بوجه الخصوص بتغيرات اجتماعية وثقافية واسعة النطاق وهي تغيرات مرهونة بالتغيرات الاقتصادية الجوهريّة التي تسارعت وتيرتها خلال العقود القليلة الماضية، نتيجة التوسع في نطاق التعليم وفي نوعيته، واتساع نطاق الاحتكاك مع ثقافات أخرى ما انعكس ذلك على الدور الفردي في الحياة الاجتماعية و زيادة على ذلك ظهور تغيرات أساسية في حجم الأسرة التي تتجه نحو سيطرة نمط الأسرة الزوجية مقابل اختفاء نمط الأسرة الممتدة أو تراجعها بشكل ملحوظ بالإضافة إلى تغيرات في القيم الأخلاقية التي كانت بمثابة دعامة للمجتمع والتي اضمحلت في عالم العولمة.

حيث يعتبر قرار الزواج من أهم القرارات التي تشغل بال الشباب الذين أكملوا مرحلة المراهقة ودخلوا مرحلة النضج الكامل، حيث هذا القرار هو ارتباط الفرد بعلاقة جديدة مع الطرف الآخر من الجنسين يرى أنه يستطيع أن ينسجم معه ويشبه في بعض الجوانب كالاتجاهات والأفكار والهوايات والقيم والمعايير الأخرى، حيث يفكرون فيه كموضوع كلي متكامل يشمل التفاعلات بين تلك العناصر والتي تشكل في مجملها موضوعا لاتجاهاتهم نحو الزواج، ولما كان قرار الزواج له أهمية فإنه يصبح من الضروري تحديد أحسن الطرق وتعيين أفضل الوسائل تساعد في اتخاذ قرارهم بشكل صائب حول موضوع الزواج

واختيار شريك الحياة، ثم إن هذا القرار يمارس بطرق مختلفة باختلاف الفئات الاجتماعية التي تحكمها جملة من الضوابط كالسن والبيئة الجغرافية ومستوى التعليم... ومن هذه الطرق الاختيار التقليدي الذي يتم بواسطة الأسرة وعلاقتها المباشرة، أو عن طريق الاختيار الشخصي الذي يسخر فيه الراغب في الزواج مجموعة من الأساليب والوسائل والتي تعتبر بمثابة وسيط بينه وبين الطرف الآخر كأن يستعين بالأصدقاء أي جماعة الرفاق، أو يلجأ إلى التكنولوجيا المتطورة كأن يستعمل الانترنت عبر مواقع التواصل الاجتماعي، أو كأن يعتمد على إعلانات الزواج المعروضة في الصحف والتي تستقطب شريحة من الشباب من الجنسين باختلاف المستويات، ويمكن أن يكون الاختيار شخصي يقوم به الراغب في الزواج دون تدخل من احد فيلجأ إلى الطرق المعروفة وإن كانت في حقيقتها وإلى وقت غير بعيد طرق غريبة ومستنكرة لدى المجتمعات المحافظة كالمجتمع الجزائري والتي تتمثل في العلاقات بين الشباب من الجنسين كأن تتخذ الفتاة صديق لها أو يتخذ الشاب بالمثل صديقة له والتي هي في الغالب علاقة مستترة دون علم الأولياء.

وعلى هذا الأساس نحاول طرح أشهر طرق زواج الوساطة المتعلقة بالوسائل التكنولوجية الحديثة التي يلجأ لها الشباب الجزائري، علماً بأنه يتأثر بقيم وعادات المجتمع المحلي فضلاً على أن المستوى الثقافي وكذا التغيرات الاجتماعية تلعب دوراً بارزاً في التأثير عليه وبالتالي نطرح التساؤل التالي:

- لماذا يتجه الشباب الجزائري نحو زواج الوساطة و هل المعايير الاجتماعية تحدد وسائل البحث عن شريك الحياة؟

2- تحديد المفاهيم:

زواج الوساطة:

وساطة الزواج عبارة عن التوفيق بين شخصين بغرض الزواج عادة إلا أن الكلمة تستخدم عادة في سياقات أخرى¹ وعملية الزواج المدبر تكثر خاصة داخل العوائل الملكية كما سبق وأشرنا، ومن المعتاد أن يكون القرار فيه للوالدين أو لكبار السن في العائلة. هذا الترابط قد يتم عن طريق الوالدين أو خاطبة الزواج أو موقع من موقع الزواج أو أي طرف ثالث يكون محل ثقة، وفي كثير من المجتمعات يقوم رجال الدين مع الأقارب والأصدقاء أي أصدقاء العائلة بدور كبير في التوفيق بين الطرفين ومن هنا فإن الوساطة في الزواج تعرف شعبية كبيرة ففي أمريكا الشمالية هناك مجتمعات وجدت بها وساطة الزواج

¹ - زواج الوساطة ، <http://ar.wiki.pedia.org/wiki> ، بتاريخ 2017/03/14، على الساعة 13:22.

حديثاً في السينات من القرن العشرين. وفي آسيا وخاصة سنغافورة تم إضفاء الصبغة المؤسسية إلى دور وسيط الزواج بحيث أصبح بيروقراطياً كما أصبح لكل مواطني سنغافورة إمكانية الدخول إلى مجموعة فرعية من خدمات وساطة الزواج.¹

التغير الإجتماعي:

عرفه "محمد عاطف غيث" بأنه يعبر عن أوضاع جديدة طرأت على البناء الإجتماعي، والنظم، والعادات الإجتماعية، وأدوات المجتمع نتيجة لتشريع جديد لضبط السلوك أو كنتائج للتغير.²

مواقع التواصل الإجتماعي:

تعرف مواقع التواصل الاجتماعي بأنها عبارة عن تطبيقات تكنولوجية إلى الويب تتيح التفاعل بين الناس، وتسمح بنقل البيانات الالكترونية وتبادلها بسهولة، وتوفر للمستخدمين إمكانية العثور على الآخرين. وقد ظهرت هذه المواقع مع الجيل الثاني للويب لتساعد الأفراد على التواصل والتفاعل في بيئة المجتمع الافتراضي يجمعهم حسب مجموعات اهتمام أو انتماء أو مشاركة في قضية بعينها.³

3- -نظرية التغير الاجتماعي:

تعتبر دراسة التغير الاجتماعي من الموضوعات الهامة والمجالات الأساسية التي يسعى علماء الاجتماع لدراستها، خاصة وأن اهتمامهم الأول يركز حول دراسة مظاهر التباين والاختلاف الذي يحدث على البناءات والنظم والأفراد والجماعات الاجتماعية، إلى جانب اهتمامهم بمظاهر التغير السريعة التي طرأت على جوانبه المختلفة أي المجتمع الحديث والتي أحدثت تغيرات على نوعية البناءات والمؤسسات والأنساق الاجتماعية والتي لا تزال في حالة ديناميكية كما يصنفها أوغست كونت، كذلك يتطرق انطوني سميث في كتابه المميز عن التغير الاجتماعي أن دراسة ظاهرة التغير سواء كانت اجتماعية أو تاريخية تعتبر ظاهرة واسعة وكبيرة وهذا ما يجعل نوع الغموض والتداخل حول وضع تعريف مميز للتغير الاجتماعي وهناك بعض المحاولات التي تعرف التغير أو فكرة التغير حيث يعرفه ديفرز Divis التغير الاجتماعي على أنه " مجموعة الاختلافات التي تحدث داخل التنظيم الاجتماعي والتي تظهر على كل البناءات والنظم التي تحدث في المجتمع". كما عرفه بوتوكور

¹ - الزواج المدير، [http //ar.wikipedia.org/wiki/ac](http://ar.wikipedia.org/wiki/ac) ، بتاريخ 2017/03/14، على الساعة 15:21.

² - محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر الإسكندرية، 1989، ص 415.

³ - محمد جابر خلف الله : <http://kenanaonline.com/users-azhar-gaper/posts/512902> بتاريخ 2017/03/14، على الساعة 11:30.

Bottocore بأنه " تغير يحدث في البناء الاجتماعي متضمنا التغيرات في حجم المجتمع أو في النظم الاجتماعية خاصة أو العلاقات بين هذه النظم، الذي يمكن أن يكون جزء من التغير الثقافي "

ومن خلال التعريفات الموجزة يمكن أن نعطي تصورا مقترحا لمفهوم التغير الاجتماعي والذي يمكن تحديده على أنه نوع من التباين والاختلاف الذي يحدث على مكونات البناء الاجتماعي الذي يؤدي إلى حدوث تغير في أنساق التفاعل والعلاقات وأنماط السلوك و يعد السمة المميزة لطبيعة الحياة الاجتماعية في المجتمعات الحديثة.¹

في الأخير وفي ضوء ما جاء في تحليل هذه النظرية فإن التغير الاجتماعي والذي مس كافة النظم والعلاقات الاجتماعية قد أثر على نظام الزواج الذي انتقل من الأسلوب الوالدي في الاختيار، والزواج الداخلي أي بين الأقارب إلى الحرية في الاختيار و اتساع نطاق الزواج نحو الخارج، بل تعدى ذلك إلى ظهور طرق وأساليب أخرى غير التي كانت سائدة في المجتمعات التقليدية والتي كانت تقتصر على الخاطبة فقط لتشمل وسائل الإعلام بأنواعها والتي أصبحت وسيطا هاما للراغبين في اختيار شريك الحياة، ثم إن ما يثير الانتباه أن شريحة الشباب هي الأكثر تأثرا بهذه التحولات الحاصلة باعتبارهم شريحة هامة داخل المجتمع ويتطلعون دائما إلى ما هو جديد ويطمحون إلى مواكبة التطور والخروج من كنف المجتمع التقليدي، إلى مميزات المجتمع الحديث الذي يتميز بالحرية الشخصية والفردانية حتى في مسائل مثل الزواج وأساليبه المختلفة التي تنوعت بفعل التحولات والتغيرات الاجتماعية عامة.

4- -الدراسات السابقة :

1-4 الدراسة الأولى : بعنوان " الزيجات عبر شبكات التعارف على الانترنت هي أكثر سعادة" قام بها الباحث "جون كاتشيو" عالم نفس من جامعة شيكاغو حيث أوضحت الدراسة أنه قد باتت مواقع التعارف على الانترنت بيئة مثالية للزواج، وإن أكثر من ثلث الزيجات في أمريكا بدأت عن طريق شبكات التعارف على الانترنت وأكدت أن هؤلاء الأزواج اسعد بكثير من غيرهم الذين تعرفوا على بعضهم بطرق مختلفة.

وقد شملت العينة حوالي 19131 ألف شخص من الجنسين تزوجوا بين العام 2005-2012.

¹ - خالد عبد الله البلوي ، ملتي فكر ، <http://www-facebook-com> بتاريخ 2017/03/14 على الساعة 19:30

نتائج الدراسة:

استنتج أن الزواج من أشخاص تعرفوا على بعضهم البعض عبر الانترنت يؤثر إيجابا، ويؤدي غالبا إلى حياة زوجية سعيدة، وقد أوضح كاتشيبو مشرف الدراسة أنه قد وجد دليلا آخر بغض النظر عن كيفية لقاء الأزواج على شبكة الانترنت وهو أعمار الأشخاص الذين يلتقون بهذه الطريقة حيث كانت أعمارهم ما بين 30 و 49 عاما وأوضح أيضا أن دخلهم متزايد عن الأزواج الذين التقوا بطرق اعتيادية وقد خلصت الدراسة أيضا إلى النتائج التالية وهي تخص الإلتقاء خارج نطاق الانترنت حيث وجد أن 22% من الأزواج خارج نطاق الانترنت التقوا في العمل.

وأيضا 19% منهم التقوا عبر الأصدقاء.

ومنهم 11% من الأزواج التقوا في المدرسة أو الجامعة.

و 9% تعرفوا على بعضهم في الأندية الاجتماعية.

و 7% منهم التقوا عبر العائلة .

في حين وجد أن 4% منهم التقوا في الكنيسة .

وقد إطلع الباحث أيضا على حالة عدد الأزواج الذين انفصلوا بعد نهاية مدة الدراسة، ووجد أن حوالي 5,6% من المنفصلين كانت وسيلة تعارفهم هي الانترنت ، و 7,6% تعارفوا عبر وسائل أخرى.

وبينت الدراسة أن من أكثر الأزواج سعادة أولئك الذين تربوا معا أو التقوا في المدرسة أو الجامعة أو من خلال المناسبات الاجتماعية أو دور العبادة، فيما كان الأزواج الذين التقوا عبر العائلة أو في العمل أو النوادي أقل سعادة.

وقال "كاتشيبو" يتمتع الأزواج الذين يتعرفون على بعضهم على الانترنت بشخصيات مختلفة وبدافع كبير لإقامة علاقة زوجية طويلة الأمد".¹

الدراسة الثانية : قامت بها " مليكة لبيديري " بعنوان الشباب وقضية الزواج من الأسرة إلى الجريدة " دراسة اجتماعية لعينة من الشباب الجزائري من الجنسين .

¹ - جون كاتشيبو ، الزيجات عبر شبكات التعارف على الانترنت هي الأكثر سعادة - <http://www.bbc.co.uk/1/araluc/scienceamdtech/2013/06/130603-study-marriage>

بتاريخ 2014/02/22 ، على الساعة 1.16:34

أهداف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة الميدانية إلى التعرف على خبايا ظاهرة لجوء الشباب لإعلانات الزواج عبر الصحافة في المجتمع الجزائري الحضري منه بالخصوص ويدور التساؤل الرئيسي لإشكالية البحث حول فهم الأسباب الخفية لظاهرة اللجوء للصحافة، وموقف الأفراد منها.

وتمثلت الإشكالية فيما يلي: لماذا انتقلت وظيفة الزواج من المؤسسة الأسرية إلى المؤسسة الإعلامية؟ لماذا يتعامل شبابنا مع هذه الأخيرة؟ هل الأسرة هي التي دفعت بالأبناء إلى تبني هذه الطريقة الإعلانية في الزواج؟ هل اضمحلال النظام الزواجي التقليدي وإخفاء الوساطة في الزواج هو السبب في ذلك؟ أو بعبارة أخرى: ما هي الدوافع الكامنة وراء لجوء الشباب في مجتمعنا إلى الزواج عن طريق الإعلانات بدلا من الأسرة؟¹ وللإجابة على هذه التساؤلات صيغت الفرضيات التالية:

لجوء الشباب لإعلانات الزواج مرتبط بالوضعية الاجتماعية والمادية وكذلك تقدم السن بالنسبة للبعض منهم هو الذي دفعهم إلى البحث عن طرق جديدة في الزواج.

لجوء الشباب لإعلانات الزواج مرتبط بسير عملية الاختيار من جهة وال فشل في إيجاد الشريك المناسب بالطرق التقليدية المعتادة من جهة أخرى.

لجوء الشباب لإعلانات الزواج وموقفه منها مرتبط بمدى التمسك الأسري ومصداقية الإعلانات.

إجراءات الدراسة الميدانية:

تم إجراء البحث وميدان الدراسة في دار الصحافة لكونها مقر لبعض الجرائد بالإضافة إلى مقر جريدة الشروق العربي.

عينة الدراسة:

تمثلت عينة الدراسة في مجموع الشباب من كلا الجنسين بشرط تعاملهم مع ركن الإعلانات الزوجية ولجوءهم إلى الإعلانات الخاصة بالزواج وقد بلغ عدد الشباب الذين تم استجوابهم 80 مبحوث منهم 40 امرأة و40 رجلا.²

أهم نتائج الدراسة: خلصت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

¹ - لبديري مليكة ، الزواج والشباب الجزائري إلى أين؟!، دراسة اجتماعية، دار المعرفة، الجزائر، 2005، ص : 1.7

² - نفس المرجع ، ص : 1.101

التحولات العديدة في مختلف المجالات الناجمة عن عمليتي التصنيع والتحضّر أثرت على التركيب البنائي والوظيفي للأسرة الجزائرية وهذا بدوره أثر على علاقتها الاجتماعية ونظام زواجها، وبروز النظام الأسري النووي والذي يميّز سير الحياة الاجتماعية فيها بالمزج بين نمطي العيش التقليدي والحديث جعلت رابطة العلاقات الاجتماعية تنقل من علاقات "غير رسمية إلى علاقات رسمية لا تتعدى نطاق المناسبات ، وساعد هذا التغير على تلاشي وضعف العلاقات الاجتماعية القرابية" وهذا بدوره قلص مجال الاتصال وبالتالي الحد من فرص الزواج ضف إلى ذلك بروز ظاهرة صراع الأجيال نتيجة اختلاف ذهنيات الآباء والأبناء، مع بروز الفردية والاستقلالية وأصبح الزواج قضية فردية " تهم الفرد المعني أكثر من أسرته، وكنتيجة لهذا تغير هدفه من خدمة مصلحة الجماعة إلى خدمة مصلحة الفرد وبالتالي تخلت الأسرة مجبرة عن دورها فيه"¹، فتغير مفهوم الزواج وبالتالي تغيرت عملية الاختيار للزواج من حيث الأسلوب ونظام الاختيار ككل بتوسع دائرة الاختيار والمقاييس التي يختار على أساسها.

ولهذه الأسباب جميعها لجأ بعض الأفراد إلى الوسائط الزوجية الإعلامية كطرق بديلة لاختيار الزواجي وهذا اللجوء مبرر بتخلي الأسرة عن دورها في تزويج أبنائها.

5- نظام الزواج و آثار التغير الاجتماعي:

5-1 علاقة التغير الاجتماعي باتجاهات الشباب نحو الزواج:

إن العلاقة بين الزواج كعملية اجتماعية فردية والتغير الاجتماعي كحركة ديناميكية في المجتمع ليست علاقة بسيطة كونها خاضعة لعمليتي التأثير والتأثر فمن المؤكد أن التحولات الاجتماعية من شأنها أن تحدث تشابك في العلاقات الاجتماعية وكذا في قيم والأساليب وهذا ما حصل لنظام الزواج داخل المجتمع والذي تميز بالتعدد من حيث العادات والأساليب وكذا طرق الاختيار فبعد أم كان قضية الزواج كظاهرة اجتماعية تمس الكيان الاجتماعي للأسرة قبل الفرد المعني أي تخضع للتضامن من الجمعي أصبحت تتسم بمبدأ الفردانية وهذا ما نلاحظه ونتعايش معه يوميا من جراء التطورات التكنولوجية والعملية التي ساهمت في بلورة فكرة الحرية الشخصية لدى الشباب في كل المجالات بما فيها الزواج حيث تغير أسلوب

¹ - نفس المرجع، ص ص : 128 ، 1.129

الاختيار للزواج الذي كان في الغالب أسلوب والديا إلى الاختيار الشخصي بالاستعانة ببعض الوسائل واتخاذها كوسيط بينه وبين الطرف الراغب في مشاركة الحياة.¹

إن ما يميز هذه الثورة التكنولوجية العلمية أنها مست وترا جد حساس داخل المجتمع إلا وهو العادات والتقاليد وحتى القيم خاصة لدى الشباب مما اثر على اختياراته ومبادئه التي ورثها عن المؤسسة لدى الشباب مما اثر على اختياراته ومبادئه التي ورثها عن المؤسسة الأولى والمرجعية وهي التنشئة الاجتماعية السليمة التي اضمحلت في كنايا العولمة ومن هنا فسنعرض أهم مظاهر التغيير لدى الشباب خاصة في موضوع اتجاهاتهم نحو الزواج في النقاط التالية:

-أصبح الاختيار للزواج عند الشباب خاصة الفتيات أمرا شخيصيا والتعرف على الطرف الآخر ومحاورته مرحلة ضرورية قبل الزواج.

-تراجع دور الأم في اختيار الزوجة لابنها مع تراجع تدخل الوالدين بالنسبة للفتاة في إرغامها أو الضغط عليها للقبول بالزواج. تنوعت وتعددت الأساليب لدى الشباب للاختيار الشريك فبعد أن كانت بسيطة وفي غالب الأحيان كانت تحت تصرف الوالدين توسعت لتشمل حتى وسائل الإعلام المختلفة.

-تغير مقاييس الزواج أي مقاييس اختيار القرين عند الشباب من الجنسين، فقد أصبح عنصري الجمال والسن بالنسبة للرجل في المرتبة الأولى، أما بالنسبة للفتاة فاختيارها في الغالب أصبح في المنصب اللائق والدخل الشهري للعمل أن يكون معتبرا والبيت المستقل عن أهله، حيث لا تعتبر السن مقياسا أساسيا كما تشترط بعضهن على ضرورة توفر المستوى التعليمي في الطرف الآخر.

-تغير اتجاه الشباب نحو الزواج المبكر الذي كان سائدا في المجتمعات التقليدية وأصبح الشباب يؤمنون بفكرة الزواج بعد إيجاد عمل مناسب وبعد إكمال الدراسة خاصة لدى الفتاة التي أصبحت تتطلع للوظيفة أكثر من إنشاء أسرة.²

¹ - أغبال حورية ، واقع العنوسة في المجتمع الجزائري الأسباب والحلول ، دراسة مقارنة بولاية تيبازة،مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر ، 2006-

ص: 33 1

² - نفس المرجع ، ص ص : 33-34 1.

في الأخير نقول أن هذه مظاهر التغيير إن دلت على شيء أما تدل على أن قيم الزواج وثقافته قد تغيرت لدى الشباب المعاصر بالرغم من كونه عملية مستمرة عبر الأجيال إلا أنها عملية تتغير معاييرها من جيل إلى جيل وهذا ما ولد العديد من المشاكل الاختلالات في نظام الزواج عموماً.

2-5 أساليب الاختيار للزواج.

هناك أسلوبان للاختيار هما : الاختيار العائلي الذي يتضمن إعطاء الدور الأكبر للأهل وبخاصة الوالدين و الاختيار العاطفي الحر الذي يتضمن إعطاء الدور الأكبر للفرد في الاختيار

- الاختيار العائلي:

ينتشر هذا الأسلوب من أساليب الاختيار للزواج في بعض المجتمعات في الدول النامية وبخاصة في المناطق الريفية من المجتمع العربي وفي هذا الأسلوب يكون للأهل وبخاصة الوالدين الرأي الأول في الاختيار للزواج سواء بالنسبة للشباب أم بالنسبة للفتاة فيقوم الأب عادة بتمثيل ابنه أو ابنته، كما يقوم بتنفيذ الترتيبات للزواج المختلفة وواضح هنا أن مثل هذا الزواج هو ارتباط بين أسرتين قبل أن يكون ارتباطاً بين شخصين، فالتركيز فيه ليس على تحقيق الإشباع العاطفي للزوجين وإنما على تحقيق أهداف اجتماعية مثل التماسك، وإنجاب عدد كبير من الأطفال لتدعيم قدرة الأسرة الإنتاجية التي تعتمد على الزراعة والعمل في الحقول ومن هنا فيرتبط العائلي للزواج بشرط معينة في المجتمع أهمها الفصل بين الجنسين، فالعادات والتقاليد الصارمة لا تفسح المجال للتعارف وتطوير علاقات يمكن أن تؤدي إلى الزواج.

- الاختيار العاطفي الحر (الشخصي):

أدت عملية التغيير في الأسرة من النمط الممتد إلى النمط النووي الحديث إلى ضعف دور الأهل وتراجعهم في عملية الاختيار للزواج، حيث غالباً ما يتحكم الأب بالسلطة الأسرية ويستلم عملية اتخاذ القرارات. أما الأسرة النووية التي تشمل على الزوج والزوجة وأطفالهما فقط، فتميز بوجود مشاركة في السلطة فيها بين الزوجين والأبناء جميعاً.

و أدت عمليات التحديث هذه: التحضر، وانتشار التعليم بين الرجال والنساء وخروج المرأة للعمل إلى إنهاء الفصل بين الجنسين وإلى شيوع الاختلاط في أماكن الدراسة، والعمل مما يمكن للشباب من الجنسين من الإلتقاء والتعارف، وتطوير

العلاقات تؤدي إلى الزواج، والقيام نتيجة لذلك بدور رئيسي في الاختيار للزواج إذا يمكن القول أن عمليات التحديث في المجتمع العربي أدت إلى تزايد الاختلاط بين الجنسين مما أعطى المجال للشباب والفتيات للالتقاء، والتعارف وتطوير علاقات تؤدي إلى الزواج بدون تدخل ملحوظ من الأهل¹.

6- كيفية الاختيار في العائلة الجزائرية التقليدية والحديثة :

الاختيار للزواج في العائلة الجزائرية التقليدية:

إن الزواج في العائلة الجزائرية التقليدية لم يمكن ينظر إليه كعلاقة بين شخصين فحسب وإنما كوسيلة لإعادة إنتاج العائلة وضمان استمراريتها عن طريق الإنجاب، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى هو وسيلة لتدعيم المكانة الاجتماعية للعائلة، (علما بأن المكانة هنا لها صلة بالنسب والمستوى المادي والثقافي) ويمكن القول هنا أننا نجد الحال نفسه بالنسبة للمجتمعات العربية التي لها نفس الالتئام الثقافي، حيث أكد السوسولوجين السوريين حرص والد كل من الشباب والفتاة على المصاهرة من نفس الطبقة الاجتماعية وكرم النسب².

و هذه النظرة الأخيرة للزواج هي التي جعلت مهمة الشروع فيه وإتمامه من المهام الرئيسية المسندة للعائلة بدلا من الأفراد المعنيين بالأمر خاصة وأن الآباء يعتقدون بإختيارهم المحكم لزوجة ابنهم أو زوج ابنتهم في عملية المصاهرة أو القرابة سوف يحتضون بمهمات كبيرة مع أبنائهم كوجودهم بقربهم والحفاظ على مراكزهم الاجتماعية والاقتصادية إلى جانب سيطرة الأسلوب الوالدي في عملية الاختيار للزواج في العائلة الجزائرية التقليدية نجد أن الزواج من الأقارب احتل مكاناً كبيراً وكثيراً ما كان يتم في سن مبكرة باتفاق الآباء معا دون علم الصغار بذلك وفي الصدق يقول سليمان مظهر: "إن الزواج السائد في الوسط التقليدي الجزائري هو الزواج الداخلي، بين أبناء الإخوة فهو يشكل إلى جانب العذرية الضمان الثاني لإستمرار قوة الجماعة" كما أنه يعمل على تفادي تكاليف الزواج الباهظة.

وبما أن عملية الزواج من اختصاص العائلة خاصة الوالدين أو أحد الأولياء من الأقارب الذين يتحملون مسؤولية الاختيار فلا يحق للشخص البالغ إخبار عائلة أو تذكيرهم بضرورة تزويجه فبالنسبة للرجل، هم الذين يقررون موعد زواجه ويختارون

¹ - نجبة من المتخصصين ، علم الاجتماع الأسري، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر ، 2008 صص 13-14.

² - محمد صفوح الأخرس ، تركيب العائلة العربية ووظائفها، مرجع سبق ذكره، ص: 32.

الزوجة التي يمكن أن يرتبط بها وكذلك الأمر بالنسبة للفتاة فلا يحق لها هي الأخرى مفاتحة أو مصارحة عائلتها حول موضوع زواجها أو الشخص الذي تنوي الزواج منه، فزواجها أمر يحسم من قبل والديها وأولياء أمورها.

وإذا بحثنا عن الأسباب التي جعلت العائلة الجزائرية التقليدية لا تعطي حق اختيار الشريك (ة) للزواج بالنسبة للمعنيين بالأمر ، لا يمكن إرجاعها إلى العادات والتقاليد والمحافظة والسائدة في المجتمع والتي تمنع وتحرم الاختلاط بين الجنسين فحسب وإنما أيضا إلى التربية التي يتلقاها هؤلاء الأشخاص عند الصغر وفي هذا الصدد قال الدكتور عاطف غيث: "بأن الفرد في المجتمعات العربية كفرد لا قيمة له إلا في العائلة فهو يعمل من أجل العائلة ويتزوج من أجل العائلة وينجب من أجل العائلة ولهذا كانت شخصية العائلة هي التي تحدد نماذج سلوكه وتعين المسموحات والمنوعات" وبالتالي الجانب الخاص به يكون ملكا للجماعة التي يعيش فيها لهذا ما عليه إلا الطاعة والقبول، وما نراه هنا أن تصرفات الشباب غالبا ما كانت مقيدة بما تسطره العائلة مع وجوب خضوعهم للمعايير والقيم الاجتماعية التي فيهم.

في الأخير لا يفوتنا أن نشير إلى أن مسألة زواج الشباب في هذه العائلة لم تكن تعرف مشكلا كتقدم سن الزواج أو العزوف عنه إلا في حالة شاذة خاصة وأن المسألة كانت توكل للعائلة بما فيها من مسؤولية معنوية كاختيار الشريك(ة) ومسؤولية مادية (كصاري العرس هذا إضافية) عدم وجود أسباب تعطلهم أو بالأحرى تحول بينهم وبين الزواج في السن المبكر ما دامت العائلة هي المسؤولة على تأمين حاضر ومستقبل الأبناء.¹

الاختيار للزواج في العائلة الجزائرية الحديثة :

تختلف عادات الزواج في العائلة الجزائرية الحديثة عن تلك التي كانت سائدة من قبل، وهذا نظرا لما أحدثته حركة التطور الاجتماعي من تأثير في ذلك بعد بروز الأسلوب الفردي في تسيير عملية الاختيار للزواج، فبعدما كان الزواج من الوظائف الهامة والمسندة للعائلة تشرف هي عليه وتتولى إتمام عقده بدون حضور المعنيين بالأمر أصبح اليوم مشروعا يتعلق بالفرد أكثر مما يتعلق خاصة وأن عقده سيربط بين فردين للعيش معا. وعلى هذا الأساس يعتبر "الفاروق زكي يونس" أن الزواج في المجتمعات العربية يعد بمثابة مؤسسة تجمع بين فردين متكاملين ومتكافئين في الحقوق والواجبات لها مصالح ومشاعر مشتركة²

¹ - ملكية لبديري ، مرجع سبق ذكره، ص ص: 53-150.

² - الفاروق زكي يونس ، علم الاجتماع الأسس النظرية وأساليب التطبيق، عالم الكتب، القاهرة ، 1972 ، ص: 1227

وبناء عليه لم يعد الهدف الرئيسي من الزواج خدمة مصالح الجماعة وإرضائها وإنما خدمة مصالح الطرفين إذ يعتبره كل منهما وسيلة للتعاون في مختلف مجالات الحياة وكذلك تحقيق الذات وليس وسيلة للإنجاب فحسب.

إنّ كون عملية الاختيار للزواج حقاً يتمتع به الأفراد الذين يرغبون في الزواج في هذا النموذج العائلي جعل هذه العملية تفقد طابعها التقليدي وبالتالي قلّ دور الأب والعائلة في ترتيب مسألة الزواج.

فالشباب المقبل على الزواج لم يعد يطلب من أهله اختيار زوجة له حيث أصبح مؤهلاً لذلك إذ بإمكانه السير في إجراءات الزواج واختيار شريكة حياته وهذا وفقاً للمقاييس الجديدة التي عرفتها عملية الاختيار للزواج والمتمثلة في الحب المتبادل بين الطرفين البحث عن الأمن الاقتصادي المنزل المستقر الوصول إلى وضع اجتماعي أحسن من الوضع الذي كان يعيشه كل طرف علماً بأن الفتاة هي الأخرى أصبح لها الحق في الإدلاء برأيها في مسألة زوجها وذلك بالموافقة أو الرفض.

رغم انطلاق الشاب أو الشابة من فكرة الاختيار الحقيقي للشريك، وكذلك رغم أنّ الاختيار للزواج يتم على أساس الاختيار الحر الذي يكون فيه الاختيار مسألة شخصية ورأي الوالدين فيه يكون شكلياً في الغالب إلا أننا نلاحظ أنّ المقبل على الزواج في النموذج العائلي يعمل دائماً على عدم فرض قراره المتعلق باختيار شريك الحياة على أهله، وإنما سعى دائماً إلى إيجاد وسيلة للتفاهم قصد الحصول على الموافقة والرضا وبالتالي الاتفاق معهم على كيفية تنظيم حفل الزفاف. وبهذا انتقل الزواج في المجتمع الجزائري من الزواج المرتب التقليدي إلى الزواج المرتب الحر (التقليدي العصري) وأصبح هو السائد في غالب الأحيان، ولقد بينت الدراسات الاجتماعية أنّ هذا النمط الأخير من الزواج تجده هو السائد في كافة المجتمعات العربية.

إنّ التغير الذي طرأ على عملية الاختيار للزواج في هذا النموذج العائلي لم يمس أسلوبه فحسب وإنما مس كذلك نظامه إذ توسع مجاله من النطاق الداخلي الضيق إلى النطاق الخارجي الواسع وأصبح بإمكان الفرد المقبل على الزواج أن يختار شريكاً مناسباً له من مختلف الفئات الاجتماعية.

إنّ ما يميز ظاهرة الزواج في هذا النموذج العائلي هو تأخر سن الزواج لدى الجنسين والسبب هنا لا يعود إلى التغير في النظرة إلى الزواج وإنما إلى تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية داخل المجتمع الجزائري¹.

¹ - مليكة لبديري، مرجع سبق ذكره، ص ص : 57-58.

وعموماً فإن الاختيار في المجال الحضري يخضع لتأثيرات المجال الحضري التي عادة ما تطرح فيه قيماً جديدة مثل الجمال والمال والطبقة الاجتماعية في حين نجد أن مقياس الدين والأصل في تراجع إن لم نقل هي غائبة أصلاً هذه الأوضاع تتميزها الخصائص داخل النظام الحضري كالحرية ووسائل الإعلام والأنانية وتلاشي سلطة الأب وانتشار نمط الأسرة الزوجية التي تعتمد هي الأخرى على الحرية المطلقة في الاختيار، بالإضافة إلى اتساع رقعة التعارف بين الشباب في سن المراهقة وحتى في بعض الأحيان السماح بعلاقة جنسية عابرة، وبالتالي يكون الفرد داخل هذه الخصائص رقماً من الأرقام الحضرية بعيداً عن الدور الفعلي الذي يلعبه داخل المجتمع، حراً في تصرفاته مسؤولاً عنها مهما كانت نتائجها بعيداً عن الإستعانة بوالديه لأنه يرى فيها العامل الردعي والشيء القديم، فيتخلى الأفراد عن استشارتهم والاختيار يكون على أساس العاطفة والأحاسيس¹.

7- الوسطة في الزواج:

لقد سادت الوسطة في الزواج بالمجتمع العربي الإسلامي منذ أن حجبت المرأة عن الحياة العامة، وكانت هذه العملية سارية المفعول خاصة في الجماعات المحافظة والمتعلقة، حيث لعبت دور كبيراً في التعريف والتقريب بين الراغبين في الزواج وتحقيق التجانس فيما بينهم على أساس الإقناع والتفاهم وبصفة خاصة مع الآباء ممن لهم سلطة على أبنائهم كما جرت هذا أيضاً في المجتمعات التي تباعدت فيها الثقة بين العائلات ولا يجري التعارف فيما بينها، والتي نما فيها نظام الاختلاط والتعارف بين الشباب، والذي يساعد على الاختيار للزواج لهذا كان لنظام الوسطة في الزواج أثره في الانتشار للمساعدة على الاختيار للزواج وكذلك الخطبة².

إن الوسطة في الخطبة يقوم بها رجل وامرأة يكون نشطاً ومحترفاً في هذا المجال كالتمتع بالذكاء وطلاقة اللسان وتحسين التشية وضرب الأمثال إلا أنه في الأحيان تسند هذه المهمة إلى المرأة التي يسهل لها كيانها النسوي الدخول إلى المنازل والاختلاط بسيدات الأسر اللاتي لهن التأثير الكبير في تسير هذه العملية، ويطلق على هذه المرأة اسم الخاطبة وهذه الأخيرة تطوف بأمكن معروفة كالحمامات الأعراس وكذلك المنازل التي فيها فتيات في سن الزواج وتذهب أيضاً إلى الراغبين

¹ - أحمد حجاج، تصورات طلبة الماجستير في اختيار شريك الحياة دراسة ميدانية لطلبة الماجستير لجامعتي الجزائر والبلدية، مذكرة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة سعد دحلب، البلدية، الجزائر، 2005، ص: 1.53.52

² - مصطفى المسلماني، الزواج والأسرة، المطبعة الفخرية، القاهرة، ب.ط، 1977، ص: 1.64

في الزواج من الشباب لتعرف منهم بعض المعلومات وغالبا ما تأخذ منهم صورة تعرضها على أسرة الفتاة التي تراها لائقة لشباب معين، وإذا وقفت أسرة هذه الفتاة على ذلك الشاب تقدم إليها خاطبا.

لم تكن مهمة الخاطبة البحث عن زوجة لرجل فحسب بل كانت تسعى أيضا للبحث عن زوج لفتاة عانس أو تخشى عائلتها من ان تبقى عانس ، نظرا لعدم تقدم أحد لخطبتها ، فإذا وجدت الخاطبة رجلا أعزب أو غريبا يبحث عن زوجة أحاطت به وإستهوته بما تبتدع من أوصاف لمحاسن الفتاة أو المرأة التي تبحث لها عن زوج.

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى الخاطبة في غالب الأحيان لم تكن إلا سيدة همها الوحيد هو النفع المادي لذلك كانت تنال في المدح أو الذم وذلك تبعا لمنفعتها الشخصية.

إن هذا الأسلوب السائد في الخطبة كان موجودا في نطاق ضيق في المناطق الحضرية فقط وذلك لتسهيل عملية الاختيار للزواج ، حيث أنه بدأ يتعرض للزوال مع خروج الفتاة إلى التعليم والعمل ، ومع بروز أماكن اللقاء وصلت هذه الظاهرة إلى مرحلة الاختفاء.

أما في المرحلة الحديثة مع ما شهده المجتمع العربي الإسلامي من تطورات إجتماعية، سياسية، واقتصادية نجد أن ظاهرة الخطبة قد تطورت هي الأخرى تطورا سريعا ومغايرا في كثير من قواعدها الأصلية والفرعية فكثيرا من الشباب خاصة طلاب وطالبات الجامعة التي ضمت بين جدرانها الطبقات المختلفة من أهل الريف والمدن أصبح بعضها يخطب البعض وهما على مقاعد الدراسة كما نجد أيضا في أماكن العمل وبعدها يقومون على الأكثر بإبلاغ الأهل بما إتفقا عليه ولم يقتصر الوضع على حاله، هذا مع انتقال الخطبة إلى أيدي الشباب المعنيين بل امتد الأمر بهم إلى اقتناء طريقة جديدة للعثور على زوج أو زوجة¹ تتمثل في الزواج إما عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي أو إعلانات الزواج المعروضة في الصحف ، أو الإستعانة بالأصدقاء والتي لاقت رواجا كبيرا بعد نجاحها في المهمة الترويجية.

خاتمة:

وفي الأخير نستطيع القول بأن التغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري في مختلف مجالاته الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية بفعل عوامل التحضر انعكس تأثيرها على الأسرة ونظامها الزواجي وساهم وشجع على ظهور اتجاهات وأذواق جديدة في أسلوب الحياة وكيفية تكوين الأسرة لدى الشباب وبالتالي فسح المجال للمؤسسات أخرى أن تحل محلها وتأخذ على عاتقها

¹ -مليفة لبيدي، مرجع سبق ذكره ، ص : 341 .

أسمى وظائفها والمتمثلة في تزويج الأبناء، حيث تغيرت نظرة الشباب للزواج وأصبح يرى الاختيار مسألة شخصية وأن الاختيار الأمثل للزواج مبني على الحب ليصل كل منهما إلى الاختيار الحقيقي لشريك الحياة .

إلا أن الشباب في مجتمعنا وبالرغم من الانفتاح الكبير الذي يحظى به في ظل العولمة من حرية فردية بفعل وسائل الاتصال المتطورة إلا أنه ما يزال متحفظا باللجوء إلى مؤسسات لا تلقى القبول داخل المجتمع، كاللجوء إلى مواقع التواصل الاجتماعي أو إعلانات الزواج المعروضة في الصحف لإيجاد شريك الحياة، باعتبار أن هذه الوسائط غامضة وتفتقد إلى المصداقية والشفافية في التعرف على الشخص المرغوب فيه.

حيث يرون أن اللجوء إلى هذه الأساليب يكون بدافع التسلية فقط وتبقى وسيلة للتعرف لا غير، ولا يمكن أن تتطور إلى حد الزواج.

ثم إن هذا الأمر لا ينفى وجود أساليب أخرى يعتمد عليها الشباب للبحث عن شريك الحياة، فمثلا نجد الكثير من الشباب الجامعي يلجأ إلى جماعات الرفاق داخل الجامعة وخارجها ويتخذونها كوسطاء لإيجاد شريك الحياة وهذا ما أكدته عدة دراسات وتوصلت إليه باعتبار أن جماعة الرفاق هي الجماعات المرجعية الموثوق فيها بحكم العلاقة التي تقوم عليها، فهي تعمل على تشكيل المواقف والاتجاهات وتؤثر في كثير من الأحيان على اتخاذ القرارات في عدة مواضيع ومنها مسألة الزواج، وهذا الأمر يثبت لنا مدى فعالية العلاقات المباشرة، حيث كثيرا ما نجد الوقت الذي يقضيه الشباب مع الأصدقاء أكثر مما يقضيه مع العائلة مما يساهم في فتح نقاشات حول موضوع الزواج.

ومنه نجد الكثير من الشباب يجد السبيل الذي يبحث عنه عن طريق صديقه وهذا الأمر يبرز الدور الفعال الذي تلعبه علاقات الصداقة في الوقت الراهن وكيف أنها أصبحت إحدى التفاعلات البارزة تساهم في تشكيل وبناء الأسرة.

وبالتالي هنا يجدر الإشارة إلى أمر في غاية الأهمية وهي أن إقبال الشباب على هذه الطريقة والأسلوب في الزواج لا يدل بالضرورة على رفضهم القيم الاجتماعية أو الابتعاد عن المرسوم العائلي وغايات الزواج ولكن يمكن أن يكون هذا التصرف والسلوك الجديد تعبيرا عن رغبتهم في توسيع مجال الاختيار وبالتالي إظهار طموحات جديدة وهذا ما قد توضحه دراسات أخرى وتكشف عنه.

قائمة المراجع:

الكتب:

- لبديري مليكة، الزواج والشباب الجزائري إلى أين؟! ، دراسة اجتماعية ، دار المعرفة، الجزائر، 2005.
- نخبة من المتخصصين: علم الاجتماع الأسري، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر ، 2008.
- الفاروق زكي يونس ، علم الاجتماع الأسس النظرية وأساليب التطبيق، عالم الكتب، القاهرة ، 1972 .
- مصطفى المسلماني، الزواج والأسرة، المطبعة الفخرية، القاهرة ، 1977.
- محمد صفوح الأخرس ، تركيب العائلة العربية ووظائفها، دراسة ميدانية لواقع العائلة في سوريا، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1976.

القواميس:

- محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر الإسكندرية، 1989.

المذكرات :

- أغبال حورية ، واقع العنوسة في المجتمع الجزائري الأسباب والحلول ، دراسة مقارنة بولاية تيبازة، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2006-2007 .
- أحمد حجاج ، تصورات طلبة الماجستير في اختيار شريك الحياة دراسة ميدانية لطلبة الماجستير لجامعتي الجزائر والبلدية، مذكرة ماجستير ، قسم علم الاجتماع ، جامعة سعد دحلب، البلدية، الجزائر، 2005.

المواقع الالكترونية:

- خالد عبد الله البلوي ، ملتقى لفكر ، <http://www-facebook-com> بتاريخ 2013/12/26 على الساعة 19:30.
- جون كاتشيو ، الزيجات عبر شبكات التعارف على الانترنت هي الأكثر سعادة: <http://www.bbc.co.uk/ara/uc/scienceandtech/2013/06/130603-study-marriage> بتاريخ 2014/02/22 .

- زواج الوساطة ، <http://ar.wikipedia.org/wiki> ، بتاريخ 2017/03/14.

الزواج المدبر، [http //ar.wiki pedia.org/wiki/ac](http://ar.wikipedia.org/wiki/ac) ، بتاريخ 2017/03/14.

خالد عبد الله البلوي ، ملتنقى لفكر، <http://www-facebook-com> بتاريخ 2017/03/14.

محمد جابر خلف الله : <http://kenanaonline.com/users-azhar-gaper/posts/512902> بتاريخ

2017/03/14.

تأثير شبكة الفيسبوك على انتشار بعض السلوكيات السلبية لدى الشباب الجزائري

- الهجرة أنموذجا -

أ.مهديد عمرة. جامعة الجزائر3.

ملخص:

الواقع الاجتماعي للشباب الجزائري لا يختلف فيه اثنان بكونه واقع صعب وهش، ما جعله ينعكس على نفسية الاغلبية منهم، وجعل منهم فئة شديدة التأثر بالمثيرات الخارجية، خاصة اذا كانت هذه المثيرات موجودة ضمن أكبر ملجأ لهم وهو العالم الافتراضي، حيث نجد الشباب الجزائري يهرب من واقعه هذا الى عالم اخر يعتقد انه وجد فيه ضالته، حيث ينضم الى المجموعات والصفحات التي تعبر عن افكاره ومعتقداته ويتأثر بها ويجعلها سلوكا فيما بعد يسلكه في واقعه الحقيقي، ومن هنا بدأت مشكلة الشباب الجزائري تتفاقم حيث انتشرت فكرة وظاهرة الهجرة غير الشرعية بتأثير كبير من تلك الشبكة واصبحت سلوك لدى اغلبهم لمن استطاع اليه سبيلا.

مما سبق اتضح مشكلة البحث في وجود تغير اجتماعي لدى الشباب الجزائري تمثل في انتشار ظاهرة الهجرة بشكل رهيب بتأثير معين من طرف الفيسبوك بشكل خاص وبالتالي نحن امام ضرورة البحث عن حلول لهذه المشكلة وهو هدف في حد ذاته لهذا الموضوع الذي يعتبر موضوع في غاية الاهمية كونه يتعلق بالقاعدة الاساسية للمجتمع الجزائري وهي الشباب طبعاً، ولارتباطه من جهة اخرى بمفهوم التغيير الاجتماعي الايجابي المطلوب بذات الوسيلة (الفيسبوك).

مقدمة:

تعتبر وسائل التواصل الاجتماعي والاعلام من بين أكثر الوسائل تأثيراً في عملية التغيير الاجتماعي لأي أمة، خاصة مع التطور الذي عرفته مؤخراً من خلال انتشار شبكات التواصل الاجتماعي التي تعمل على تقنية الويب، وقد تصدرت شبكة الفيسبوك المراتب الاولى من حيث اشهر وأكثر هذه الشبكات استخداماً في العالم بأكمله والعالم العربي بصفة خاصة، واعتبرت هذه الشبكة بمثابة عالم جديد لجأ اليه الشباب بصفة خاصة واستبدلوه بواقعهم الحقيقي، وانشأوا من خلاله مجموعات حسب اهتماماتهم، وصفحات حسب افكارهم، فاصبح الفيسبوك عالمهم الخاص، ولعل الشباب الجزائري من أكثر شباب العالم هروبا من الواقع الحقيقي الى العالم الافتراضي وذلك للكثير من الاسباب التي سيتم الحديث عنها فيما بعد وبالتالي فمن الطبيعي أن يؤثر في افكارهم وسلوكياتهم هذا العالم الذي يسمى الفيسبوك، ولهذا قمنا بطرح التساؤل التالي:

ما مدى تأثير شبكة الفيسبوك على انتشار ظاهرة الهجرة لدى الشباب الجزائري؟ وكيف يمكن تغيير هذه الفكرة

لديهم بنفس الوسيلة (الفيسبوك)؟

1- الواقع الاجتماعي لدى الشباب الجزائري:

لا شك ان الشباب هو الثروة الحقيقية لكل امة وهو الضمان لأمنها ومستقبلها نظرا لخصائصه وقدراته الجسمية والعقلية ما يستوجب وضع الشباب وانشغالهم على رأس سلم الاولويات والاهتمامات لكل دولة من حيث برامج التشغيل والتمكين وغيرها لكن يبدو أن هذه الفئة أصبحت تعيش مشاكل كثيرة في السنوات الاخيرة في مختلف الدول ويظهر انها الفئة الأكثر تضررا من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وهي نفس المشاكل التي يعيشها الشباب الجزائري الآن حيث يعاني حالة من التهميش واللامبالاة دفعت به الى حد اليأس والاستسلام للأمر الواقع بعدما اغلقت كل الابواب والمنافذ في وجهه ، شباب يعاني من ضياع ابط حقوقه الاساسية والاجتماعية خاصة رغم انه يعيش في بلد يملك الكثير من الخيرات وتتوفر لديه الكثير من عوامل النجاح ، حيث تبلغ نسبة الشباب في الجزائر أكثر من 70 بالمئة من اجمالي التعداد السكاني ومع ذلك يعيش واقعا اجتماعيا صعبا يمكن تلخيصه فيما يلي:

أولا البطالة:

تعاني الجزائر من معضلة البطالة منذ أكثر من 10 سنوات ورغم انها تمس مختلف الفئات الا ان فئة الشباب أكثر تضررا حيث تظهر الاحصائيات منظمة العمل الدولية ان الجزائر احتلت المرتبة الاولى عربيا بـ46 بالمئة خلال سنة 2009 بينما تشير الاحصائيات الرسمية الوطنية الى ما يلي:

الوحدة: بالملايين

جدول يوضح اعداد البطالين ونسب البطالة :¹

السنوات	1990	1991	1992	1993	1994	1995	1996	1997	1998	1999
اعداد البطالين	1.16	1.23	1.52	1.66	2.11	2.20	2.31	2.38	2.52	2.43
النسب المئوية	19.7	20.3	21.3	23.1	24.4	28.3	28.3	28.6	29.3	29.8

ومنه تميز الوضع الاجتماعي منذ النصف الثاني للثمانينيات إلى غاية عام 1999 بارتفاع كبير في نسب البطالة وصلت في بعض الأحيان إلى أكثر من 30 %، فالأزمة الاقتصادية الحادة التي عاشتها البلاد خلال هذه الفترة والتي اتسمت بتراجع كبير في

¹- حمزة عبد القادر، ترشيد السياسة العامة للتشغيل في الجزائر، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر3، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، قسم التنظيم السياسي والاداري، 2014/2013، ص 97.

حجم الاستثمارات وانخفاض أسعار النفط قد أدت إلى بروز اختلالات كبيرة في سوق الشغل بحيث تقلصت فرص العمل المتاحة بدرجة كبيرة في نفس الوقت الذي سجل فيه تزايد أكبر لطالبي العمل.¹

جدول يمثل نسب البطالة خلال الفترة (2000 - 2008):²

السنوات	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008
نسب البطالة %	30	27.3	25.7	23.7	17.7	15.3	12.3	13.8	11.3

جدول يمثل نسب البطالة خلال الفترة (2009 - 2013):³

السنوات	2009	2010	2011	2012	2013
نسب البطالة %	10.2	10.00	10.00	11.00	9.8

جدول يمثل نسب البطالة خلال الفترة (2014 - 2017):⁴

السنوات	2014	2015	2016	2017
نسب البطالة %	10.6	11.2	9.9	//

من خلال النتائج الموضحة بالجدول السابقة نلاحظ انخفاض نسبة البطالة في الجزائر بشكل عام بداية من سنة 2000 الى غاية سنة 2012 حيث ارتفعت قليلا ثم عادت الى الانخفاض وارتفعت مرة اخرى سنة 2015 وهي السنة التي تمثل بداية انخفاض اسعار البترول وبداية سنوات التقشف، ومن جهة اخرى تفاقم ظاهرة البطالة مس كل الفئات الاجتماعية لاسيما الشباب واصحاب الشهادات العلمية، فمن مجموع العاطلين عن العمل و البالغ عددهم الآن 1.7 مليون شخص نجد ان أكثر من 73 % منهم تقل أعمارهم عن 30 سنة والذين يمثلون فئة الشباب.

¹- فارس شلاي، دور سياسة التشغيل في معالجة مشكل البطالة في الجزائر خلال فترة 2001-2004 مع محاولة اقتراح نموذج اقتصادي للتشغيل للفترة 2005-2009، مرجع سابق، ص85.

²- عامر هواري، قاسم حيزية، السياسات الاقتصادية في الجزائر بين خلق البطالة ومكافحتها، ورقة مقدمة في الملتقى الدولي حول: تقييم سياسات التقليل من الفقر في الدول العربية في ظل العولمة، المنعقد بـ جامعة الجزائر3، يومي 9/8 ديسمبر 2014، ص11،12.

³- حمزة عبد القادر، ترشيد السياسة العامة للتشغيل في الجزائر، مرجع سابق، ص 163 .

⁴- الديوان الوطني للإحصائيات .

ثانيا: العزوف عن الزواج وارتفاع العنوسة:

أصبح الشاب الجزائري يتهرب من مجرد التفكير في الزواج حتى بعد تخطيه سن 30 سنة لما يتطلب الزواج من مصاريف باهظة لا يتحملها أغلب الشباب انطلاقا من غلاء المهور إضافة الى مشكلة السكن التي لم تعرف طريقها للحل بعد والمسؤوليات اللاحقة المترتبة عن الزواج، فالأمر يتعلق ببناء أسرة وبعض الشباب الجزائري فقد الثقة بنفسه في القدرة على تحمل المسؤولية أصلا. والعزوف عن الزواج أدى بالضرورة إلى ارتفاع رهيب في نسبة العنوسة بالجزائر إذ كشفت دراسة "لإذاعة هولندا" حول العنوسة في الوطن العربي أن النسبة في الجزائر تقدر بـ 54 بالمائة من النساء اللاتي بلغن سن الزواج، لتحتل الجزائر بذلك المرتبة الرابعة عربيا في نسبة العنوسة ، و ربما الأكثر حفا من شابات الجزائر هن العاملات حيث تساعدن الوظيفة في الزواج بينما تبقى الغير عاملات أقل حفا في الظفر بشريك العمر في ظل الظروف التي سبق ذكرها.

ثالثا: انتشار الجريمة والمخدرات والاتجار في أوساط الشباب:

في ظل هذا الجو الصعب الذي يعيشه الشباب الجزائري وجدت الجريمة و المخدرات طريقها للفتك به حيث تعرف انتشارا مخيفا في السنوات الأخيرة ، و تشير الإحصائيات الرسمية إلى ارتفاع قضايا الجريمة في الجزائر بنسبة 16.62 بالمائة خلال النصف الأول لعام 2013، كما ارتفعت نسبة الجرائم المتعلقة بسرقة السيارات والنصب والاحتيال وتكوين عصابات إجرام وعصابات تهريب خاصة في الولايات الحدودية و لم تتوقف الجريمة في أوساط الشباب عند هذا الحد إذ انتشرت بينهم ظاهرة الاتجار¹. كما تشير الإحصائيات الرسمية الصادرة عن الديوان الوطني لمكافحة المخدرات إلى وجود 300 ألف مدمن ومستهلك للمخدرات.²

رابعا: العزوف عن المشاركة السياسية:

في الميدان السياسي نجد أن معظم الشباب الجزائري عازف عن المشاركة السياسية و يعيش في قطيعة معها إذ يرى أن الأمر لا يعنيه و أنه خارج اللعبة السياسية بما أنه محروم أصلا من حقوقه الاجتماعية والأساسية من عمل وسكن

¹- ياسر بودرع ، الواقع الصعب للشباب الجزائري، يومية التحرير الجزائرية، العدد 367، 28 جوان 2014.

²- ياسر بودرع ، الواقع الصعب للشباب الجزائري، مرجع سابق.

مع غياب قنوات الحوار والتعبير التي تسمح له أن يُسمع صوته , ليطوي بذلك شباب اليوم تلك الصورة التي لازمت الشباب الجزائري تاريخيا كفاعل رئيسي و مؤثر في الحياة السياسية .

خامسا: الهجرة غير الشرعية:

في سنوات خلت كانت هجرة الوطن واقعا مؤلما لكل مهاجر بعيد عن دياره يتمنى العودة إليها بأسرع ما يمكن لكن الأمر تغير في السنوات الأخيرة بالنسبة لشباب يائس و بلا أمل أصبح يرى في الهجرة خارج وطنه حلما و لو على سبيل المخاطرة بأرواحهم , يفكرون في شيء واحد فقط و هو الذهاب إلى غير رجعة عن طريق الهجرة السرية هربا من أوضاع مزرية شباب صارت الجزائر بالنسبة له إقامة جبرية و كأنهم في سجن لا يوفر لهم سوى الانتظار القاتل فلم يبقى أمامهم من سبيل غير الهجرة غير الشرعية بحثا عن الجنة المزعومة وأملا في مستقبل أفضل و يكفي أن يقرأ الواحد منا الجرائد كل صباح ليعرف حجم الاقبال المتزايد لشبابنا على الهجرة السرية خاصة مع صعوبة حصولهم على تأشيرة لأوروبا باعتبار الشباب الجزائري شخص غير مرغوب فيه بالنسبة لدولها¹.

وهذه النقطة الأخيرة هي المعضلة التي سيتم الحديث عنها بشكل مفصل في العناصر القادمة .. وقبل ذلك لابد من عرض وضعية استخدام الشباب الجزائري للفيسبوك الذي يعد كوسيط لتعميق تلك الظاهرة (الهجرة) ..

2- وضعية استخدام شبكة الفيسبوك لدى الشباب الجزائري

شبكة الفيسبوك شبكة من شبكات التواصل الاجتماعي ظهرت وتطورت مثلها ، لذلك وجب عرض مراحل تطور الشبكات التواصلية وصولا الى شبكة الفيسبوك ، ومن ثم انتشاره في العالم واستخدامه من طرف الشباب الجزائري ..

أولا: نشأة مواقع التواصل الاجتماعي وتطورها:

ظهرت مواقع التواصل الاجتماعي في الولايات المتحدة الأمريكية على مستوى التفاعل بين زملاء الدراسة واول موقع للتواصل الاجتماعي لطلاب المدارس الأمريكية ظهر سنة 1995 وهو موقع classmates . com وهذا الموقع قسم

¹ - ياسر بودرع ، الواقع الصعب للشباب الجزائري ، مرجع سابق.

المجتمع الأمريكي الى ولايات وجميعها تشترك في هذا الموقع حيث يمكن للفرد البحث في هذا التقسيم عن المدرسة التي ينتمي اليها ويجد زملاءه، وتبع ذلك محاولات ناجحة لمواقع تواصل اجتماعي اخرى وكان ذلك بداية الانفتاح على عالم التواصل الاجتماعي بدون حدود، كمرحلة اولى ، وشهدت المرحلة الثانية تطور الشبكات الاجتماعية من خلال الاقبال المتزايد على مواقع الشبكات العالمية وكل ما تتيحه تقنية الويب 2.0 ويتناسب ذلك الاقبال المتزايد مع تزايد مستخدمي الانترنت .

ثانيا: الاستخدام العالمي لشبكة الفيسبوك :

الفيسبوك هو احد شبكات التواصل الاجتماعي التي رغم ان عمرها قصير من حيث النشأة الا انها اصبحت اشهر واكثر استخداما وتأثيرا على مستوى العالم ، حيث تم انشاء موقع فيسبوك في فبراير عام 2004 بواسطة ابن التاسعة عشر من العمر مارك زوكربيرغ وذلك في غرفته بجامعة هارفرد ، وقد كان الموقع في البداية متاحا فقط لطلاب جامعة هارفرد ثم اصبحت متاحا عالميا ، ويرى مخترعه مارك ان الفيسبوك ليس مجرد اداة او وسيلة للتواصل بل هو حركة اجتماعية متكاملة او كما سماه دليل سكان العالم ، وبالتالي كان الهدف منه هو جعل العالم مكانا اكثر انفتاحا. ويشهد على ذلك بعض المؤشرات الرقمية المدرجة ضمن الجدول التالي:جدول يمثل عدد مستخدمي شبكة الفيسبوك مقارنة ببقية الشبكات الاخرى (على الصعيد العالمي):¹

الرقم	اسم الشبكة	عدد المستخدمين (مليون)
01	الفيسبوك	350
02	اوزون	200
03	ماي سبايس	130
04	وينداوز لايف سبايس	120
05	هيبو	117
06	اوركات	100
07	فلكستر	63
08	فلكر	32
09	لاست اف ام	30
10	فوتولوج	20

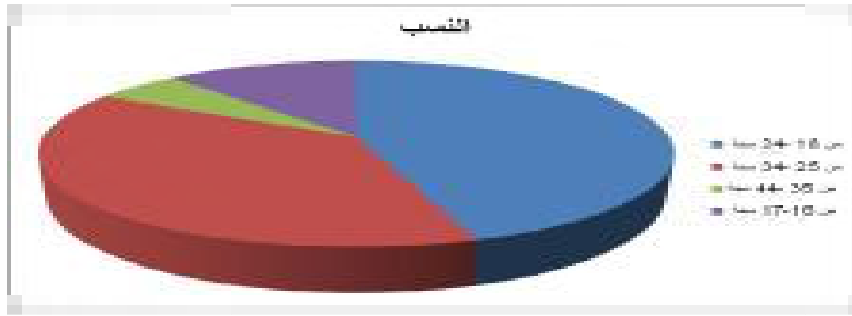
¹ - عبد الرحمان صالحى،، تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على تنمية الوعي السياسي لدى الطلبة الجامعيين، مذكرة ليسانس، جامعة ورقلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، 2013/2014، ص18.

من خلال الجدول نلاحظ ان اكبر شبكة يتم استخدامها من بين شبكات التواصل الاجتماعي هي شبكة الفيسبوك التي تجمع أكبر عدد من المستخدمين عالميا، حيث تمثل نسبة الاستخدام 42.57 بالمئة من بين كل الشبكات العالمية الاخرى ، وهو ما يجعلها تحتل المرتبة الاولى .

ثالثا: استخدام الفيسبوك من طرف الشباب الجزائري:

لم يعد الفيسبوك بالنسبة للشباب الجزائري مجرد موقعا للبحث عن الصداقات بل تحول الى مسرح جديد لإنشاء علاقات مختلفة والتواصل مع مختلف انحاء العالم، حيث يمضي الشباب الجزائري ساعات طويلة امام اجهزة الاتصال حيث تحول في فترة وجيزة الى مغناطيس الكتروني حقيقي يجتمع مجتمعا رقميا يوازي المجتمع الواقعي ، ويظهر الشكل الموالي نسبة استخدام الشباب الجزائري لهذه الشبكة ..

شكل يمثل نسب استخدام شبكة الفيسبوك من طرف فئة الشباب (الجزائري) مقارنة بالفئات الاخرى:¹



من خلال معطيات الجدول نلاحظ ان أكثر فئة تستخدم الفيسبوك في الجزائر هي فئة الشباب وخاصة الذين تتراوح اعمارهم بين 18 – 24 سنة وهي الفئة التي تمثل بداية مرحلة الشباب، ومن جهة اخرى بلغ عدد مستخدمي الفيسبوك من الشباب الجزائري بالنسبة للذكور 68 بالمئة في حين نسبة الاستخدام لدى الاناث 32 بالمئة .

وبعد عرض حجم الاستخدام للفيسبوك من طرف الشباب الجزائري سنحاول دراسة تأثيره على احداث تغير اجتماعي سلبي لديهم تمثل في ظاهرة الهجرة كفكرة وسلوك..

¹ - مريم نزيهان نومار، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية – دراسة عينة من مستخدمي موقع الفيسبوك في الجزائر-، مذكرة ماجستير، جامعة باتنة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، 2011/2012، ص 58.

3- دور الفيسبوك في تعميق ظاهرة الهجرة كفكرة وسلوك لدى الشباب الجزائري

الهجرة نوعان هجرة إيجابية ذات بعد سياعي او انتقالي قانوني وهجرة من نوع اخر ، ونحن في حديثنا عن موضوع الشباب الجزائري نتحدث عن الهجرة من النوع الاخر ذات البعد السلبي ولذلك وجب شرح المقصود بكلا النوعين حتى يتسنى فهم الموضوع ..

أولاً: مفهوم الهجرة غير الشرعية:

لغة" ان كلمة الهجرة جاءت في اللغة العربية من الهجر ضد الوصل

بالمعنى الاصطلاحي الترك والتقاطع من ارض الى ارض وهذا حسب لسان ابن منظور

وبالتالي فالهجرة هي عملية الانتقال MIGRATION من مكان الى اخر وبخاصة من دولة الى اخرى.

أما التعريف الاحصائي للهجرة فيشير الى كل حركة من خلال الحدود الدولية ما عدا الحركات السياحية.

أما عن الهجرة غير الشرعية فهي نوع من الهجرة غير المرفقة بالوثائق الرسمية القانونية ولها 05 صور:

- 1- المهاجرون الذين يعبرون الحدود مخبئين في القطارات او السيارات او يعبرون البحر بواسطة المراكب
- 2- الدخول القانوني بتصريح لفترة سياحة قصيرة ثم التمادي في الإقامة بعد ذلك
- 3- الدخول الذي يبدو قانونيا ولكن بوثائق مزورة
- 4- الدخول بصفة باحثين عن اللجوء ، ثم الإقامة بعد رفض طلب اللجوء
- 5- الدخول بطريقة شرعية الى احد الاقطار ثم التسلل الى القطر المجاور بطريقة غير شرعية

ثانياً: انتشار ظاهرة الهجرة لدى الشباب الجزائري:

نتحدث هنا عن ظاهرة الهجرة بالمعنى الثاني (السلبي) حيث كشفت احصائيات المنظمة الدولية للهجرة لسنة 2016 أن عدد المهاجرين الجزائريين الى اوروبا بلغ 180245 مهاجرا وصلوا الى كل من ايطاليا والنمسا واليونان وتشير احصائيات المنظمة ذاتها لسنة 2015 الى ان أكثر من 350000 مهاجرا وصلوا الى اوروبا معظمهم عن طريق ليبيا من بينهم 23000 وصلوا الى ايطاليا و 12000 الى اليونان مشيرين الى ان ظاهرة الهجرة غير الشرعية تكثفتها العديد من المخاطر التي

ادت الى هلاك العديد من المهاجرين ، حيث تشير الاحصائيات الرسمية لهذه المنظمة أن الهجرة غير الشرعية عبر البحار ادت الى مقتل أكثر من 350000 مهاجرا غرقوا سنة 2014 في حين تجاوز عدد الغرقى منهم في حصيلة الاشهر الاربعة الاولى من سنة 2015 الى 160000 غريق فيما وصل عدد الغرقى سنة 2016 حوالي 1231 غريق¹.

وفما يتصل بالأسباب التي ادت الى انتشار هذه الظاهرة وارتفاع تكلفتها فقد تعددت وتنوعت ويمكن اعتبار الواقع الاجتماعي للشباب الجزائري الذي تكلمنا عنه سابقا من بين أكثر الاسباب ، وما زاد تعميق الظاهرة هو انتشار مواقع التواصل الاجتماعي وعلى رأسها الفيسبوك كأكبر شبكة اجتماعية من حيث الاستعمال وهو ما سنتكلم عنه في العنصر الموالي..

ثالثا: تأثير الفيسبوك في تجذر ظاهرة الهجرة لدى الشباب الجزائري كفكرة وسلوك:

وسائل التواصل الاجتماعي تلعب دورا كبيرا في ترسيخ الافكار والتصورات والتي تترجم فيما بعد الى سلوكات، حيث تعتبر شبكات الهجرة غير الشرعية من اهم العوامل التي تساعد على هذا النوع من الهجرة وشبكات الهجرة هي مجموعة من العلاقات بين نوع من الاشخاص الذين سبقت لهم الهجرة والناشطون في مواقع التواصل الاجتماعي وعلى رأسها الفيسبوك.

ومن جهة اخرى تشجيع الدول الغربية للمهاجرين عبر هذه الشبكة باسم الحرية ، والبحث عن مناخ اوسع للممارسة².

حيث يتيح الفيسبوك قبول الصداقة من الجنسين ومن مختلف جهات العالم وبالتالي فتح مجال الاعراء للاطلاع على العالم الاخر والابتعاد عن الاهل والاصدقاء، ومن هنا تبدأ عملية خلق الفجوة بين العالم الحقيقي والعالم الافتراضي وبالتالي تتغير الاهتمامات والثقافات لدى المستخدمين.

¹ - فائزة لعموري، أكثر من 180 الف هاجروا الى اوربوا في 2016، جريدة المساء، العدد 5865 بتاريخ 26 افريل 2016.

² - فائزة لعموري، أكثر من 180 الف هاجروا الى اوربوا في 2016، جريدة المساء، العدد 5865 بتاريخ 26 افريل 2016.

وباعتبار الشباب الجزائري أكثر عاطفة فهو من أكثر الشباب العربي توثرا بالقيم الغربية يلجأ الى تكوين علاقات وهمية ويصبح مستعد لتلقي كل ما يمكن ان يجرده من وطنيته واثمائه واصوله ، وتتعمق في ذهنه ظاهرة الهجرة والهروب من الوطن.

وعلى الرغم من ذلك كما يقال يمكن ان تصنع من الليمون عصيرا حلوا، يمكن ان تصنع من الفيسبوك وسيلة ايجابية لمحاربة ظاهرة الهجرة بدلا من تعميمها ، كيف يمكن ذلك؟ هذا ما سنتعرف عنه في العنصر الموالي..

4- ضمانات استخدام الفيسبوك كوسيلة مرغوبة لتغيير السلوك الاجتماعي للشباب الجزائري نحو الافضل:

اصبحت شبكات التواصل الاجتماعي ركن رئيس مشترك في كافة خطط العمل الدولية والاقليمية لمكافحة ظاهرة الهجرة وباعتبار الفيسبوك أكبر هذه الشبكات استخداما خاصة من طرف الشباب بسبب قدرته على الوصول الى قطاعات عريضة من هذه الفئة وبالتالي بإمكانه التغيير الايجابي لبعض القيم المجتمعية التي تؤثر بالسلب في تعميق ظاهرة الهجرة ومنه فإن المعالجة المطلوبة لهذه الظاهرة تكمن باستعمال نفس الوسيلة (الفيسبوك) ، حيث ان توفير اجواء داعمة للشباب الجزائري للبقاء في وطنه لا تكلف البحث عن مشاريع عملاقة لامتناس مشاكل الشباب الجزائري بأكملها، حيث أن توفير محيط اقل قسوة ومجرد الاعتراف بأهمية الشاب ومكاته في المجتمع والدولة وتحسيسه بضرورة البحث عن حلول لمشاكله، تعتبر في حد ذاتها خطوة ايجابية لتحقيق التغيير الايجابي المطلوب في افكاره وسلوكاته فيما بعد، وبالتالي استخدام أكبر شبكة يلجأ لها الشاب الجزائري كوسيلة لذلك..

وبالتالي يمكن الاشارة الى مجموعة من النقاط اللازمة لإحداث هذا التغيير الاجتماعي الايجابي:

1- تنظيم حملة فيسبوكية اعلامية تحت شعار "ليس هكذا" تهدف الى مخاطبة مشاعر الشباب الجزائري وعقولهم في ذات الوقت من خلال تقديم رسائل قصيرة تتضمن معلومات عن مخاطر الهجرة غير الشرعية والبدائل المتاحة سواء كانت فرص عمل او تمويل مشاريع صغيرة ومتوسطة وعرض لتجارب نجاح استطاع الشباب تحقيقها دون اللجوء الى الهجرة خارج الوطن.

2- تنظيم حملات اجتماعية ذات بعد ديني تعمل على تعزيز الشعور بقيمة الروح البشرية وتقدير قيمة العمل ورعاية الاسرة .

3-فتح صفحات خاصة بتوعية الشباب بمخاطر هذه الظاهرة وتمويل هذه الصفحات ماليا والترويج لها بحيث تكون مثل قنوات الاتصال الجماهيري عبر الفيسبوك .

4-تسهيل عملية الوصول الى المعلومة بالمؤسسات الرسمية وكالات التشغيل والهيئات المكلفة بتطوير ودعم الشباب والتنمية البشرية من خلال صفحات التواصل الاجتماعي وجعلها فضاء للتغيير الايجابي والشفافية حتى يتم غرس الروح الوطنية لدى الشاب الجزائري وشعوره بحب وطنه الذي يهتم به والذي يوفر له كل ما هو بحاجة له او على الاقل معاملته بأن له اهمية كفرد ومواطن في هذه البلاد .

5-فتح قنوات للحوار وخلق شبكات الهجرة الناشطة عبر الفيسبوك من خلال مراقبتها واستحداث آليات لتفكيكها وكشفها.
الخاتمة:

في الاخير يمكن القول أن وسائل التواصل الاجتماعي والاعلام فعلا تلعب دورا في قضايا التغير الاجتماعي سواء نحو الطريق المرغوب او الطريق المضاد، وطريقة استخدامها هي التي تحدد المسار الذي يتجه اليه نوع التغير ، وبالتالي فاستخدام الفيسبوك من طرف الشباب الجزائري كان له تأثير واضح في تعميق ظاهرة الهجرة كفكرة وسلوك وأدت الى انتشار هذه الظاهرة بشكل ملفت للانتباه، وفي الوقت ذاته ساعدت على تقليصها في جوانب اخرى، حيث نجد في مقابل انتشار مجموعات وصفحات الفيسبوك المشجعة على ظاهرة الهجرة وتنمية روح الكره للوطن وزرع الفتنة والترغيب في الهروب غير الشرعي، نجد مجموعات وصفحات اخرى تحارب ذلك وتسعى لنشر الروح الوطنية وقيم الانتماء والتغيير الداخلي بدلا من الهروب .

ولكن ذلك لا يكفي دون مساهمة الدولة من جهتها في محاربة ظاهرة الهجرة غير الشرعية وتقليصها بدلا من تعميقها ، وكذا البحث عن اسبابها والاعتراف بها بدلا من تجريمها وذلك باستغلال هذه الوسيلة (الفيسبوك) او الشبكة كسلاح ذو حدين لمحاربة تلك الظاهرة .

قائمة المراجع :

1. حمزة عبد القادر، ترشيد السياسة العامة للتشغيل في الجزائر، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر3، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، قسم التنظيم السياسي والاداري، 2013/2014.
2. فارس شلالي، دور سياسة التشغيل في معالجة مشكل البطالة في الجزائر خلال فترة 2001-2004 مع محاولة اقتراح نموذج اقتصادي للتشغيل للفترة 2005-2009، مرجع سابق.
3. عامر هواري، قاسم حيزية، السياسات الاقتصادية في الجزائر بين خلق البطالة ومكافحتها، ورقة مقدمة في المنتدى الدولي حول : تقييم سياسات التقليل من الفقر في الدول العربية في ظل العولمة ، المنعقد ب جامعة الجزائر3، يومي 9/8 ديسمبر 2014.
4. حمزة عبد القادر، ترشيد السياسة العامة للتشغيل في الجزائر، مرجع سابق.
5. الديوان الوطني للإحصائيات .
6. ياسر بودرع ، الواقع الصعب للشباب الجزائري، يومية التحرير الجزائرية، العدد 367، 28 جوان 2014.
7. عبد الرحمان صالح،، تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على تنمية الوعي السياسي لدى الطلبة الجامعيين، مذكرة ليسانس، جامعة ورقلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، 2013/2014.
8. مريم نزيان نومان، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية – دراسة عينة من مستخدمي موقع الفيسبوك في الجزائر-، مذكرة ماجستير، جامعة باتنة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، 2011/2012.
9. فائزة لعموري، أكثر من 180 الف هاجروا الى اوروبا في 2016، جريدة المساء، العدد 5865 بتاريخ 26 افريل 2016.

Ministry of Higher Education and Scientific Research

ZIANE Achour University _ Djelfa, Algeria2



2

JOURNAL OF

sociology

Sociologie

Studies and social researchs

International Refereed Journal.

Special edition of some of the work national school day :

Readings on issues of social change 17 April 2017

Issue 01 - April 2017

ردمك : 2602-5647 issn:

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور_الجلطة-الجزائر



2

مجلة

sociology

سوسيولوجيا

للدراستات والبحوث الإجتماعية2

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية..

..

..

2

عدد خاص ببعض أعمال اليوم الدراسي الوطني:

قراءات في قضايا التغير الإجتماعي 17 أبريل 2017

العدد 01 _أفريل. 2017

ردمد: issn:2602-5647

مجلة علمية دولية محكمة

تصدر في قسم علم الاجتماع والديمغرافيا

جامعة الجلفة

مجلة

sociology
سوسيولوجيا

للدراسات والبحوث الاجتماعية 2

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية..

..

..

..

..

..

ردمك: 2602-5647 issn

sociology سوسيولوجيا

للدراستات والبحوث الاجتماعية 2

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر في قسم علم الاجتماع والديمقراطية جامعة الجلفة

إدارة المجلة

الرئيس الشرفي للمجلة:

د. بلقومان برزوق - رئيس جامعة الجلفة

منسق اللجنة العلمية: د. براهيم محمد الشيخ

مدير المجلة: د. يونس عيسى

رئيس التحرير: د. زعتر نور الدين

رئيس التحرير مساعد: أ. شداد عبد الرحمان

السكرتاريا: د. عايد جمال

مسؤول النشر: أ. ناجي رشيد

التدقيق اللغوي: د. أخضري عيسى

مسؤول الهيئة الإستشارية: د. ابراهيم أم السعود

أعضاء الهيئة الإستشارية

جامعة الجلفة	أ.د. بكاي ميلود	جامعة الجلفة	أ.د. حسان هشام
جامعة الجلفة	د. بن شريك عمر	جامعة الجلفة	أ.د. بوكربوط عز الدين
جامعة بسكرة	د. اوذاينية عمر	جامعة الجزائر 2	أ.د. مقراني الهاشمي
جامعة الجلفة	د. مهدي عمر	جامعة البليدة 2	أ.د. نقاز سيد احمد
جامعة الجلفة	د. بلعربي امحمد	جامعة البليدة 2	أ.د. رتيهي فضيل
جامعة البليدة 2	د. طبال لطيفة	جامعة الجزائر 2	أ.د. بوشلوش طاهر
جامعة باريس 8 فرنسا	د. ازدارن فيصل	جامعة البليدة 2	أ.د. معتوق جمال
		جامعة الجزائر 2	أ.د. عبد اللاوي حسين

sociology
سوسيولوجيا

للدراستات والبحوث الإجتماعية 2

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر في قسم علم الاجتماع والديمغرافيا جامعة الجلفة

أعضاء هيئة التحرير

جامعة الجلفة	د. بلبول نصيرة	جامعة الجلفة	د. بن عروس محمد لين
جامعة الجلفة	د. بلقماري هدى	جامعة الجلفة	د. جلود رشيد
جامعة الجلفة	أ. عزوز محمد علي	جامعة الجلفة	د. نهايلي حفيظة
جامعة الجلفة	د. عابد ميهوب	جامعة الجلفة	د. محمدي عبد القادر
جامعة الجزائر 2	د. دلدول جمال	جامعة الجلفة	د. بلبول نصيرة
جامعة الجلفة	د. ابراهيمي أم السعود	جامعة الجلفة	د. دحمان نوال
جامعة الجلفة	د. مداس أحمد	جامعة الأغواط	د. بن سليم حسين
جامعة الجلفة	د. عايدي جمال	جامعة الجلفة	د. طعبة سعاد
جامعة الجلفة	أ. لكحل خيرة	جامعة الجلفة	د. صكصك عمر
جامعة الجلفة	أ. حميدات ميسوم	جامعة الجلفة	د. حميدة عبد القادر
		جامعة الجلفة	د. عجال سلامي

sociology
سوسيولوجيا

للدراسات والبحوث الاجتماعية 2

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر في قسم علم الاجتماع والديمقراطية جامعة الجلفة

للمراسلات والاتصال :

ترسل المداخلات إلى البريد الإلكتروني:

Sociologiadjelfa@gmail.com

للإستفسار يرجى الإتصال بمدير المجلة على الرقم:

0778.189.678

صفحة المجلة على الفيسبوك:

مجلة سوسيولوجيا للدراسات والبحوث الاجتماعية _ جامعة الجلفة _

الموقع الرسمي لجامعة زيان عاشور:

<http://www.univ-djelfa.dz>

مجلة "سوسيولوجيا" في موقع المديرية العامة للبحث العلمي

بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي - الجزائر:

http://www.dgrsdt.dz/Fr/?fc=News_A&id=2

شروط وقواعد النشر:

تنشر المجلة الأبحاث والدراسات والمقالات التي تلتزم بالموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها

الأصالة العلمية والدقة، والتي تتوافق وشروط وقواعد النشر التالية:

✓- يقبل للنشر في المجلة المقالات ذات الصلة بجعل علم الاجتماع وما يتصل به من تخصصات ومجالات وكذا العلوم الاجتماعية.

✓- تحتوي الصفحة الأولى مايلي:

إسم الباحث - الدرجة العلمية - إسم الجامعة - البريد الإلكتروني - رقم الهاتف.

ملخص الدراسة: يكتب بلغة المقال ويترجم للغة الإنجليزية.

✓- تقبل المقالات باللغات الثلاث: العربية، الإنجليزية، الفرنسية.

✓- أن يكون المقال في حدود 15 صفحة، وفق مايلي:

باللغة العربية: نوع الخط Traditional Arabic حجم 16.

باللغة الأجنبية: نوع الخط Times New Roman حجم 14.

✓- المقال يخضع إلى التقييم من طرف خبراء الذين بعد موافقتهم، سيتم نشره.

✓- الأعمال المقدمة لا ترد إلى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

sociology سوسولوجيا

للدراستات والبحوث الاجتماعية 2

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر في قسم علم الاجتماع والديمغرافيا جامعة الجلفة

يُعلم طاقم المجلة وهيئاتها عمالي:

- يخلي مسؤولياته عن أي انتهاك لحقوق النشر

والملكية والفكرية.

- الأعمال المنشورة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن آراء

واتجاهات المجلة.

الفهرس:

الإبتكار والتغير الإجتماعي _____ 10

د.براهيمي أم السعود. جامعة الجلفة.

تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على منظومة القيم الثقافية للمجتمع

(دراسة ميدانية لعينة من الطلبة بجامعة زيان عاشور-الجلفة-). _____ 22

أ.فؤاد نعوم. جامعة الجزائر 2.

أ.بن علي حنان. جامعة الجزائر 2.

التغير الإجتماعي والحتمية التكنولوجية لوسائل الإعلام

- قراءة في نظرية مارشال ماكلوهان - _____ 37

أ.بوسعيد رندا. جامعة الجلفة.

تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على المجتمع _____ 53

د.بن سليم حسين. جامعة الأغواط.

أ. سويسي أحمد. جامعة الأغواط.

أثر التغير الإجتماعي على القيم السوسيوثقافية في المجال الحضري للمجتمع الجزائري _____ 62

أ.أمال باشي. جامعة ورقلة.

أ.باية لعجال. جامعة الجزائر 2.

علاقة الأنترنت بتغير قيم الأبناء نحو التربية الأسرية (التربية الجنسية أنموذجا)

-دراسة ميدانية على عينة من الأباء بولاية المسيلة- _____ 72

د.جلاب مصباح. جامعة المسيلة.

أ.لحميدي عادل. جامعة قسنطينة.

الأمن الإجتماعي في علاقته بالتغير القيمي _____ 87

أ.طاهيري نصيرة. جامعة مستغانم.

أ.بختي زهية. جامعة الجلفة.

التغير الاجتماعي وأثره على سلوك الشباب في المجتمع العربي _____ 96

أ.آدم رحمون. جامعة الأغواط.

الفهرس:

- 112_____التحول السوسيوديمغرافي في الجزائر وأهم مؤشرات الإحصائية
أ. الهاشمي مليك. جامعة البليدة 2.
- 123_____الإعلام الجديد و تأثيراته السوسيو-سياسية. -الثورات العربية أنموذجا-
أ.بن عائشة الزهرة. جامعة تلمسان.
- 140_____وسائل الإعلام ودورها في التغير الاجتماعي
د. نادية بن ورقلة. جامعة الجلفة.
- 154_____الفجوة الرقمية كعامل للتغير الاجتماعي والثقافي
أ.ملاك السعيد. جامعة الجزائر 2.
- 175_____التحولات الإجتماعية القيمة لدى الشباب الجزائري
د.دوداح علجية، جامعة البويرة.
أ.ماقري مليكة. جامعة البويرة.
- 186_____تنمية الوعي الاجتماعي المحقق من استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى الطالب الجامعي
أ.عيشة علة، جامعة الجلفة.
أ.أحمد بلول. جامعة الجلفة.
- 197_____توجهات الشباب الجزائري نحو زواج الوساطة عبر مواقع التواصل الاجتماعي في ظل التغيرات الاجتماعية
(دراسة تحليلية في ضوء بعض الدراسات لتغير الزواج من طريقة الاختيار التقليدية إلى الطريقة الحديثة)
أ.بن سعدة حنان. جامعة الأغواط.
أ.بن سعدة أمال. جامعة الأغواط.
- 215_____تأثير شبكة الفيسبوك على انتشار بعض السلوكيات السلبية لدى الشباب الجزائري
-الهجرة أنموذجا-
أ.مهديد عمرة. جامعة الجزائر 3.

د.براهيمي أم السعود. جامعة الجلفة.

ملخص:

يعتبر الابتكار أحد العوامل التي تساعد المجتمعات على التغيير نحو الأفضل وعلى تحسين ظروف حياة الأفراد فيها، وذلك خلال محاولاتهم البحث عن حلول للمشاكل التي تفرزها حياتهم اليومية سواء كانت اجتماعية ، اقتصادية ، ثقافية أو سياسية. لذلك فقد نال اهتمام العديد من المفكرين والباحثين، وقد اختلفت الرؤى والمنظورات التي تحاول تفسيره وإيجاد العلاقة بينه وبين موضوع التغيير الاجتماعي.

ولقد عانت المرأة لسنوات طويلة حتى تمكنت من دخول عالم الشغل من بابه الواسع وأصبحت تمارس أعمالا كانت من اختصاص الرجال ورغم المشاكل التي تمر بها تمكنت من تحقيق ولو نسبة قليلة من التوافق النفسي والأسري وبالتالي فرض مكاتها على المستوى الاجتماعي والاقتصادي .

تمهيد:

إن الاهتمام الذي يحضه به مفهوم الابتكار في العصر الحديث، يرجع بالدرجة الأولى إلى الاعتراف به كقيمة تلعب دورا حاسما في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للأمم. وتظهر تجليات هذه القيمة الثقافية المكتسبة، من خلال التغيير السريع والمستمر الذي يشهده العالم خاصة المتطور والمتميز بالقدرات الخلاقة والمبدعة. في حين كان ينظر إلى التغيير الاجتماعي من الزاوية الحتمية والخطية، أصبح يفسر اليوم بفضل إسهامات نظرية وتحليلية حديثة، من خلال تراكم الاختراعات اليومية التي تغير بالتدرج عادات البشر وقيمهم الاجتماعية وسلوكهم ونظرتهم إلى العالم حولهم، مما أدى إلى الفكرة القائلة أن التغيير الاجتماعي في أي بلد واقع مرتبط بما ينجز به من ابتكارات، فكلما زادت هذه الأخيرة كلما ارتفعت وتيرة التغيير الاجتماعي.

فما هو تعريف الابتكار في التراث السوسولوجي ؟ ما هي الأسس التي يقوم عليها ؟ وكيف يمكنه إحداث التغيير الاجتماعي في نظر علماء الاجتماع ؟

1- مفهوم الابتكار:

بعدما كان ينظر إلى تغيير المجتمعات من الزاوية الحتمية (déterministe) والخطية من قبل علماء الاجتماع مثل "دوركهايم" (Durkheim) و" سبنسر" (Spencer) و" ماركس" (Marx) ، دخل مفهوم الابتكار في النقاش

السوسيولوجي في أواخر القرن 19 عندما استعمل "تارد" (Tarde)، مصطلح "التقليد" (l'imitation) سنة 1890 في محاولته تفسير تطور المجتمعات من خلال تراكم الاختراعات اليومية التي تغير بالتدريج سلوك البشر و عاداتهم ("فوتان" Fontan)¹. ولأن من خصائص الانسان ، كما يذهب اليه "تارد" تقليد أشباهه ، فان ظهور سلوكا جديدا ، يؤدي الى ردة فعل "وبائية" (épidémiologique) يتم من خلالها تقليد الابتكار بمجرد ما تسمح به الظروف². لكن هذا المنظور بقيع مھمشا حتى بروز تصور أكثر شمولا للعمليات الابتكارية مع التحليل الذي قام به بعض المؤسسين و على رأسهم "شومبتر" (Schumpeter) و"فيلين" (Veblen)، من جهة ومن جهة أخرى استكمال علماء الأنتروبولوجيا تفكيرهم النظري حول التطور و التحول الثقافي انطلاقا من الأعمال التركيبية المنجزة من قبل "ريفرس" (Rivers)، "بواس" (Boas)، "كروبر" (Kroeber) و"مالينوفسكي" (Malinowski)

1-1-1- الابتكار بالمنظور الاقتصادي:

في تحليله لمفهوم الابتكار، طور "شومبتر" مفهوم "التحطيم الخلاق" (destruction créatrice)، للإشارة الى أن الابتكار يخلق إمكانيات اقتصادية جديدة ويحطم أخرى في نفس الوقت. فالابتكار في رأيه، انجاز يحمل في طياته، التقدم لأنه يغير طريقة التفكير وطريقة العمل إلى الأفضل وعليه، فان الاقتصاديين ينظرون الى الابتكار كنقطة مركزية هامة في تطور النظام الاقتصادي مسهل الانتقال من نموذج اقتصادي الى آخر.

ان وظيفة المبتكر كما يضيف تتمثل في تجاوز سلسلة من العوائق، فالابتكار هو ردة فعل إبداعية تجاه الحواجز ويحدد في هذا الصدد ثلاثة أوضاع يتصدى لها المبتكر³:

أ-ينشط المبتكر في إطار ارتياب نظرا للمعلومة التي بحوزته، لم يكن متأكدا من بلوغ مشروعه ويمكنه اللجوء الى معطيات استعادية لكنها قد لا تحمل إلا قليل من اليقين لأنه لم يتم استعمالها بالطريقة الجديدة المقترحة.

ب-من الصعب، موضوعيا، القيام بالابتكار في وجود ما تم التعود عليه و المتأكد منه.

ج-ردة فعل الوسط الاجتماعي تجاه الابتكار، أو تجاه كل مبتكر. وهنا يقول "شومبتر": على سبيل المثال "لا يكفي أن ننتج صابونا مرضيا ينبغي كذلك أن نحث الناس على الغسيل". وهنا نجده يشير الى البناء الاجتماعي المقصود باستخدام الاختراع وذلك هو من أهم خصائص الابتكار المؤدية الى التغير الاجتماعي.

إن الإسهام الرئيسي الذي قدمه "شومبتر" حسب "ترامبلي" (Tremblay) في تحليل الابتكار هو ذلك الخاص بالشخص المبتكر، حيث يرى أنه في كل ميادين النشاط الاجتماعي، يكون للمسير دورا خاصا، وتتخلص قدراته بالأساس، في المبادرة و الإرادة. وبتحويل هذه النظرة كما يضيف الى المجال الاقتصادي اشتق "شومبتر" مفهوم المقاول والمقاول. فالمقاول هي "عملية الانجاز" (acte de réaliser) والمقاول هو الفاعل (l'agent) الذي يقوم بتحقيق تركيبات جديدة لعوامل الإنتاج. فالمقاول ليس فحسب المخترع أو المكتشف والمبادر، بل هو كذلك من يدخل ذلك الاختراع في المؤسسة، في المصنع، في الاقتصاد أي المسئول عن نشره (Diffusion)⁴.

ويرى "شومبتر" حسب "مارتي" (Marty) أن المجتمع البشري تديره قرارات بشرية، قرارات المقاولين، وليس الإيديولوجيات أو الطبقات الاجتماعية المجردة. وهنا يظهر التباين الأساسي واضحا بين "شومبتر" وأصحاب الاتجاه الحتمي والماكروسوسيولوجي. فالتغير بهذا المعنى يأتي من الممارسة الحقيقية للوظيفة وليس من الوظيفة بحد ذاتها. وبكلمة أخرى فان الفرد يكون مبتكرا عندما ينجز تركيبات جديدة يخلق من خلالها ظروفًا تسمح بالتدخل الاجتماعي. هذا التجاوز كفعل، وحده يعكس دور و وظيفة المبتكر⁵. وبهذا المعنى فان "شومبتر" يبني تحليله داخل الوسط الاقتصادي وبالتالي فانه يرى "فاعلا محولا" في كل شخص باستطاعته تحقيق ترتيبات جديدة في إطار مؤسسة أو تنظيم بطابع اقتصادي.

1-2-1- الابتكار بالمنظور الاجتماعي:

تركز البحوث السوسيولوجية حول الابتكار، على العلاقة التي تربط هذا الأخير بالأفراد و بالمحيط الاجتماعي الذي ينتشر فيه ويشير " ألتار" (Alter) الى أن مفهوم الابتكار، "يرتبط بفكرة التقدم، الحياة، الإبداع والحيوية (...). ويتمتع بحكم قيمي ايجابي"⁶. أما "قagliو" (Gaglio) وفي نفس الاتجاه يرى أن "الابتكار يرتبط بتصورات اجتماعية ايجابية في أغلب الأحيان وهو على صلة بمصطلحات مثل الإبداع، التقدم، التكنولوجيا، ويضيف أن بعض الجماعات الاجتماعية تربطه بالمثل الأعلى الذي ينبغي الوصول إليه، وذلك لأن الابتكار يتضمن حداثة مشروع أو منتج أو تنظيم أو سلوك... الخ⁷.

ويشير التحليل السوسيولوجي الى الابتكار بصفته اختراعا أخذ بالانتشار بين جمهور معين بغض النظر عن حجم الجماعة الاجتماعية المعنية لأن ذلك لا يشكل عنصرا حاسما. وسواء تم تبنيه (approprié) من قبل فئة معينة أو الجمهور العريض، فالابتكار لا يمكن اعتباره كذلك إلا بعد ما يتم تبنيه داخل محيط اجتماعي معين⁸. أما "التار" فانه يميز بين الاختراع والابتكار موضحا أن هذا الأخير يمثل كل العمليات الاجتماعية والاقتصادية التي تؤدي الى استعمال أو عدم استعمال الاختراع. فالابتكار بهذا المعنى قد يكون له صدى متفاوتا، معروفا أو أقل انتشارا، ظاهرا أو نادرا و يضيف كذلك أن الابتكار هو الفاصل بين علمين: عالم الاكتشاف (...) وعالم منطق الاستخدام الاجتماعي الذي يمثل وسيلة الاستفادة من الاختراعات. ومن أسباب انتشار الابتكار، نظرة الجماعة الاجتماعية الايجابية نحوه، مما يؤدي الى ترفيته داخل شبكتها. فطريقة الوصف تشكل أحد الشروط الرئيسية لعملية الانتشار.⁹

إن تعريف "التار" السابق يمنح مكانة هامة للمستخدم (l'usager) حيث ينظر إليه بوصفه الصفة التجارية الناجمة الأولى أو بصفة عامة الانطباع الايجابي الأول. فالفرق كما يؤكد بين الاختراع و الابتكار يكمن في أن هذا الأخير يتم استعماله من طرف فاعلين اجتماعيين. وينبغي حسبه التمييز بين الاختراع الذي لن يكون أكثر من إبداع والابتكار الذي يمنح معنى وفعالية لهذا الإبداع. وعليه فان ما يسمح للاختراع بالتطور والتحول الى ابتكار، هو إمكانية إعادة اختراعه مع منحه معنى مناسباً للظروف الخاصة للفعل أو الثقافة أو الاقتصاد. فالابتكار على حد قوله، ليس جامدا بل يتمتع بدورة حياة وتاريخ في الزمن، وهو عبارة عن سيرورة (processus) وليس أثر مباشر وفوري، لمعطيات جديدة، على النسيج الاقتصادي والاجتماعي في محيط ما¹⁰

وعليه فان هذه الحركة الغير محددة مسبقا، تجري داخل مجموعة من الأفعال التي يسميها "التار" العادية (ordinaires) حيث يقول: "إذا كان الابتكار نتيجة لمجموعة من الأفعال العادية، فان الفاعلين القائمين بها هم مبتكرو الحياة اليومية". فالابتكار يظهر بالتالي كعملية ديناميكية، تسمح بتحويل تقنية أو منتج أو تصور خاص بعلاقات اجتماعية الى ممارسات جديدة.¹¹

1-3- الابتكار بالمنظور السياسي:

إن الابتكار في هذا السياق ينبغي النظر إليه من الزاوية السياسية مع منحه وظيفة خاصة تجعل منه الوسيلة التي من خلالها يمكن تغيير المجتمع، ولهذا انشغل التفكير حول الابتكار بمفهوم "الابتكار الاجتماعي، الذي يتميز حسب "شامبون وآخرون" (Chambon et al) بثلاثة جوانب:

أ- الجانب التفسيري: الابتكار الاجتماعي لا يأتي مجانا، فهو نتيجة الحاجة، الرغبة، التطلع وقد يكون كذلك مصدره البحث عن حلول لمشكل اجتماعي محلي حيث يذهب هؤلاء المؤلفين الى أن "المحلي" هو المكان بامتياز، الذي يبرز فيه الابتكار الاجتماعي. فهذا الأخير لا يصدر عن ميكانيزمات أو عمليات جديدة توظفها المنظمات والمؤسسات الكبيرة بل تصدر عن الأفعال ذات الطابع المحلي. وبهذا المعنى كما يشير الباحثان فإنه بالرغم من أننا نعتبر بصعوبة، سياسة حكومية، كابتكار اجتماعي، إلا أننا نستطيع النظر إليها بصفته ابتكارا تتبناه الدولة على المستوى المحلي.

ب- الجانب الاجتماعي: الابتكار، عملية موجهة سياسيا، ترمي الى تحسين ظروف الحياة ويظهر في مثابة الجواب على ما يشار إليه بوصفه، عدم كفاءة المؤسسات الاجتماعية الكبرى على ضمان النوعية المتوقعة. فالمشروع السياسي يقوم على أساس "العمل بطريقة مغايرة" أكثر من اعتماده على النموذج التسلسلي والسلمي في المؤسسات الكبرى. فالابتكار من هذه الزاوية ليس في قطيعة مع المؤسسات الكبرى مما يسمح له بإجراء تغييرات عميقة داخلها.

ج- الجانب الاقتصادي: إن استمرار الابتكارات يقتضي الدعم المالي. فكلما كانت الحاجة الى المال كبيرة كلما كان من الصعب عدم تمويل الخبرة الاجتماعية من طرف الدولة.

2- الابتكار، النماذج الانتشارية والتغير الاجتماعي:

قبل التطرق الى النماذج الانتشارية المؤدية كلها الى التغير الاجتماعي، ينبغي معرفة ما إذا كان نجاح الابتكار مرتبنا بالموضوع في حد ذاته أم بالمستقبلين له أي أرضية الاستقبال التي تساعد على تبني الانجاز الجديد ومنه تحويله الى ابتكار.

أ. لبراديقم الهرمي (hiérarchique) التنازلي: يشير الى أن الابتكار يبدأ بالانتشار انطلاقا من الطبقات الاجتماعية العليا ليصل الى الطبقات السفلى وذلك ما يذهب إليه "قافليو" عند قوله: "إن اتجاه الانتشار يعيد إنتاج الطبقة الاجتماعية

ويعززها". وتتقرب هذه النظرة من تحليل "بورديو" (Bourdieu) الخاص بالنقل (la transmission) والتمييز (la distinction) في افتراضه أن الانتشار أو البث، يكون دائماً من الأعلى عندما يتعلق الأمر بالأذواق الثقافية.

ب.البراديقم التصاعدي (bottom-up): يقترح نظرة مغايرة حيث أنه يرى أن الابتكار يمكنه الانطلاق من الطبقات البسيطة ليتم استثمارها من قبل أعلى طبقات المجتمع.

ج.البراديقم الأفقي (horizontal): يذهب الى أن الابتكار لا ينتشر تصاعديا عبر الطبقات الاجتماعية بل عبر شبكات الأقران والمحيط القريب، خلال تفاعلات فاعلين اجتماعيين تجمع بينهم مراكز الاهتمام. أي أن هذا النمط من الانتشار يجري بين أشخاص يتفاعلون ولهم اهتمامات مشتركة و بمعنى آخر، ينتمون الى نفس الشبكة الاجتماعية.

د-البراديقم الدوامي (tourbillonnaire): الذي يتصور أن الانتشار يجري داخل عملية شاملة يكون فيها الفاعل في قلب شبكة يقوم بتغييرها و يتطور هو نفسه من خلالها.¹²

2-1- نموذج الانتشار بالتقليد:

لقد كان "تارد" سنة 1890 من الأوائل الذين قاموا بالبحث حول الشروط التي تؤدي الى انتشار الابتكار وكان السؤال الذي طرحه كالتالي: "لماذا من بين مئات الابتكارات المتنوعة والمتتالية، سواء كان الأمر يتعلق بالأشكال الشفهية أو الأفكار الأسطورية أو الطرق الصناعية أو غير ذلك، نجد عشرة منها فقط تنتشر بين الناس وتسعين تنسى". وقد كانت نظرية التقليد في مؤلفه "قواعد التقليد"، محاولة لتفسير ظاهرة انتشار الابتكار. فالتغيرات الاجتماعية بالنسبة له، مصدرها الاكتشافات والاختراعات التي يقوم بها الأفراد لأن المجتمع كما يقول، يمكن تفسيره من خلال مجموعة من المبادرات الفردية التي تأخذ بالانتشار داخل الجماعة الاجتماعية. وتساهم هذه المبادرات حسب رأيه، في التغير الاجتماعي بسبب ظاهرة التقليد التي تربط الأفراد بينهم ومدى تكرار الظاهرة هو كما يشير، وسيلة لقياس التغيرات الاجتماعية وإذا لم يكن شيء يربط بين الافراد، فلا يمكن للجسد الاجتماعي أن يتكون ولا للتغيرات أن تلاحظ عبر الزمن.¹³

فالابتكار كما يؤكد "تارد" هو في البداية ظاهرة اجتماعية فريدة وأصلية، تنتشر عبر عمليات منطقية تقليدية، وراثية واهتزازية داخل الجماعة الاجتماعية كاملة. وإذا كان أصل الظواهر الاجتماعية غير قابل للتفسير كما يرى، فان انتشارها غير ذلك، فالعادي على كل مستويات المعرفة يشق من العرضي. وأكثر من ذلك، فانه قام بالتشبيه، بين بنية الجسم

(anatomie) والفيسيولوجيا (la physiologie) والاجتماعي (le social) وذلك لمقارنة تكرار الظواهر الاجتماعية مع الوراثة في الجهاز العضوي، مما دفعه الى القول أن الكائن الاجتماعي مقلدا بالأساس.¹⁴

2-2- نموذج الانتشار بالمرحلة:

إذا كان هناك اختلاف حول تحليل انتشار الابتكار فانه يوجد عكس ذلك، اتفاق حول فكرة أنه عبارة عن سيرورة (processus) تجري عبر مراحل معينة. ويظهر نموذج "شومبتر" الأكثر قبولا وهو الذي يميز بين ثلاث مراحل متتالية:

-الأولى وهي مرحلة تبني الابتكار من قبل أفراد يقعون على هامش المعايير المجتمعية ويكون سلوكهم مناقضا مع تلك التي يحددها النموذج السائد.

-الثانية وهي التي تظهر فيها مجموعة من المقلدين الذين بعد تأكدهم من فائدة الابتكار، يقومون بإعادة تبنيه من أجل نشره أكثر حتى ولو كلفهم الأمر مخالفة القواعد والمعايير الاجتماعية السائدة، الشيء الذي يدفعهم الى إنشاء عناقيد (grappes) من الابتكارات الثانوية التي يقومون بتحويلها الى صيغة تساعد على انتشار أوسع.

-الثالثة ويسميا مرحلة الاستقرار وهي التي تبرز فيها قواعد اللعبة الحديثة والتي بدورها تنزع، بالتدرج الطابع الجديد للابتكار السابق، هذا الأخير الذي سوف يصبح متناغما مع النموذج الجديد.

2-3- النموذج الوبائي:

ينظر "روجرس" (Rogers) الى انتشار الابتكار من زاوية علم النفس الاجتماعي ويركز في نظريته على المتبنيين بصفة خاصة، حيث يقوم بوصف خصائص عملية الانتشار بمنطق وبائي أي بطريقة انتشار الوباء من خلال العدوة. وقد استند الى عدد هائل من البحوث والدراسات لتسليط الضوء على الفاعلين الاستراتيجيين والعمليات المنطقية وجوانب الابتكار، هذه العناصر التي قد يكون لها دورا كبيرا في المساعدة على الانتشار ودعمه داخل المجتمع.

3- التغيير الاجتماعي من خلال التحديث:

يقضي التحديث حسب "دود" (Dodd) وجود نظام تقليدي يحتاج للتغيير أي تأثير الجديد على القديم، وتوصف المجتمعات بهذا الوصف عندما تظهر فيها بعض السمات والخصائص الجديدة مثل التعليم على نطاق واسع، والتمدن والتصنيع والاتجاه نحو البيروقراطية والاتصالات المتقدمة والمواصلات السريعة وإلى غير ذلك من السمات التي يجب أن تحل محل أشكال التنظيم الاجتماعي العتيقة التي تميز المجتمع التقليدي¹⁵ ويرى "ليرنر" (Learner) أن التحديث هو عبارة عن عملية منظمة تشمل تغيرات متكاملة في قطاعات المجتمع السكانية والاقتصادية والسياسية وما يتعلق بالاتصالات وكذا التغيرات الثقافية.

3-1- مصادر التحديث:

أ- التعليم:

لقد أدى الابتكار في كل مجالات الحياة في نهاية القرن الماضي، إلى بروز مجتمع جديد بنمط حديث وقيم وأساليب حديثة، عرف بمجتمع المعرفة، يقوم على استهلاك المعرفة بل المعارف المتسارعة، ويرتكز بالأساس على قدرات الأفراد الخلاقة والمبدعة ساحقا في طريقه ما كان يسمى بمجتمع إعادة الإنتاج، بعاداته المستقرة وقيمه ومعتقداته الراسخة. لقد تحولت فجأة وبصفة جذرية جميع ظروف الحياة في كل جوانبها الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية. ويشير "ف. بوقطة" في هذا الصدد إلى التطور الذي عرفته البشرية بعد انتقالها من الساعة كوحدة زمنية إلى أجزاء الثانية (picoseconde) ومن اليد العاملة إلى القدرات الخلاقة ومن المخزون المادي إلى المخزون اللامادي ومن مجتمع إعادة الإنتاج إلى مجتمع الابتكار¹⁶. فالمجتمع الناشئ بخلفية الاقتصاد الجديد القائم على تكنولوجيا الإعلام والاتصال ينظر إلى المعرفة بصفقتها موردا مفتاحا يسمح للأمم بالتقدم والرفاهية والازدهار. وذلك ما يؤكد "دروكر" (Drucker) عند قوله: "أن المستقبل القريب سوف لا يميز بين المجتمعات الفقيرة وتلك الثرية بل بين المجتمعات الجاهلة والمجتمعات العارفة، فالفرق سوف لا يكون بين الغني والفقير بل بين من يملك المعرفة ومن يفنقدها"¹⁷. فالثروة الحقيقية كما يضيف، سوف تكون المعرفة التي لا يمكن اكتسابها إلا عن طريق التربية والتعليم الذي بدوره سوف يكتسي لا محالة، ثوبا جديدا داخل مجتمع جديد، شعاره "تعلم كيف تتعلم مدى الحياة" (apprendre à apprendre le long de la vie). وفي نفس الاتجاه يذهب "غلام الله" إلى أن المجتمع الجديد

المتحول باستمرار والذي تتغير المعارف ضمنه بسرعة البرق، يقتضي تكويننا ذاتيا متواصلا، وتلك هي المهام الأساسية التي ينبغي على التعليم والمتعلم الالتزام بها"¹⁸.

فالتربية الحديثة ينبغي أن تهيئ الأفراد لظروف العمل في ظل اقتصاد السوق التي تقتضي كفاءات فكرية وقدرة على الابتكار، لا يملكها بالضرورة العامل البسيط، كونها تعتمد على رصيد فكري وثقافي وقدرة على تحصيل وتطبيق المعارف النظرية والتحليلية، فالعامل بالمنظور الجديد، عليه أن يطور مفاهيم جديدة خاصة بشروط العمل الناشئة وذهنية مستحدثة تدفعه الى تنمية ثقافة التعلم باستمرار وتغيير السلوك والقيم والقناعة المعتادة. ويشير "دروكر" في هذا السياق الى ظهور جماعة اجتماعية مع بداية الثمانينات في الولايات المتحدة (مركز العالم المتقدم)، تسجل أسرع نموا داخل الطبقة النشطة وهي جماعة التقنيين الذين يتصورون مشاريع وينجزونها، مطبقين معارفهم، هؤلاء العمال يسميهم "دروكر" عمال المعرفة"¹⁹.

ب- النموذج التربوي:

يرى "فريدمان" (Friedman) أن القوى النفسية الاجتماعية هي التي تحدد معدل التنمية الاقتصادية والاجتماعية وأن التحديث يبدأ من أنفس الأفراد حيث أن نقطة البداية تكمن في بث الطموح والتوثب في الأشخاص وغرس القيم الحديثة والأفكار الفاعلة في شخصية الأفراد واتجاهاتهم منذ المراحل الأولى من أعمارهم. فما تحتاجه البلدان المتخلفة والنامية على سبيل المثال، هو تحرير طاقات الملايين من الرجال ذوي القدرة و الفعالية و الحسم حيث أنه أصبح من الضروري توفير جو يعطي الأفراد أكبر قدر من الفرص ويجفهم"²⁰.

أما "ماك ليلاند" (Mac clelland) فإنه يعتبر أسباب تخلف البلدان النامية وكذا استمرار تعثر تنميتها إلى ضعف توفر الحاجة إلى الإنجاز و فتور الاهتمام بشؤون الآخرين. ويعرف الحاجة الى الإنجاز بوصفها الدافع على صنع الأشياء بطريقة أفضل وأن هذا الدافع يمثل خاصية عقلية. فالتنمية الاقتصادية والتغير الثقافي حسب رأيه يحدث إذا توفرت درجة عالية من الدافعية لدى الأفراد و استشعروا الرغبة في التغير والإنجاز وفي هذا الصدد يقول أن القضية العامة التي ينهض عليها فهمنا للتنمية الاقتصادية والتغير الثقافي هي أن المجتمع الذي يشهد درجة عالية من الإنجاز يؤدي إلى ظهور طبقة نشطة من أصحاب المشروعات تسهم بدورها في الإسراع بالتنمية الاقتصادية"²¹. ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه على دور المبتكر الذي يعتبرونه نموذجا من الشخصية التي تتصف بالحاجة لإنجاز الجديد وتأييدهم على الفرد النشط والمسير الكفاء والمتحرر نفسيا

اجتماعيا من أشكال القهر والتسلط. ولذا نجد "ماك ليلاند" يركز على دور التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة والمدرسة والمجتمع في دعم الشعور بالحاجة إلى الإنجاز لدى الأطفال كما أكد على ضرورة تغيير القيم التقليدية وإحلال القيم الحديثة الإيجابية محلها.²²

أما "هيجن Hagen من جانبه فإنه يؤكد أساسا على ضرورة خلق الإبداع ونشره وتكوين اتجاهات إيجابية نحو العمل التقني اليدوي وإتاحة الفرصة لتفجير الطاقات الإبداعية لأن التجديد والإبداع والشخصية المبدعة تعد شرطا أساسيا لإحداث التنمية الاقتصادية. ولذا فإنه يقر بضرورة تعبئة الأفراد وإكسابهم المهارات المتعددة التي تمكنهم من المشاركة بفعالية في الحياة الاجتماعية والسياسية وتجعلهم يتمثلون أساليب الحياة الحديثة وقيم التحديث.

الخلاصة:

يبدو مما سبق أن الابتكار في التراث السوسولوجي، ظاهرة اجتماعية عالمية بدأت مع تاريخ البشر خلال محاولاتهم البحث عن حلول للمشاكل التي تفرزها حياتهم اليومية سواء كانت اجتماعية، اقتصادية، ثقافية أو سياسية. وإذا كانت هذه الظاهرة تتسم بالبطء قبل القرن التاسع عشر فإنها بعد ذلك أصبحت تسير بوتيرة سريعة نظرا لتطور البحث العلمي والمعرفة الكثيفة كنتيجة له. فالتغير الاجتماعي بهذا المعنى أصبح مرتبط بقدره الإنسان على الخلق والإبداع وأن سرعته تتزايد مع سرعة الابتكارات. وبكلمة آخر فإن الابتكار وانتشاره يحدث التغير الاجتماعي وأن هذا الأخير بدوره يحث البشر على التجديد والابتكار أكثر، ولن يكون ذلك ممكنا إلا من خلال التعليم والتنشئة الاجتماعية.

قائمة المراجع:

- 1- Fontan(J-M), **Reconversion économique et développement territorial**, PUQ, Québec, 2003, p54.
- 2- Ibid. p 56.
- 3- Ibid. p 58.
- 4- Tremblay(D-G), **Proximité territoriale et innovation**, Revue d'Economie Régionale et Urbaine 5, 835-852.
- 5- Gaglio(G), **Sociologie de l'innovation**, Que sais-je ?, PUF, Paris, 2011, p 11.
- 6- Norbert(A), **l'innovation ordinaire**,PUF, Paris, 2000, p 29.
- 7- Gaglio(G), **Sociologie de l'innovation**, Que sais-je ? PUF, Paris, 2011.p 38.
- 8- Ibid,p 42.
- 9- Norbert(A), Op, Cit, p 65.
- 10- Ibid, p 71.
- 11- Ibid, p 78.
- 12- Gaglio(G), Op, Cit,p 40.
- 13- FiliastreRoux(M), **Formes d'une innovation énergétique**, Thèse de doctorat, Université Descartes, Paris, 2012,p 46.
- 14- Ibid, p 49.
- 15- زمام(نور الدين)، القوى السياسية و التنمية، دوان المطبوعات الجامعية، الجزائر/ 2007، ص 1522
- 16- Bouguetta(Fouad), **Société de l'information**, OPU, Alger,2007, p 29.
- 17- Ibid, p 32.
- 18- Ghallamallah(M), **Les Tice comme axe stratégique de la réforme**, CREAD,p 40,2006.

19 - زمام(نور الدين) مرجع سابق.

20- نفس المرجع.

21- قيرة (أ) و غربي(ع)، في سوسولوجيا التنمية ، د م ج ، الجزائر ، 2001.

22- نفس المرجع.

تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على منظومة القيم الثقافية للمجتمع (دراسة ميدانية لعينة من الطلبة بجامعة زيان عاشور-الجلفة-)

أ.فؤاد نعوم. جامعة الجزائر 2.

أ.بن علي حنان. جامعة الجزائر 2.

ملخص:

ان التغير الذي تشهده المجتمعات اليوم هو نتيجة جملة من العوامل التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية... إلخ، ومن بين العوامل التكنولوجية التي ساهمت في احداث التغير الاجتماعي ، نجد مواقع او شبكات التواصل الاجتماعي هي تعد عاملا مهما في تهيئة متطلبات التغير عن طريق تكوين الوعي في نظرة الإنسان إلى مجتمعه والعالم. فالمضمون الذي تتوجه به عبر رسائل إخبارية أو ثقافية أو ترفيهية أو غيرها، هذا ما يصاحبه مع مرور الوقت تغيير في "الذهنيات والعقليات" والتي تحدث في مرحلة متقدمة تغيير في البنية الثقافية ككل، بحيث تشكل تكنولوجيا الاتصال البنية التحتية لصياغة ونشر الثقافات بين الاعضاء الفاعلة فيها، ومما لاشك فيه ان الفيس بوك يعد من ابرز مواقع التواصل الاجتماعي التي اخذت مجراها بشكل كبير في تغيير ثقافة الافراد، ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول إبراز مكانة الفيسبوك كأحد اهم مواقع التواصل الاجتماعي لدى الطالب الجامعي، من خلال النزول لميدان الدراسة و هو مقابلة مجموعة من الطلاب الجامعيين الذين ينشطون في شبكة الفيسبوك .

مقدمة:

لقد شهدت المجتمعات اليوم تطورا ملحوظا في جوانب عديدة من ابرزها الجانب التكنولوجي والاقتصادي والاجتماعي... إلخ، ومن بين الجوانب التكنولوجية التي ساهمت في احداث التغير الاجتماعي ، نجد مواقع او شبكات التواصل الاجتماعي هي تعد عاملا مهما في تهيئة متطلبات التغير عن طريق تكوين الوعي في نظرة الإنسان إلى مجتمعه والعالم. فالمضمون الذي تتوجه به عبر رسائل إخبارية أو ثقافية أو ترفيهية أو غيرها، هذا ما يصاحبه مع مرور الوقت تغيير في "الذهنيات والعقليات" والتي تحدث في مرحلة متقدمة تغيير في البنية الثقافية ككل، بحيث تشكل تكنولوجيا الاتصال البنية التحتية لصياغة ونشر الثقافات بين الاعضاء الفاعلة فيها، ومما لاشك فيه ان الفيسبوك يعد من ابرز مواقع التواصل الاجتماعي التي اخذت مجراها بشكل كبير في تغيير ثقافة الافراد، ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول إبراز مكانة الفيسبوك كأحد اهم مواقع التواصل الاجتماعي لدى الطالب الجامعي، من خلال النزول لميدان الدراسة وهو مقابلة مجموعة من الطلاب الجامعيين الذين ينشطون في شبكة الفيسبوك. ومن خلال ما سبق تتضح معالم إشكالية هذه الدراسة كالتالي:

- ماهي المكانة التي يحتلها الفيسبوك لدى الطالب الجامعي، وماهي آثاره على ثقافة الطالب الجامعي؟ وللإجابة على الاشكال سنتعمد الدراسة على الملاحظة والمقابلة والمنهج الوصفي القائم على وصف ما تم ملاحظته.

المحور الأول: مفهوم وأهم انواع مواقع التواصل الاجتماعي

1. مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي

لقد شهدت مواقع التواصل الاجتماعي على الانترنت انتشارا واسعا خلال السنوات الأخيرة وتعددت وتنوعت محاولة تقديم العديد من الخدمات و تحقيق مختلف الاشباع و يأتي في مقدمتها موقع فيسبوك، تويتر ، يوتوب، وغيرها، وتعددت تعريفات مواقع التواصل الاجتماعي، و تختلف من باحث إلى آخر، حيث يعرفها "بالاس" « BALAS » 2006 على " إنها برنامج يستخدم لبناء مجتمعات على شبكة الانترنت أين يمكن للأفراد أن يتصلوا ببعض البعض لعديد من الأسباب المتنوعة".

و بالمثل يعم فيها "بريس" « preece » ومالوني كريشمار maloney krichmar (2005) مواقع التواصل الاجتماعي على أنها مكان يلتقي فيه الناس لأهداف محددة و هي موجهة من طرف سياسات تتضمن عدد من القواعد والمعايير التي يقترحها البرنامج. وتعرف على أنها مواقع الانترنت التي يمكن للمستخدمين المشاركة والمساهمة في إنشاء أو إضافة صفحاتها و بسهولة.¹

وفي تعريف آخر: باللغة الإنجليزية يطلق عليها « social media » لكن هذا المصطلح المتعارف عليه كما نجد مصطلح « social net-work » أي الترابط الشبكي الاجتماعي وهو أدق و من حسن الحظ أن المصطلح العربي "مواقع التواصل الاجتماعي" أدق من ناحية الوصف.

ويظل السؤال ماذا نعني بمصطلح التواصل الاجتماعي؟ بشكل مبسط هي عملية التواصل مع عدد من الناس (أقارب، زملاء، أصدقاء، ...) عن طريق مواقع و خدمات الكترونية توفر سرعة توصيل المعلومات على نطاق واسع فهي مواقع لا تعطيك معلومات فقط بل تتزامن وتتفاعل معك أثناء إمدادك بتلك المعلومات في نطاق شبكتك وبذلك تكون أسلوب لتبادل المعلومات بشكل فوري عن طريق شبكة الانترنت.²

مواقع التواصل الاجتماعي مثل المتهى المتواجد في قرية صغيرة حيث يجتمع الناس لتبادل المعلومات والأخبار، الفرق أنك لا تستطيع حمل هذا المتهى بجيبك.³

وتعرف على أنها المواقع الإلكترونية التي توفر فيها تطبيقات الإنترنت خدمات لمستخدميها تتيح لهم إنشاء صفحة شخصية معروضة للعامة ضمن موقع أو نظام معين، وتوفر وسيلة اتصال مع معارف منشئ الصفحة أو مع غيره من مستخدمي النظام، وتوفر خدمات لتبادل المعلومات بين مستخدمي ذلك الموقع أو النظام عبر الإنترنت.

وهي المواقع التي تسمح بإنشاء صفحات خاصة بالأشخاص والتواصل مع أصدقائهم ومعرفهم، مثل موقع "ماي سبيس"، "فيسبوك".⁴

كما تعتبر مواقع التواصل الاجتماعي منظومة من الشبكات الإلكترونية عبر الإنترنت تتيح للمشارك فيها إنشاء موقع خاص فيه و من ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات أو جمعه مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية أو غير ذلك. وهو أيضا مصطلح يطلق على مجموعة من المواقع على شبكة الإنترنت ظهرت مع الجيل الثاني "الويب"، الذي يتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم حسب مجموعات اهتمام أو شبكات انتماء (بلد، جامعة، شركة،...)، كل هذا يتم عن طريق خدمات التواصل المباشر من إرسال الرسائل أو الاطلاع على الملفات الشخصية للآخرين و معرفة أخبارهم و معلوماتهم التي يتيحونها للعرض.⁵

تقوم الفكرة الرئيسية للشبكات الاجتماعية على جمع بيانات الأعضاء المشتركين في الموقع و يتم نشر هذه البيانات بشكل علني حتى يجتمع الأعضاء ذوي المصالح المشتركة و الذين يبحثون عن ملفات أو صور... الخ ، أي أنها شبكة مواقع فعالة تعمل على تسهيل الحياة الاجتماعية بين مجموعة من المعارف و الأصدقاء، كما تمكن الأصدقاء القدامى من الاتصال ببعضهم البعض و بعد طول سنوات تمكنهم أيضا من التواصل المرئي و الصوتي و تبادل الصور وغيرها من الإمكانيات التي توطن العلاقة الاجتماعية بينهم.⁶

و تعرف مواقع التواصل الاجتماعي أيضا على أنها منظومة من الشبكات الإلكترونية عبر الإنترنت تتيح للمشارك فيها إنشاء موقع خاص فيه و من ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات و الهوايات نفسها.⁷

وتضع كلية "شريدان التكنولوجية « cheridan » تعريفا إجرائيا للإعلام الجديد بأنه: "أنواع الإعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي و تفاعلي ويعتمد على اندماج النص والصورة و الفيديو و الصوت، فضلا عن استخدام الكمبيوتر كآلية رئيسية له في عملية الإنتاج و العرض، أما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيسي الذي يميزه و هي أهم سماته.⁸

2. أهم أنواع مواقع التواصل الاجتماعي :

منذ الظهور الأول لمواقع التواصل الاجتماعي تعددت وتنوعت بين شبكات شخصية وعامة تطمح لتحقيق أهداف محددة "تجارية مثلا" ومنذ بدايتها اختلفت المواقع التي تتصدر القائمة بين سنة وأخرى ، فتاريخيا كان لموقع "سكس ديفريز" أهمية كبيرة وصدى واسع مع بداياته الأولى، وكذلك موقع "أوماي نيوز" وغيرها، ومع تطور مواقع التواصل الاجتماعي أصبح تصنيفها يأتي بالنظر إلى الجماهيرية حيث تتصدر القائمة عدد من الشبكات وأهمها : "الفيسبوك" "تويتز" "يوتيوب" وهي المواقع التي نتحدث عنها باعتبارها أهم مواقع التواصل الاجتماعي في الوقت الحالي وكذا بالنظر إلى اختلاف تخصص كل موقع.

- - الفيسبوك:

التعريف: هو موقع الكتروني للتواصل الاجتماعي، أي أنه يتيح عبره للأشخاص العاديين و الاعتباريين (كالشركات) أن يبرز نفسه وأن يعزز مكانته عبر أدوات الموقع للتواصل مع أشخاص آخرين ضمن نطاق ذلك الموقع أو عبر التواصل مع مواقع تواصل أخرى ، و إنشاء روابط تواصل مع الآخرين.⁹

1. النشأة و التطور:

أسس هذا الموقع "مارك زاكربيرج" عام 2004 وهو احد طلبة هارفارد – الذي أصبح فيما بعد يعد اصغر ملياردير في العالم – وذلك بغرض التواصل بين الطلبة في هذه الجامعة، ومن ثم انتشر استخدامه بين طلبة الجامعات الأخرى في أمريكا وبريطانيا وكندا ، ولتطور الموقع وخصائصه من مجرد موقع لإبراز الذات والصور الشخصية إلى موقع متخصص بالتواصل ترعاه شركة فيسبوك التي أصبحت تقدر بالمليارات عام 2007 نتيجة لاستدراك 21 مليون مشترك في هذا الموقع ذلك العام ليتحدى أي موقع للتواصل الاجتماعي ويصبح الأول على صعيد العالم، وبلغ عددهم حسب إحصائيات 2011- 800 مليون مشترك.

وقد تحول الموقع من مجرد مكان لعرض الصور الشخصية والتواصل مع الأصدقاء و العائلة إلى قناة تواصل بين المجتمعات الالكترونية ومنبر لعرض الأفكار السياسية وتكوين تجمعات سياسية الكترونية عجزت عنها أعتى الأحزاب الفعلية على الأرض، وكذلك لتصبح قناة تواصل تسويقية أساسية تعتمدها الآلاف من الشركات الكبيرة والصغيرة للتواصل مع جمهورها، وكذلك الصحف التي اعتمدت على المجتمعات الالكترونية لنقل أخبارها والترويج لكتابها وغيرها من وسائل الإعلام، ليتعدى موقع الفيسبوك وظيفته الاجتماعية إلى موقع تواصل متعدد الأغراض، و يتوقع أن يصل عدد مشتركه في 2013 إلى قرابة نصف مليار مشترك، وليصبح مستقبلا أكبر تجمع الكتروني بشري على وجه الأرض.¹⁰

2. أهم مميزات الفيسبوك:

الملف الشخصي « profile » : فعندما تشترك بالموقع عليك أن تنشئ ملفا شخصيا يحتوي على معلوماتك الشخصية، صورك، أمور مفصلة لك، وكلها معلومات مفيدة من اجل التواصل مع الآخرين، كذلك يوفر معلومات للشركات التي تريد أن نعلن لك سلعاها بالتحديد .

إضافة صديق « add friend » : و بها يستطيع المستخدم إضافة أي صديق وأن يبحث عن أي فرد موجود على شبكة الفيسبوك بواسطة بريده الالكتروني.

إنشاء مجموعة « groups »: تستطيع من خلال خاصية إنشاء مجموعة الكترونية على الانترنت أن تنشئ مجتمعا الكترونيا يجتمع حول قضية معينة، سياسية كانت أم اجتماعية ...، وتستطيع جعل الاشتراك بهذه المجموعة حصريا بالعائلة أو الأصدقاء، أو عامة يشترك بها من هو مهتم بموضوعها.

لوحة الحائط « wall » : وهي عبارة عن مساحة مخصصة بصفحة الملف الشخصي لأي مستخدم، بحيث تتيح للأصدقاء إرسال الرسائل المختلفة إلي هذا المستخدم.

النكزة « pokes »: منها يتاح للمستخدمين إرسال نكزة افتراضية لإثارة انتباه بعضهم إلى بعض و هي عبارة عن إشعار يخاطر المستخدم بأن احد الأصدقاء يقوم بالترحيب به.

الصور « photos »: وهي الخاصة التي تمكن المستخدمين من تحميل الألبومات والصور من الأجهزة الشخصية إلى الموقع و عرضها.

الحالة « status »: تتيح للمستخدمين إمكانية إبلاغ أصدقائهم بأماكنهم وما يقومون به من أعمال في الوقت الحالي.

التغذية الإخبارية « newsfeed »: التي تظهر على الصفحة الرئيسية لجميع المستخدمين حيث تقوم بتمييز بعض البيانات مثل التغييرات التي تحدث في الملف الشخصي، وكذلك الأحداث المرتقبة وأعياد الميلاد الخاصة بأصدقاء المستخدم.

الهيايا « gifts »: ميزة تتيح للمستخدمين إرسال هدايا افتراضية إلى أصدقائهم تظهر على الملف الشخصي للمستخدم الذي يقوم باستقبال الهدية.

السوق « market place »: مكان أو فسحة افتراضية تتيح للمستخدمين نشر إعلانات مبنوبة مجانية.

إنشاء صفحة خاصة على موقع « facebook »: ويتيح لك أن تروج لفكرتك أو حزبك أو جريدتك، ويتيح الموقع أدوات لإدارة و تصميم الصفحة، و لكنها ليست أدوات متخصصة كما في المدونات و كذلك يتيح أدوات لترويج الصفحة مع « facebook adds »، والتي تدفع مقابل كل مستخدم يرى هذا الإعلان الموصل على صفحتك في الفيسبوك.

التعليقات « facebook notes »: وهي سمة متعلقة بالتدوين، تسمح بإضافة العلامات والصور التي يمكن تضمينها، وتمكن المستخدمين من جلب المدونات من المواقع الأخرى التي تقدم خدمات التدوين.¹¹

المحور الثاني: التأثيرات الايجابية والسلبية لمواقع التواصل الاجتماعي

1- التأثيرات الايجابية:

بلا أدنى شك أن تكنولوجيا شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع التواصل أضفت بعدا ايجابيا جديدا على حياة الملايين من البشر من إحداثها لتغييرات ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية في حياة مجتمعات بأكملها، ومن أهم هذه الآثار الايجابية:

=نافذة مطلة على العالم: حيث وجد الملايين من أبناء الشعوب الأجنبية والعربية بشكل خاص في الشبكات الاجتماعية نافذة حرة لهم للاطلاع على أفكار وثقافات العالم بأسره.

=فرصة لتعزيز الذات: فمن لا يملك فرصة لخلق كيان مستقل في المجتمع يعبر به عن ذاته، فإنه عند التسجيل بمواقع التواصل الاجتماعي وتعبئة البيانات الشخصية، يصبح لك كيان مستقل وعلى الصعيد العالمي.

=أكثر انفتاحا على الآخر: إن التواصل مع الغير، سواء أكان ذلك الغير مختلف عنك في الدين والعقيدة والثقافة والعادات والتقاليد، واللون والمظهر والميول، فإنك قد اكتسبت صديقا ذا هوية مختلفة عنك وقد يكون بالغرفة التي بجانبك أو على بعد آلاف الأميال في قارة أخرى.

=منبر للرأي والرأي الآخر: إن من أهم خصائص مواقع التواصل الاجتماعي سهولة التعديل على صفحاتها، وكذلك حرية إضافة المحتوى الذي يعبر عن فكرك و معتقداتك، والتي قد تتعارض مع الغير، فالجال مفتوح أمام حرية التعبير مما جعل مواقع التواصل الاجتماعي أداة قوية للتعبير عن الميول والاتجاهات والتوجهات الشخصية تجاه قضايا الأمة المصرية.¹²

=التقليل من صراع الحضارات: فقد تعزز مواقع التواصل الاجتماعي من ظاهرة العولمة الثقافية، ولكنها في الآن ذاته تعمل على جسر الهوة الثقافية والحضارية، وذلك من خلال ثقافة التواصل المشتركة بين مستخدمي تلك المواقع وكذلك تبيان وتوضيح الهموم العربية للغرب بدون زيف الإعلام ونفاق السياسة، مما يقضي في النهاية على تقارب فكري على صعيد الأشخاص فالجماعات والدول.

=تزايد من تقارب العائلة الواحدة: فاليوم ومع تطور تكنولوجيا التواصل فإنه أصبح أيسر على العائلات متابعة أخبار بعضهم البعض عبر مواقع التواصل الاجتماعي، خاصة وأنها أرخص من نظيراتها الأخرى من وسائل الاتصال المختلفة.

=تقدم فرصة رائعة لإعادة روابط الصداقة القديمة: حيث بإمكانك من خلال هذه المواقع أن تبحث عن أصدقاء الدراسة أو العمل ممن اختفت أخبارهم بسبب تباعد المسافات أو مشاغل الحياة، وقد ساعدت هذه المواقع في بعض الحالات عائلات فقدت أبناءها إما بسبب التبنى أو الاختطاف أو الهجرة السرية، فيتم العثور على الأبناء.¹³

2- التأثيرات السلبية:

مثلا يوجد آثار ايجابية لمواقع التواصل الاجتماعي فإنه لها آثار سلبية أيضا فهي سلاح ذو حدين، ومن تلك الآثار السلبية:

=يقلل من مهارات التفاعل الشخصي: فمع سهولة التواصل عبر هذه المواقع فإن ذلك سيقبل من زمن التفاعل على الصعيد الشخصي للأفراد و الجماعات المستخدمة لهذه المواقع، وكما هو معروف فإن مهارات التواصل الشخصي تختلف عن مهارات التواصل الالكتروني، ففي الحياة الطبيعية لا تستطيع أن تخلق محادثة شخص ما فورا و أن تلغيه من دائرة تواصلك بكسة زر.¹⁴

=إضاعة الوقت: حيث أنها مع خدماتها الترفيهية التي توفرها للمستخدمين، قد تكون جذابة جدا لدرجة تنسى معها الوقت.

=الإدمان على مواقع التواصل: إن استخدامها خاصة من قبل ربات البيوت و المتقاعدين، يجعله بسبب الفراغ- أحد النشاطات الرئيسية في حياة الفرد اليومية، وهو ما يجعل ترك هذا النشاط أو استبداله أمرا صعبا للغاية خاصة و أنها تعد مثالية من ناحية الترفيه لملء وقت الفراغ الطويل.

=قلة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لغير الترفيه من قبل مجتمعاتنا العربية.

=ضياع الهوية الثقافية العربية و استبدالها بالهوية العالمية لمواقع التواصل: حيث أن العولمة الثقافية هي من الآثار السلبية لمواقع التواصل الاجتماعي بنظر الكثيرين.

=انعدام الخصوصية: تواجه أغلبية المواقع الاجتماعية مشكلة انعدام الخصوصية مما تسبب بالكثير من الأضرار المعنوية والنفسية على الشباب وقد تصل في بعض الأحيان لأضرار مادية، فملف المستخدم على هذه الشبكة يحتوي على جميع معلوماته الشخصية إضافة إلى ما يبثه من هموم، ومشاكل قد تصل بسهولة إلى يد أشخاص قد يستغلونها بغرض الإساءة و التشهير.

=الصدقات قد تكون مبالغا فيها أو طاغية في بعض الأحيان: فجميع الأشخاص الذين تعرفهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي نضيفهم كأصدقاء وهو لقب غير دقيق، لأن الصداقة تتشكل مع الزمن وليس فورا، ففيه نوع من النفاق.

=انتحال الشخصيات: تبقى مجهولة المصدر الحقيقي خلف مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي دافعا أحيانا إلى استخدامها في الابتزاز وانتحال الشخصية ونشر المعلومات المضللة وتشويه السمعة، أو في الجريمة كالدعارة أو السرقة أو الاختطاف.¹⁵

=تراجع استخدام اللغة العربية الفصحى لصالح العامية: أضحى استخدام مزيج من الحروف والأرقام اللاتينية بدل الحروف العربية الفصحى خاصة على شبكات التعارف والمحادثة فتحوّلت حروف اللغة العربية إلى رموز و أرقام باتت الحاء "7" والعين "3" وهذا ما أكدته دراسة علي صلاح محمود بعنوان "ثقافة الشباب العربي".¹⁶

المحور الثالث: مكانة شبكة الفيسبوك وتأثيره على ثقافة الطالب الجامعي (دراسة ميدانية)

(أ)- منهجية الدراسة : نظراً لطبيعة الظاهرة الإنسانية وخصائصها التي تعوق في الكثير من الأحيان تطبيق المنهج التجريبي عليها، وجد كبديل منهج آخر تميل إليه البحوث الاجتماعية غالباً، وهو المنهج الوصفي Methode descriptive.

فالمنهج الوصفي هو منهج علمي يقوم أساساً على وصف الظاهرة أو الموضوع محل البحث والدراسة، على أن تكون عملية الوصف الظاهرة أو الموضوع محل البحث والدراسة، على أن تكون عملية الوصف تعني بالضرورة تتبع هذا الموضوع ومحاولة الوقوف على أدق جزئياته وتفصيله، والتعبير عنها تعبيراً أما كيفياً أو كمياً : تعبيراً كيفياً وذلك بوصف حال الظاهرة محل الدراسة، وتعبيراً كمياً وذلك عن طريق الأعداد والتقديرات والدرجات التي تعبر عن وضع الظاهرة وعلاقتها بغيرها من الظواهر. إلا أن عملية الوصف التي تعني التتبع والتي يقوم عليها المنهج الوصفي، تكاد تكون عملية أولية تكمل بعملية تفسيرية قائمة على الاستنتاج واستخلاص القوانين والتعميم، وعادة ما " يعرف المنهج الوصفي بأنه مجموع الإجراءات البحث التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع اعتماداً على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلًا كافيًا ودقيقًا لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة. إلا أن أخذ الوصف كمنهج علمي.

(ب)- تقنيات جمع البيانات : الباحث بعدما ينجح في اختصار مجتمع بحثه، وتشكيل عينته، يعتقد وفق معايير علمية أنها تمثل المجتمع الأصلي تمثيلاً جيداً، يمر إلى خطوة ثانية من خلالها يحاول أن يجدد الوسائل والأدوات التي يستعين بها لجمع هذه البيانات، والوسائل متعددة ومتنوعة، في الدراسة الميدانية تحدد تبعاً لطبيعة العينة ولطبيعة موضوع البحث ومنها : الملاحظة، المقابلة، تحليل المحتوى.

وفي بادئ الدراسة الميدانية هذه استخدمنا الملاحظة والتي هي من أهم الوسائل التي يستعملها الباحثون الاجتماعيون والطبيعيون في جمع المعلومات والحقائق من الحقل الاجتماعي أو الطبيعي الذي يزود الباحثين بالمعلومات.

واستعملت المقابلة كأهم وسائل جمع البيانات، وهي وسيلة يقوم بواسطتها الباحث أو مساعدوه بتوجيه عدد من الأسئلة لعضو العينة وتدوين إجاباته.

أما تحليل المحتوى هو أداة ووسيلة ميدانية استعملت في دراسة الظاهرة، مكنتنا من جمع المعلومات والمعطيات والبيانات الميدانية المتعلقة بالظاهرة قيد البحث والدراسة، فهي بذلك كالاستمارة والمقابلة والملاحظة، وأداة تحليل المحتوى تستخدم في البحث الاجتماعي لمعالجة واستنطاق النصوص المكتوبة والأشرطة الصوتية والأفلام والمصورة.. الخ، وهي ذات استخدام واسع عند الباحثين والدارسين سلوك الفرد ونشاطه، خاصة في علوم الإعلام والاتصال. هذا بعودتنا إلى المعاجم اللغوية فإن مصطلح تحليل يعني تفكيك المحلل إلى مكوناته الأساسية، أما مصطلح مضمون أو محتوى فيشير إلى ما يحتويه الوعاء اللغوي أو التسجيل الصوتي أو الفيلمي أو الكلامي أو الإيمائي من معان مختلفة، يعبر عنها الفرد في نظام معين من الرموز، لتوصيلها للآخرين.¹⁷

(ت)- مجالات الدراسة : المجال المكاني: تمت الدراسة في جامعة زيان عاشور، بالضبط بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية.

المجال الزمني: تمت الدراسة من نهاية شهر فيفري 2017 إلى نهاية شهر مارس 2017.

المجال البشري: تمت الدراسة على 30 عينة من الجنسين، من مختلف الأعمار والتخصصات والمستويات الدراسية.

(ث)- العينة : تأتي أهمية التعيين أو تشكيل العينات من كونه في أغلب الأحيان، جميع المعطيات، تحول دون الباحث الاجتماعي وقيامه بدراسة ميدانية تشمل جميع المجتمع الإحصائي أو الأصلي للظاهرة الاجتماعية التي يدرس، فرما يخونه في ذلك عامل الوقت، بحيث أنه لو استجوب جميع أفراد المجتمع الإحصائي لأخذ البحث الاجتماعي وقتنا أقل ما يقال عنه طويل، أو تخونه المعطيات المادية، إذ البحث الاجتماعي الميداني يتطلب معطيات مادية كالاستمارات أو المقياس المطبوعة والتنقل إلى المستجوب، وغيرها من المستحقات المادية التي تكون باهظة ومكلفة جدا، لو كان البحث الميداني يشمل جميع أفراد

المجتمع الإحصائي، ولذا يلجأ الباحث إلى دراسة المجتمع الأصلي من خلال عينة Echantillon يشكلها ويعتقد وفق أسس علمية أنها تمثل المجتمع الأصلي تمثلاً جيداً .

ونظراً لطبيعة الموضوع ومجتمع البحث، وكذا المدة الزمنية، قمنا باختيار العينة العشوائية البسيطة: وعن طريق هذا النوع من العينات يعطي الباحث فرصة متساوية لكل فرد من أفراد المجتمع (كلية العلوم الانسانية والاجتماعية) بأن يكون ضمن العينة المختارة، ويكون هذا النوع من العينات مفيد ومؤثر عندما يكون هناك تجانس وصفات مشتركة بين جميع أفراد المجتمع الأصلي المعني بالدراسة، من حيث الخصائص المطلوب دراستها في البحث، وعليه قياس جميع أسماء أفراد المجتمع الأصلي يجب ان تكون محددة ومعرفة لدى الباحث.

التحليل الميداني للدراسة : يُعتمد الجانب الميداني للدراسة إلى توضيح وإبراز كل ما أُستنبط وأخذ من العينة من بيانات ومعلومات أفادت الدراسة وعملت على إبراز أهم الأسباب الكامنة وراء ظهور الظاهرة المدروسة، والآثار الناتجة عنها، وبعد إجراء المقابلة مع 30 حالة (طالب/طالبة) منخرطين ضمن شبكة الفيسبوك، كانت الأسئلة والأجوبة كالتالي:

الأجوبة		الأسئلة
15 طالبة (إناث)	15 طالب (ذكور)	
7 طالبات يدرسن ليسانس	9 طلبة يدرسون ليسانس	المستوى التعليمي
8 طالبات يدرسن ماستر	6 طلبة يدرسون ماستر	
نعم	نعم	س1: هل لديك حساب فيسبوك ؟
9 طالبات: للتعبير عن آرائهن	11 طالب: لقضاء وقت الفراغ	س2: سبب انشائك لحساب فيسبوك ؟
6 طالبات: التعارف وتكوين صداقات	4 طلبة: التعارف وتكوين صداقات	
12 طالبة : لا	9 طلبة: - نعم	س3: هل يمكنك الاستغناء عن الفيسبوك ؟
3 طالبات: لا	6 طلبة: لا	
6 طالبات : اللغة المستعملة هي العربية	5 طلبة: اللغة المستعملة هي العربية	س4: ماهي اللغة المستعملة في المحادثات مع الاصدقاء ؟
9 طالبات: اللغة المستعملة هي عربية بحروف فرنسية وارقام	10 طلبة: اللغة المستعملة هي عربية لكن بحرف فرنسية وارقام	
5 طالبة: القضايا الثقافية	10 طلبة: القضايا الثقافية	س5: ماهي القضايا التي تهتم بها في الفيسبوك ؟
10 طالبات: القضايا الترفيهية	5 طلبة: القضايا الدينية	

انطلاقاً من الاسئلة المطروحة على العينة محل الدراسة، وبناء على اجاباتهم نستنتج التالي:

- ان جميع الطلبة لديهم حساب فيسبوك، مما يبين مدى ارتباط هذه الشريحة من الطلبة به حيث يعد من ابرز مواقع التواصل الاجتماعي في وقتنا الراهن، فهم يواكبون العصر من خلال اتصالهم بالأصدقاء والزملاء وغيرهم مما يولد يشكل لهم في نهاية المطاف افكار موحدة حول ظاهرة معينة او عدة ظواهر. ومنه يمكن القول ان تبرز مكانة الفيسبوك لدى طلبة العلوم الانسانية والاجتماعية كضرورة يمكن من خلالها ربط علاقاتهم وافكارهم وحتى نقاشاتهم مع اطراف معينة.

- ان اغلب الطلبة من العينة المدروسة يستعملون موقع فيسبوك لقضاء وقت الفراغ، وهذا ان دل على شيء انما يدل على ان الطلبة الذكور يعتمدون فيسبوك كبديل لوقت الفراغ، وهذا يحمل شطر ايجابي وآخر سلبي، بمعنى قضاء وقت الفراغ في الفيسبوك يولد في مرحلة متقدمة ادمان، وهذا امر سلبي يقع فيه بعض المنخرطين في موقع فيسبوك، في حين الشيء الايجابي يمكن في مدى الاستغلال الجيد والامثل لموقع فيسبوك من خلال الاطلاع على ما هو جديد من المصدر، اضافة الى ذلك يعتبر عملية اقتصادية من حيث التواصل مع الغير باعتباره موقع مجاني متاح للجميع، وهناك العديد من الايجابيات والسلبيات لا يسعنا حصرها في هذا السياق.

- كما نستنتج ان اغلب الطلبة لا يمكنهم الاستغناء على موقع فيسبوك، مما يؤكد لنا درجة الانتماء والانخراط في هذا الموقع من جهة، ومن جهة اخرى هناك احتمال وجود مجموعة من الطلبة يعانون من الادمان وكما تكلمنا سابقاً انه امر خطير يجب الحذر منه. لان الفرد ان اصبح مدمناً بمعنى انه حصر نفسه في دائرة مغلقة وبالتالي يؤثر ذلك على مكانته داخل المجتمع، وحتى على نفسيته بطريقة تعامله مع من حوله.

- الاستنتاج الاخر والذي هو على درجة من الأهمية، هو اللغة حيث نجد ان اغلب الطلبة يستعملون لغة هجينة وهي مزيج من اللغة الفرنسية بمعنى عربي، هذا الامر يضعف من قوة اللغة الأم لدى الفرد، حيث ان اللغة من ابرز ركائز الهوية الثقافية للفرد والمجتمع، وبالتالي يمكن القول ان الطلبة اليوم في طريقهم للانسلاخ من ابرز ركائز القيم الثقافية للمجتمعات، وبالتالي السير نحو التغير التدريجي في احدى اهم مقومات المجتمع.

- اما بالنسبة للقضايا محل الاهتمام من قبل الطلبة في موقع فيسبوك، نجد ان الذكور يهتمون اكثر بالقضايا الثقافية، مما يتيح لهم توسيع دائرة الثقافة لكل فرد منهم، في حين نجد الاناث يهتمن بالقضايا الترفيهية وهذا دليل على انهم بحاجة ماسة الى

ذلك الجانب (الترفيهي)، مما يعكس لنا صورة الحرمان في هذا الجانب، فالقيم والعادات والتقاليد تلعب دورا كبيرا في

تحديد الادوار ومجالات الحرية للفرد، وبالتالي يعتبر الفيسبوك متنفسا صريحا للإنانث.

انطلاقا من التحليل السوسولوجي يمكن ان نخرج بجملة من التوصيات وهي كالتالي:

- ضرورة الحذر من ادمان الفيسبوك وغيره من مواقع التواصل الاجتماعي.
- الاستغلال الامثل لموقع فيسبوك بما يخدم مصالحنا.
- استعمال اللغة الأم في المحادثات مما يعزز قوة اللغة لدى الفرد، فهي من قوام تماسك المجتمع.
- نشر الوعي لدى الطلبة بضرورة الاستفادة من موقع فيسبوك الاتصال بشكل إيجابي .
- تنمية الإحساس بالدين والوطن والالتقاء، كي لا يطغى موقع فيسبوك على قيم المواطنة والدين.
- التقنين وتنظيم الوقت، وحسن توزيعه دون أن يغلب الوقت الذي يخصص لموقع فيسبوك على حساب الواجبات والالتزامات الأخرى.

خاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية يمكن القول ان مواقع التواصل الاجتماعي ومن ابرزها موقع فيسبوك، استطاع ان يحتل مكانة هامة وبارز في حياة طلبتنا اليوم، باعتباره حلقة مهمة في عملية التواصل، سواء من اجل التعارف او من اجل قضاء وقت الفراغ او حتى من اجل التثقيف والتوعية، الا ان هذه الوسيلة لها نتائج سلبية يمكن ان تقود طلبتنا وشبابنا اليوم من وضعية اجتماعية الى اخرى، ومن قيم وذهنيات متوارثة ابا عن جد الى قيم ومبادئ دخيلة وجديدة، والتي من الممكن ان تضعف من هوية الفرد داخل المجتمع من ثم المجتمع ككل، وهذا ما توصلنا اليه من خلال دراستنا هذه، بدليل استعمال اللغة، بالمعنى فقط، وليس بالمعنى واللفظ معا، هذا ما يهز من قوة اللغة لدى الفرد والمجتمع ككل، وبالتالي تصيح تقبل لغة جديد غير أكاديمية ولا منهجة كبديل للغة الام، الأمر الذي يشكل خطرا على نسق وبناء المجتمع.

الهوامش والمراجع :

1. -علي محمد بن فتح محمد، مواقع التواصل الاجتماعي و أثارها الأخلاقية و القيمة، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، ص 189.
2. - خالد غسان يوسف المقدادي، ثورة الشبكات الاجتماعية، دار النفائس للنشر، الأردن، ط1، 2013، ص 24.
3. -علي محمد بن فتح محمد، مرجع سبق ذكره، ص 201.
4. - خالد غسان يوسف المقدادي، مرجع سبق ذكره، ص ص 24-25.
5. - ليلي احمد جرار، الفيديوك و الشباب العربي ، مكتبة الفلاح، عمان، 2012، ص 37.
6. - نفس المرجع، ص 38 .
7. - زاهر راوي ، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، ع 15، جامعة عمان الأهلية، عمان، 2003، ص 23.
8. - عباس مصحفى صادق، الإعلام الجديد، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، 2011، ص 09 .
9. - محاب نصر ، "الفايسبوك" صورة المثقف وسيرته العصرية، وجوه المثقف على الفيسبوك هل تعيد انتاج صورته أم تصنع افقا مقابرا؟، جريدة القيس الكويتية اليومية ، العدد 13446، 3 نوفمبر 2010، ص 10.
10. - محاب نصر، مرجع سبق ذكره، ص 08 .
11. - محمد المنصور، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين، دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الالكترونية "العربية نموذجا" رسالة الماجستير الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، 2012.
12. - جمال معتوق وشريهان كريم، دور شبكات التواصل الاجتماعي في صقل سلوكيات وممرسات الأفراد في المجتمع، ملتقى دولي حول شبكات التواصل الاجتماعي والتغير الاجتماعي، بسكرة، 10/9 ديسمبر 2012.
13. - موسى جواد الموسوي و آخرون، الإعلام الجديد تطور الأداء و الوسيلة و الوظيفة، مكتبة الإعلام المجتمع، بغداد، ط 1، 2011، ص 47.
14. - وائل مبارك خضر فضل الله، اثر الفيسبوك على المجتمع، المكتبة الوطنية للنشر، الخرطوم، ط1، 2011، ص 20.

15. - محمد عجم، الانترنت و التكنولوجيا الحديثة تكشفان انعزال الشباب -عالم افتراضي يتصل بالواقع و يفصل عنه،

جريدة الشرق الأوسط، العدد 11704، 10 ديسمبر 2010، ص12.

16. - عادل عبد الصادق، استخدام شبكات التواصل الاجتماعي بين الأمن و الحرية،

http://digitalahram.org.ef/articles.aspx?serial=85883&eid\$501.2013/1/15.h 22 :08

17- أحمد عياد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 2009 ص 62.

:

:

أ.بوسعيد رندا. جامعة الخلفة.

ملخص:

أحدثت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في السنوات الماضية تغيرات نوعية في العديد من أوجه الحياة الاجتماعية لدرجة أنها مهدت الانتقال من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات بل تجاوزته نحو خلق نوع من المجتمعات الافتراضية التي تكونت عن بعد بالموازاة مع المجتمعات التقليدية ، فالاختراعات والابتكارات العلمية في وسائل الاتصال تركت أثرا واضحا في ملامح الفعل الاجتماعي وانعكست على الأساليب الفكرية للناس وعلاقاتهم وتفاعلاتهم ومجمل المظاهر الديناميكية للمجتمع الإنساني حتى سمي هذا الجيل بجيل الرقنة والتكنولوجيا.

يخضع التغير الاجتماعي لعوامل موضوعية ولا يحدث بصورة عشوائية بل وفق قوانين وأنماط منهجة ولذلك اهتمت العديد من الاتجاهات البحثية بتفحص العلاقة القائمة بين وسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصال الحديثة وظاهرة التغير الاجتماعي بالنظر إلى قوة هذه الوسائل وأهميتها المتزايدة وتأثيراتها الظاهرة والكامنة على الفرد والمجتمع.

مقدمة:

تُشكل المجتمعات الإنسانية قوالب فكرية متنوعة ذات تعدد فلسفي وثقافي واجتماعي، بسيطة كانت أم معقدة لفهم وتفسير مختلف الظواهر الاجتماعية التي تحدث فيها، وليس هناك جانب من جوانب الحياة الاجتماعية نال الاهتمام الذي ناله موضوع التغير الاجتماعي، إذ يعتبر من أبرز المواضيع السرمديّة التي حاول الكثير من الفلاسفة والباحثين ورواد علم الاجتماع والتاريخ و الاثروبولوجيا، تفسيره وتحديد ميكانيزمات حدوثه .

وتعتبر الثورات تاريخيا إحدى محركات التغير الاجتماعي والثورة في عالم (التكنولوجيا والاتصالات الالكترونية) بالتأكيّد من أبرزها ، فالتطور التقني الحاصل في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات والاختراعات المادية التي تعرفها مختلف جوانب الحضارة البشرية اليوم ، فرضت نفسها كفاعل قوي و مؤثر في مختلف مظاهر التفاعل الاجتماعي ،وحازت اهتمام العديد من الباحثين في الاستخدامات السوسيوثقافية الجديدة وتأثيراتها داخل المجتمع إلى حد قول البعض منهم أن " التقنية هي من تصنع التاريخ".

ومن هذا المنطلق، تستهدف هذه القراءة توضيح أبرز معالم وأفكار نظرية مارشال ماكلوهان التي تعتبر من أهم وافضل ما نظر (بالظمة فوق النون) في تفسير العلاقة القائمة بين التطور التقني والتغير الاجتماعي، والعمود الفقري لمختلف نظريات التأثير الاعلامي والميديولوجية. من خلال الاجابة عن اشكال محوري:

كيف قارب مارشال ماكلوهان موضوع التغير الاجتماعي في اطروحته عن الحتمية التكنولوجية لوسائل الاعلام؟

" هل تدرك السمكة أنها مبتلة بالماء؟" هذا السؤال طرحه عالم الاتصال الكندي مارشال ماكلوهان ، الجواب طبعا " لا" ، فالسمكة لا تدرك أنها مبتلة بالماء لأن البيئة التي تعيش فيها السمكة مغلقة بالماء (بيئة مائية) إلى درجة أنها لا تشعر بالماء إلا في حالة فقدان الماء أو غيابه" ، هكذا هو الحال في علاقة أفراد المجتمع بوسائل الإعلام فهي موجودة حولنا في كل شيء ، نغمرنا لدرجة أننا لانشعر بوجودها وكذلك لا نستطيع تخيل حياتنا بدونها .

فالهواتف الذكية ، التلفاز ، شبكة الانترنت وغيرها من التقنيات التواصلية أصبحت ضرورة وسلطة حتمية في حياتنا، وهي الفكرة التي تتمحور حولها نظرية مارشال ماكلوهان ، فكل اختراع تكنولوجي جديد يستقبل بنوع من الغرابة والدهشة من قبل المجتمع ، حتى يبدأ الفرد بالتعلم والتمرن على هذه الوسيلة ومن ثم بعد أن يصبح التعامل معها عادة يومية، تصبح ظاهرة اعتيادية ومنخرطة ضمن عادات وتقاليد المجتمع وجزءا من تركيبته وبنيته العميقة فيقول "الوسيط يغيرنا ويؤثر على البنية الفردية والاجتماعية، لأننا نتفاعل معه مرارا وتكرارا حتى يصبح جزءا من أنفسنا".

1. مقارنة مفاهيمية : (التغير الاجتماعي - الحتمية - التكنولوجيا)

تعود الجذور الأولى لبحث ظاهرة التغير في الحياة البشرية إلى تلك المحاولات المبكرة التي قام بها الإنسان الأول لمعرفة التغيرات التي تجري من حوله ، مرتبطة بملاحظاته المباشرة وتأملاته في التغيرات التي تحدث في بيئته المحيطة كفضول السنة ونمو النبات وتغير جسم الإنسان والحيوان وغيرها فيقول صموئيل كيوبنج " التغير في حد ذاته ظاهرة طبيعية تخضع لها ظواهر الكون وشؤون الحياة بالإجمال وهومن أكثر مظاهر الحياة الاجتماعية وضوحا (الجولاني ، 1993، ص11).

فالتغيير لا يحتاج إلى تفسير وإنما عدم التغيير هو الذي يستلزم بالضرورة تساؤلات عميقة، لاسيما في خضم الظروف والمعوقات المحيطة بدنامية الحياة البشرية على حد تعبير الفيلسوف اليوناني هيراغليطس "إن المرء لا يستحم في النهر مرتين"، لأن النهر يتغير بتغير جريان الماء فيه مثلما يتغير الشخص فور ملامسته الماء.(العززي، ص3)

* التغيير:

التغيير بالمفهوم المتعارف عليه يعد من السمات التي لزمتم الوجود الإنساني بحيث أصبح أحد السنن المسلم بها، والتفسير اللغوي للتغيير هو التحول والتبدل، فيقال (تغير) الشيء (عن حاله) أي تحول وتبدل وجعله غير ماكان (فلاح جابر الغرابي)، ويشير كذلك إلى الاختلاف ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة أو اختلاف الشيء عما كان عليه خلال فترة زمنية محددة.(زامل، 2010، ص3).

ويتضح من هذا أن التغيير مصطلح محايد لا يحمل معنى التقييم بالسلب أو الإيجاب ويكتسب تلك القيمة انطلاقاً من الموضوع والممارسة التي يصدق عليها وصف "تغير"، ويختلف مفاهيمياً عن مصطلح "التغيير" الذي يشير إلى (إحداث شيء لم يكن قبله) أي أننا أمام فكرتين أو اصطلاحين وهما التغيير كآلية مجتمعية تلقائية والتغيير كفاعلية بشرية إرادية.(زامل، 2010، ص3)

* التغيير الاجتماعي:

إن اصطلاح التغيير **change** يعني انتقال أي شخص أو ظاهرة من حالة إلى حالة أخرى أو هو ذلك التعديل الذي يتم في طبيعة أو مضمون أو هيكل شيء أو ظاهرة ما، ويقصد بمصطلح **social** الشخص وعلاقاته وتفاعلاته مع الآخرين، أما تركيبة (التغيير – الاجتماعي) فإنها تشير إلى تلك العملية المستمرة التي تمتد على فترات زمنية متعاقبة يتم من خلالها حدوث اختلافات أو تعديلات معينة في العلاقات الإنسانية أو في المؤسسات أو التنظيمات أو في الأدوار الاجتماعية (طبال، 2012، ص407).

تعددت تعريفات الباحثين وتقاربت صيغها بتعدد وجهات نظر العلماء وتعددت ظاهرة التغير الاجتماعي ذاتها ، فيعرفه جيه روشيه أنه " كل تحول في البناء الاجتماعي يلاحظ في الزمن ولا يكون مؤقتا وسريع الزوال لدى فئات واسعة من المجتمع " (عبدلي، 2014، ص4)

ويرى عبد الباسط محمد حسن بأنه " كل تحول يقع في المجتمعات في فترة زمنية محددة، ويصيب تركيبه أو بنيانه الطبقي أو نظمه الاجتماعية أو القيم أو المعايير السائدة أو أنماط السلوك أو نوع العلاقات السائدة ،وقد يكون التغير ماديا يستهدف تغير الجوانب المادية والتكنولوجية والاقتصادية وقد يكون التغير معنويا يستهدف تغيير اتجاهات الناس وقيمهم وعاداتهم وسلوكهم . (بوعطيط،2012،ص119)

بينما يقدمه موريس جنزبرج على أنه " حدوث تغير في بناء المجتمع والذي يشمل حجمه وتركيب أجزائه وشكل تنظيماته الاجتماعية ،كما يتضمن تغيرا في الاتجاهات والمعتقدات والتي طالما تساهم في تحقيق التغير في النظم الاجتماعية (عبدلي،2014،ص4).

حاولت العديد من التعريفات مقارنة المفهوم وأبعاده سواء على مستوى الجماعات والنظم ،أو الأفعال والسلوكيات وأنماط التفاعل داخل النظام الاجتماعي ، غير أن هذا الحقل لازال منفتحا للبحث والتجديد خاصة وتداخل الحدود الفاصلة بين مفهوم التغير الاجتماعي وبعض المفاهيم المقاربة له مثل (ا لتقدم-النمو-التنمية-التطور- التغير الثقافي -التحديث) .

* الحتمية Déterminisme :

أطلق مسمى الحتمية déterminisme منذ القرن التاسع عشر على كل النظريات التي تحولت إلى علوم مستقلة، وما الشعور بالحتمي إلا الشعور بالشيء أو النظام الأساسي كما يقال ، فثمة في الواقع حتمية رياضية وأخرى فيزيائية للكون والعديد من التوجهات التفسيرية التي تبنت هذا المفهوم ، ويقصد بالحتمية "اعتبار متغير واحد على انه المحرك الأساس والمتغير الرئيس في تفسير أو فهم أي ظاهرة ".(بوعلي، 2014، ص89)

بينما يعرفها عزام ابو الحمام بأنها " فلسفة تفترض أن لكل حدث في الكون بما في ذلك المجتمع الإنساني وإدراك الإنسان وتصرفاته خاضعة لقانون منطقي سببي ينطلق من سبب أصيل أو فائض يفضي حسب تعبير الفارابي بدوره إلى أنماط معينة من الظواهر". (أبو الحمام، 2015)

وقدمت أيضا بوصفها مذهبا يرى أن كل ما يحدث في الكون على الإطلاق يخضع لقانون سببي ، فلكل حادث تفسير سببي يشرحه و أسباب ضرورية وكافية تفسر حدوثه، وهذا ما دعا بعض المفكرين إلى القول أن الحتمية بمعناها البسيط ليست غير " الارتباط العلي " فالعلية (السببية) هي التعبير الظاهري للحتمية.

إن الحتمية ببساطة هي نموذج تفسيري يقوم على تصور مفاده أن ظاهرة ما تحدث نتيجة تأثير متغير وحيد ، وتتضمن مبدأ العلية أو السببية وتضيف فكرة الضرورة و اللزوم ، وتعددت نظريات الحتمية بتعدد تطبيقاتها والاعتبارات التي دفعت إليها، لكن العنصر المشترك بينها جميعا هو اتفاقها على خضوع الحوادث لقانون سببي ، فاصحاب الحتمية الأخلاقية مثلا يقولون أن الإنسان يسعى إلى اختيار الأفضل لأنه مفطور على الخير ولا يفعل الشر الا جهلا على غرار سقراط وديكارت، وحتى الحتمية التاريخية التي ترى أن للأمم والحضارات دورات حياة تشبه دورة حياة الكائنات الحية أمثال هيغل وابن خلدون... (الموسوعة العربية، المجلد 8، ص40)

*التكنولوجيا:

ارتبط تعريف التقنية "التكنولوجيا " تاريخيا باشتقاقها اللغوي، فكانت بذلك (علم الفنون الصناعية)واختلفت المداخل الإجرائية في تعريفها باختلاف التخصصات المعرفية التي تناولتها بالبحث والدراسة ، إذ يعتبر المفهوم من أكثر المفاهيم شيوعا في المرحلة الراهنة وأكبرها اتساعا وغموضا في آن واحد .

فنعرف بأنها " العملية الاجتماعية الهادفة إلى استخدام المعرفة العلمية في تطوير الإنتاج " (السيد، 2004، ص5)، وتعرف أيضا " بأنها التقنية التي يستخدمها الناس في وقت معين من اجل التكيف مع الوسط البيوفيزيقي " (الآخرص، 187)

ويقدمها علي العيش على النحو التالي " أن العلم أساس المعرفة، والتكنولوجيا هي تطبيق للمعرفة، وأن العلم هو محرك التكنولوجيا، والتكنولوجيا هي محرك التنمية والتطور الاجتماعي ". (عزت ، 2013، ص 448)

ومنهم من يختصرها في عبارة " التكنولوجيا هي فن معرفة الوسيلة " أي أنها مجموعة المعارف والخبرات المتراكمة والمتاحة والأدوات والوسائل المادية والتنظيمية والإدارية والاجتماعية باعتماد المفهوم بشقيه (المادي والفكري)، حيث يشمل الشق المادي جميع المعدات والآلات والوسائل التقنية، ويشمل الجانب الفكري القواعد والأسس المعرفية التي يستخدمها المجتمع بهدف إشباع حاجاته المختلفة وتحسين ظروف بيئته.

إن الاختراعات التكنولوجية عامل متغير مع الزمن ، تنمو وتتطور كماً ونوعاً من الصور البسيطة إلى الصور المركبة بالموازاة مع التطور الذي تعرفه الحضارة الإنسانية (من الفأس والمحراث إلى الذكاء الاصطناعي في الروبوتات الآلية)، حيث يقول الانثروبولوجي الأمريكي ليزلي وايت أنه يمكن ملاحظة تطور الإنسان في استخدامه للطاقة منذ العصور الحجرية ، حيث استخدم أولاً الأدوات ثم النار ثم الآلات البخارية ثم الطاقة النووية ، فتاريخ التطور التكنولوجي ينظر إليه على أنه انعكاس لمراحل تطور وتقدم الحياة البشرية ، وكل تطور تقني مهما كانت ملامحه يستلزم نوعاً من التكيف والتغير وكل مرحلة تعتمد على اكتشافات واختراعات المرحلة السابقة في إطار تغير مستمر على الدوام.(السيد ، 2004، ص5).

وترتبط التكنولوجيا بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً فهي انعكاس لثقافته المادية والفكرية ، ولا يهتم علم الاجتماع بها اهتماماً مجرداً وإنما تنطوي معظم الدراسات التي اهتمت بالتقنية أو التكنولوجية من هذا المنظور إلى محورين رئيسيين : الأول يتناول الوسائل التي تؤثر بها الشروط الاجتماعية في التقنية ، ويتم التركيز في هذا المجال على فكرة التغير التقني . ويتمحور الثاني حول علاقة التكنولوجيا بالمجتمع ، ويعالج الآثار الاجتماعية الناجمة عن استخدامها ، ويهتم بالتكنولوجيا بشكل أعمق كعاني وأبعاد وانعكاسات تؤدي أثرها ودورها في إحداث التغير الاجتماعي عندما تتراكم في مجال الثقافة المادية نتيجة عامل الاختراع والاكتشاف ، الاستخدام والانتشار ، بحيث تعمل الجوانب المادية على دفع عجلة الجوانب اللامادية للمجتمع والتي يعبر عنها عادة بالثقافة والقيم نحو التغير.

2. الاتجاهات الفكرية والنظرية المفسرة للتغير الاجتماعي:

تعني النظرية في المعاجم العربية - قضية تثبت بالبرهان - أو طائفة من الآراء التي تفسر الوقائع العلمية أو الظنية ، وتؤطر البحث في المشكلات القائمة على العلاقة بين الفرد والموضوع أو السبب والمسبب، وطبيعة العلاقة القائمة بين المتغيرات الخاصة

بتلك الظاهرة، فالنظرية الاجتماعية تقليدياً كما يقول جون ماكليود "إما أنها تشرح الاستمرارية أو أنها تشرح التغير". (ماكليود، توفيق وآخرون، 2014، ص30)

والحديث عن التغير الاجتماعي في الفكر السوسيولوجي واتجاهاته يحيلنا إلى إسهامات العديد من الرواد الذين اعتبروه أهم موضوعات علم الاجتماع الحديث ، وإن كان مصطلح التغير الاجتماعي بوصفه دراسة علمية على الحالة التي هو عليها الآن يعتبر من المصطلحات الحديثة نسبياً ، فقد استخدم أول مرة وبصورة عرضية في كتابات " آدم سميث " في كتابه " ثروة الأمم " في القرن 18 ولم يتداول إلا بعد أن وضع وليم أوجبرن كتابه المعروف " التغير الاجتماعي " عام 1922 (زامل، 2010، ص 257).

تعتبر نظريات التغير الاجتماعي من أصعب جوانب دراسة التغير الاجتماعي، وتختلف عن بعضها البعض من حيث المفاهيم المستخدمة والتوجه الفكري لمنظرها، لكنها تتفق جميعاً في محاولتها فهم وتفسير ميكانيزمات حدوثه، ويمكن تقسيم النظريات السوسيولوجية التي قاربت مفهوم التغير الاجتماعي إلى اتجاهين محوريين:

يفسر الاتجاه الأول التغير في ضوء العوامل الداخلية النابعة من المجتمع في حد ذاته والتي يمكن ان يعزى لها هامش من المسؤولية في حدوثه، بينما يؤكد الاتجاه الثاني على العوامل الخارجية ، وهو الشكل الغالب في التفكير الاجتماعي حول التغير إذ تنطوي تحته العديد من النظريات المعروفة على غرار نظرية الفعل الاجتماعي ، نظرية الدوافع الشخصية ، نظرية الدور الاجتماعي ، نظرية التبادل ، ، نظرية التحديث ، ، نظرية العبقرية والنظريات الحتمية التي تنطوي تحتها أطروحات النظرية محل الدراسة ، وإن لم يكن التغير الاجتماعي كظاهرة هو السبب والدافع الأول وراء بناء ماكلوهان لفروضها .

النظريات الحتمية :

يعنى بالنظريات الحتمية في الكتابات السوسيولوجية الحديثة المذاهب التي تفسر السلوك الإنساني والتغيرات فيه، تفسيراً أولياً بالظروف البيئية والخارجية ، ويشير إلى هذا النمط من التفسير بالحتمية البيئية أو النظريات الاختزالية (أي أنها تختزل العوامل في عامل واحد) إذ يحدث التغير الاجتماعي حسبها نتيجة توفر قوى معينة اجتماعية وطبيعية دون أن يكون للإنسان نفسه دخل في معظم الأحوال.(أسامة بدير ، 2015، ص2).

وتختلف هذه النظريات عن بعضها البعض في طبيعة العامل العلي والحتمي المسبب للتغير، فتنفرد منها الحتمية البيولوجية التي تركز على الاختلافات الوراثية في الذكاء والقدرات، والحتمية الجغرافية التي تفسر التغيرات الاجتماعية بعوامل المناخ والتربة والموقع الجغرافي، والحتمية الاقتصادية بناء على العامل الاقتصادي كمحدد للبناء الاجتماعي، والحتمية التكنولوجية التي ترى أن أصل كل تغير اجتماعي هو استجابة للتغير في الوسائل التكنولوجية، وهو الطرح الثوري الذي تبناه الباحث الكندي مارشال ماكلوهان في رؤيته للعلاقة القائمة بين التطور التقني لوسائل الاتصال وظاهرة التغير الاجتماعي.

3 - الحتمية التكنولوجية لمارشال ماكلوهان

أولاً : ألبرت مارشال ماكلوهان Marchal Macluhan

حياته/

مارشال ماكلوهان ، باحث في التربية والفلسفة ، عالم اجتماع ، أستاذ أدب انجليزي ومن أشهر الرواد المنظرين في الاتصال ، ولد في 21 جويلية 1911 في مدينة أيدمونت بـ " ألبرتا " بكندا ، والدته كانت ممثلة وأبوه تاجر عقارات، كان ينوي دراسة الهندسة لكنه درس الأدب الانجليزي بجامعة مانيتوبا وتحصل على الماجستير سنة 1934، اعتنق الكاثوليكية سنة 1937 وأصبح مستشارا للفاتيكان لاحقا ،أكمل ماكلوهان دراسته بجامعة كامبردج Cambridge بانجلترا تحصل على الدكتوراه منها سنة 1943 في الأدب الانجليزي ، عاد سنة 1944 إلى كندا ودرس بكلية Windsor ومن ثم رحل سنة 1946 إلى (تورينتوا) لتدريس الأدب الانجليزي في معهد سان ميشال أين أصبح عضوا في مدرسة الاتصال المشهورة بها.

امتازت مؤلفات ماكلوهان بطابعها التنبؤي لذا أطلق عليه في الغرب لقب " نبي العصر الالكتروني " ويعد أول من استخدم مصطلح العولمة معنيا حينما صاغ جملته الشهيرة القرية الكونية "global village"، مبشرا بتقلص المجتمع الإنساني الى قرية كونية صغيرة تتشابك بفعل ثورة المعلومات والتطور التكنولوجي الحاصل في وسائل الإعلام والتواصل.

أجريت له سنة 1970 عملية في الدماغ لاستئصال ورم سرطاني وتوفي بعدها في 13 ديسمبر 1980 تاركا إنتاجا علميا ثريا من مئات المقالات المنشورة في المجلات و مجموعة من الكتب المهمة:

- (العروس الميكانيكية) سنة 1951

– (مجرة غوتنبرغ) التي نال عليها جائزة الحاكم سنة 1962

– (لفهم وسائل الاتصال)سنة 1964

– (الوسيلة هي الرسالة) سنة1967

– (الحرب والسلام في القرية العالمية) سنة 1969. (تواتي، 2013، 187).

ثانيا : المنطلقات الفكرية للنظرية

أبدى العلماء والباحثون في مجال الاتصال وعلم الاجتماع وحتى الانثروبولوجيا اهتماما بالغا بكتابات ماكلوهان وأثارت أطروحته نقاشا وانتشارا منقطع النظير ، إذ تم اعتباره من أوائل كتاب الحدائة الذين يرون أن المجتمع أصبح مجتمع معلومات، وأن التطور التقني في قنوات الاتصال من أعظم الثورات التي تعرفها الحضارة الإنسانية.

استند ماكلوهان في بناء نظريته الحتمية على أفكار وأطروحات الفلاسفة الغربيين أمثال آدم سميث وجون ستيوارت ميل و نيتشه ، إذ تركز في جوهرها على القوة الاقتصادية والصناعية التي عرفتها اوروبا في عصر النهضة الصناعية في القرن 18 حينما كان كل تغير اجتماعي يعزى إلى القوة المادية وسطوة الآلة والتقنية.

وكانت له الأسبقية في التوجه نحو الدراسات ثلاثية (التكنولوجيا -الثقافة - الاتصال) في المجتمع المعاصر ، حيث تأثر بالتوجه البحثي لجامعة (تورينتوا) وأعمال كل من هارولد ائيس و اريك فافلوك ، الذين درسا الكيفية التي ساهم بها الأدب الإغريقي في الانتقال بالمجتمع اليوناني من ثقافة شفوية سائدة إلى ثقافة مكتوبة ناشئة ، خاصة أطروحات أئيس في كتابه (الإمبراطورية والاتصال سنة 1950) الذي مكن ماكلوهان من أن يؤسس لنظريته الخاصة بالتغير الاجتماعي وينقلها في مؤلفه (مجرة غوتنبرغ) إلى حالة القرن 20 ، معتقدا بالفكرة القائلة أن تغير أنظمة الاتصال هو الذي يفسر التغير التاريخي للمجتمعات.

ولهذا كان ماكلوهان شديد الإعجاب بعمل المؤرخين أمثال الدكتور وايت white صاحب كتاب (التكنولوجيا والتغير الاجتماعي) الذي ظهر سنة1962 وفيه يذكر المؤلف " أن الاختراعات الثلاثة التي خلقت العصور الوسيطة هي الحلقة التي

يضع فيها راكب الحصان قدمه **stirrup** وحدوة الحصان **Nailed horseshoe** ، والسرج **collar hourse** ، فبواسطة الحلقة التي يضع فيها راكب الحصان قدمه استطاع الجندي ان يلبس درعا يركب به الحصان الحربي وبواسطة الحدوة والأرطة التي تربط الحصان بالعربة **Harness** توافرت وسيلة أكثر فاعلية لحرث الارض، مما جعل النظام الاقطاعي الزراعي يظهر ، وهذا النظام هو الذي دفع التكاليف التي تطلبها درع الجندي.. " وتابع ماكلوهان الفكرة بشكل أكثر عمقا ليعرف أهميتها التكنولوجية خاصة في قوله " إن النسيج الاجتماعي هو الثقافة المتقدمة بخطى التكنولوجيا، وتبنى المجتمعات البشرية ثقافيا بواسطة المادة التكنولوجية ، وتبنى اجتماعيا بفضل التطور الاجتماعي " .(جاسم فليحي الموسوي، ص3)

ثالثا : أهم أطروحات النظرية :

تعتبر نظرية الحتمية التكنولوجية من النظريات المادية التي اهتمت بتأثير تكنولوجيا وسائل الإعلام على شعور وتفكير وسلوك الأفراد وعلى التطور التاريخي للمجتمعات ، فحينما ينظر مارشال ماكلوهان إلى التاريخ يأخذ موقفا نستطيع أن نسميه بالحتمية التكنولوجية **technical déterminisme** ، فبينما كان كارل ماركس يؤمن بالحتمية الاقتصادية وأن النظام الاقتصادي للمجتمع يشكل جانبا أساسيا لفهم ديناميكته، ويؤكد فرويد **Freud** بأن الجنس يلعب دورا أساسيا في حياة الفرد والمجتمع ، كان ماكلوهان يؤمن بأن الاختراعات التكنولوجية المهمة هي التي تؤثر تأثيرا أساسيا في التغيير الاجتماعي.(تواتي ، 2013، ص 179).

ويقترض أن " التحول الأساسي في الاتصال التكنولوجي يجعل التحولات الكبرى تبدأ ، ليس فقط في التنظيم الاجتماعي ، ولكن أيضا في الحساسيات الإنسانية " فالنظام الاجتماعي في رأيه تحدده وسائل الإعلام وبدون فهم الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه تقنياتها لا نستطيع أن نفهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تطرأ على المجتمع.

وأعتبرت أفكاره خارجة عن المألوف وغير متواترة عن ما تم الاعتياد عليه في بحوث وسائل الإعلام وتأثيراتها الاجتماعية ، مناقضة للتيار الذي كان قائما حول تأثير الرسالة الاتصالية حينها (المدرسة الأمريكية) إذ يقول "إن مضمون وسائل الإعلام لا يمكن النظر إليه مستقلا عن تكنولوجيا الوسائل الإعلامية نفسها ، فالكيفية التي تعرض بها المؤسسة الإعلامية الموضوعات، والجمهور الذي توجه له رسالتها، يؤثران على ما تقوله تلك الوسائل ولكن طبيعة وسائل الإعلام التي يتصل بها الإنسان تشكل المجتمعات أكثر مما يشكلها مضمون الاتصال".

ويضيف أن وسائل الإعلام التي يستخدمها المجتمع أو يضطر إلى استخدامها، ستحدد طبيعة المجتمع وكيف يعالج مشاكله وأي وسيلة جديدة هي امتداد للإنسان، فالملابس والمسكن والتقنيات هي امتداد لجهازنا العصبي المركزي، وكاميرا التلفزيون تمد أعيننا والميكروفون يمد آذاننا، والآلات الحاسبة توفر بعض أوجه النشاط التي كانت في الماضي تحدث في عقل الإنسان فقط، فهي مساوية لامتداد الوعي وهو ما اختزله في العبارة الشهيرة " وسائل الإعلام امتداد لحواسنا".

أ - مراحل تطور التواصل الإنساني:

ولأن طبيعة وسائل الإعلام المستخدمة في كل مرحلة ساعدت على تشكيل المجتمعات أكثر من المضمون، يقسم ماكلوهان بالاعتماد على وسائل الاتصال الجماهيرية، تطور التاريخ الإنساني إلى سلسلة من المراحل الثقافية والتقنية (التكنولوجية):

المرحلة الشفوية : تعتمد كلية على الاتصال الشفهي،مرحلة ما قبل التعلم أو المرحلة القبيلية .

مرحلة كتابة النسخ: التي ظهرت في اليونان القديمة واستمرت في عام

عصر الطباعة: من سنة 1500م إلى سنة 1900م تقريبا .

عصر وسائل الإعلام الالكترونية : من سنة 1900 تقريبا على يومنا الحالي.

مشيرا بذلك إلى أن التغير الأساسي في التطور الحضاري منذ أن تعلم الإنسان إن يتصل كان من الاتصال " الشفهي " إلى الاتصال " السطري " ثم إلى الاتصال " الشفهي " مرة أخرى.

1- الاتصال الشفهي: يقول ماكلوهان إن الناس يتكيفون مع الظروف المحيطة عن طريق توازن الحواس الخمس (السمع

/البصر/اللمس/الشم/ والتذوق) مع بعضها البعض ، وكل اختراع جديد يعمل على تغيير التوازن بين الحواس ،فقبل اختراع جوتنبرغ الحروف الكاتبة في القرن 15 كانت الثقافة السمعية هي المسيطرة ولذلك نجد الشعر مثلا من أهم مظاهر التحضر حينها.

2- الاتصال السطري: كانت المجتمعات في مرحلة ما قبل التعليم تحتفظ بالمضمون الثقافي في ذاكرة أجيال متعاقبة ،ولكن بعدها

تغير أسلوب تخزين المعرفة وأصبحت الكتب والحروف والعين مكان الأذن كوسيلة الحس الأساسية، وسمحت بتطوير المدن والهندسة والطرق البريدية والجيش والبيروقراطية وبناء الحضارة، فالصحافة المكتوبة حسب ماكلوهان أكثر الابتكارات التكنولوجية تأثيرا على الإنسان ،فالمطبوع جعله يتخلص من القبيلية .

3- التواصل عن طريق المطبوع: وفر اختراع جوتنبرغ الكتب والقراءة والنسخ وساعد المطبوع على نشر المصدر الفردي كوسيلة شخصية للتعليم، وأصبحت الكلمة المكتوبة أساس الحصول على المعلومة بدل الكلمة المنطوقة، وهو محور المقارنة واختلاف بين المجتمعات المتعلمة والمجتمعات ما قبل التعلم، لان التطور في نظره لم يبدأ بالثورة الصناعية في أوروبا ولكن بأول صفحة مطبوعة سحبها جوتنبرغ من المطبعة.

4- العودة إلى الاتصال الشفهي : يسمي ماكلوهان المرحلة التي نعيشها حاليا عصر الدوائر الالكترونية وتمثل خاصة في التلفزيون ، الكومبيوتر، وغيرها من الابتكارات الحديثة التي تشكل ملامح الحضارة في القرن العشرين ،حيث أحدثت وسائل الإعلام الالكترونية تغيرا كبيرا في توزيع الادراك الحسي او كما يسميها ماكلوهان نسبة استخدام الحواس (sensory ratios) فامتداد أي حاسة يعدل الطريقة التي نفكر او نعمل بمقتضاها ، وتعديل هذه الأخيرة الطريقة التي ندرك بها العالم وحينما تتغير تلك النسب يتغير الإنسان.(تواتي،182،2013)

ب- الوسيلة هي الرسالة the medium is the message:

يرفض ماكلوهان نقاد وسائل الإعلام الذين يدعون أن وسائل الإعلام كتقنية حيادية وأن الاستخدام وحده من يحدد قيمتها، بل يدعوا إلى التفكير في طبيعة وشكل هذه الوسائل خاصة الجديدة ، فالتأثير العميق للتلفزيون مثلا ليس في المضمون الثقافي أو السياسي بل في الطريقة التي يعدل بمقتضاها الناس الأساليب التي يستخدمون بها حواسهم .

وأن التكنولوجيا الإعلامية أهم وأبقى وأشد فعالية وأعمق تأثيرا من المضمون الفكري والصياغة اللغوية والنوايا الفردية أو الجماعية التي تصدر عنها الرسالة الإعلامية ، والتلفاز مثلا كوسيلة اتصال هو بذاته الرسالة وبغض النظر عن محتوى البرامج التي سوف يعرضها فإن الناس لن يتوقفوا عن مشاهدته ومهما كان نمط المشاهدة والتفاعل الذي يبيده المتلقي .

ويقسم ماكلوهان وسائل الإعلام في اهتمامه بتأثيراتها إلى قسمين ، وسائل ساخنة ووسائل باردة حسب نمط تفاعل الأفراد معها والجهد الذي يتطلبه فعل التلقي والمتابعة .

ج- القرية الكونية global village:

أو (القرية العالمية) كما هو متواتر في الدراسات الأكاديمية ، تعتبر من أهم المفاهيم والعبارات الجوهرية التي طرحها ماكلوهان في نظريته والتي جاءت في كتابه " الحرب والسلم في القرية الكونية "، إذ يرى ماكلوهان أن وسائل الإعلام تحول العالم إلى قرية

صغيرة عالمية ، تتصل في إطارها جميع أنحاء المعمورة ببعضها البعض ، في عالم يتوقف فيه الزمن وتختفي فيه المساحة فيقول "إن العالم في طريقه بفضل ثورة الاتصال إلى أن يصبح قرية كونية صغيرة أو فلنقل قرية إلكترونية بشكل من الأشكال " أي أن العالم اليوم يعيش مرحلة العقل الإلكتروني الموصول بشبكة من الأعصاب الممتدة إلى أجزاء الجسم الكوني، حتى إذا ما نشبت أزمة ما هنا أو حرب هناك جاءت الإشارات لتأثر في تفكير الجميع في هذا العالم وتندبرهم بالخطر المشترك ، أما في وقت السلم تصبح وسائل الإعلام الإلكتروني كتنقية محركا للتغير الاجتماعي.(العيد، 2010).

رابعا : الانتقادات الموجهة للنظرية:

إن القول بان التغيرات الاجتماعية تحدث نتاج تأثيرها بالعامل التكنولوجي وحده ، يعتبر تجاهلا للعوامل الأخرى التي تؤثر في المتغير حيث أن الكثير من التغيرات الاجتماعية تحدث دون تغيرات تكنولوجية.

وفي الإجابة عن السؤال الذي طُرح حول إمكانية اعتبار التغير التكنولوجي حتميا لا مفر منه ؟ أجاب ماكلوهان عن ذلك بقوله أنه "بمعرفة كيف تشكل التكنولوجيا البيئة المحيطة بنا ، نستطيع أن نسيطر عليها وتغلب تماما على نفوذها أو قدرتها الحتمية ، وبفهم عناصر التغير يمكن توجيهه واستثماره للأفضل بدلا من الوقوف في وجهه".

بينما استند البروفيسور برونو لاتور في رده عن الافتراض الرئيسي للنظرية إلى مبدأ الفصل بين الأشياء والناس ، وضرورة التمييز بين أنظمة الكائن الإنساني ووعيه عن الوسائل المادية التي يصنعها محميا بلغت درجة قوتها ، فالحتمية حسبه تتجاهل الإنسان باعتباره العنصر الفاعل في التغير ويستشهد في ذلك بالحركات الاجتماعية والثورات الفكرية التي عرفها التاريخ البشري .

ويؤكد ريتشارد بلاك بأن عبارة القرية الكونية التي قدمها ماكلوهان أصبحت غير صالحة للتوظيف ذلك أنها لم تعد موجودة ، حيث أن العالم استمر في المزيد من التطور والتسارع إلى حد أدى إلى تحطيم هذه القرية العالمية وتحويلها إلى ذرات وشظايا متناثرة ومنعزلة.(فؤاد بداني، 2014، ص 122)

وفي الأخير يقول محمد الفاتح حمدي "إن نظرية الحتمية التكنولوجية تصنف من أهم النظريات الاتصالية في الوقت الراهن وأن كل الدراسات الغربية وحتى العربية انطلقت من أفكار ماكلوهان دون مراعاة للاختلاف في الانتماء الحضاري،

حيث تمّ تقديس هذه النظرية وعلق باب الاجتهاد والتنظير للظاهرة الاتصالية والإعلامية في المجتمعات العربية والإسلامية" ويدعوا بذلك إلى تبني المقاربة المحلية لنفس النظرية من خلال نظرية الحتمية القيمة للمفكر الجزائري عبد الرحمن عزي كبديل يتلاءم في رأيه مع خصوصية المجتمع العربي والإسلامي. (حمدي، 2017)

خاتمة:

يرى الفيلسوف هيرغلطس " أن فلسفة التغير فلسفة عميقة من الصعب تحديدها في سطور أو مؤلف وذلك لامتدادها الزمني منذ وجود الخليفة ، وأن كل شيء متغير وأن التغير سابق للثبات " وبالتالي ليس هينا قراءة وتبسيط نظرية كاملة في مقال موجز خاصة إذا تعلق الأمر بظاهرة كالتغير الاجتماعي ونظرية كالحتمية التكنولوجية .

فالتطور التقني المتسارع الذي تعرفه العلوم البشرية خاصة في مجال التواصل الإلكتروني جعل من الأطروحات النظرية لمالكوهان " أفكارا معفية من الزمن " إذ تزداد أهمية وإقناعا كلما أثبت الاختراعات التكنولوجية قدرتها الثورية في التأثير على الإدراك المعرفي للإنسان المعاصر .

وتكاد تجمع كثير من الكتابات السوسولوجية الحديثة على ان علماء الاجتماع يفتقدون نظرية شاملة متكاملة في تفسير وفهم التغير الاجتماعي بالرغم من ظهور عدة نظريات لتفسيره ، خاصة نظريات المرحلة الكلاسيكية أو ما تسمى بـ " العاملة " التي تنظر إلى الحقيقة من زاوية واحدة ، هذه النظريات أدت إلى ظهور نظرية عامة فالتغير الاجتماعي تقوم على أن الأفراد والجماعات يستجيبون لعوامل التغير على أساس من الاختيار والانتقاء وليس هناك أي نظرية يعود لها الفضل في تفسير عملية التغير.

قائمة المراجع:

1. -أحمد ، عبدلي ، الصحافة والتغير الاجتماعي، محاضرات السداسي الخامس صحافة ، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الامير عبد القادر ، قسنطينة الجزائر.(2014) .
2. - بأحمد ، عزت السيد ، الثورة التكنولوجية وأثرها على تغير القيم ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد29، العدد3+4، (2013).
3. -جون ، مكليود، بحث التغير الاجتماعي (مقاربات كيفية)، ترجمة: سحر توفيق واخرون، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، (2014)، ص30.
4. -سفيان ، بوعطيط ، القيم الشخصية في ظل التغير الاجتماعي وعلاقتها بالتوافق المهني ، اطروحة دكتوراه في علم النفس العمل والتنظيم، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة قسنطينة ، الجزائر ، (2012).
5. -عزام ، ابو الحمام ، المقاربة القيمة في نظريات اتصال غربية وعربية ، ورقة مقدمة في المؤتمر العلمي الثالث للاعلام القمي ، جامعة مستغانم ، الجزائر ، (2015).
6. -عوض ، السيد ، التطور التكنولوجي والجريمة ، ورقة مقدمة لاجمال المؤتمر السنوي34 لقضايا السكان والتنمية ، المركز الديمغرافي ، القاهرة ، 19-22 ديسمبر (2004).
7. -فادية ، عمر الجولاني ، التغير الاجتماعي، مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، (1993).
8. -لطيفة ، طبال ، التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية ، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد8، جامعة ورقلة ، (2012).
9. -محمد ، صفوح الأخرس ، الأبعاد الاجرائية لاثر التقنية في المجتمع العربي ، المركز العربي للدراسات الأمنية ، الرياض (1990).
10. -نصير ، بوعلي ، مفاهيم نظرية الحتمية القيمة في الاعلام عند عبد الرحمن عزي : مقارنة نقدية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد442 ، مركز دراسات الوحدة العربية (2014)، بيروت ، لبنان .
11. -نور الدين ، تواتي ، مكلوهان مارشال (قراءة في نظرياته بين أمس واليوم) ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد10، (2013)، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر.

12- يوسف ، عدنان زامل، سوسيولوجيا التغيير (قراءة مفاهيمية في ماهية التغيير وإنتاجه الفكري) ،مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، العراق ،(2010) .

13- فؤاد ، بداني ، حتمية ماكلوهان لفهم قيمة عبدالرحمن عزي ،مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ،جامعة الوادي ،العدد4، جانفي (2014) .

14- فلاح ، جابر الغراني، وسائل الاتصال الحديثة ودورها في التغيير الاجتماعي ، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مجلد8، عدد2، جامعة القادسية ،(2009).

15- جعفر ، محمد العيد، نحن والتغيير الاجتماعي، بين مؤثر ومتأثر، مجلة الواحة الفصلية، العدد 60، السنة 16، (2010) ،
www.alwahamag.com/act332.

16- محمد فاتح حمدي ،قراءة تحليلية في نظرية الحتمية التكنولوجية والحتمية القيمة ،مقال منشور بموقعه على الرابط -www.mf-hamdi.net/

17- اسامة ، بدير، كلام في نظريات التغيير الاجتماعي ،مقال منشور على موقع الديوان 2015/12/10
www.aldiwan.org/6578462.html.

18- محمد ،جاسم فاجر الموسوي،تكنولوجية وسائل الاعلام وتأثيرها في المجتمعات (نظرية مارشال ماكلوهان) ، . mass comm.kennana online.net/posts/1422614.

19- الموسوعة العربية ،الحتمية ،الفلسفة /علم الاجتماع والعقائد /المجلد الثامن /ص40. www.arab-ency.com.

د.بن سليم حسين. جامعة الأغواط.

أ. سويسي أحمد. جامعة الأغواط.

ملخص:

عرف المجتمع الجزائري منذ الاستقلال تغيرا كبيرا في كافة مجالاته ، أثر ذلك على البناء والتركيب الأساسية لأفراده ، فكان لزاما على الباحثين والمهتمين بفكرة التغير الاجتماعي ان يسعوا إلى إيجاد السبل والآليات التي يمكن من خلالها تحقيق التوازن والاستقرار الاجتماعي والذي من خلاله يتم الوصول إلى اسمي الأهداف المطلوبة، وفي دراستنا هذه سنسلط الضوء على اثر شبكات التواصل الاجتماعي على المجتمع بصفة عامة، والتنويه لمفهوم التغيير الاجتماعي بالنسبة للشباب بصفتهم أهم فئة في المجتمع.

مقدمة:

إن التغير الاجتماعي عملية تعتمد في داخلها على تفاعل جملة من العوامل مثل العامل التكنولوجي والصناعي والاقتصادي والديني، ولا يمكن تغليب عامل على آخر، حتى وان كان يذهب بعض العلماء إلى ان التطور التكنولوجي هو الأساس لكل التغيرات في العلاقات الاجتماعية ، كما يذهب آخرون إلى أن التنافر بين الطبقة التي تمتلك أدوات الإنتاج والطبقة التي لا تمتلك هو الأهم، أي مبدأ الصراع من المنظور الماركسي وأيضا وضع البعض العوامل الأيديولوجية أو الدينية على إنها تؤدي للتعديلات الأساسية في الدور والمكانة.

وعلى الرغم من تعدد الوحدات والظروف المختلفة وما أفرزته مظاهر التغير بفعل العولمة الثقافية، فان الأمر يستدعي الوقوف على آثار هذا التغير على مظاهر الحياة بالنسبة للمجتمع الجزائري .

وما نعيشه اليوم من مظاهر التغير الاجتماعي في الجزائر هو ناتج ما أفرزته العولمة من تأثيرات إعلامية عبر وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي التي أصبحت وسيلة الاتصال المؤثرة في الأحداث اليومية بحيث أتاحت الفرصة للجميع شباب ،سياسيين، وباحثين لنقل أفكارهم و مناقشة قضاياهم السياسية والاجتماعية وما يرغبون في نقله متجاوزين في ذلك الحدود الطبيعية إلى فضاءات جديدة لا رقيب لها فلقد أدى التطور المتسارع لوسائل الإعلام والاتصال إلى إحداث ثورة حقيقية وتغيرات جوهرية مست جميع مجالات الحياة .

فكيف أثرت شبكات التواصل الاجتماعي على المجتمع ؟

أولاً : أساسيات حول شبكات التواصل الاجتماعي:

تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي من التكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديث والتي ظهرت بفعل العولمة وسادت مختلف دول العالم لتجعل العالم في اتصال مباشر وتقريب البعيد .

1-تعريف شبكات التواصل الاجتماعي:

تعرف الشبكات لغة: مشتقة الخلط والتداخل، واشتباك الظلام اختلط

أما التواصل فيعرف في اللغة كما أشار الفيومي بقوله: " وصلت الشيء بغيره وصلا فاتصل به، والوصل ضد الهجر، وبينهما تواصل أي اتصال مستمر لا ينقطع"1.

منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح ل مشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، و من ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها أو جمعه مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية2.

منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والميول، أو جمعه مع أصدقائه3.

و تعرف أيضا بأنها : شبكات اجتماعية تفاعلية تتيح التواصل لمستخدميها في أي وقت يشاءون و في أي مكان من العالم، ظهرت على شبكة الانترنت منذ سنوات وتمكنهم أيضا من التواصل المرئي و الصوتي وتبادل الصور و غيرها من الإمكانيات التي توصلت العلاقة الاجتماعية بينهم4.

تقوم الفكرة الرئيسية للشبكات الاجتماعية على جمع بيانات الأعضاء المشتركين في الموقع و يتم نشر هذه البيانات بشكل علني حتى يجتمع الأعضاء ذوي المصالح المشتركة و الذين يبحثون عن ملفات أو صور ...الخ ، أي أنها شبكة مواقع فعالة تعمل على تسهيل الحياة الاجتماعية بين مجموعة من المعارف و الأصدقاء، كما تمكن الأصدقاء القدامى من الاتصال ببعضهم

1 فهد بن علي الطيار، شبكات التواصل وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة "تويتر نموذجا"، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد31، العدد61، الرياض، 2014، ص201.

2 راضي زاهر، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، العدد 15، جامعة عمان، عمان، 2003، ص23.

3 فهد بن علي الطيار، مرجع سابق، ص202.

4 عبد الرزاق محمد الدليمي: الإعلام الجديد و الصحافة الإلكترونية، دار وائل للنشر، ط1، الأردن، 2011، ص 183 .

البعض و بعد طول سنوات تمكنهم أيضا من التواصل المرئي و الصوتي و تبادل الصور وغيرها من الإمكانيات التي توطد العلاقة الاجتماعية بينهم.¹

2-أسباب اللجوء إلى شبكات التواصل الاجتماعي:

هناك الكثير من الأسباب التي تدفع بمختلف الأفراد و خصوصا الشباب منهم للاشتراك في هذه المواقع ما يلي:

1-2-المشاكل الأسرية:

الأسرة هي الحصن المنيع للفرد، و لكن في حالة افتقاد الفرد لهذه البيئة المتكاملة ينتج لديه نوع من الاضطراب الاجتماعي الذي يجعله يبحث عن البديل لتعويض الحرمان الذي قد يظهر مثلا في غياب دور الوالدين أو أحدهما بسبب مشاغل الحياة أو التفكك الأسري.

2-2-الفراغ:

أكثر الأزمت التي تؤدي إلى تفشي الظاهر السلبية في المجتمع هي الفراغ الذي يجعل الفرد لا يحس بقيمته و يبحث عن سبيل يشغل هذا الوقت من بينها مواقع التواصل الاجتماعي حيث أن عدد التطبيقات اللامتناهية الذي تنتجه شبكة الفيسبوك مثلا لمستخدميها ومشاركة كل مجموعة أصدقاء بالصور و الملفات الصوتية يجعل الفيسبوك خاصة و شبكات التواصل الاجتماعي عامة أحد الوسائل ملء الفراغ و بالتالي يصبح كوسيلة للتسلية و تضييع الوقت عند البعض منهم.²

2-3-البطالة:

البطالة الناجمة عن سوء الأحوال الذي يؤدي لدعم الاندماج الاجتماعي و النفسي و منه إلى الإقصاء الاجتماعي الذي هو نتيجة تراكم العوائق و الانقطاع التدريجي للعلاقات الاجتماعية وهي من أهم المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها الفرد و التي تدفعه لخلق حلول للخروج من هذه الوضعية التي يعيشها حتى و إن كانت هذه الحلول افتراضية، فهناك من تجعل منه

¹ ليلي احمد جرار، الفيسبوك و الشباب العربي، مكتبة الفلاح، عان، 2012، ص38.

² مشري مرسى: شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية نظرة في الوظائف، مجلة المستقبل العربي، لبنان، العدد 395، يناير 2012، ص 1.157.

البطالة و استمراريتها شخصيا ناقما على المجتمع الذي يعيش فيه باعتباره لم يوفر له فرصة للعمل و التعبير عن قدراته و ايدولوجياته كربط علاقات مع أشخاص افتراضيين من اجل الاحتيال و النصب.

4-2- الفضول :

تشكل مواقع التواصل الاجتماعي علما افتراضيا مليئا بالأفكار و التقنيات المتجددة التي تستهوي الفرد لتجريبها و استعمالها سواء في حياته العلمية أو العملية أو الشخصية، فمواقع التواصل الاجتماعي تقوم على فكرة الجذب و إذا ما توفرت ثنائية الجذب و الفضول تحقق الأمر.

5-2- التعرف و تكوين الصداقات:

سهلت مواقع التواصل الاجتماعي تكوين الصداقات حيث تجمع هذه الشبكات بين الصداقات الواقعية و الصداقات الافتراضية فهي توفر فرصة لربط علاقات مع أفراد من نفس المجتمع أو من مجتمعات أخرى مختلفة بين الجنسين أو بين أفراد الجنس الواحد.

3- أنواع مواقع التواصل الاجتماعي:

1/تويتر: تويتر يمثل إحدى منصات التواصل الاجتماعي الأخرى، التي كان لها قوة مؤثرة على مستويات عدة خلال الربع الأول من العام. ولقد تجاوز عدد مستخدمي تويتر 200مليون في نهاية 3 مارس للعام ذاته، ليلعب إجمالي عدد التغريدات التي يرسلها هؤلاء أربعة مليارات تغريدة شهريا <1.

فمن مميزات التويتر الأساسية هو خاصية التتبع، أي أن التتبع لمدون معين على الموقع لكي تصل لك تدويناته أولا بأول، وكذلك يمكن للغير أن يتبعوك بمجرد الضغط على زر التتبع follow، و مع الفترة يصبح لك شبكة معارف و منتبعون خاصون بك لهم اهتماماتك نفسها و يجمع بينكم هموم مشتركة.2

1 فهد بن علي الطيار، مرجع سابق، ص 202.

2 حلمي خضر ساري: تأثير الاتصال عبر الانترنت في العلاقات الاجتماعية (دراسة ميدانية في المجتمع القطري) مجلة الجامعة، دمشق، المجلد 24، العدد الأول+ الثاني، 2008، ص 302.

2/ فيس بوك: هو موقع الكتروني للتواصل الاجتماعي، أي أنه يتيح عبره للأشخاص العاديين و الاعتباريين (كالشركات) أن يبرز نفسه وأن يعزز مكانته عبر أدوات الموقع للتواصل مع أشخاص آخرين ضمن نطاق ذلك الموقع أو عبر التواصل مع مواقع تواصل أخرى، وإنشاء روابط تواصل مع الآخرين.1

أن تأثيرات شبكات التواصل الاجتماعي قد تحمل الأثر الإيجابي أو السلبي، وقد تؤثر على القيم؛ لأنها تحمل الاتصال المتبادل بالصوت والصورة أو كليهما بين أفراد لهم نفس الميول والاهتمامات، مع إمكانية التشارك في المواد والمحتوى وتبادل الآراء والأفكار والمقترحات وعلاقة ذلك باكتساب قيم إيجابية أو سلبية من خلال تسجيل الملاحظات والتعليقات حول أي موضوع اجتماعي.2

ونلاحظ اليوم إقبال كبير لكافة فئات المجتمع لاسيما الشباب منهم على شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك، التي أخذت تتوسع بفعل التطور التكنولوجي والاتصال حيث قلصت المسافات بين مختلف شرائح المجتمع.

التواصل الاجتماعي تتيح للشباب فرص التعلم والقيام بمسؤولياتهم الاجتماعية المناطة بهم داخل المجتمع ، وذلك من خلال أدوارهم التي يقومون بها داخل الأسرة والمجتمع ، ولذا كان من الضروري القيام بالبحث عن كيفية تنمية قدرات الشباب وتوجيه استخدامهم لهذه المواقع ، وإكسابهم المهارات اللازمة لإيجاد المسؤولية الاجتماعية لديهم وتمييزها من خلال الأنشطة والبرامج المختلفة التي يمكن أن توفرها هذه المواقع ، ومدى الاستفادة منها في بث روح المسؤولية، وزيادة الخبرات والمهارات، والاعتماد الذاتي والاجتماعي داخل الحياة.3

ثانيا : الشباب والتغير الاجتماعي

1- الشباب: الشباب هو القوة الحقيقية للمجتمع وهي أهم مرحلة من مراحل التطور البشري للإنسان وفيها تعرف بمرحلة العطاء والقوة والحيوية والقدرة على خدمة المجتمع.

¹ محاب نصر : "الفيسبوك" صورة المثقف وسيرته العصرية، وجوه المثقف على الفيسبوك هل تعيد إنتاج صورته أم تصنع أفقا مقابرا؟ جريدة القيس الكوننية اليومية ، العدد 13446 ،

3 نوفمبر 2010، ص 1.10

2 فهد بن علي الطيار، مرجع سابق ، ص 203.

3 حسني عوض، أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية المسؤولية المجتمعية لدى الشباب تجربة مجلس شبليي غرار أتمودجا، جامعة القدس، القدس، (ب.ت)، ص 07.

تعتبر فئة الشباب من بين الفئات الأكثر أهمية داخل المؤسسات المجتمعية على اختلافها، خاصة لما تكون عملية التنشئة الاجتماعية، الثقافية سليمة، فيمكن اعتبارهم وقود الدولة الجزائرية، لأنهم هم مستقبل الأمة وهم من يجزؤون بسواعدهم مكائنها بين الأمم الأخرى، في المقابل إذا فشلت هذه التنشئة الاجتماعية فهي انعكس بالضرورة على هذه الفئة وعلى كيان المجتمع وتماسكه، لأنها تضمن التكوين الصحيح للشخصية، والذات الجزائرية، بزرعها حب الانتماء للوطن والإحساس بهويته الفردية والجماعية، خاصة لما يتم توضيح أهم مقومات التكوين الهويات كالدين، اللغة، التاريخ والثقافة¹.

ويمكن تعريف الشباب لغة، كما جاء في لسان العرب لابن منظور هو الفتاء والحداثة، وشاب الشيء أوله، وتجمع على شباب وشبان وشواب².

أما اصطلاحاً فيمكن تعريفه مايلي:

-تعريف محمد علي محمد: ظاهرة اجتماعية تُشير إلى مرحلة من العمر تعقب مرحلة المراهقة، وتبدو خلالها علامات النضج الاجتماعي والنفسي والبيولوجي واضحة³.

..إن الشباب فئة مهمة من بين فئات المجتمع، وما تتميز به من قوة ونشاط وفعالية، لا يعني أنها تنتهي بانتهاء هذه الفترة؛ بل قد تستمر باستمرار حياة الفرد الذي يكون قد تخطى مرحلة الشباب⁴...، ففيها العطاء والازدهار وقوة المجتمع تقاس بشبابه ومدى مساهمتهم في تطور وطنهم بالحفاظ على قيم وثقافة أجدادهم .

2- الشباب وأزمة الهوية:

أكد " علي حرب "المفكر العربي أن العالم اليوم لم يعُد كما كان عليه بعد النسق الاتصالي الجديد وثورة المعلومات والتكنولوجيات الحديثة، وما أفرزته من مفاهيم جديدة أثرت بشكل أو بآخر على مناحي الحياة الاجتماعية خاصة بالنسبة

1 الحسناء تومي، دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي جامعة محمد خيضر بسكرة - أنموذجاً، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، علم الاجتماع الاتصال، جامعة بسكرة، الجزائر، 2016-2017، ص09.

2 ابن منظور، لسان العرب، المجلد 2، ط6، دار صادر، بيروت، 2008، ص10.

3 محمد علي محمد، الشباب العربي والتغيير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص06.

4 الحسناء تومي، مرجع سابق، ص199..

للشباب، فأصبح إقبالهم على هذه التكنولوجيا الحديثة يتزايد بوتيرة متسارعة دون وعي أو معيار يسمح لهم بالتمييز بين إيجابياتها وسلبياتها؛ فالأزمة هي لحظة تغيير واختلال توازن على مستوى الهوية، وحتى على مستويات أخرى كالسلوك والقيم.

وتمر الهوية عبر سيرورة دائمة يتوسطها بالضرورة مرحلتين متميزتين بالاستمرار والتواصل أو الانقطاع وبتراكم ما له صلة بهويتنا الوطنية، هنا يقع الشباب بين مفترق طرق وتبرز لديه الأزمة بشكل جلي؛ فالانتقال من مرحلة إلى أخرى يجد نفسه بين متناقضات من العيار الثقيل، بين الهوية المحلية الوطنية التي تسعى للحفاظ على كل الموروثات القومية الوطنية وبين كل ما تقدمه التكنولوجيا المتطورة؛ العولمة، والعالم الرقمي¹.

3-التغير الاجتماعي:

هو كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال فترة زمنية محددة وقد يكون هذا التغير إيجابياً أي تقدماً وقد يكون سلبياً أي تخلفاً².

ونتيجة هذا التغير الاجتماعي مرده إلى عدة أسباب وأهمها ظاهرة العولمة التي مست مختلف فئات المجتمع لاسيما الشباب وما نراه اليوم من تقليد للغرب في اللباس والأكل والكلام..فغزت الثقافة الخاصة بالمجتمع ، وطمست هويته.

لقد حمل العصر الحاضر معه الكثير من التغيرات والتطورات وبخاصة التكنولوجيا منها، والتي أثرت على المجتمع على نحو كبير، وأحدثت تغيرات واضحة فيه وفي ثقافته، ويمكن القول أنه لا يوجد مجتمع أو ثقافة بدون تغيير؛ فالتغير سمة طبيعية تخضع لها جميع مظاهر الوجود، وبعض هذا التغيير يكون نتيجة عوامل من داخل المجتمع ذاته، كحدوث ثورات اجتماعية أو سياسية، عملية التغير الاجتماعي والثقافي تحدث نتيجة عوامل داخلية وأخرى خارجية من شأنها أن تؤدي لإحداث تغيرات

1 نفس المرجع، ص 221، 222.

2 محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 1987، ص 19.

على مستوى العلاقات بين الأفراد وحتى بين المجتمعات، خاصة لما تكون إحدى أدوات التغيير هي التكنولوجيا الحديثة التي أحدثت شرخاً كبيراً في مس مختلف مناحي الحياة اليومية¹.

الثقافة المصنعة سوف تؤدي إلى انتشار ثقافة الاستهلاك، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الفشل في إحداث تنمية اجتماعية متواصلة لبعض الشعوب؛ حيث تصبح متحيزة لصانعي هذه الثقافة التي ترمي لتحقيق التقدم لهم؛ بينما تتعثر الشعوب الأخرى غير القادرة على المنافسة في ظل تزايد تكنولوجيا الاتصالات واتساع الأسواق التي تتحكم فيها قوى فاعلة هي شركات ومؤسسات متعددة الجنسيات؛ بحيث تحاول القفز على حدود وثروات الشعوب والدول من الداخل والخارج².

خاتمة:

من خلال ما تم تناوله يمكن القول ان العصر الذي نعيشه اليوم عصر يتميز بسرعة التغيير في كافة المجالات فالعالم أضحي قرية صغيرة في ظل تحديات العصر، و التغيير ان مس المجتمع يهدف التطور إلى الأحسن فذلك كلام لا غبار عليه فهوأكبة التطورات والالتحاق بالركب أمر مهم ، وهدف كل دول سائرة نحو التطور، ولكن ان يكون هذا بشروط وضوابط ومنها عدم المساس بثقافة المجتمع وهويته، فكثيرا ما نرى شباب ينجرون وراء ثقافة استهلاكية بحجة التطور ، والانخلاع من التخلف والبدائية ، لكن ذلك أمر لم يعد يهم شباب اليوم وان كان اغلبهم يعي مخاطر هذا التقليد الناجم عن هذا التغيير السلبي ، والغوص في ثقافة بعيدة كل البعد عن أفكار وعادات وقيم المجتمع الأصيل الذي بنى أفكاره على تعاليم الدين الحنيف.

1 خنساء توي، مرجع سابق، ص79.

2 نفس المرجع، ص82.

قائمة المراجع:

- 1- -أبن منظور، لسان العرب، المجلد2، ط6، دار صادر، بيروت، 2008.
- 2- -الحنساء تومي، دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي جامعة محمد خيضر بسكرة - أنموذجا-، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، علم الاجتماع الاتصال، جامعة بسكرة، الجزائر، 2016-2017.
- 3- -حسني عوض، أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية المسؤولية المجتمعية لدى الشباب تجربة مجلس شبابي أنموذجا، جامعة القدس، القدس، (ب.ت).
- 4- -حلمي خضر ساري، تأثير الاتصال عبر الانترنت في العلاقات الاجتماعية (دراسة ميدانية في المجتمع القطري) مجلة الجامعة، دمشق، المجلد 24، العدد الأول+ الثاني، 2008.
- 5- -راضي زاهر، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، العدد 15، جامعة عمان، عمان، 2003.
- 6- -فهد بن علي الطيار، شبكات التواصل وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة "تويتر نموذجاً"، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد31، العدد61، الرياض، 2014.
- 7- -ليلي احمد جرار، الفيسبوك والشباب العربي، مكتبة الفلاح، عمان، 2012.
- 8- -مهاب نصر، "الفيسبوك" صورة المثقف وسيرته العصرية، وجوه المثقف على الفيسبوك هل تعيد إنتاج صورته أم تصنع أفقا مقابرا؟ جريدة القيس الكويتية اليومية، العدد 13446، 3 نوفمبر 2010.
- 9- -محمد علي محمد، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
- 10- -محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 1987.
- 11- -مشري مرسي، شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية نظرة في الوظائف، مجلة المستقبل العربي، لبنان، العدد 395، يناير 2012.
- 12- -عبد الرزاق محمد الدليبي: الإعلام الجديد والصحافة الالكترونية، دار وائل للنشر، ط1، الأردن، 2011.

أ.أمال باشي. جامعة ورقلة.

أ.باية لعجال. جامعة الجزائر 2.

ملخص:

يعد التغير الاجتماعي من المفاهيم التي احتلت مكانة مهمة في النظرية السوسولوجية، و ذلك لما له من أثر على مختلف بنيات المجتمعات، بغض النظر عن كونه ظاهرة اجتماعية حتمية تمر بها كل المجتمعات، حيث أنه سمة ملازمة للبشرية جراء التطور و التقدم بحثا عن الاستمرار و البقاء، وقد عرفت المجتمعات العربية و منا المجتمع الجزائري تحولات في مختلف المجالات و لا سيما على مستوى الجانب القيمي إذ برزت عدة مظهرات سوسيوثقافية في المجتمع الجزائري المعاصر على نمط الأسرة، التنشئة الاجتماعية للفرد و كذا مختلف العلاقات الأسرية و طقوس الزواج.

وأدت هذه التحولات إلى الكثير من المشكلات الأخلاقية و التربوية و الاجتماعية التي أصبحت تطفئ على مجتمعتنا ونلمس مدى انتشارها في أروقة القضاء و على صفحات الجرائد و في التلفزيون.

مقدمة:

يعد التغير الاجتماعي من المفاهيم التي احتلت مكانة مهمة في النظرية السوسولوجية، و ذلك لما له من آثار على مختلف بنيات المجتمعات، بغض النظر عن كونه ظاهرة اجتماعية حتمية تمر بها كل المجتمعات، حيث أنه سمة ملازمة للبشرية جراء التطور و التقدم بحثا عن الاستمرار و البقاء، حيث عرفت المجتمعات العربية تحولات في مختلف المجالات و لا سيما على مستوى الجانب القيمي، القيم الاجتماعية، الأخلاقية و الثقافية و التي تمس جميع جوانب الحياة اليومية للأفراد بشكل أو بآخر، و الجزائر واحدة من هذه الدول التي عرفت تحولات متعاقبة في مختلف المجالات (التصنيع، التعليم، الصحة...إلخ).

سنحاول في هذه الورقة التعرف على مختلف القيم الاجتماعية و الثقافية، و مختلف مظهراتها على الحياة اليومية للأفراد في المجتمع الجزائري المعاصر، أيضا سنتعرف على مظاهر التغير الاجتماعي و تأثيرها على منظومة القيم السوسيوثقافية.

التغير الاجتماعي: يعتبر Guy, Rocher التغير الاجتماعي هو ذلك التغير الذي يحدث في البنية و الناتج على الفعل التاريخي لبعض الفاعلين أو الجماعات ضمن سياق جماعي.¹

كما أن Guy, Rocher وضع أربعة خصائص للتغير الاجتماعي و هي كالتالي:

¹ - Guy, Rocher. Le Changement Social. Paris : éd HMM Points, 1972, p24.

أولاً: هو ظاهرة جماعية... يجب أن يمس شروط أو الأنماط الحياتية، أو العالم الأخلاقي أكثر من الأفراد.

ثانياً: يجب أن يكون تغير في البنية، بمعنى أنه يمكننا ملاحظة تغييرات في التنظيم الاجتماعي في مجموعه أو في بعض مكوناته... فهو من الضروري عند حديثنا عن التغير الاجتماعي فإننا مجبرين عن الحديث عن العناصر البنوية أو الثقافية للتنظيم الاجتماعي.

ثالثاً: هو أن التغير في البنية و مجموع التحولات يجب أن يكون في مجال زمني بين نقطة أ و ب.

رابعاً: يمتاز التغير في البنية بالديمومة، بمعنى التحولات الملاحظة لا يجب أن تكون سطحية.¹

ويذهب جنزيرج إلى أن التغير الاجتماعي هو كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الكل والجزء وفي شكل النظام الاجتماعي، ولهذا فإن الأفراد يمارسون أدواراً اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة من الزمن.²

بعض المفاهيم المرتبطة بالتغير الاجتماعي:

أ- الصيرورة الاجتماعية: ينطوي مفهوم التغير على الحيوية الاجتماعية، فالأحداث المفردة أو الأحادية التي تقع في النسق أو في أي وجهة من أوجهه، فإنها تمثل حيوية النسق لأن الحدث الأحادي لا يحصل بمعزل عن النسق و طبيعته و محيطه لأنه مرتبط بكافة عناصر النسق. لذلك يركز علماء الاجتماع على فكرة الصيرورة الاجتماعية ليصفوا و يشرحوا تبعات و آثار التغيرات المترابطة و المتصلة ببعضها البعض.³

ب- التقدم الاجتماعي: يعتبر مفهوم جوهري مرتبط بالتغير، و هو يعني من الناحية السوسولوجية:

- الصيرورة المباشرة ذات الاتجاه المستقيم.

¹ -Ibid, pp 20, 21.1

² - أحمد، الكلاوي. التغير والبناء الاجتماعي القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1968، ص 8
³ -معن، خليل العمر. التغير الاجتماعي. ط1. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004، ص 46.

- يدفع النسق إلى حالة الرفاهية و الرخاء و الحرية و الرضا و العدالة و الكرامة، لكي يصل المجتمع إلى حالة النمذجة المرجوة أو المأمولة أي اقرب إلى صورة اليوتوبيا الاجتماعية (المجتمع الفاضل). و في هذا السياق علماء الاجتماع المحدثين بدأوا باستخدام النسق العضوي في تفسير أحداث و ظواهر المجتمع الذي بلور اتجاهات فكرية أهمها:

التأكيد على النوعيات الحيوية الدينامية للواقع الاجتماعي، مثل إدراك المجتمع من خلال الصورة (الخيال العلمي).

تجنب التعامل مع المجتمع من خلال الجماعة و التنظيم كموضوع أو هدف أي عدم التعامل مع الواقع الاجتماعي كمادة (الصورة الحقلية أو الخيال الحقلية)، بل التعامل مع المجتمع من خلال العلوم الطبيعية.¹

ج-التحديث: يشير مفهوم التحديث إلى أسلوب الحياة الاجتماعية أو التنظيم الاجتماعي الذي ظهر في أوروبا إبان القرن السابع عشر و بات نموذجا يحتذى به، و يمكن تحديد التحديث من خلال السياق التاريخي الذي يشير إلى مكان و زمان محددين أي يوم و تاريخ محدد و مكان معلوم إذ أنه يمدد بواسطة مؤشرات نموذجية يحتذى بها أكثر من كونها صفات عددية، للتحديث أوجه مختلفة و هي كالتالي:

-الفردية: الاهتمام بالفرد و سلوكه الاجتماعي دون المجتمع

-الاختلافات أو التباينات: في مجال العمل أين ظهرت عدة اختصاصات دقيقة و محددة تقوم بعمل جزئي مخصص ذي احتراف دقيق.

-العقلانية: و يشير إلى الحساب و الدراسة و التقييم و عدم الأخذ بعين الاعتبار العلاقات القرابية أو الصداقية، بل العلاقات المهنية في العمل أو الشركة و التنظيم.

-الاقتصادية: و يعني تسلط الحياة الاجتماعية بكافة مناحيها بالمنشط الاقتصادية و الأهداف الاقتصادية و صفات الانجاز الاقتصادي.

¹ نفس المرجع، ص 50، 1.51

-التوسع: أي التوسع في المكان و التعمق بالخصوصية و بالعلاقات القريبة في الحياة اليومية (أوقات الفراغ، و الأنشطة الدينية، و الجنسية و أنماط الاستهلاك).¹

-التنمية الاجتماعية: و هي عملية حضارية شاملة لمختلف أوجه النشاط في المجتمع بما يحقق كرامة الإنسان و رفاهيته، كما أنها تنشيط الاقتصاد القومي و تحويله من حالة الركود إلى مرحلة الحركة و الديناميكية عن طريق مقدره الاقتصاد القومي لتحقيق زيادة سنوية ملموسة في إجمالي الناتج القومي مع تغيير في هياكل الإنتاج و وسائله.²

-التغير الثقافي: إن الحديث عن التغير يسمح لنا بالتمييز بين التغير الاجتماعي و الثقافي، فالتغير الاجتماعي يشير إلى تبدل في أنماط التنظيمات الاجتماعية لمجموعات معينة تعيش ضمن مجتمع معين، بينما يشير التغير الثقافي إلى صفات جديدة و مركبة تمثل الجوهر الثقافي، حيث أن الثقافة تشبه أنماط التنظيمات الاجتماعية تتغير بشكل تلقائي إذ يتم اكتساب صفات جديدة و يحدث تحويل و تطوير للصفات الثقافية القديمة، و يمكن القول بأن أكثر أوجه الثقافة تبدلا و تغيرا بشكل واضح و جلي هو الوجه المادي.³

-الحدائثة و قيمها: يرى محمد أركون أن الحدائثة ليست حدثا تاريخيا معينا أو محددا بدايته، بل هي نتيجة لتاريخ طويل ملئ بالأحداث التي أسهم كل منها بقسط في تشكيلها".⁴

أما **Alain Touraine** ، فيرى بأن " فكرة الحدائثة في شكلها الأكثر طموحا، هي التأكيد على أن الانسان هو ما يفعله، اذن هناك صلة تتوطد أكثر فأكثر بين الإنتاج الذي أصبح أكثر فعالية بفضل العلم و التكنولوجيا و الإدارة من جانب و بين تنظيم المجتمع الذي ينظمه القانون و الحياة الشخصية و تنعشه المصلحة الخاصة"⁵

يقول **Crook Steven** بأنه لكي نتعرف على المجتمع الذي تميزه الحدائثة فيظهر ذلك جليا من خلال ثلاثة خصائص:

¹ - نفس المرجع، ص ص 61، 62.

² - نفس المرجع، ص 68.

³ - نفس المرجع، ص 70.

⁴ - فارج، المسرحي. الحدائثة في فكر محمد أركون مقارنة أولية. الجزائر: الدار العربية و دار الاختلاف، 2007، ص 19.

⁵ - آلان، توران. هد الحدائثة. ترجمة أنور مغيث، بيروت: المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص 19.

التميز: المجالات الثقافية، السياسية، الاجتماعية و الاقتصادية أصبحت بشكل متسارع متميزة عن بعضها البعض، و بالاعتماد على آراء ماكس فيبر فإن مختلف مظاهر المجتمع يحكم عليها تبعا للإطار الداخلي الذي تتحرك في داخله. فالعلوم يحكم عليها بعبارة الحقيقة و الأخلاق، و القانون تطبق عليه عبارات الخير و العدالة، و الفن تحكمه عبارات الجمال...مع الإشارة إلى أن هناك من حاول تحطيم ذلك الفصل بين الثقافة العليا و الحياة اليومية لكنها لم تتمكن من ذلك.

العقلانية: يرى Crook بأن العقلانية طبعت على الثقافة الحديثة، حيث تظهر هنا التكنولوجيا كغرض تسهيل استنساخ وإعادة خلق الثقافة...تكنولوجيا الطباعة مكنت من إعادة إنتاج الأعمال الفنية فلا حاجة للاعتماد على جهود الفنانين من الأفراد لكي نشاهد نسخة من الصورة، و يؤكد Crook على أن التكنولوجيا تعزز من قوة و منزلة الثقافة العليا(قاعات الموسيقى، السفرات السياحية، ملاحئ السواحل لأيام العطل).

التشيؤ: و هو تحويل المنتجات الثقافية إلى أشياء أو سلع يمكن بيعها و شرائها بسهولة، و يرى Crook بأن تنمية الذوق عنصر أساسي في الثقافة الحديثة"¹.

وما لا شك فيه أن تأثير قيم الحداثة التي جاءت بها العولمة الثقافية بات واضحاً على الأجيال الجديدة من أبناء المجتمع الجزائري، حيث طرأت وسرت مفاهيم جديدة ومفردات غريبة على لغتنا العربية ، طريقة اللبس، و الشكل و مختلف مظاهر الحياة اليومية، وصار الشباب يرددها ويدافع عنها ، بل صار مكن الخطورة يتمثل فيما يمكن أن تتعرض له قيم الانتماء والاعتزاز بالوطن والعروبة والإسلام من تهديد ، وصار من الواجب على مؤسسات التنشئة الاجتماعية أن تتحمل مسؤولياتها لاستعادة التوازن المفقود والدفاع عن هويتنا وثقافتنا .

من مميزات "التغير الاجتماعي حسب Guy Rocher الانتشار و يصيب البناء الاجتماعي، و يمكن ملاحظ التغير على مستوى النظام القيمي، الاجتماعي و كذا مراكز الأشخاص"² و الذي قد يحدث فجوة ثقافية في تبني أساليب حديثة و متطورة وهو ما أدى إلى ارتباك ثقافي وظهرت لدينا صور جديدة من السلوك داخل المجتمعات حيث أن العولمة بتحدياتها قد أثرت على مرتكزات الهوية الثقافية للشباب المتمثلة في الدين، واللغة، و القيم الثقافية، كما يمكن القول أن الشباب الجزائري بات

1- هارلبس و هولبورن . سوسيولوجيا الثقافة و الهوية. ط1. ترجمة حاتم حميد محسن، دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر و التوزيع، 2010، ص ص81-183.

² - Guy, Rocher. Le Changement social. Op.cit, p20. 1

يعيش في حالة من من الانبهار بالثقافة الغربية وأسلوب الحياة الغربية، وهذه التبعية الفكرية والانبهار الحضاري دائماً يحدث في الشعوب المتأخرة ثقافياً وعلمياً واقتصادياً ... والتي تؤدي بدورها إلى انصهار الهوية الثقافية وأن يصبح التقليد سيد الموقف خصوصاً لدى فئة الشباب.

التغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة:

انطلاقاً من خصوصية المجتمع الجزائري الذي مر منذ منتصف القرن الماضي بمراحل مختلفة، ميزتها وقائع وأحداث غيرت بنية وثقافة المجتمع، ابتداءً من حرب التحرير إلى الاستقلال مروراً إلى المشروع التنموي والبناء الوطني، وأحداث أكتوبر وما تبعه من انفتاح عن العالم من الناحية السياسية والاقتصادية وكذا الأزمات السياسية وانتشار العنف السياسي، كلها وقائع غيرت وجه الجزائر. فكل عشرية ومنذ الحرب العالمية الثانية ميزها حدث محمول كانت له تداعيات كبيرة وعميقة على تاريخ الجزائر الحديث.

ولم يكن للوقائع والأحداث التي ميزت كل حقبة من الحقب نفس الزخم والوتيرة والتأثير، فبعضها تم بطريقة سلمية وسلسلة، وبعضها الآخر عرف مخاضاً عسيراً مثل حرب التحرير وأحداث العشرية السوداء. كما كانت حقبة نهاية نهاية التسعينات محل تحولات وتغيرات اجتماعية وثقافية مؤثرة على التركيبة الاجتماعية من جل النواحي منها السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الدينية والثقافية. ويظل هذا التغير مؤشراً لظهور تضارب و صراع القيم.

وتقف الجزائر في مصف الدول التي تأثرت بالتغير الاجتماعي الحاصل في العالم، حيث أصبح هناك تصادم بين الأجيال و الثقافات في المجتمع نفسه من خلال القيم التي تشربها المجتمع في الماضي و التي تعتبر من مرتكزاته، و قيم الحاضر التي تستمد قوتها من التفاعل و التواصل بالعالم عبر مختلف وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة المتاحة، هذا كله في خضم الثورة الإقليمية و الرقمية و تكنولوجيا الاتصال الحديثة، حيث وجدت الجزائر نفسها أمام محك للحاق بركب الحضارة و العولمة ما جعلها منفتحة بشكل واضح على العالم، حيث يؤكد عبد الرزاق الدواي " إضافة إلى الهيمنة الثقافية و التمييط الثقافي ، فإن زمن العولمة تطبعه سمة أخرى، تتمثل في ازدهار غير مسبوق للخطاب عن الحرية و الديمقراطية و حقوق الإنسان... كما أن في زمن العولمة الثقافية، و في ظل الأوضاع و العلاقات الثقافية المتوترة و غير المتكافئة التي يخلقها في أجواء العالم اليوم، كيف

يتسنى التوفيق بين جموح الثقافة الغربية المهيمنة لغزو الفضاءات الثقافية لجميع الدول، و احترام مبدأ التنوع الثقافي الذي يقضي باحترام الحقوق الثقافية للشعوب و مراعاتها".¹

وعليه فإن نظام العولمة و الانفتاح الثقافي العالمي أثر بشكل واضح على البناء الاجتماعي الثقافي للمجتمع الجزائري، و حتى على نسق العلاقات.

تأثير التغير الاجتماعي على منظومة القيم الاجتماعية:

إن التغير الاجتماعي و ما ينتج عنه من تنوع ثقافي في مختلف مجالات الحياة بات يشكل تهديدا على الخصوصية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، و يظهر ذلك جليا من خلال الإفرازات التي نلاحظها في المجتمع الحديث، كما أن هناك نتائج ايجابية للتغير الاجتماعي فإن له نتائج سلبية أدت إلى اختلال اجتماعي، تتجلى مظاهرها في أشكال مختلفة نذكر منها:

نمط الأسرة:

الأسرة كنظام اجتماعي تغير نمطها بتغير الزمن و بدأت تفقد انسجامها مقوماتها حيث كانت في السابق الأسرة الممتدة و النظام الأبوي هو النمط السائد في المجتمع الجزائري، ومع التقدم الحضاري وكثرة التخصص و خروج المرأة للعمل أدى إلى ظهور وانتشار الأسرة النواة بكثرة لتصبح هي الصورة النمطية و المحببة للعيش، متخلين بذلك عن قيم و عادات و تقاليد الأسرة الممتدة التي تكون فيها السلطة للجد و الجدة حيث يجدر بنا التذكير هنا، إلى النمط العمراني الحديث و المتمثل في العمارات والذي لا يسمح بتعدد الأسر بل لأسرة واحدة عكس البيوت الأرضية الواسعة التي تتسع لأكثر من أسرة، لتبرز صورة أخرى وهي الأسرة ذات العائل الوحيد في المجتمع الجزائري بسبب انتشار ظاهرة الخلع و الطلاق.

التنشئة الاجتماعية:

في خضم التقدم الحضاري و العولمة بدأت الأسرة الجزائرية تفقد أهم وظيفتها و هي التنشئة الاجتماعية، حيث بات جليا تفكك و تصدع المنظومة الأسرية، فأصبحت تنشئة الأجيال تنشئة مغايرة و مختلفة عن ثقافة مجتمعنا العربي الإسلامي، حيث تقف الأسرة منبهرة أمام ما يكتسبه أبنائها من قيم و سلوكيات دخيلة على مجتمعنا، بمعنى أن التربية الوالدية أصبحت

1-عبد الرزاق، الدواي. في الثقافة و الخطاب عن حرب الثقافات (حرب الهويات الوطنية في زمن العولمة)، ط1، بيروت: المركز العربي للأبحاث و الدراسات السياسية، 2013، ص 1.164، 165

مهددة من قبل مؤسسات تنشئة اجتماعية أخرى. حيث وجد الوالدين أنفسهم فجأة أمام تحديات تجعل من موضوع التربية الوالدية إشكالية يجب التمهيد فيها، و مع شيوع نمط الأسرة النووية، كما أن انتشار التخصص و التمايز الاجتماعي و خروج المرأة للعمل زاد من بروز بعض الآفات الاجتماعية و انتشار الرذيلة في ظل غياب الرقابة الوالدية، كما باتت ثقافة العنف صفة ملازمة للفرد الجزائري، بسبب ضغوط الحياة و بالتالي أصبح الكل يجري و راء لقمة العيش و منهم من يبحث عن الكماليات الحياتية و التقليد الأعمى للأخر متجاهلين بذلك أهم وظيفة لهم و هي تنشئة الأجيال بما يتوافق و ثقافة و معايير المجتمع.

العلاقات الأسرية:

تصدعت العلاقات الأسرية و بات الاتصال جد ضعيفا بين أفرادها لكثرة انشغالهم عن بعضهم البعض و استحواذ تكنولوجيا الاتصال على عقول الأفراد إذ لا يكاد يخلو أي بيت من كمبيوتر و هاتف نقال و أجهزة الكترونية مزودة بالانترنت ، ما جعل أفراد الأسرة الواحدة يعيشون الاغتراب الاجتماعي و ضعف الاتصال بالرغم من تواجدهم تحت سقف واحد، وهذا ما يمكن وصفه بالفردانية، حيث أصبحنا نجد في الأسرة الواحدة عدة ثقافات بسبب الانفتاح على العولمة، ما يؤثر على نسيج العلاقات الاجتماعية الأسرية.

طقوس الزواج:

بدأ يفقد الزواج في الجزائر المعاصرة خصوصيته مقارنة بالماضي، حيث أصبح عبارة عن غلاء مهور و تكاليف باهضة والتباهي بالمكانة الاجتماعية، تقليص و تحديد في عدد المعازيم، أصبحت حفلات الزواج تقام في الفنادق و قاعات الحفلات، مما يضطر المتزوجين للحجز المبكر و إقامة حفلة العرس بستة أشهر و قد تصل إلى السنة، مع تأجيل المراسيم الرسمية للزواج (دخول العروسين) ، كذلك أصبحت أيام حفلة الزواج المتعارف عليها سابقا تختزل في يوم واحد ناهيك عن الاختلاط بين الجنسين، و في الأخير قد تفشل أغلب الزيجات في بداية مشوارها.

على المستوى الأخلاقي:

مع تطور التكنولوجيا و كثرة التقنيات، تهطل الفضائيات، تنوع الثقافات، المؤثرات و توافد الشبهات أصبح الأبناء يعيشون اليوم في مفترق طرق أمام التيار الجارف و تحت تأثير هذه المتغيرات و لا شك أنها تسبب لهم كثيرا من المشكلات التربوية والأخلاقية، منها إلهاء النشء والشباب بما تبثه القنوات الفضائية من مسلسلات جنسية فاضحة تنشر الثقافة الجنسية،

كذلك الانحلال الأخلاقي في العالم الافتراضي الذي سيطر على الأفراد، أثر بشكل كبير على النظام الأخلاقي، التعليمي، الثقافي والعلاقات الاجتماعية ونمط الحياة برمتها، وهذا ما تظهر نتائجه في أروقة القضاء الجزائي من قضايا متعلقة بالفعل المحل بالحياء و الاعتداءات الجنسية سواء بين جنسين مختلفين أو من نفس الجنس، و الدعوة إلى المثلية، ما هدد المنظومة القيمية الأخلاقية بصفة عامة.

خاتمة:

من خلال ما تقدمنا به يتضح لنا جليا أن التغير الاجتماعي يؤدي حتما إلى التغير الثقافي، هذا الأخير أوسع نطاقا من التغيرات في البناء والوظائف والتنظيم الاجتماعي، يعتبر أخطرها حيث أن التغيرات التي تطرأ على منظومة القيم، الأفكار و المعتقدات تؤثر في الحياة الاجتماعية ككل و تؤدي إلى تغير في البناء الكلي للمجتمعات، و هذا ما ذهب إليه كارل ماركس حيث خلص إلى أن البناء التحتي

و الممثل في تطور وسائل الإنتاج و شكل الملكية و الذي يتجلى في التطور التكنولوجي و الذي يؤدي بدوره إلى تطور الحياة الاجتماعية يؤثر في البناء الفوقي و الممثل في نسق القيم الاجتماعية و الثقافية، المعتقدات و الأفكار.

قائمة المراجع:

- (1)-أحمد، النكلاوي. التغير والبناء الاجتماعي القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1968.
- (2)-ألان، توران. نقد الحداثة. ترجمة أنور مغيث، بيروت: المجلس الأعلى للثقافة، 1998.
- (3)-خليل العمر، معن. التغير الاجتماعي. ط1. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع ، 2004.
- (4)-عبد الرزاق، الدواي. في الثقافة و الخطاب عن حرب الثقافات (حرب الهويات الوطنية في زمن العولمة). ط1، بيروت: المركز العربي للأبحاث و الدراسات السياسية، 2013.
- (5)-فراح، المسرحي. الحداثة في فكر محمد أركون مقارنة أولية. الجزائر: الدار العربية و دار الاختلاف، 2007.
- (6)-هارلبس وهولبورن. سوسيولوجيا الثقافة و الهوية. ط1. ترجمة حاتم حميد محسن، دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.
- (7)-Rocher, Guy. Le Changement Social. Paris : éd HMH Points, 1972.

د. جلاب مصباح. جامعة المسيلة.

أ. الحميدي عادل. جامعة قسنطينة.

ملخص:

يعتبر موضوع التربية الجنسية لدى الشباب والمراهقين من المواضيع الحساسة والمؤثرة في سياق علاقاتنا الاجتماعية اليومية، ويعد الإعلام أحد الوسائل والمصادر عموما التي عرفت جدلا واسعا في أوساط المجتمع نظير ما يشكله ويلعبه من دور في تشكيل الاتجاهات وبعث الرسائل المختلفة لدى الفرد في المجتمع، وخاصة الأسر التي تحاول أن تسمو بتربية أبنائها إلى الأفضل، وتعتبر الأنترنت أحد الوسائل المتاحة بشكل يومي ومباشر لدي هاته الفئة، مما يفرض على المؤسسات الإجتماعية فرض رقابة معينة عليها وعلى مضامينها نظرا لما يمكن أن تشطله من تأثير سلبي على الفرد والمجتمع في آن واحد.

مقدمة:

لقد كانت الأسرة إلى وقت ليس ببعيد المصدر الأساسي للتربية وتنشئة الأبناء على القيم الأخلاقية السليمة. لكن بعد الثورة التكنولوجية والمعلوماتية التي بلغت ذروتها بداية الألفية الثالثة، أصبح الفضاء الإعلامي بمختلف أنواعه قوة مؤثرة في تربية الطفل وإكسابه اتجاهات وقيم جديدة تكون غالبا مضادة لقيمه الأصلية. فأصبح مثلا التلفزيون والأنترنت والسما وألعاب الفيديو والهاتف النقال إعلاما مؤثرا في تربية الطفل.

ورغم أن الاعلام والتربية غايتها واحدة هي تعديل السلوك؛ إلا أن التربية تغير السلوك نحو الأفضل، أما الإعلام موجه للجمهور عموما، فقد يكون سلبيا بالنسبة للجمهور آخر، فالبرامج التلفزيونية مثلا توجه للجميع على السواء؛ ولكن لا تستهوي الكثير بحسب محتوى الرسالة الإعلامية وغايتها.

ونظرا لعدم إدراج التربية الإعلامية في المقررات التربوية الجزائرية؛ على عكس بعض دول الخليج كالسعودية والأردن وسوريا وفلسطين... إلا أن آثاره موجودة في سلوك الطفل، ونلمسها يوميا في تصرفاته وتفكيره والتعبير عن آرائه. لذلك شكل الإعلام عموما جدلا واسعا في أوساط المجتمع وخاصة الأسر التي تحاول أن تسمو بتربية أبنائها إلى الأفضل والترفع على ما يوصف حسب بعض المنابر "بالإعلام الهابط" من خلال انتقاء البرامج المتخصصة في وسائل الإعلام على الرغم من قلتها في الجزائر

من أجل تربية سليمة. وسنخصص بالدراسة تحديداً "التربية الجنسية" من خلال تأثيرات برامج الأنترنت والبرامج المحملة عبر الهواتف النقالة وحتى في الألعاب التي يمارسونها على الثقافة الجنسية. وتأثيرها على السلوك الجنسي السوي للطفل، من خلال الاستخدام الذاتي للأنترنت حيث يجد نفسه أمام مواقع مغرية حول مفهوم الجنس والعلاقات الجنسية، وهنا تبدأ التربية الجنسية الأسرية في التلاشي لأن تأثير الأنترنت أقوى، ومنه تظهر خطورة هذه المواقع؛ خاصة على فئة المراهقين. لذلك كانت مشكلة التربية على الإعلام وخاصة السمي البصري؛ من أهم المشكلات التي تطرح؛ كون الإعلام تتحكم فيه قوى كبرى فرضت نفسها على المشاهد بصفة عامة والمشاهد المحافظ تحديداً نظراً لما يتلقاه الطفل من مشاهد مغرية تتعارض مع القيم الصحيحة، ونخص منها قيم التربية الجنسية التي تأثرت ببرامج الإعلام. وسنتناول بالتحديد في هذه الدراسة الإعلام التلفزيوني والآنترنت وتأثيرهما على الأبناء.

إشكالية الدراسة: لا شك أن الجنس يلعب دوراً بالغ الأهمية في حياة الإنسان لما له من أثر في سلوكه وعلى صحته النفسية، ذلك أن النشاط الجنسي يشبع كلا من الحاجات البيولوجية والسيكولوجية (الجسد، النفس) وكثيراً من الحاجات الشخصية الاجتماعية. واحباطه يكون مصدر للصراع والتوتر الشديد، وتختلف الطريقة التي تشبع فيها الحاجات الجنسية ودرجة هذا الإشباع اختلافاً واسعاً باختلاف ظروف الحياة وخبرات تعلم الإنسان(1).

يعتبر موضوع التربية الجنسية لدى الشباب والمراهقين من المواضيع الحساسة والمؤثرة في سياق علاقاتنا الاجتماعية اليومية، فما نشاهده في الحياة اليومية هو وجود ميولات جديدة لبروز اتجاهات سلوكية متميزة في العلاقات الاجتماعية التي صارت تربط بين أفراد المجتمع، وهذا ما يشير من ناحية أخرى إلى تفكك الروابط الاجتماعية والتربوية في المراكز الحضرية الكبرى حيث الكثافة العمرانية والسكانية وشدة الحراك الاجتماعي وانتشار السريع للقيم الثقافية والتربوية الجديدة سواء منها الوافدة أو المحلية، بما يجعل الشباب والمراهقين عرضة للتأثر المباشر بهذه التحولات خاصة إذا علمنا أنها لجمهور المستهدف بالأساس من وراء هذه العمليات التربوية المبرمجة. في خضم كل هذه التحولات نود أن نشير إلى أهمية موقع الأسرة وثقافة المجتمع التربوية بما تحمله من قيم وتعبيرات ورموز وسلوكيات، وتحديد دورها الدينامي العلائقي الذي تلعبه في هذه الصيغ الجديدة من السلوكيات التي تطرح يومياً في إطار العلاقات الاجتماعية وخاصة منها العلاقة بين الجنسين، فالمجتمع صار يعطي هوامش من الحرية لم تكن من قبل بين الفتيان والفتيات، بالإضافة إلى أن وسائل الإعلام حجت دور الأسرة لتأخذ هي مكانها التلقيني والتربوي والقيمي وتلعب دوراً كبيراً يكون في كثير من جوانبه دوراً خطيراً وسلبياً ومؤثراً، خاصة إذا أضفنا إلى ذلك دور المواقع الإلكترونية

التي تبثني هؤلاء الشباب والمراهقين قيما واتجاهات جديدة تؤثر في سلوكياتهم سلبا في كثير من الأحيان (2). وهذا نتيجة تأثير الفضائيات والتكنولوجيات الحديثة منها الأنترنت، التي أنتجت تربية اعلامية جديدة للأبناء مضادة للتربية التقليدية، خاصة العلاقات بين الجنسين. "لذلك فالجدل القائم حول العلاقة بين التربية والإعلام ليس بالجديد، فقد أصبح الإعلام محورا من محاور العملية التعليمية في العديد من الدول (3). من أجل خلق الوعي بين أفراد المجتمع من أجل تحليل وتقويم ونتاج الاتصال الإعلامي المناسب. إلا أن الإعلام لا يسير القوى التي لا تنتجها؛ وإنما تستهلكه فقط. وبذلك "ظهرت الحاجة إلى التربية الإعلامية في بعض الدول لأنها فقدت السيطرة الكاملة على البث المباشر للبرامج التلفزيونية، وفقدت قدرتها على التصدي للبث الإعلامي الخارجي والاكتماسح الثقافي الأجنبي، بعد أن ساعدت شبكة الأنترنت على الغزو الثقافي وتهديد كثير من الثقافات الوطنية" (4). ومن أهم النتائج السلبية للإعلام والأنترنت طريقة الاستخدام، وخاصة الاستخدام السيئ الذي يؤدي إلى سهولة ارتكاب الطفل أو الشاب لأي سلوك منحرف أو غير سوي؛ فضلا عن فقدان الحس الاجتماعي داخل الأسرة بسبب تحطم القيم والمبادئ المثلى من خلال كثرة المشاهدات غير أخلاقية للتلفزيون والأدمان على المواقع الاباحية أو العنف والذي كثيرا ما يدفع الأطفال للإصابة بعدوى الامراض الاجتماعية والنفسية والتي قد تجعل الباب مفتوحا لأنواع السلوك المنحرف المجرم (5).

وهكذا ففي ظل العولمة والانفتاح الاقتصادي وثورة الاتصالات وما أتاحته من سهولة التداول ونقل المعلومات ورغم ما تحمله هذه الظاهرة من بشائر الا انها تعتبر من جانب آخر (سلاح ذو حدين) وهذا ما حاولت الدراسة التأكيد عليه والتطرق اليه، سيما في مجال تأثير الأنترنت على التربية الجنسية للطفل أو الشاب، ما قد يسبب في انحراف هؤلاء الأطفال عن السلوك الاجتماعي السوي والانحراف الجنسي. الذي يعتبر بداية لكل عمل اجرامي مستقبلا. ومنه نطرح التساؤلات التالية:

- التساؤل العام: إلى أي مدى تؤثر الأنترنت في تغيير السلوك الجنسي؟ وهل تؤدي إلى ظهور ممارسات جنسية منحرفة؟

- التساؤلات الجزئية:

1- هل توجد علاقة بين شبكة الأنترنت وتغيير التفكير الجنسي لدى الأبناء؟

2- هل توجد علاقة بين مواقع الأنترنت وظهور ممارسات جنسية غير سوية؟

- فرضيات الدراسة:

1- توجد علاقة بين شبكة الانترنت وتغيير التفكير الجنسي لدى الأبناء بنسبة بدرجة كبيرة.

2- توجد علاقة بين مواقع الانترنت وظهور ممارسات جنسية غير سوية بنسبة بدرجة كبيرة.

- أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على أهم موضوعات الساعة وهو تأثير الأترنت على تربية الأبناء؛ خاصة التربية الجنسية التي تعتبر من الموضوعات الممنوعة التي لم تأخذ كل حقها من الدراسة والتناول، نظرا لطبيعة المجتمع من جهمة والجهل من جهة ثانية وعدم وجود نية حقيقية في فتح مجال للنقاش حول هذه الموضوعات، ولما لا ادراج مادة التربية الجنسية في المقررات الدراسية، مثل معظم دول الخليج العربي؛ وفيها يتم التعرض للجوانب السلبية للانترنت، كما يجب التحذير من المواقع الاباحية وعدم تصفح أي موقع هكذا دون مرافقة والدية، لأن كلمة تربية في النهاية تعني وجود نموذج ومقلد، كما تتجلى أهمية الدراسة أيضا في توجيه الآباء إلى مراقبة أبنائهم داخل وخارج البيت، وتنظيم وقتهم، ومراقبتهم أثناء المشاهدة، وحجب المواقع الفاسدة من الانترنت من خلال جعل هذه الأجهزة للاستعمال الجماعي وليس الفردي وفي مكان ظاهر للعيان.

- أهداف الدراسة: تحقق الدراسة هدفين رئيسيين هما:

- التعرف على مدى تأثير الانترنت كوسيلة إعلامية في إثارة السلوك الجنسي؛ من خلال مشاهدة المواقع الفاسدة أخلاقيا، والتي تعمل على نشر الانحلال الخلقي والتفسخ الاجتماعي.

2- التعرف على أنصفح المواقع الاباحية يؤدي إلى الانحراف الجنسي، من خلال التقليد الذاتي مما يؤدي إلى الشذوذ، أو مع الآخرين مما يؤدي إلى الجنس المنحرف والاعتصاب، وجرائم الجنس كالاختطاف والدعارة وغيرها.

مصطلحات الدراسة:

1- مفهوم التربية الجنسية: "هي عملية تربية تتضمن معارف صحيحة عن الوظيفة البيولوجية للجنس والتناسل واتجاهات صحية نحو نظافة الجسم وسلوك متعقل في ممارسة السلوك الجنسي" (6). تعرف أيضا "بأنها التدابير التربوية التي يمكن أن تعين

الشباب بكيفية ما على التهيؤ لمواجهة مشكلات الحياة وخصوصاً تلك التي تتمركز حول الغريزة الجنسية ثم تعرض بعد ذلك بشكل ما في خبرة كل إنسان عادي" (7).

2- الأنترنت: وتقصدها الشبكة العنكبوتية والمواقع التي تحتويها، والعمل الاعلامي والدعائي الذي تقوم به، وانعكاس ذلك على تربية الأبناء.

3- قيم الأبناء: هي مجموعة القيم والمعتقدات والسلوكيات التي تربي الطفل عليها من الأسرة والمحيط.

4- التربية الأسرية: وهي تنشئة الطفل وفق المعايير والضوابط الاجتماعية السائدة في الأسرة والمجتمع، والتي لا تتعارض مع قيم الجماعة.

- الدراسات السابقة:

1- دراسة شريف درويش ودنيا عمر فرحان (2014): قامت الدراسة بوصف وتحليل المخاطر المتعلقة بالمواقع الاباحية على الشباب في ظل انتشار استخدام الشباب للأنترنت وكثافة المادة الاباحية، وقد هدفت الدراسة إلى رصد مدى تعرض الشباب للمواقع الاباحية وتحديد الأسباب الرئيسية لتعرض الشباب لهذه المواقع. واستخدم الباحثان المنهج الوصفي وأداة الملاحظة واستمارة الاستقصاء على عينة من 50 مفردة من طلاب جامعة القاهرة، سنهم من 16-18 سنة. ومن بين نتائج الدراسة أن 50% من عينة الدراسة يتعرضون للمواقع الاباحية (8).

2- دراسة حمدان عبد الله الصوفي (2004): هدفت الدراسة إلى بيان أخطار استخدام الشباب لشبكة الأنترنت، وتقديم تصور تربوي لمواجهة تلك الأخطار. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي على عينة من الشباب الذين يستخدمون الأنترنت، وكانت النتيجة: أن كثير من الشباب أثرت فيهم أخطار شبكة الأنترنت إلى درجة ادمانهم على المواقع الجنسية والدعائية والاباحية مما يستنزف ويشل فاعليتهم (9).

3- دراسة محمد بن عبد الله علي المنشاوي (2003): هدفت الدراسة إلى تحديد حجم ونمط أكثر جرائم الأنترنت شيوعاً بين مستخدمي الأنترنت في المجتمع السعودي خاصة الجرائم الجنسية والممارسات غير الأخلاقية. باستخدام منهج المسح الاجتماعي واستبانة جمع المعلومات على عينة من 150 ألف مستخدم للأنترنت، توصل الباحث إلى النتائج التالية: إن حجم الجرائم

الجنسية والممارسات غير الأخلاقية هي ارتياد المواقع الجنسية و يرتكبا 3541 مستخدم من مجموع المشاركين في الدراسة، و 1675 طلبوا مواد اباحية و 1791 اشتركوا في القوائم البريدية الجنسية و 235 أنشأوا موقعا جنسيا و 410 أنشأوا بريد جنسي و 283 قاموا بالتشهير بالآخرين (10).

- تعليق: أشارت كل الدراسات المتعلقة بالمواقع الاباحية أنها تؤثر على الشباب جنسيا و اخلاقيا ودينيا، و ركزت على الجرائم الجنسية التي هي نتيجة للانحراف الجنسي لدى فئات الشباب المدمن على الانترنت.

و قد استفدنا نت هذه الدراسات نظريا و منهجيا، سواء في المداخل النظرية التي تعرضت إدمان الأنترنت أو خطر المواقع الاباحية، وكذلك التشابه في العينة و المنهج و التحليل الإحصائي، مما يدعم كثيرا دراستنا.

الجانب النظري:

- تأثير الأنترنت و المواقع الاباحية على تربية الأبناء و الممارسات الجنسية المنحرفة:

1- الأنترنت و المواقع الاباحية:

لقد أفاضت الأنترنت على العالم بفوائدها و ايجابياتها و مكتسباتها، و استطاعت تغيير وجه العالم و التأثير في كل المجالات، بمنتجاتها و أدواتها و وسائلها و قوتها الرهيبة في المزج الهائل بين المحتوى و التواصل البشري.

و في الوقت نفسه أصبح وجود الأنترنت عاملا مؤثرا و داعما و مساندا و منتجا لكل أنواع الانحرافات الإجرامية و السلوكية و الأخلاقية و الفكرية على مستوى الجريمة المنظمة و المخدرات و الإرهاب و الأفكار المدمرة.

في مقدمة هذه الانحرافات تأتي الاباحية التي شهدت انتشارا عالميا هائلا كان لوجود الأنترنت دورا بارزا في تحقيقه.

لقد أصبحت المواد الاباحية كالنار تحت الرماد و لديها القدرة على الوصول لكل فرد منا، بعيدا عن أي رقابة و انتشرت بين الأطفال و حتى المسنين في مجتمعات العالم أجمع مثل المرض الخطير الصامت (11).

و تمثل المواقع السيئة على شبكة الإنترنت على مواقع محددة على الشبكة للمجلات الخلة بالآداب و تقوم بعرض صور فاضحة أو نصوص اباحية و لغات تخاطب سيئة، و على الرغم من أن هذه المواقع لا تمثل نسبة كبيرة مقارنة بالمواقع التي تحتوي على

مختلف أنواع المعارف البشرية إلا ان الاهتمام بخطورة المواقع السيئة اخذ في الازدياد(12). كما تتخذ هذه المواد صورا مختلفة بعضها صريح مثل المجموعات الإخبارية او المجموعات المتخصصة في مثل هذا الموضوع مثل البلاي بوى Play Boy البنت هاوس Pent House وبعضها الآخر يصعب كشف هويته مثل المكتبات السرية المعروفة لتجار المواد الاباحية (الذين وجدوا في هذه التجارة مصدرا كبير وسريع للربح) إلى جانب الخدمات الجنسية الحية من خلال الفيديو الفوري التي تلبى من خلالها النساء كل ما يوجه اليها من أوامر من جانب المشاهدين الذين يدفعون مقابل هذه الخدمة(13).

2- مؤشرات انتشار الإباحية:

- الصفحات الإباحية تمثل بلا منافس أكثر فئات صفحات الأنترنت بحثا وطلبا وتصفحها على مستوى العالم.
- صناعة المواد الإباحية أصبحت من الصناعات الكبرى التي تستثمر فيها مليارات الدولارات.
- تشهد صناعة المواد الإباحية نموا لحظيا متسارعا وبذلك انتشرت ملايين الصفحات الإباحية واقتزنت الممارسة البهيمية للجنس مع الاغتصاب والعنف؛ بل وأبشع جرائم الاعتداء وأكثرها بشاعة وانحطاطا(14).

3- تأثير المواد الإباحية على الفرد والمجتمع:

- الإصابة بالأضرار والاضطرابات النفسية وفقدان احترام الإنسان لذاته واحساسه بالضيق والقلق والدمار النفسي.
- إضاعة الوقت في السعي وراء هذه المواد والتكاليف المادية للاشتراك في المواقع الإباحية وطرق الوصول اليها.
- تضرر العلاقات العائلية للمدمنين، اضافة إلى فقدان الاحترام والعدوانية والعصبية في التعامل مع أفراد العائلة وانهيار وتصدع قيم الحياة الزوجية وأسس استقرارها.
- الانصراف والعزوف عن الزواج.
- ظهور الممارسات غير الأخلاقية في المجتمع.
- انتشار الأمراض الخطيرة المرتبطة بالممارسات الجنسية المنحرفة.

- إغراق شباب وشابات المجتمع في مستنقعات قذرة ومنحطة، وتعطيل جهود التنمية، والتقدم العلمي والحضاري.

- تعتبر المواد الإباحية هي السبب الأول وراء زيادة وتنوع الجرائم الجنسية وجرائم الاغتصاب وجرائم الشذوذ الجنسي وجرائم الاعتداء على الأطفال.

- تؤدي المواد الإباحية إلى الاستهانة بجرائم الزنا والاعتصاب والتقليل من شأنها.

- تؤدي المواد الإباحية إلى تكوين صورة وهمية عن العلاقات الجنسية، حيث تصور للمدمن بأن الجنس هو شيء يمكنك الحصول عليه متى أردت، وفي أي مكان مع أي شخص دون أية عواقب، وإذا لم يتحقق ذلك تحصل العصبية والعدوانية واللجوء إلى الاغتصاب والاعتداء على النساء والأطفال، وارغام الآخرين على الفاحشة (15).

4- مراحل إدمان الإباحية: يمر مدمن الإباحية بالمراحل التالية:

4-1- التعرض: وهي مرحلة المشاهدة والتصفح بدافع الفضول أو الوصول بالخطأ إلى الصفحة الإباحية.

4-2- الاعتماد: وهي الرجوع إلى مشاهدة الإباحية بعد المرة الأولى، وهي ناتجة عن الصراع الداخلي.

4-3- الإدمان: وهي المعاودة المستمرة إلى التصفح والمشاهدة حتى تصبح جزء من حياة الفرد لا يستطيع الانسحاب.

4-4- التصاعد: وهي مرحلة البحث عن الجديد الغريب اباحيا الذي يختلف عن المشاهدات السابقة.

4-5- التجر: وهي المرحلة التي يصبح فيها المدمن فاقد الاحساس تجاه الصور والأفلام الجنسية.

4-6- التصرف جنسيا: وهنا يقفز المدمن قفزة حرجة للبحث عن التطبيق الفعلي مع أشخاص، وعادة ما يكون بطرق

مدمرة مثل الاغتصاب والشذوذ التي تنتهي غالبا بجرائم.

منهجية الدراسة الميدانية:

1- منهج الدراسة: استخدم الباحثان المنهج الوصفي لتحليل الاستجابات التي استقيناها من الميدان لوصف درجة تأثير الأترنتتغيير السلوك الجنسي. ودرجة تأثير المواقع الإباحية في ظهور الممارسات الجنسية المنحرفة. من خلال الوصف الكيفي للمعطيات، ثم إعادة تحليلها كميًا من أجل قياس درجة التأثير وإصدار الأحكام التقييمية.

1- عينة الدراسة: شملت عينة الدراسة على (112) أبا وأمامن فئة المعلمين والأساتذة الجامعيين ذكورا وإناثا، تراوحت أعمارهم بين 35 و55 سنة، كلهم متزوجين ولديهم أبناء؛ واحد على الأقل. تم اختيارهم بطريقة قصدية لمعرفة الباحثان الجودة بالمعلمين ومدارسهم وكذلك أساتذة الجامعة، كون الباحثين أستاذين جامعيين. وفيما يلي خصائص العينة:

الفئة	العدد	ذكور	%	إناث	%	المجموع
معلمين	70	42	60.00%	28	40.00%	100%
اساتذة جامعيين	42	30	71.42%	12	28.58%	100%
المجموع	112	72	64.28%	40	35.72%	100%

2- حدود الدراسة: أجريت الدراسة في شهرينوفمبر/ديسمبر / جانفي/1016/2017، ببعض مدارس ولاية المسيلة وجامعة محمد بوضياف بالمسيلة.

3- أداة جمع البيانات: هي عبارة عن استبيان يتكون من 24 عبارة مقسمة إلى محورين:

- المحور الأول: مساهمة الأترنت في تغيير السلوك الجنسي ويتكون من 12 فقرة.

- المحور الثاني: تأثير المواقع الإباحية في ظهور الممارسات الجنسية المنحرفة ويتكون من 12 فقرة.

يتم الإجابة عنها وفق ثلاثة بدائل هي: بدرجة كبيرة (3)، بدرجة متوسطة (2)، بدرجة ضعيفة (1). وقد حدد الباحثان معيارا لتقييم هذه البدائل هو: من 70% فما فوق: يعني بدرجة كبيرة، من 50% إلى 69.99%: يعني بدرجة متوسطة، من 49.99% فما أقل: يعني بدرجة ضعيفة.

4- صدق وثبات الأداة: وللتأكد من صدق وثبات الأداة اعتمدنا على صدق المحكمين وعددهم ثمانية محكمين (08) الذين أشاروا إلى قبول فقرات الاستبيان بنسبة فاقت 92% مع تعديل بعض الفقرات سواء في الصياغة أو اختصارها حتى تكون دقيقة.

كما اعتمد الباحثان في حساب الثبات على طريقة التطبيق وإعادة التطبيق بفواصل زمني قدره 10 أيام على عينة استطلاعية من 20 أبا (10 معلمين، 10 أساتذة جامعيين) بمدينة المسيلة، في الفترة بين 15 ديسمبر و25 ديسمبر 2016 وباستخدام معامل الارتباط بيرسون كانت النتيجة 92%، وبذلك يكون الصدق الذاتي 0.95.

5- الأساليب الإحصائية: استخدمت الدراسة التكرارات والنسب المئوية ومعامل الارتباط بيرسون.

6- عرض النتائج على ضوء الفرضيات:

- عرض نتائج الفرضية الأولى: - توجد علاقة بين شبكة الأترنت وتغيير التفكير الجنسي لدى الأبناء بنسبة بدرجة كبيرة.

جدول 1: استجابات أفراد العينة على فقرات المحور الأول:

الرقم	العبارات	درجة كبيرة	درجة متوسطة	درجة ضعيفة
1	تؤثر الأفلام العاطفية في تحريك الأحاسيس الشهوانية	102	08	02
2	تقديم العلاقات العاطفية كعلاقات انسانية راقية	88	18	06
3	تسويق الصور المحرمة لإغراء المشاهد	105	07	00
4	نشر المشاهد المخلة بالقيم الأخلاقية	110	02	00
5	مشاهدة مفاتن الفتيات عبر صور الإعلام	95	13	04
6	تشجيع قيم مضادة للمجتمع كالاغتصاب	78	22	12
7	الدعوة إلى مظاهر الهوى الفاسد	81	23	08
8	تسويق الأغاني القذرة المليئة بالإثارة	76	11	25
9	انتشار ثقافة العري في صور الإعلام	84	24	04
10	الدعوة إلى التحرش الجنسي بتبادل اللمسات	69	33	10
11	الترويج لصور مغرية على فراش النوم	65	30	17
12	استخدام صور الفتيات في الأعمال الاشهارية	96	12	04
	المجموع	1049	203	92
	النسبة %	78.05	15.10	6.84

جدول 2: ترتيب درجات استجابات أفراد العينة على فقرات المحور الأول:

الرقم	التقييم	العدد	النسبة	الترتيب
1	بدرجة كبيرة	1049	78.05%	1
2	بدرجة متوسطة	203	15.10%	2
3	بدرجة ضعيفة	92	6.84%	3

الجدول (2) يوضح استجابات عينة الدراسة لتقييم المجال الأول. وقد أظهرت نتائج الجدول أنه جاء في المرتبة الأولى المستجيبون بدرجة كبيرة، وذلك بنسبة بلغت 78.05% من إجمالي استجابات أفراد عينة الدراسة على المجال، بينما جاء في المركز الثاني المستجيبون بدرجة متوسطة على هذا المجال، وذلك بنسبة بلغت 15.10% من إجمالي أفراد عينة الدراسة، بينما جاء في المركز الثالث المستجيبون بدرجة ضعيفة بنسبة بلغت 6.84% من إجمالي أفراد عينة الدراسة. هذا يعني الأنترنيت يؤثر بدرجة كبيرة في تغيير السلوك الجنسي. ومنه تحقق الفرضية الأولى.

- عرض نتائج الفرضية الثانية: - توجد علاقة بين مواقع الانترنت وظهور ممارسات جنسية غير سوية بنسبة بدرجة كبيرة.

جدول 3: استجابات أفراد العينة على فقرات المحور الثاني:

الرقم	العبارات	بدرجة كبيرة	بدرجة متوسطة	بدرجة ضعيفة
13	فقدان القدرة الجنسية	99	08	05
14	انصراف الفرد عن الزواج	97	08	07
15	ظهور الممارسات غير الأخلاقية في المجتمع	102	06	04
16	انتشار الأمراض الخطيرة كالسيدا	110	02	00
17	اغراق الشباب في مستنقعات منحطة	87	15	10
18	انتشار الجرائم الجنسية كالاعتصاب	80	22	10
19	انتشار ظاهرة الشذوذ الجنسي	75	30	07
20	انتشار جرائم الاعتداء الجنسي على الأطفال	88	19	05
21	الاستهانة بجرائم الزنا	72	23	17
22	تكوين صورة سلبية عن العلاقات الجنسية	105	05	02
23	اضاعة الوقت في السعي وراء المواد الاباحية	96	08	08
24	اضاعة تكاليف مادية للاشتراك في هذه المواقع	108	04	00
	المجموع	1119	150	75
	النسبة %	83.25	11.16	5.58

جدول 4: ترتيب درجات استجابات أفراد العينة على فقرات المحور الثاني:

الرقم	التقييم	العدد	النسبة	الترتيب
1	بدرجة كبيرة	1119	83.25%	1
2	بدرجة متوسطة	150	11.16%	2
3	بدرجة ضعيفة	75	5.58%	3

الجدول (4) يوضح استجابات عينة الدراسة لتقييم المجال الثاني. وقد أظهرت نتائج الجدول أنه جاء في المرتبة الأولى المستجيبون بدرجة كبيرة، وذلك بنسبة بلغت 83.25% من إجمالي استجابات أفراد عينة الدراسة على المجال، بينما جاء في المركز الثاني المستجيبون بدرجة متوسطة على هذا المجال، وذلك بنسبة بلغت 11.16% من إجمالي أفراد عينة الدراسة، بينما جاء في المركز الثالث المستجيبون بدرجة ضعيفة بنسبة بلغت 5.58% من إجمالي أفراد عينة الدراسة. هذا يعني أن المواقع الإباحية تؤثر بدرجة كبيرة في ظهور الممارسات الجنسية المنحرفة. ومنه تحقق الفرضية الثانية.

7- مناقشة وتفسير النتائج على ضوء الدراسات السابقة:

دلت نتائج الفروض أن معظم الأطفال أو الشباب المتصفحين للإنترنت من رواد المواقع الاباحية، حيث يقصد الأبناء هذه المواقع بهدف الاشباع الجنسي بمختلف الأنواع، من خلال إما مشاهدة صور ومقاطع اباحية ممنوعة أو أفلام جنسية مطولة أو الاشتراك في مواقع اباحية بالبريد الإلكتروني أو الفيس بوك أو المحادثات مع الفتيات بمختلف الأشكال. مما يؤثر على التربية الجنسية للأبناء خاصة الشباب بحيث تتحطم القيم الأخلاقية الاجتماعية والأسرية، فينحرف الشاب نحو سلوكيات مضادة لنفسه وللمجتمع، بحيث يموت فيه الشعور والاحساس ويصبح ينظر إلى الجنس على أنه مباح ويمكن ممارسه في أي وقت ومع أي كان، لكن لا يجد ذلك واقعياً فينحرف جنسياً من خلال ممارسة العادة السرية ممارسة الجنس مع الأطفال والشذوذ الجنسي، ويصل به الأمر إلى الاعتصاب وربما ارتكاب جرائم القتل، لذلك فتصفح المواقع الاباحية يؤثر بدرجة كبيرة على الانحراف الجنسي لدى الأطفال. وهناك دراسات تؤكد ذلك سواء نظرياً أو ميدانياً منها: دراسة شريف درويش ودنيا عمر فرحان (2014): ومن بين نتائج الدراسة أن 50% من عينة الدراسة يتعرضون للمواقع الاباحية. أي أنهم معرضون للانحراف الجنسي بمختلف مفاهيمه. ودراسة حمدان عبد الله الصوفي (2004): التي توصلت أن كثير من الشباب أثرت فيهم أخطار شبكة الإنترنت إلى درجة ادمانهم على المواقع الجنسية والدعائية والاباحية مما يستنزف ويشل فاعليتهم. ودراسة محمد بن عبد الله علي المنشاوي (2003): التي توصلت إلى النتائج التالية: إن حجم الجرائم الجنسية والممارسات غير الأخلاقية هي ارتياد

المواقع الجنسية ويرتكبها 3541 مستخدم من مجموع المشاركين في الدراسة، و 1675 طلبوا مواد اباحية و1791 اشتركوا في القوائم البريدية الجنسية و235 أنشأوا موقعا جنسيا و410 أنشأوا بريد جنسي و283 قاموا بالتشهير بالآخرين. وعليه يمكن القول أن ادمان الأنترنت يصبح اضطراب أو مرض نفسي التي يتعرض لها الشباب كغيرها من الاضطرابات النفسية والاجتماعية...الخ.

الخلاصة:

نستنتج أن موضوع الإعلام التلفزي والأنترنت ممثلة في المواقع الإباحية في تربية الأبناء جنسيا من الموضوعات الجديرة بالدراسة والتقصي، من أجل التعرف عن قرب على الانعكاسات السلبية للاستخدام المفرط للتلفزيون والأنترنت وما ينجر عن ذلك من حرية لدى الأطفال بعيدا عن رقابة الأسرة، فيرتادون المشاهدات المحرمة والمواقع الخطيرة التي تسقطه في المخطور، فينشأ لدينا شباب منحرفين جنسيا ومرضى نفسيا، يرتكبون الجرائم دون مبالاة ودون شعور بأي ذنب، بسبب تحجر مشاعره من كثرة مشاهدة الاباحية، ولعل جرائم الاختطاف التي انتشرت بكثرة في الجزائر نتيجة لذلك وكذلك اختطاف الفتيات، وهروب بعضهن مع الشباب والاعتداء الجنسي على الأطفال والشذوذ الجنسي، وربما مع المحارم لدليل على ذلك.

قائمة المراجع:

- 1- بطرس حافظ بطرس (2008): المشكلات النفسية والعلاج النفسي، ط3، دار المسيرة، عمان، الأردن، ص115.
- 2- عبده النعمي (2008): التربية الجنسية بين تأثير الأسرة ومقتضيات الخصائص التعليمية في مقرر علم الأحياء، رسالة ماجستير في علم الاجتماع التربوي، جامعة الجزائر، ص1.
- 3- حمدان محمد (2004): العلاقة بين الإعلام والتربية في الوطن العربي، أية إشكاليات؟ أي مستقبل؟ ورقة مقدمة إلى ندوة معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس، 17/15 أفريل.
- 4- أشجان حامد الشديفات خمود أحمد الحضاونة (2012): واقع التربية الإعلامية والعوامل المؤثرة بها في المدارس الخاصة في المملكة الأردنية الهاشمية من وجهة نظر طلابها، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، الأردن، المجلد 1، العدد 6، تموز، ص274.
- 5- أمل كاظم حمد: ادمان الأطفال والمراهقين على الأنترنت وعلاقته بالانحراف، مجلة العلوم النفسية، العدد 19، ص107.
- 6- عبد التواب عبد الإله (1988): التربية الجنسية في التعليم الثانوي بين التنظير والتطبيق، دراسة ميدانية، كلية التربية، كلية أصول التربية، جامعة آسيوط، ص2.
- 7- أكرم ديري (1986): أنماط السلوكية في بعدها التطبيقي، دار المعارف القاهرة، ص18.
- 8- شريف درويش اللبان ودينا عمر فرحان: https://www.google.fr/?gws_rd=ssl#q=2014
- 9- حمدان عبد الله الصوفي 2004، تصور تربوي مقترح لمواجهة أخطار استخدام شبكة الأنترنت لدى فئة الشباب، بحث مقدم إلى المؤتمر التربوي الأول -التربية في فلسطين وتغيرات العصر- نوفمبر ص946-981.
- 10- محمد بن عبد الله بن علي المشاوي 2003: جرائم الأنترنت في المجتمع السعودي، رسالة ماجستير، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الشرطية، تخصص القيادة الأمنية.
- 11- فهد بن عبد الرحمان الشميري (2010): التربية الإعلامية - كيف تتعامل مع الإعلام- مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، السعودية، ص253.

- 12- نجوى عبد السلام : انماط و دوافع استخدام الشباب المصرى لشبكة الانترنت ، دراسة استطلاعية ، بحث منشور(جامعة القاهرة : كلية الإعلام ، الإعلام و قضايا الشباب، المؤتمر العلمى الرابع ، 25-27 مايو 1998) ، ص 88.
- 13- ابراهيم سعيد عبد الكريم : الانترنت و اثاره الاجتماعية على المراهقين ، بحث منشور (جامعة عين شمس : معهد الدراسات العليا للطفولة ، مجلة دراسات الطفولة ، المجلد الثامن ، العدد 28 ، يوليو 2005) ، ص 29.
- 14- فهد بن عبد الرحمان الشميمري (2010): التربية الإعلامية – كيف تتعامل مع الإعلام- مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، السعودية، ص253.
- 15- المرجع نفسه، ص254.

أ. طاهيري نصيرة. جامعة مستغانم.

أ. بختي زهية. جامعة بالجلفة.

ملخص:

إن الإنسان لا يستطيع العيش وحيداً فلا بد أن ينتمي إلى جماعة يستمد منها القوة والأمن والطمأنينة، ويساهم معها في بناء المجتمع وتقدمه وتطوره، وذلك يتحقق من خلال توفر الأمن الإجتماعي، لذلك فإن التغير في المجتمع يرتبط كثيراً بما يمكن أن يتبناه الفرد من قيم مختلفة تساعده على التأقلم والتكيف والمحيط الإجتماعي الذي يعيش فيه. حيث يركز الشباب على مستقبلهم و تصورهم لنسق القيمة الملائم لمستوى التغير المنشود ولعل هذا الفهم المتكامل يمكن الشباب من التوافق مع نتائج التغيرات الثقافية.

مقدمة:

تعد مسألة الأمن أمراً أساسياً في الوجود مصداقاً لقوله تعالى " فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف " صدق الله العظيم والحاجة إلى الأمن حاجة أساسية لاستمرار الحياة وديمومتها وعمران الأرض التي استخلف الله تعالى عليها بني آدم ، وانعدام الأمن يؤدي إلى القلق والخوف ويجول دون الاستقرار والبناء ، ويدعو إلى الهجرة والتشرد ، وتوقف أسباب الرزق مما يقود إلى انهيار المجتمعات ومقومات وجودها . وقد قيل " نعمتان عظيما لا يشعر الانسان بقيمتها إلا إذا فقدهما ؛ وهما الصحة في الأبدان والأمن في الأوطان " .

وقد تعددت مفاهيم الأمن الاجتماعي وأبعاده في ضوء التحولات التي يشهدها العالم مع بروز أخطار جديدة ومتغيرات تركت آثارها على جميع الانساق الحياتية سواء منها ما يتعلق بحياة الفرد أو الجماعة ، وتجاوزت الأطر التقليدية لمفهوم الأمن المتعلقة بحماية الإنسان من التهديدات المباشرة لحياته ويعتبر الأمن قاعدة من القواعد العامة لمقاصد التشريع، إذ أن القواعد العامة الشرعية لا تكون كذلك إلا إذا اندرج تحتها جزئيات كثيرة تضبطها وترتبط هذه الجزئيات بها، فقد أشار لذلك العز بن عبد السلام فقال: "وأما مصالح الدنيا، ومفاسدها؛ فتنقسم إلى مقطوع ومظنون وموهوم، أمثلة ذلك: الجوع والشبع، والري والعطش، والعري والاكنتساء، والسلامة والعطب، والعافية والأسقام والأوجاع، والعز والذل، والأفراح والأحزان، والخوف

والأمن، والفقر والغنى، ولذات المآكل والمشرب، والمناخ والملابس، والمسكن والمراكب، والربح والخسران، وسائر المصائب والنوائب¹.

مفهوم التغير الاجتماعي:

عادة ما يتراوح استعمال مفهوم التغير الاجتماعي بين الاستعمالات التالية: التطور، التقدم، التحول، التغيير، النمو... وعلى الرغم من هذا التداخل الناجم. التداول الشائع، فإن هناك نقطا فاصلة بين التغير الاجتماعي والمفاهيم السابق ذكرها. لذلك، حري بنا، كخطوة منهجية، قبل الحديث عن التغير الاجتماعي، تحديد هذه المفاهيم دون تعميق النقاش حولها. يعد مفهوم التطور من المفاهيم الأكثر إصاقا بالتغير الاجتماعي، غير أنه يتميز بكونه يحصل على المدى الطويل ويفترض مرور المجتمعات الإنسانية بنفس المراحل. إنه حسب المنظور السوسولوجي انتقال الإنسانية من حالة الهمجية إلى الحضارة². بينما يخضع التحول إلى تغير مفاجئ وقد يكون بطيئا؛ أما التغيير فهو تلك العملية التي تحدث نتيجة ثورات وهزات اجتماعية تتغير معها كل بنيات المجتمع؛ وربط السوسولوجيون مفهوم التقدم بازدهار الرأسالية وظهور البورجوازية³ أما النمو فهو، حسب النظريات السوسولوجية والاقتصادية، العمل على تحقيق أهداف عامة تتمثل في تقدم الإنسانية والمجتمع، وتحقيق المجتمع العصري الصناعي⁴ إن التطرق لهذه المفاهيم بهذا الاختزال لا بد وأن يصاحبه حذر إبستيمولوجي واحتياط منهجي أثناء استعمالها نظرا للحمولة الإيديولوجية التي تتميز بها خاصة مفهوما التقدم والنمو. يترتب عن هذا الخلط الحاصل في استعمال هذه المفاهيم وتوظيفها، نتيجة التداخل القائم بينها، نوع من العتامة التي تفرض علينا إزالتها كمدخل منهجي بغية تمييز التغير الاجتماعي عنها والتي تلحق بها خطأ. لذلك، نجد أنفسنا أمام التساؤلات المنهجية التالية والتي تفرض نفسها علينا. ما المقصود بالتغير الاجتماعي؟ كيف قاربه الفكر الاجتماعي؟ وكيف استعمله السوسولوجيون؟ وكيف وظف في الفكر الأنثروبولوجي؟ وما مدى الاختلاف القائم بين النظريات السوسولوجية التي تداولته؟ وبماذا تتميز المقاربة الفردانية في تناولها لمفهوم التغير الاجتماعي عن باقي المقاربات النظرية الأخرى؟

¹ العز بن عبد السلام السلمي، الفوائد في اختصار المقاصد أو القواعد الصغرى، ط1، دمشق، دار الفكر، 1416هـ، تحقيق خالد الطباع، ص141.

² أنصار، ييار، العلوم الاجتماعية المعاصرة، ت: نخلة فريفر، المركز الثقافي العربي، ط: 1، 1992

³ بودون، رمون وفرانسوا بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ت: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986

⁴ جنات، زهير، «الفردانية في سوسولوجيا رمون بودون: العمق النظري والمرتكبات المنهجية»، انظر www.uluminsania.net : 1

تحديد مفهوم التغير الاجتماعي:

يقوم الباحث السوسيولوجي المهتم بالتغير الاجتماعي بسؤال منهجي وإستيمولوجي حول «ما الذي يتغير اجتماعيا؟» هذا السؤال يعد مدخلا لسلسلة أخرى من الأسئلة التي تدفع به (الباحث السوسيولوجي) إلى تحديد المجالات التي يحدث في ظلها التغير الاجتماعي، والعناصر التي يمسها.

إلى جانب تحديد إشكالية مجالات التغير الاجتماعي، لا يجب أن نغفل قضايا أخرى تتقاطع مع سابقاتها كالتساؤل حول المسار الذي يقطعه التغير الاجتماعي، وهل هو تغير مستمر أم منقطع؟ وهل يتعرض للمقاومة؟ وما هو إيقاعه؟ إن هذه التساؤلات الجوهرية ما هي إلا مداخل ضرورية تساعدنا على تحديد مفهوم التغير الاجتماعي، دون أن يعني ذلك تعميق التحليل حولها. لذلك، فالإجابة عنها تقتضي استحضار التعريف الذي قدمه Guy rocher، حيث قال ان: «التغير الاجتماعي هو ذلك التحول القابل للملاحظة الذي يمس كل تشكيل اجتماعي لجماعة ما سواء كان استثنائيا أو مؤقتا، ويعمل على تغيير مسار تاريخ هذه الجماعة»¹. وهكذا، فالتغير الاجتماعي يعبر، حسب روشيه، عن تلك التغيرات البسيطة التي يمكن ملاحظتها والتأكد منها بالتحقق والدراسة observable et vérifiable في الزمان والمكان. إن الحديث عن التغير الاجتماعي يعني الانطلاق من مجتمع معطى بالنسبة لحالة اجتماعية سابقة عليه قصد تحديد سياقات هذا التغير ومجالاته، وبالتالي، فقد لا يعدو أن يكون هذا المعطى هو المجتمع التقليدي عندما يكون مرتبطا بمعالجة ما هو تنموي، إذ يصبح هذا المجتمع مرجعية لقياس درجة ومستوى التغير الاجتماعي كما يقول لازاريف.²

مفهوم التغير القيمي:

الحديث عن التغير يسمح لنا بالتمييز بين التغير الاجتماعي والثقافي على الرغم من صعوبة التمييز أو الفصل بينهما³. نوع من الصراع الذي تتعرض له فئة الشباب وهذا نتيجة حدوث اصطدام بين رغبات الشباب وقيم المجتمع و موروثاته الثقافية مما ينجر عنه تعارض بين الشباب و مجتمعه بسبب التناقض بين المبادئ التي امن بها و ما يراه ممارسا فعليا في الواقع , فيدخل الشباب في خانة المعارضين للقيم الجديدة و دخول فئة اخرى في خانة التقليد و الاتباع و الانسجام بالقيم الدخيلة و قيم الانفتاح فتقبل هذه التغيرات رغم ما يطرأ منها من تأثير في تغير اتجاهاتهم كل ذلك يزيد من حدة الصراع الذي يتعرض له

¹ حلم، عبد الجليل، (النمية والتبعية)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز، فاس، عدد 8، 1986

² حلم، عبد الجليل، التحديث القروي ورأسمة الزراعة المغربية»، سلسلة ندوات ومناظرات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز، فاس، رقم 10، 1988

³ محمد عاطف غيث: التغير الاجتماعي و التخطيط . دار المعرفة الجامعية ، مصر، 1987، ص:11.

الشباب باعتبار الصراع الاجتماعي هو ظاهرة اجتماعية محورية بمقتضاها يمكن تقديم التفسير الموضوعي للواقع الاجتماعي ليس فحسب المجتمع الراهن وانما ايضا لكل المجتمعات الانسانية عبر الاحقاب الزمنية الغابرة . بميلود هذا الصراع انقسام فئة الشباب الى فئتين بين المؤيدين للتغير والمعارضين له حيث ثمة من يرى ان الصراع الاجتماعي صراع ينشأ بين الافراد المتنافسين تتفوق فيه الجماعات المتأسكة على الجماعات التي تفقد تماسكها¹

منظومة القيم و التنشئة الاجتماعية:

ان بعض الافراد لا يهتمون بالتائل مع معايير مجتمعهم بل هناك من لا يتائل معها لعدة أسباب منها طلبا في تحقيق بعض أوجه ذاته او نرجسيتها او لعدم تشبعه بمعايير مجتمعه او تكون تنشئته الاسرية ناقصة او منحرفة او انه لا يعير أهمية لما يتوقعه الآخرون المحيطون به لهذه الأسباب جميعها لا يتم التائل بشكل مستمر ومع كل المعايير عند الناس وهذا يشير الى ان التائل لمعايير جماعته يعطي أهمية بارزة لتوقعات أفراد أسرته وأصدقائه وزملاءه وللمؤسسات الرسمية والنقابية² . ثمة حقيقة مفادها ان تماثل الأفراد لا يحصل بشكل تلقائي او عفوي بل بعد ولادهم يتعلمون من أبويهم إذ يدرّبهم على سلوكيات مرغوب فيها من مجتمعهم ومقبولة منهم لكي يجعلوهم قادرين على التعامل والتعايش مع الآخرين في وسطهم الاجتماعي في نفس الوقت يعلمونهم السلوكيات غير المرغوب فيها من قبل مجتمعهم وعند ممارستها يحصلون على عقاب يأخذ إشكالا متنوعة مثل السخرية او الاستهزاء أو النفور أو القطبية أو غيرها. هذه هي بداية تعلم أسس الضوابط العرفية عند الفرد ومن ثم يندرج في تعلم ضوابط أخرى من أنواع ثانية مثل: الضوابط المدرسية والصداقة والمهنية و المحلية ومن هنا يأتي توقع الافراد لتائل الجميع مع ضوابط مجتمعهم متنافسين ومتأسكين وكل فرد يخرج عنها يعدوه منحرفا يعاقبه على ذلك على شكل النظرة الدونية أو الكلام الجارح او الوصمة السلبية او السخرية منه او النفور منه ومقاطعته. اذا من خلال تنشئتهم على التائل مع معايير المجتمع الضابطة تأتي توقعا لازم نحوها بشكل طبيعي وهذا لا يثير الغرابة في شأنه بل غرابة تتأني من عدم تماثلهم معها لان كل إنسان بعد ولادته يخضع لتربية أسرية تنشئة اجتماعية يتعلم فيها ما هو مسموح وما هو غير محبب وما هو مكروه أي أن الأسرة تعلم أبنائها معايير مجتمعها فإذا كانت جادة في مسؤوليتها نحوهم أمسى أبنائها متماثلين مع معاييرها وضوابطها و إذا كانت متساهلة مسؤوليتها التنشئية أضحى أبنائها ضعفاء في تماثلهم عندئذ تكون درجة تماثل الفرد معتمدة على درجة جدية

¹ عز الدين منصور : مشاكل الشباب المعاصر تحت رعاية الاسلام , دار اقرأ , ليبيا , 1985 , ص 141

² د. من خليل العمر , المرجع السابق ص ص 41-42 -

والتزام الأبوين في رعية أبنائهم والزائما بعد ذلك تأتي تنشئة الأبناء في احترام المعايير و الالتزام من قبل جماعة الأصدقاء في الحي والمدرسة ودور العبادة والمقهى والنادي جميعها تشجع الافراد على الالتزام بالمعايير والتأثر معها¹.

الضبط الاجتماعي كمفهوم:

لغة: لزوم الشيء و حبسه ، ضبط عليه و ضبطه يضبط ضبطا و ضباطه ، وقال الليث : الضبط لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء ، و ضبط الشيء حفظه بالحزم ، والرجل ضابط أي حازم و . رجل ضابط و ضبطي : قوي شديد و في التهذيب : شد البطش و القوة و الجسم² و رجل أضبط : يعمل بيديه جميعا.

اصطلاحا: من الصعوبة تحديد مفهوم الضبط في لغة المجتمع و مراحل التطورية لأن معناه في اللغة الإنجليزية يختلف عنه في اللغات الأوربية الأخرى الفرنسية – الألمانية – الروسية ففي اللغة الإنجليزية تعني النفوذ أو القوة أو التسلط أو السلطة أو المقدره الفذة على تقيض معناها في اللغات الأوربية التي تشير إلى الإشراف و المراقبة و النقيض و المتابعة. أما في الولايات المتحدة الأمريكية التي تستخدم اللغة الإنجليزية فقد اختلف علماء الاجتماع فيها في التعبير عنه إذ ذهب روس و جارلس هرتون كولي إلى استخدام المعني الأوربي غير البريطاني بينما باقي علماء الاجتماع الأمريكيان فقد عنوا به النفوذ و التسلط و القيود و حسب دور كايم : الضبط أي عامل يتدخل في سلوك الفرد يعد عاملا ضابط ، فالضبط لا يتعلق بالفرد ذاته و ليس مفروضا عليه من الخارج ، إنما هو جزء من الموقف العام الذي يتم فيه الفعل و حسب جارلس هرتون كولي رأي بان الضبط الاجتماعي ماهو سوى احد أوجه العلائق المتبادل بين الفرد والمجتمع أي كل منها يضبط الأخرى من اجل حماية وجوده و بقاءه في النسيج الاجتماعي. أما حال المجتمعات المتخلفة فان القيم والتقاليد والمحافظين ورجال الدين ممثلين للضبط أكثر من القانون والشرطة والحكام والقضاة بينما في المجتمعات المتطورة تكنولوجيا فمكأنة القانون ورجاله أجدر بتمثيل الضبط الرسمي ولا مجال في التأثير والضبط لرجال الدين ودعاة التقاليد الاجتماعية³.

¹د. معن خليل العمر، المرجع السابق ص ص 42-143

²د. صلاح الدين مشروخ، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عناية، ص 99.

³د. معن خليل العمر. الضبط الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2006 عمان-الأردن، ص ص 28-29.

الأمن الاجتماعي:

من الباحثين من انتج النظرة التكاملية في تعريفه للأمن الاجتماعي ومنهم مصطفى العوجي، الذي يرى بأن " الأمن الاجتماعي بمفهومه العام يشمل كل النواحي الحياتية التي تهم الإنسان المعاصر، فهو يشمل أول ما يشمل الاكتفاء المعيشي والاقتصادي والاستقرار الحياتي للمواطن، كما يتناول الأمن الاجتماعي بالإضافة إلى ما سبق تأمين الخدمات الأساسية للإنسان فلا يشعر بالعوز والحاجة، ويشمل الخدمات المدرسية والثقافية والرعاية الإنسانية والتأمينات الاجتماعية والمادية في حال البطالة والتوقف عن العمل، كما يهدف إلى تأمين الرفاهية الشخصية، وبالتالي إلى تأمين الوقاية من الإجرام والانحراف"¹، ويتفق معه في هذه النظرة الشمولية نبيل إسكندر الذي يقصد بالأمن الاجتماعي " كل الإجراءات والبرامج والخطط السياسية والاقتصادية و...، الهادفة لتوفير ضمانات شاملة تحيط كل شخص في المجتمع بالرعاية اللازمة، وتوفر له سبل تحقيق أقصى تنمية لقدراته وقواه، وأقصى درجة من الرفاهية في إطار من الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية"⁽²⁾، ويؤيدها من منظور تموي من يرى أن الأمن الاجتماعي " هو حجر الزاوية الذي يرتكز عليه التقدم وتعتمده التنمية والتطور في سبيل تحقيق أهداف المجتمع الجماعية المشتركة"³.

الأمن الاجتماعي عند استاذ الاجتماع د. احسان محمد الحسن يعني " سلامة الأفراد والجماعات من الأخطار الداخلية والخارجية التي قد تتحداهم كالأخطار العسكرية وما يتعرض له الأفراد والجماعات من القتل والاختطاف والاعتداء على الممتلكات بالتخريب أو السرقة " في حين يرى فريق من علماء الاجتماع أن غياب أو تراجع معدلات الجريمة يعبر عن حالة الأمن الاجتماعي ، وأن تفشي الجرائم وزيادة عددها يعني حالة غياب الأمن الاجتماعي ، فمعيار الأمن منوط بقدرة المؤسسات الحكومية والأهلية في الحد من الجريمة والتصدي لها وأن حماية الافراد والجماعات من مسؤوليات الدولة من خلال فرض النظام ، ووسط سيادة القانون بواسطة الاجهزة القضائية والتنفيذية ، واستخدام القوة إن تطلب الأمر ؛ ذلك لتحقيق الأمن والشعور بالعدالة التي تعزز الانتماء إلى الدولة بصفقتها الحامي والأمين لحياة الناس وممتلكاتهم وآمالهم بالعيش

1 مصطفى العوجي، الأمن الاجتماعي، مؤسسة نوفل، بيروت، 1983م، ص 171.

2 نبيل رمزي إسكندر، الأمن الاجتماعي وقضية الحرية، 1988م، ص 4.

3 عفاف أحمد هاشم، دراسة حول الأمن في المدن الكبرى، 2000، ص 25.

الكريم . في حين يؤكد الباحث الدكتور مؤيد العبيدي " بأن الأمن مسؤولية اجتماعية بوصفه ينبع من مسؤولية الفرد تجاه نفسه وأسرته ، فنشأت أعراف القبيلة وتقاليدها لتصبح جزءاً من القانون السائد"¹.

دور الضبط الاجتماعي في تحقيق الامن الاجتماعي:

الإنسان بطبيعته اجتماعي، لا يستطيع العيش وحيداً ولا بد أن ينتمي إلى جماعة يستمد منها القوة والأمن والطمأنينة ، ويسهم مع الآخرين في تحقيق الخير والمعيشة الكريمة . وقد بدأت المجتمعات البشرية بمجتمع العائلة ، ثم توسعت إلى مجتمع القبيلة ومجتمع القرية ومجتمع المدينة حتى أصبحت مجتمعات قومية.

وترتكز المجتمعات في بنيتها على العناصر التالية:

-قيم أخلاقية يؤمن بها أفراد المجتمع ، وتمثل الأهداف والغايات التي يسعون إلى تحقيقها.

-ترجمة قيم الجماعة إلى أنظمة وقوانين وأعراف تلتزم بها الجماعة في نشاطهم وسلوكهم ، ويعتبرون من يخالفها مذنباً يستحق العقاب².

وفي كل جماعة من الجماعات تنشأ طائفة من الأفعال والممارسات والإجراءات والطرق التي يزاولها الأفراد لتنظيم أحوالهم والتعبير عن أفكارهم وما يجول في مشاعرهم ، ولتحقيق الغايات التي يسعون إليها . وعندما تستقر هذه الأفعال في شعور الجماعة وترسخ في عقول الأفراد تصبح قواعد ملزمة ، تكون نظماً مختلفة تؤدي إلى التنظيم الاجتماعي الذي يركز عليه استقرار المجتمع³

وقد اعتبر العالم "هربرت سبنسر" المجتمع كائناً عضوياً يشبه من كل نواحيه وخصائصه ومقوماته ووظائفه الجسم الحي ، كما أنه يتطور كما تتطور الكائنات العضوية ، فكما أن للجسم العضوي بناء عام أو هيكل يضم مجموعة من الأعضاء الداخلية كالقلب والمعدة والأمعاء ، ولكل عضو من هذه الأعضاء وظيفة معينة تتفاعل مع وظائف الأعضاء الأخرى من أجل إبقاء الجسم أو البناء العضوي حياً ، كذلك المجتمع بناء عام أو هيكل يضم مجموعة من النظم (كالنظام السياسي والأسري

¹ www.policemc.gov.bh/reports/2007/August/15-8-2007/1.doc1

² شطارة ، أسعد سليم (1995) : أنسنة النظم الاجتماعية (تصور لعالم أفضل) . بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر . 1

³ دياب ، فوزية (1980) : القيم والعادات الاجتماعية . بيروت ، دار النهضة العربية . 1

والاقتصادي ...) . ويقوم كل نظام بأداء وظيفة محددة ، في إطار إشباع حاجات أعضاء المجتمع ، وتتفاعل هذه النظم مع بعضها بحيث تبقى المجتمع قائماً بذاته . وإذا حدث خلل جوهري في وظائف أي عضو من أعضاء الجسم ، فإنه يمرض وقد يصل إلى الوفاة ، كذلك فإن اختلال أي نظام من نظم المجتمع يؤدي إلى ظهور الأمراض الاجتماعية متمثلة في الجريمة والتفكك الأسري وانحراف الأحداث والتسيب ... إلخ ، وكما أن الجسم الإنساني يموت فإن المجتمع يمكن أن يتفكك وينحل¹ .

خاتمة:

يمكن دور المجتمع بمؤسساته في توجيه الشباب الى الطريق الصحيح وذلك بالعمل المنظم من اجل استيعاب الشباب للمثاليات الاساسية و المبادئ التي تركز على فهم علمي دقيق لتطور المجتمع عبر طريق التقدم الاجتماعي. وعليه يجب ان يركز الشباب على مستقبلهم و تصورهم لنسق القيمة الملائم لمستوى التغيير المنشود ولعل هذا الفهم المتكامل يمكن الشباب من التوافق مع نتائج التغيرات الثقافية .

¹ السالوطني ، نبيل محمد توفيق (1981) : الدين والبناء الاجتماعي . الجزء الأول ، جدة ، دار الشروق. 1

قائمة المراجع:

- شطارة ، أسعد سليم : أسسنة النظم الاجتماعية (تصور لعالم أفضل) . بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 1995
- دياب ، فوزية: القيم والعادات الاجتماعية . بيروت ، دار النهضة العربية. 1980
- السالموطي ، نبيل محمد توفيق: الدين والبناء الاجتماعي . الجزء الأول ، جدة ، دار الشروق. 1981
- محمد عاطف غبث: التغير الاجتماعي و التخطيط . دار المعرفة الجامعية ، مصر، 1987.
- عز الدين منصور : مشاكل الشباب المعاصر تحت رعاية الاسلام ، دار اقرأ، ليبيا ، 1985 .
- صلاح الدين مشروخ : علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عناية، .
- ا.د معن خليل العمر . الضبط الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن ، 2006
- مصطفى العوجي، الأمن الاجتماعي، مؤسسة نوفل، بيروت، 1983.
- نبيل رمزي إسكندر، الأمن الاجتماعي وقضية الحرية، ، 1988
- عفاف أحمد هاشم، دراسة حول الأمن في المدن الكبرى، 2000،
- العز بن عبد السلام السلمي ، الفوائد في اختصار المقاصد أو القواعد الصغرى، ط1، دمشق، دار الفكر، 1416هـ، تحقيق خالد الطباع.
- أنصار، ييار، العلوم الاجتماعية المعاصرة، ، المركز الثقافي العربي، ط: 1، 1992
- بودون، ريمون وفرانسوا بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ت: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986
- حلیم، عبد الجلیل، (التنمية والتبعية)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز، فاس، عدد 8، 1986
- حلیم، عبد الجلیل، التحديث القروي ورأسمة الزراعة المغربية»، سلسلة ندوات ومناظرات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز، فاس، رقم 10، 1988
- جنات، زهير، «الفردانية في سوسيولوجيا ريمون بودون: العمق النظري والمركزات المنهجية»، انظر
- www.uluminsania.net
- www.policemc.gov.bh/reports/2007/August/15-8-2007/1.doc

أ. آدم رحمون. جامعة الأغواط.

ملخص:

لا يقتصر تهيمش الشباب على مجرد إحساسهم بأنهم محملون ومتروكين لشأنهم، إذ أن المؤشرات التي تدل على انخفاض فرصهم بالمقارنة مع فرص الجيل الأكبر، واضحة على الصعيد السياسية والمهنية، فمن الناحية المهنية يلاحظ وجود قيم تربط الحراك الإداري والمهني بمعايير تتصل بالأقدمية والعلاقات الشخصية، أكثر من ارتباطها بالكفاءة والإنجاز الفردي، لهذا من النادر أن نجد الفئات الشباب في مواقع القرار رغم أن تحصيلهم العلمي قد يكون أعلى من تحصيل رؤسائهم في العمل. وهذا ما يخلق الشعور بالغبن ويجرم المجتمع من طاقات جديدة وقادرة على العطاء. وهذا ما ينطبق على الصعيد السياسي أيضاً سواء داخل الأحزاب والمشاركة على الصعيد الحكومي أو داخل هيئات المجتمع المدني كالنقابات والجمعيات والتي تشترك في غالبيتها في حصر إدارتها وقياداتها بكبار السن لدرجة أن بعضهم لم يبارح كرسيه منذ جلوسه عليه قبل عشرات السنين.

مقدمة:

أن البعد السلوكي لظاهرة التغير الاجتماعي هو البعد الذي يحدد بصورة فعالة حدوث التغير الاجتماعي المصحوب بتغير في قيم الناس واتجاهاتهم وعاداتهم السلوكية بما يتوافق مع النسق الاجتماعي الجديد، وتقابل عملية التغير الاجتماعي عملية الضبط الاجتماعي وهي العملية التي تحاول بها الجماعة أو المجتمع عدم التمكين لأي تغير غير مرغوب فيه أن يحدث وهي التي يتم عن طريقها توجيه سلوك الأفراد بحيث لا ينحرف عن معايير الجماعة حتى يتحقق التوازن الاجتماعي، وهناك نمطان أساسيان للضبط الاجتماعي أولهما الثواب أو العقاب (المادي أو المعنوي) وثانيهما الإقناع.

ومن بين هذه الفئة التي شملها التغير الاجتماعي فئة الشباب فلم يعد من الممكن أو المستساغ تجاهل الشريحة الاجتماعية التي تعد بالملايين سواء فيما يتعلق بالمشكلات والقضايا التي تعانها وتواجهها، أو ما يتصل بتطلعاتها وآمالها الواسعة صوب حياة أفضل، إنها شريحة الشباب.

يتحدث الكثيرون اليوم عن الواقع الراهن لعلاقة الثقافة والاجتماع والاقتصاد والسياسة بالشباب في المنطقة العربية، ويستهلون إصدار الأحكام المختلفة بصددها وكأنهم يحيلون على واقع معروف تماماً، والحال أن تشابك العناصر المختلفة المكونة للثقافة العربية، وتعرضها للعديد من أشكال التفاعل والتأثير المتبادل، يجعلان كثير من هذه الأحكام في حاجة إلى التدقيق والتحليل.

حقاً إن تزايد اهتمام العلوم الإنسانية في الفترة المعاصرة بقضية الشباب، ولا سيما بعد أعقاب الحركات الشبابية في العالم والتي عبّرت عن منطلقات فكرية وسيكولوجية لم تكن موضع حسابان السلطات السياسية، مثل الحركة الشبابية في فرنسا في ستينات القرن الماضي، والآخر في أمريكا والتي كانت تمثل وضعية التمرد على الأوضاع الثقافية التي كان هؤلاء الشباب يعانون منها، لذا فقد كان الشباب يؤمن بأن الحل الوحيد لكل المشكلات الثقافية أو الحضارية التي يعاني منها المجتمع الأمريكي وهو التغيير الجذري لتلك المسلمات الفكرية والسيكولوجية، التي يقوم عليها النظام الراهن. وإضافة إلى ذلك نجد أن المجتمع الراهن مجتمع يحكمه الكبار، ومهما حاول الكبار أن يكونوا منطقيين وموضوعيين فإنهم على أية حال يفكرون بنفس الطريقة العقلية التي يثور عليها الشباب، ويتحدثون نفس اللغة التي يرفضها الشباب، ثم نجد عناية تلك العلوم بتناول قضية أدوار الشباب في قضايا التنمية والتغيير الاجتماعي في ضوء المتغيرات الحاصلة على الساحة الوطنية والإقليمية والدولية، ومواقف الشباب الجزائري تمثل حصيلة تلك التغيرات الاجتماعية والسياسية والنفسية والاقتصادية والتعليمية والإعلامية، التي شهدتها الفترة الراهنة

خصائص التغيير الاجتماعي وطبيعته:

يتجلى التغيير في كلّ مظاهر الحياة الاجتماعية؛ ما حدا ببعض المفكرين وعلماء الاجتماع على القول بأنه لا توجد مجتمعات، وإنما الموجود تفاعلات وعمليات اجتماعية، في تغيير وتفاعل دائبين. أمّا الجمود نفسه، في أيّ ناحية من نواحي الحياة الإنسانية، فأمر لا يمكن التسليم، ولا الموافقة عليه؛ إذ المجتمعات الإنسانية المختلفة، منذ فجر نشأتها، تعرضت للتغيير خلال فترات تاريخها، كما لا يقتصر التغيير الاجتماعي على جانب واحد من جوانب الحياة، الإنسانية والاجتماعية؛ وإذا بدأ فمن الصعب إيقافه، نتيجة لما بين النظم الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي بعامة، من ترابط وتساند وظيفي.

وفي هذا الصدد، حدد ولبرت مور Moore أهمّ سمات التغيير، كما يلي:

أ. يطرد التغيير في أيّ مجتمع أو ثقافة، ويتسم بالاستمرارية والدوام.

ب. يطاول التغيير كلّ مكان، حيث تكون نتائجه بالغة الأهمية.

ج. يكون التغيير مخططاً مقصوداً، أو نتيجة للآثار المترتبة على الابتكارات والمستحدثات المقصودة.

د. تزداد قنوات الاتصال في حضارة ما غيرها من الحضارات، بازدياد إمكانية حدوث المستحدثات الجديدة.

هـ. تكون سلسلة التغيرات التكنولوجية المادية، والجوانب الاجتماعية المخططة، منتشرة على نطاق واسع، على الرغم من الجنوح السريع لبعض الطرق التقليدية.

معوقات التغير الاجتماعي

تواجه عملية التغير الاجتماعي بعدد من العوامل المعوقة، داخل المجتمع، من أهمها:

أ. المصالح الذاتية

يُجِبُّه التغير الاجتماعي بالمعارضة، كلما تهددت مصالح الأفراد والجماعات، فلقد أكد أوجبرن مقاومة أصحاب المصالح الذاتية للتغير؛ حرصاً على امتيازاتهم، مثل: معارضة أصحاب السيارات لبناء السكك الحديدية، لخوفهم من منافستها؛ أو معارضة بعض العمال الزراعيين لدخول الآلة الزراعية، لتأثيرها في حياتهم؛ أو معارضة العمال في القطاع الصناعي لسياسة الخصخصة، لتأثيرها في طرد بعض العمال من شركات قطاع الأعمال العام.

ب. العادات والتقاليد

تمثل بعض العادات القديمة والتقاليد المتوارثة، معوقات دون الابتكارات، ويتصلب هذا العائق حينما يكون الكبار والشيوخ هم الحل والعقد؛ إذ يكبر عليهم تغير عاداتهم.

ج. الخوف من الجديد، وتبجيل الماضي وتقديسه:

الشك في الجديد وما سوف يأتي به، يُريب كل المجتمعات، وبخاصة تلك التقليدية والمتخلفة. وتبجيل الماضي وإجلال موالده، هما من معوقات التغير، ولذلك طالما قاومت المجتمعات كل تغير، يعتري ما ألفته من مفاهيم راسخة كالتغيرات التي تتعلق بخروج المرأة للعمل، أو للتعليم أو السفر إلى الخارج، أو إدخال التكنولوجيا الحديثة.

د. العوامل البيئية

وهي تتعلق بالموقع والمناخ؛ فلقد قرن بعض العلماء الموقع الجغرافي بدرجة تخلف المجتمع وتقدمه في المناطق الاستوائية مثلاً، يكون المناخ أحد المعوقات الأساسية للتغير؛ إذ على الرغم من الحاجة إليه والشعور بأهميته، إلا أن الإنسان في تلك المناطق، يتسم بالكسل والإهمال أكثر من الإنسان في المناطق الشالية.

وهكذا يتضح أن مفهوم التغير مفهوم شامل، يهتم أو ينصب على الأوضاع الراهنة، أو ما هو كائن بالفعل، بمعنى أنه ينصب على الوجود الحقيقي، فالتغير يشير إلى تبدل في الظواهر والأشياء، من دون أن يكون لذلك التغير اتجاه محدد يميزه؛ فقد يتضمن تقدماً وارتقاء، في بعض الأحيان؛ وقد ينطوي على تخلف ونكوص، في بعضها الآخر.

وأما مصطلح الشباب:

بعض الدراسات تنظر إلى هذا المصطلح من خلال المستوى العمري، على أساس أن تلك الفترة الزمنية تشهد اكتمال النمو جسمياً وعقلياً، بحيث يكون الفرد على استعداد لأداء الوظائف الأساسية، ومعظم التقديرات لدى علماء الاجتماع تذهب إلى القول بأن تلك الفترة العمرية لدى الشباب تنحصر بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين من العمر، وثمة رؤية ثانية ترى بأن الشباب يمثل حقيقة اجتماعية في الأصل والمعياري لهذا التقدير كامن في النضج والتكامل الاجتماعي للشخصية، وتبدو مجموعة من السمات والخصائص التي تعتبر بمثابة معايير تعتمد على أساسها في مفهوم الشباب عن بقية الفئات الأخرى، ورؤية ثالثة تكاد تكون تمثل الدقة والتي تأخذ بالمفهوم الاجتماعي دون إغفال الجانب أو البعد البيولوجي، لذلك يكون الشباب ظاهرة اجتماعية متناسبة مع ظواهر بيولوجية، ولا يمكن الفصل بينهما، إذن من السياق السابق لمفهوم الشباب يمكن النظر إليه في حدود إطار العمر الزمني، وعدم تناسي أساسيات توضع في الاعتبار، منها مؤشرات لتحديد خصائص معينة في الشريحة الاجتماعية التي يطلق عليها الشباب، ذلك لأن الشباب على قدر كبير من التنوع من حيث مستوى النمو الاجتماعي والعقلي والعاطفي والمستويات الأخرى التعليمية والمهنية والبيئية. ثقافة الشباب: بدون شك أن الشباب كمرحلة عمرية زمنية وحقيقة اجتماعية تظهر بعادات وتقاليد وأفكار واتجاهات وميول وأشكال تعبير وأوجه نشاط مختلفة.

وحيث أن الشباب يشكلون قطاعاً واسعاً من السكان في العالم العربي، إذ تبلغ نسبتهم 20.5% من إجمالي المجتمع فإن هذه البنية الديمغرافية النشطة والخصبة هي ما يميز المجتمع العربي ويضفي أهمية إضافية على قطاع الشباب في بلداننا. وقد

أشارت الإحصاءات إلى أن عدد الشباب العربي قد بلغ عام 2000 حوالي 58 مليون شاب من أصل 300 مليون نسمة⁽¹⁾.
علماً بأن تقديرات أخرى تشير إلى أن الشباب يشكّلون حوالي ثلث السكان في العالم العربي⁽²⁾.

ونظراً لاختلاف وتعدد وجهات النظر الاجتماعية والقانونية في تعريف مفهوم الشباب وتحديد السن والشخصية الشبابية من حيث النضوج والمسؤولية الاجتماعية والقانونية، فإننا سنعمد تعريف الأمم المتحدة المتفق عليه الذي حدد الشباب بالفئة العمرية التي تتراوح بين 15 و 24 عاماً⁽³⁾.

بيئة الشباب العربي :

إن الشباب العربي بشكل عام وهو يعيد اكتشاف ذاته ليتحقق موضوعياً من حقائق " الوجود " الاجتماعي - والكوكبي - والكوني، بحثاً عن أدوار فاعلة في الحياة يتسع حيزها لعطاءاته الحيوية، .. تتلقفه الموجات العاتية، خاصة أن المؤسسات الرسمية والدينية بالدولة باهتة في ميولها التنويرية ساطعة في اتجاهاتها المحافظة :

- فالخطاب الديني الرسمي يتسم بالسطحية والتلفيقية الأمر الذي يتيح الفرصة، ضمن عوامل أخرى، لبروز التيارات والجماعات الدينية الأكثر مصداقية في التعبير عن هذا الموروث بصيغته التقليدية، ونظم التعليم المدنية، والمتجاورة والمتداخلة والمتقاطعة مع نظم تعليم دينية، تتبنى مناهج وأساليب ووسائل تعليمية تعتمد التلقين والتقليد والتفتيت والتلفيق والحفظ والاستدعاء، ويتم تأطير ذلك كله في المنتجات الإعلامية والثقافية والفنية السائدة بأجهزتها ومؤسساتها المتراخية، والتي لا تخلو وربما في المنتج الواحد من تناقضات ظاهرة ومستتفة للكفاءة.

- يعيش الشباب العربي في تنظيم مجتمعي يحمل بذور " وأد الحرية "، إذ يمكن تشبيهه هيكل التنظيم المجتمعي في البلدان العربية، على شدة تنوعه وتعقد تركيبه بسلسلة متشابكة الحلقات تبدأ من التنشئة في نطاق الأسرة مروراً بمعاهد التعليم وعالم العمل والتشكيكية المجتمعية وانتهاء بالسياسة في الداخل والخارج، حيث تفتص كل حلقة من الفرد قسطاً من الحرية وتسلمه مسلوباً ذلك القسط من الحرية إلى الحلقة التالية، ويشكل تكامل الحلقات هذه نظاماً قسرياً على الكفاءة.

- على صعيد آخر تركز المؤسسة التعليمية العربية قيم التلقي والخضوع حيث لا تسمح بالحوار الحر والتعلم الاستكشافي النشط ولا تفتح من ثم الباب لحرية التفكير والنقد، بل تضعف القدرة على المخالفة وتجاوز الراهن يغذيها مؤسسات إعلامية وطنية تعزز قيم الخضوع والفقير المعنوي.

- يسكن الشباب العربي قلب أوطان تعتمد التمييز بكفاءة بالغة، وتنوع هائل، فالقبلية تفرض تمييزاً حاسماً يتم وفقه تقسيم المزايا والموارد والسلطة، والعائلات الكبرى تستحوذ على عناصر القوى، والأثرياء يملكون المال وطاقات الفقراء ومصائرهم، والحضر يتعالى على الريف الفقير، والرجال هم العناصر الأرقى من النساء، والفقيرات هن الأقل قدراً من غيرهن، والأسوياء أكثر حظاً من الأشخاص ذوي الإعاقة الذين يشكلون 10/1 المجتمع العربي تقريباً.

البطالة:

تعتبر بطالة الشباب في العالم العربي اعلي معدلات البطالة في العالم وقد أشار تقرير صادر عن منظمة العمل الدولية بعنوان " اتجاهات التشغيل في العالم 2003 إلى تفوق معدل البطالة دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حيث تبلغ نسبة البطالة بين الشباب 25.6 % وتعاني النساء من بطالة أكثر من الذكور حيث يبلغ معدل بطالة الإناث 31.7 % وتعتبر لبنان هي الدولة الأعلى في معدل البطالة والتي تبلغ 30 % يليها الأردن 24 % ثم البحرين 24 % في حين تعتبر الكويت هي النسبة الأقل 6.2 %

وقد أشار التقرير إلى أن السمات المشتركة المميزة لبطالة الشباب تلخص في:

* بطالة الشباب أكبر من بطالة البالغين.

* الإناث أكثر تعرضاً للبطالة.

* الشباب أكثر عرضة لظاهرة نقص التشغيل.

* بطالة الشباب هي بطالة الداخلين لأول مرة الى سوق العمل بالدرجة الأساسية وغالبا ما يكون تشغيلهم ضمن أجور متدنية، كما أن الشباب والإناث منهم علي وجه التحديد يعتبرون من أكثر الفئات الاجتماعية تعرضا لمخاطر التهميش الاجتماعي وقد أكد الهدف الثالث من الأهداف الإنمائية للألفية علي وجوب " تخفيض الفجوة وتمكين المرأة " .

وجدير بالذكر أن بطالة الشباب أيضا لا تعني مجموع الشباب بل تبقي وفقا للتقسيم الأول حول الشباب وهم أولئك الشباب الذين حرموا من عناصر التمكين الملائمة للمرحلة الراهنة بما يعني القدرة علي التعامل مع التكنولوجيا الحديثة والتأقلم معها وامتلاك لغة أجنبية أو أكثر وهو ما يعزز التهميش الاجتماعي والاقتصادي ويدفع بهم نحو مخاطر مريعة مثل المخدرات أو الجريمة أو الهجرة .

المخدرات:

ويشير مكتب الأمم المتحدة الإقليمي لمكافحة الجريمة والمخدرات لمنطقة الشرق الأوسط إلى أن هناك ما يقرب من نصف مليون شاب عربي ينطبق عليهم صفة "مدمن".

لقد استخدمت الآليات الاتصالية للعوامة في رفع كفاءة تهريب المخدرات ، وبخاصة إلى الدول النامية والدول العربية تحديدا - والتي تجاور مناطق معروفة عالمياً بإنتاج المخدرات مثل "أفغانستان" أو منافذ عبور منظمة مثل "إسرائيل".

إن الساحة العربية تقدم للشباب البطالة والفقر والإحباط واليأس والفراغ النفسي والوطني فضلا عن وسائل إعلامية فقيرة ومنخفضة المصداقية، أي أنها تقدم البيئة النموذجية لنمو ظاهرة إدمان المخدرات.

وقد أفاد تقرير عن مصر - صادر من نفس المكتب لعام 2001 - بأن " متوسط أعمار المدمنين بلغت 26 عاماً بينما متوسط عمر مستخدمي المخدرات للمرة الأولى كان 16 سنة " ، وفي دراسة عن عام 1996 نفذها المركز القومي ... شملت 3 محافظات استهدفت 0.2% من السكان وأشارت الى أن 20% من العينة جربت المخدرات مرة واحدة في حياتها ، 14% تعاطوا المخدرات يوميا ، 28% أسبوعيا ، 38% شهريا لتكون نسبة من تعاطوا أو جربوا المخدرات 1 : 15، شكلت الفتيات نسبة 3% من العينة بينما أشارت دراسة شبيهة صادرة من مكتب الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة والمخدرات طبقت في

الأردن عام 2002 الي أن تعاطي العقاقير المهدئة منتشرة بين طلبة المدارس العليا والجامعات بنسبة 14.8 % بين الشباب من الذكور ، 10.6 للإناث يليه الكحول الذي يتعاطاه 22.5 % من الشباب في مقابل 3 % من الشابات.

الهجرة :

حسب تقرير التنمية الإنسانية العربي 2002 فإن 51 % من الشباب العربي ، 54 % من المراهقين الأصغر سنا عبروا عن رغبتهم في الهجرة، ضيقا من الأوضاع السائدة بالنسبة لفرص التعليم والعمل وحيث يعانون قلقاً نحو المستقبل، وهجرة الشباب العربي تنقسم الى:

هجرة من الريف الي الحضر

يشكل الريف في الوطن العربي النسبة الأضخم من المساحة والسكان معاً ، ويعاني هذا الريف إجمالاً من تدنى مستوى الخدمات المتعارف عليها ، ومن قصور وتخلف معظم مؤسساته التعليمية والتنموية ، الأمر الذي يغذي رغبة الشباب الريفي في الهجرة نحو مجتمع أكثر انفتاحاً واطل قيوداً حيث يمكن الاستمتاع بالكثير من المستجيدات الحضرية لا تؤدي الهجرة إلى خلل ديموغرافي فحسب ، بل أيضاً الي خلل قيمي انعكس في اتساع هوة الغربة داخل الشباب.

هجرة من الداخل الي الخارج :

تجتذب الدول الغربية الشباب العربي الواعد ,بطرق وأساليب متعددة حيث يتاح لهم فرص دراسية وبحثية أفضل ,ومناخ علمي ومهني أكثر استقراراً ويندر أن توجد كفاءة شابة عربية، خاصة العلمية منها لا يراودها حلم التحقق في بيئة مواتية، وهكذا تخرج الكفاءات العربية الشابة والقادرة علي تشكيل المستقبل هاربة أما من مناخ إداري خانق أو فاسد أو من فقر علمي وبحثي أو من فقر اقتصادي.

إن لهجرة العقول العربية دوافع كثيرة متداخلة يصعب معها الجزم بحتمية تأثير احدها دون الآخر، ونظرياً تقع هذه الدوافع ضمن وجود قوي إما دافعة لهذا الشباب الي خارج الوطن العربي أو جاذبة تستقبل هذه العقول.

إن تحليل دفع الشباب الي خارج الوطن العربي لا يتم إلا بتحليل قطاع عريض من الواقع العربي تنشط بداخله مسارات النظم السياسية والتقدم المهني وأنظمة البحث العلمي.

أما في مجال أنظمة البحث العلمي والسياسات التقنية فيدفع بالشباب العربي الى الخارج، بطء التطور في التعليم الجامعي الرفيع المستوي، بسبب عدم توفير الاقتصاد العربي سوقا للبحث والتطوير ذلك في ظل الخلل الأكاديمي الواضح في الجامعات العربية وعجز المجتمع العربي عن استيعاب الطاقات الإبداعية، إن اثر هذه العوامل في دفع الشباب العربي الى خارج الوطن العربي يختلف من قطر عربي الى آخر.

ويبقى بعد ذلك أن عوامل الطرد الاقتصادية وتلك المتعلقة بالأوضاع الأكاديمية والأبحاث التقنية هي التي تسهم بصورة كبيرة في تشكيل قوي دفع الأدمغة الى خارج الوطن العربي . كما أن الخلل الأكاديمي يؤيد وجوده وجود شبكات ومجموعات للعلماء العرب في المهجر يسعون لاستقطاب طلاب الدكتوراه والدراسات العليا في العلوم الاجتماعية والتطبيقية . ويمكن القول أيضا أن الحضور الفاعل للمفكرين والباحثين والكتاب والعلماء العرب في أوروبا والولايات المتحدة يشكل جزءا مهما في فهم طبيعة دوافع الهجرة وفيه دلالة علي أن المجتمع العربي لا يزال قاصرا عن استيعاب هذه الطاقات والاستفادة من معارفها وخبراتها في تحقيق تقدمه .

- اهتمامات الشباب العربي:

نختار كمدخل علمي للتعرف على مشكلات الشباب العربي عموماً وشباب الجزائر بشكل خاص مدى التوافق أو التعارض بين ما يتوقعه المجتمع من الشباب وبين ما يريده الشباب لأنفسهم، ولعل خير وسيلة لمعرفة مشكلات الشباب هي الاستماع لآرائهم وإعطائهم الفرص للتعبير عن أنفسهم ومشاعرهم سواء تم ذلك عبر استخدام الدراسات الاجتماعية واستطلاعات الرأي أو عبر المقابلات المباشرة والحوار.

ضمن هذا الإطار تضمن "تقرير التنمية الإنسانية العربية 2002" استطلاعاً لقياس اهتمامات الشباب أجري تحت رعاية مكاتب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في البلدان العربية، وكان الاستطلاع يهدف إلى معرفة آراء عدد محدد من الشباب العربي حول أكثر القضايا أهمية في كل دولة عضو في الجامعة العربية، غير أن الأجوبة التي تضمنها التقرير تعود إلى شباب ستة بلدان عربية مصر، الأردن، لبنان، ليبيا، الإمارات، السعودية).

تشير إجابات عينة المجموعة الشابة إلى أنهم يرون أن أكثر القضايا أهمية من بين المواضيع التي نظر فيها التقرير هي: أولاً: فرص العمل بنسبة 45% من الإجابات، يليها التعليم بنسبة 23% فالبيئة بنسبة 12%، ثم توزيع الدخل والثروة

بنسبة 8%، فالمشاركة السياسية بنسبة 5%، فالرعاية الصحية بنسبة 4% وأخيراً الفقر بنسبة 4% أيضاً. وقد أظهرت الشباب اهتماماً بالتعليم والمشاركة السياسية والرعاية الصحية أكبر من الاهتمام الذي أظهره الشباب. ولعل أكثر ما يلفت النظر في نتائج الاستطلاع أن نسبة 51% من الشباب قد عبروا عن رغبتهم في الهجرة إلى بلدان أخرى، مبيّنين بوضوح عدم رضاهم عن واقع الحال وفرص المستقبل في بلدانهم(6).

في دراسة ميدانية أجراها المجلس الأعلى للشباب والرياضة في مصر على عينة مؤلفة من 3200 شاب للتعرف على اهتماماتهم، تبين أن النشاطات الطلابية تأتي في مقدمة اهتمامات الشباب بنسبة 84%، يليها الاهتمام بالسياسة بنسبة 82%، بينما حاز الكمبيوتر وشبكة الانترنت على اهتمام 90% من الشباب، وقد جاء الاهتمام بالأدب في آخر قائمة الأفضليات عند الشباب المصري. وختمت الدراسة بنتيجة مثيرة تقول "الرياضة في مقدمة اهتمامات الشباب المصري والقراءة في آخرها".

بينما بينت الدراسة أعدها "مركز الأردن الجديد" للتعرف على بعض آراء الشباب الأردني حول بعض القضايا من خلال استمارة اعتمدت اقتراحات شبابية، أن نحو 34% من الذين شملتهم العينة يرون أن البطالة هي أهم مشكلة تواجه الشباب الأردنيين في حين رأى نحو 10% أن التمييز ضد المرأة هي المشكلة الأهم، وقال 8% من الشباب أن استثمار وقت الفراغ هو مشكلتهم الأساسية، وأخيراً رأى 8% أن تضخم مشكلة إدمان المخدرات تشكل استحقاقاً بدأ الأردن بمواجهته(7).

وخلصت الدراسة إلى أن مشكلات الشباب الأردني تتصل بالعديد من المجالات والمستويات أهمها:

1- الأسرة : تدخل الأسرة في شؤون الشباب، وصعوبة التفاهم بين الأجيال، والتمييز بين البنين والبنات، وعدم مشاركة الشباب في اتخاذ القرارات داخل الأسرة، وأخيراً ضعف دور الأسرة في تنشئة الشباب.

2- المشاركة في المجال العام: ويأتي في هذا الإطار عدم توفر المراكز الشبابية والطلابية، وقلة وعي الشباب بأهمية المشاركة في الحياة العامة، واهتمام الشباب بمشكلاتهم الحياتية الذي يقلل من مشاركتهم في المجال العام، والقوانين التي تعيق مشاركة الشباب، وقلة الحرية المتاحة أمام الشباب للمشاركة، إلى جانب ضعف المنظمات غير الحكومية وعدم الاهتمام برأي الشباب فيما يتصل بالقضايا العامة.

3- العمل: شيوع الصورة السلبية عن بعض المهن والأعمال، وتدني الأجور، والبطالة، واعتماد الوساطة بدلاً من الكفاءة في التوظيف، والظروف الصعبة لموظفي القطاع الخاص، وصعوبة الهجرة للعمل، وندرة التدريب والتأهيل، وقلة الصناديق التي تدعم مشاريع الشباب، وعدم تشجيع واعتماد الكفاءات الشابة.

4- الثقافة والهوية الثقافية: وقد جرى التأكيد على عدم المساواة، وعدم وضوح سقف الحريات، واحترام الرأي والرأي الآخر، والتعصب والعشائرية وضعف التوعية والتنشئة الديمقراطية. إضافة إلى انتشار التقليد الأعمى للغرب، وسلبية بعض العادات والتقاليد، والابتعاد عن المبادئ الأخلاقية والدينية وأخيراً التأثير السلبي لعدم المساواة الاجتماعية على الوحدة الوطنية.

وقد صنفت دراسة أخرى مشكلات الشباب العربي عموماً والسوري بصفة خاصة إلى أربعة أنواع:

1- مشكلات نفسية: كالشعور بالضياع والغربة والإحباط بسبب التفاعلات السياسية المتباينة وضغط الأسرة.

2- مشكلات اقتصادية: وهي المتعلقة بالعمل والسكن وضمان المستقبل، أو بالبطالة والعوز والحرمان من آمال الغد.

3- مشكلات أخلاقية – اجتماعية: ناجمة عن التناقض القيمي بين جيل الشباب وجيل الآباء، كذلك ناجمة عن التطرف الديني وعن عدم استغلال أوقات الفراغ، وقلة أشكال الترويح وصولاً إلى مشكلات الانحراف والجنوح وتعاطي الكحول والمخدرات .

4- مشكلات سياسية: وتتعلق ببعض النظم القائمة والحريات المهدورة ثم بالتجزئة الإقليمية(8).

فما هي القواسم المشتركة بين الدراسات السابقة، وإلى أي حد يمكننا التعرف من خلالها على أهم مشكلات الشباب واهتماماتهم؟.

تشير المعطيات المتوفرة إلى توافق معظم البحوث الاجتماعية والدراسات التنموية حول أهم المشكلات التي تواجه الشباب وهي: البطالة والفقر، التهميش والتمييز وقلة فرص المشاركة، ثم التطرف ومشكلات الهوية الثقافية، وأخيراً صراع الأجيال.

مشاكل متنوعة:

ولقد كانت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية قد أوضحت مشكلات الشباب ضمن الخطة الشاملة للثقافة العربية (10) في الجوانب الآتية:

1 - مشكلات سيكولوجية: كالشعور بالضياع، والغربة، والإحباط، بسبب التفاعلات السياسية والأيدولوجية المتباينة، وضغط الأسرة، ورفضها، والمبالغة في الإحساس الفطري بسبب قهر النظم، والإهمال في التوجيه المهني، وفي تعهد المواهب والهدر في الطاقات.

2 - مشكلات اقتصادية: تتعلق بالعمل والسكن، وضمان المستقبل، وبالحرمان من آمال الغد، بالإضافة إلى التبعية وسيادة الثقافة الاستهلاكية، والهروب من الريف.

3 - مشكلات أخلاقية واجتماعية: ناجمة عن التناقض القيمي بينهم وبين جيل الآباء، وبينهم وبين السلطة، وناجمة عن التطرف الديني والاجتماعي (11)، وعن عدم استغلال أوقات الفراغ، وقلة أشكال الترويح، ومشكلات الزواج وتفكيك الأسرة والانحراف والجروح، بوصفها رد فعل على المشكلات المختلفة.

4 - مشكلات سياسية: تتعلق بالنظم القائمة والحريات المهذورة وبالتجزئة الإقليمية، فهذه المشكلات يختلط بعضها مع البعض الآخر، كما تلتقي مع المشكلات الوافدة مع الثقافة الغربية، وهي بالتالي ليست مجرد شكاوي بدون جذور، لا يتمرده الشباب عليها، ذلك لأنها تشكل ثقلاً وقيوداً ترهق حركته، وتشوه رؤيته الخاصة للمجتمع، وإحساس الشباب بهذه المشكلات يعدّ أحد العوامل التي تحدّ من فاعلية التعامل النفسي المقصود مع الشباب كونه جعل التفاعل النفسي يرتبط بظاهرة معقدة ومتشابكة، ويعاني الشباب من تباين المواقف والأدوار المطلوبة منهم من قبل المؤسسات المتنوعة، ويطلق اصطلاح «انقطاع الأدوار» على عملية المطالبة بممارسة أدوار مختلفة أو مناقضة لأدوار سابقة فكرياً وعاطفياً (12).

وأجريت دراسة ميدانية عن الشباب اللبناني مركزاً على مشكلات الشباب، ومن بين ما انطوى عليه الإطار النظري مسألة السلطة الأبوية داخل الأسرة التي اعتبرها الباحثون نتاجاً للسلطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية العامة داخل المجتمع. وقد أشار البحث إلى أن لبنان تمثل عينة هي خلاصة التناقضات العربية وحدوده على صغر حجمه هي حدود العالم العربي. وحددت الدراسة أن اتجاه القبول والخضوع يمكن أن يكون سلبياً، أي أن يقبل الشباب السلطة كبن بار دون تساؤل أو شكوى أو استفهام، وبشكل ميكانيكي يكاد يكون بارداً.. أو إيجابياً: أي يقبل السلطة عن وعي بدقائقها وبمصلحته

في التزامها وبتجاه الإعداد الذاتي لأن يكون حاملها والمتحمس لها. ثم إنها حددت أن اتجاه الرفض والعنف يمكن أن يكون سلبياً: أي غير فاعل ينقصه الوعي والموضوعية بدقائق الأمور.. أو إيجابياً: من خلال الوعي العميق والموضعي والمسييس والمعقلن لحقائق الأشياء(13).

وحيثما نتخذ منهج المقارنة في هذا البحث فسوف نلاحظ كثير من الحركات الشبابية في العالم اتخذت أسلوب التمرد على كثير من الأفكار وسلوكيات السلطة الاجتماعية والسياسية، فمثلاً ظهرت في هولندا حركات تمرد تعتبر من الحركات المبكرة في أوروبا المعاصرة، فلقد هاجم الشباب خلالها مجتمع الكبار وقاموا بحملات إرهابية، وشاركهم في تحركهم بعض الكبار.. وكذلك في فرنسا وبلجيكا برزت ظواهر احتجاج شارك فيها طلبة وأساتذة وكانوا أثناء احتجاجهم يؤكدون على أن حل بعض المشكلات يتطلب أعمالاً جريئة، وكانت ثورة الطلبة التي اجتاحت فرنسا عام 1968 من الاحتجاجات الشبابية الكبيرة، وكانت تؤكد على أنها تريد تحطيم الحالة الحاضرة، وثورة الشباب في أمريكا وتمردتها على السلطة السياسية، وأن أهم الأبعاد في هذا التمرد هو سيطرة عنصر الشباب على حركات السخط هذه، إذ أن هذه السيطرة تلقي مزيداً من الضوء على الدور القيادي الذي يقوم به شباب الأمة الأمريكية في صيغ حركة الشباب العالمية بطابع إنساني، وتحديد الأبعاد الثقافية والفكرية لهذه الحركة تحديداً واضحاً»(14).

الخاتمة:

إنكار المشكلات أو التقليل من تأثيرها لا يعني زوالها أو معالجتها، فإن العبرة في كيفية تناولها قبل أن تتحول إلى حالات مستعصية وبؤر للتعصب والعنف أو دوافع للانحراف السلوكي وتعاطي المخدرات كعلاج وهي لحالات اليأس والإحباط وانعدام الأمل.

بالمقابل لا بد من التأكيد على العديد من القيم والعلاقات الإيجابية التي تتمتع بها الأسرة العربية، وما توفره لأبنائها من أشكال الرعاية والإشباع العاطفي، وما ينجم عنها من حماية للشباب من مظاهر العزلة والوحدة التي يعانيها العديد من أبناء المجتمعات الغربية المعاصرة، ويكفي إلقاء نظرة على أرقام انتشار مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) في مختلف مناطق العالم للتأكد بأن المنطقة العربية من أقل مناطق العالم إصابة بهذا المرض، والفضل في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى مجموعة القيم العربية والإسلامية التي ينشأ عليها شبابنا منذ نعومة أظفارهم مروراً بالمؤسسات التعليمية والتثقيفية المختلفة التي تساهم في عملية التنشئة الاجتماعية مثل المدرسة والجامعة ووسائل الإعلام المختلفة، والتي أصبحت مطالبة اليوم، وأكثر من أي وقت

مضى ، بتطوير مناهجها وبرامجها كي تستطيع المنافسة والقيام بالأدوار والوظائف المناطة بها في عالم مفتوح على كافة الخيارات والتأثيرات بسلبياتها وإيجابياتها.

ولهذا يعتقد العديد من علماء الاجتماع والتربية إن إتاحة الفرصة للشباب لعيش تجاربهم وتكوين خبراتهم لا يتطلب سوى تمكن هؤلاء من تحصيل المعارف والعلوم الضرورية والتعلم من أخطائهم واختياراتهم المعبرة عن وعيمهم، أما النصائح واتباع أساليب الوعظ والحماية، فإنها على الأغلب لا توصل إلى الغايات المرجوة.

الهوامش:

- (1)-الشباب وأمن المجتمع، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1408هـ، ص 242.
- (2)-المجموعتان الإحصائيتان، جامعة الدول العربية، إدارة الإحصاء، القاهرة، 1990-1985.
- (3)-الشباب وأمن المجتمع، مرجع سابق، ص 243.
- (4)-حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص 655-684.
- (5)- A.B.Clinard and D. About, crime in developping countries: A comparative perspective (New York, N.Y): Thonwiley and sons,1973, p.p 48-86.
- (6)-تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002، مجموعة مؤلفين بإشراف نادر الفرجاني، الطبعة العربية، عمان، 2002.
- (7)-حال البطالة والمخدرات والتمييز ضد المرأة، مركز الأردن الجديد، الحياة، العدد 13677، 22 آب/أغسطس، 2000.
- (8)-التفاوت الثقافي بين الأجيال في المجتمع السوري المدني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 1999.
- (9)-التقرير الاجتماعي العربي الأول، جامعة الدول العربية، الإدارة الاجتماعية، القاهرة، 2001.
- (10)-عبد الباسط عبد المعطي: حال الأمة (1999) الدراسات الأساسية، الأوضاع الاجتماعية، ورقة مقدمة إلى المؤتمر القومي العربي العاشر، الجزائر، 2000، ص 26.
- (11)-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: الخطة الشاملة للثقافة العربية، المجلد الأول، 1986، ص 127.
- (12)-انظر قيس النوري: مشكلات الشباب إلى أين؟ مجلة الفكر العربي، منشورات معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، يناير، العدد 19، بيروت، 1981، ص 143.
- (13)-محمد عيسى: مشاكل الشباب وأطرها الاجتماعية، الفكر العربي، منشورات معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، العدد، السنة 1، بيروت، 1978، ص 177.

(14) -انظر فؤاد زكريا: شباب أمريكا وفلسفة التمرد، مجلة الفكر المعاصر، العدد 8، القاهرة، 1969، ص6. وانظر كذلك محمد العزب موسى في ثورة الطلبة وأزمة الديمقراطية الأمريكية، مجلة الكاتب، العدد 111، القاهرة، 1978، ص 69 - 70.

المراجع والمصادر:

- (1) -تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002، مجموعة مؤلفين بإشراف نادر الفرجاني، الطبعة العربية، عمان، 2002.
- (2) -حال البطالة والمخدرات والتمييز ضد المرأة، مركز الأردن الجديد، الحياة، العدد 13677، 22 آب/أغسطس، 2000.
- (3) -التفاوت الثقافي بين الأجيال في المجتمع السوري المدني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 1999.
- (4) -التقرير الاجتماعي العربي الأول، جامعة الدول العربية، الإدارة الاجتماعية، القاهرة، 2001.
- (5) -انظر تقرير التنمية الإنسانية العربية 2002، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، عمان، 2002.
- (6) -عبد الباسط عبد المعطي: حال الأمة (1999) الدراسات الأساسية، الأوضاع الاجتماعية، ورقة مقدمة إلى المؤتمر القومي العربي العاشر، الجزائر، 2000، ص26.
- (7) -الدقس، محمد عبد المولى: التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، عمان: دار مجدلاوي، 1987م.
- (8) -الطنوبي، محمد عمر: التغير الاجتماعي، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1995م.
- (9) -عضيات، عاطف العقلة: الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب/ وعمان: منتدى الفكر العربي، 1990.
- (10) -غيث، محمد عاطف: التغير الاجتماعي والتخطيط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1987.
- (11) -القريشي، علي: التغير الاجتماعي عند مالك بن نبي: منظور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1989.
- (12) -كارة، مصطفى عبد الحميد: "التغير الاجتماعي وأثره على الوقاية من الانحرافات السلوكية"، المجلة العربية للدراسات السلوكية، السعودية: مج8، ع15، 1993م،

أ. الهاشمي مليك. جامعة البليدة 2.

ملخص:

قد عرف العالم العربي في الفترة ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية جملة من التطورات و التغيرات، مست مختلف بناء الاجتماعية و السياسية وحتى الاقتصادية، تلك العوامل مشتركة ساهمت في إيجاد نموذج جديد للعالم العربي يختلف ابستومولوجيا عن نماذجه السابقة التي اختلفت فيما بينها من نواحي عديدة خاصة الشكلية منها كاللباس و الطعام وحتى الشكل الخارجي الفيزيولوجي، إلا أن هذا الاختلاف لم يمس البنية السكانية ليبقى التشابه حاصلًا في شكلها العام الذي مس العالم العربي، فعلى الصعيد العربي عموماً والجزائري خصوصاً امتازت الثقافة السكانية بتشجيع على الزيادة والحث على إنجاب أكبر قدر من الأبناء، خصوصاً في مرحلة ما بعد الاستقلال لتبدأ بعدها جملة من التغيرات شملت مختلف مكونات البناء الثقافي، الاقتصادي وحتى السكاني، لنحصل على عدد من المراحل سبق لدول أخرى المرور بها، مشكلة بذلك نمطاً عاماً تشابه كثيراً من ناحية العوامل والمسببات وحتى النتائج ليطابق عليه فيما بعد التحول الديمغرافي.

مقدمة:

لقد عرف العالم العربي في الفترة ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية جملة من التطورات و التغيرات، مست مختلف بنياته الاجتماعية و السياسية وحتى الاقتصادية، تلك العوامل مشتركة ساهمت في إيجاد نموذج جديد للعالم العربي يختلف ابستومولوجيا عن نماذجه السابقة التي اختلفت فيما بينها من نواحي عديدة خاصة الاقتصادية منها، إلا أن هذا الاختلاف مس السلوكات الديموغرافية أيضاً، ليبقى التشابه حاصلًا في شكلها العام الذي مس العالم العربي قاطبة، فعلى الصعيد العربي عموماً والجزائري خصوصاً امتازت الثقافة السكانية بالتشجيع على الزيادة والحث على إنجاب، لكن حصول الانفتاح الثقافي والتغير في النشاط الصناعي ساهم نمطاً متشابه جسده مجموعة من التغيرات شملت مختلف مكونات البناء الثقافي، الاقتصادي و حتى السكاني، لنحصل على عدد من المراحل سبق لدول أخرى المرور بها، مشكلة بذلك نمطاً عاماً يتشابه كثيراً من ناحية العوامل والمسببات وحتى النتائج، وهو ما أطلقنا عليه بالتحول السوسيوديمغرافي.

(1) تعريف التغير الاجتماعي:

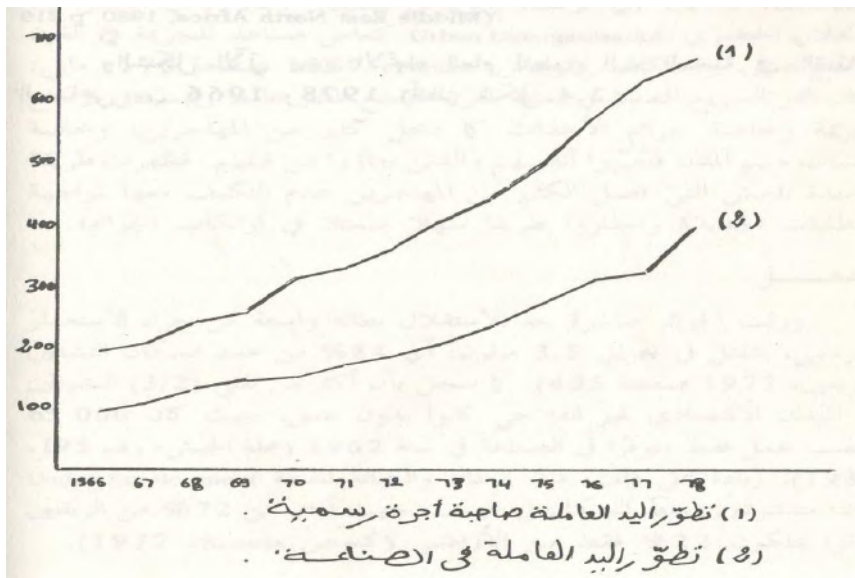
عندما نأخذ بعين الاعتبار متغير الزمن، وتتبع أحوال المجتمع، أو أجزاء منه، فننظر في حركته ومصادرها، وما تشمله هذه الحركة من عمليات اجتماعية ديناميكية، ونلاحظ ما يلحق بالمجتمع من عوارض وتحولات، فإننا نبحث في التغير الاجتماعي الثقافي، والتغير من الخصائص الثابتة المستمرة تاريخياً، يختلف في معدل حدوثه ومداه من مجتمع إلى آخر، كما قد يختلف في

هذا بين أجزاء المجتمع الواحد. ولقد كان التغير كعملية اجتماعية ثقافية من المحاور الأساسية في البحوث الاجتماعية، ولهذا نجح له تعريفات كثيرة منها على سبيل المثال تعريف ماكينوس الذي عرفه " بالتحول في تنظيم المجتمع، وفي أنماط الفكر والسلوك عبر الزمن"، أما ريتز فيقول " أن التغير الاجتماعي يشير إلى التباين التاريخي في العلاقات بين الأفراد والجماعات والتنظيمات والثقافات والمجتمعات، ويعرفه فارلي بأنه التبدل في أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية والنظم والبناء الاجتماعي¹.

2.1 مراحل التغير الاجتماعي في الجزائر - الشغل²:

ورثت الجزائر مباشرة بعد الاستقلال، بطالة واسعة من جراء لاستعمار الفرنسي، تمثل في 3.5 مليون بطال، أي 84% من عدد السكان النشطين، كما سجل بأن أكثر من ثلثي (2/3) النشطين في الميدان الاقتصادي غير الفلاحي كانوا بدون عمل . حيث كان منصب عمل فقط متوفر في الصناعة في سنة 1962 زيادة على ذلك، فإن البطالة والبطالة المقننة كنتا منتشرتين وسط سكان الريف، حيث أكثر من 72% من الريفيين كانوا يملكون 22% فقط من الأراضي.

وعليه فقد سطرت برامج اقتصادية كثيرة وبالتالي توفرت الآلاف من مناصب العمل. وقد سجل خلق 600000 منصب شغل عن طريق التصنيع خلال الفترة من 1965-1974، وخاصة في المناطق الحضرية مثل عنابة، سكيكدة، قسنطينة، قالمة، سطيف وبجاية، وفي ولايات أخرى التي عرفت وتعرف تغيرا اجتماعيا ملحوظا، زيادة إلى ذلك فان الحكومة الجزائرية خطت أيضا لخلق 450000 منصب عمل في القطاع الغير فلاحي خلال الفترة من 1974-1977، هادفة بذلك لمشكل البطالة مع سنة 1980. والشكل التالي يوضح الاتجاه العام لتطور اليد العاملة في القطاع الصناعي بين 1966-1978 كما يلي:



¹ ابراهيم عيسى عثمان - مقدمة
² علي مانع-جنوح الاحداث و

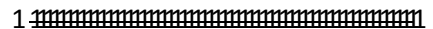
(2) تعريف التحول الديمغرافي:

تتكون كلمة التحول الديموغرافي من مقطع التحول والذي يقصد به التغير والانتقال من حالة واضحة إلى حالة تكون غامضة أو واضحة كسابقتها، ديموغرافي والتي يقصد بها العلم الذي يهتم بدراسة الجانب السكاني وأهم التطورات و التغيرات الحاصلة عليه، من هنا يمكن تعريف التحول الديمغرافي على انه: جملة التغيرات والتطورات الحاصلة على البنية السكانية خلال مدة زمنية معينة، تختلف من حيث خصائصها عن مرحلة التي سبقتها.

و هو أيضا وجود تغير في معدل نمو السكان، يعكس بدوره تزايدا غير متعادل من حيث التغير في معدلات المواليد والوفيات، و غالبا ما تحدث العملية نتيجة التصنيع أو التطورات العصرية¹.

هو المرور من وضعية توازن ذات خصوبة و وفيات عاليتين إلى وضعية توازن ذات خصوبة و وفيات منخفضتين خلال مدة زمنية و هذا موازيا للتنمية الاجتماعية و اقتصادية².

و من خلال ما سبق ظهرت نظرية التحول الديمغرافي التي استخدمت لتفسير آلية معدلات النمو السكاني في أوروبا الغربية، حيث اكتسبت زخما كبيرا بعد كتابات دافيز في عام 1945م رغم أن الجوهر الكامل للعلاقة بين التحديث و انخفاض

1 

¹ ميمونة مناصرية- التحول الديمغرافي وأثاره على التشوه العمري - مذكرة لنيل درجة الماجستير - 2005 ص 24.

² بعيط فاتح - الانتقال الديمغرافي في الجزائر - مذكرة لنيل شهادة الماجستير - 2008 - ص 16.

الوفيات و الخصوبة إضافة للمراحل الثلاث صيغت من قبل نوتستين، وقد وضع نوتستين هيكلية لتفسير الكلاسيكي لتحول الديمغرافي¹.

كما أن النمو الاقتصادي في دول أوروبا قد استدعى زيادة السكان ، حيث كانت فرنسا أول دول أوروبا في نسبة السكان في القرن 17 ثم فقدت مركزها في القرن 18 ، و لم تستطع الحروب النابليونية أن تعيد إليها مركزها القديم ، وهكذا تناقص السكان الفرنسيون بالنسبة لبقية سكان أوروبا، فبعد أن كانت تشير هذه العملية إلى وجود تغير في معدل نمو السكان، يعكس بدوره تزايداً غير متعادل من حيث التغير في معدلات المواليد والوفيات، وغالباً ما تحدث العملية نتيجة التصنيع أو التطورات العصرية².

وفي سياق حديثه عن النمو الحضري أكد السيد الحسيني بأنه يرتبط عموماً بزيادة السكان بوجه عام، وأنه إلى غاية منتصف القرن 17 لم يكن عدد السكان في العالم يزيد بأكثر من % 0.4 سنوياً، ويقدم القرن 18 تضاعف عدد السكان في العالم مرة واحدة، ويصف بعض الدارسين هذه التغيرات السكانية بأنها تعبير عن "تحول ديموغرافي" أو "ثورة ديموغرافية" ولقد طرأت زيادة سكانية مفاجئة خلال النصف الأخير من القرن 18 ، ولم يكن مصدر هذه الزيادة ارتفاع معدلات المواليد فقط، بل أيضاً انخفاض معدلات الوفيات. وفضلاً عن ذلك استمرت هذه الزيادة السكانية في الارتفاع خلال القرنين 19 و 20، وهو ما دفع ببعض الباحثين إلى استخدام مصطلح "التحول الديمغرافي" للإشارة إلى الانتقال من مرحلة ارتفاع معدلات المواليد (التي كان يقابلها، ارتفاع معدلات الوفيات (إلى مرحلة انخفاض معدلات الوفيات وصولاً إلى مرحلة انخفاض معدلات المواليد التي تنتهي بتحقيق

نوع من التوازن النسبي بين نسب الميلاد ونسب الوفاة، ويمكن تفسير انخفاض معدلات الوفيات في ضوء التطورات التكنولوجية التي طرأت في مجال الزراعة³

1. [http://www.egyptology.com/egyptology/egyptology.asp?cat=1&subcat=1&id=1](#)

¹ صالي محمد - مقياس نظرية التحول الديمغرافي - بالتصرف

² حسين احمد سعد الشديدي- "مقالة بعنوان: التوظيف الأمثل لفرصة التحول الديموغرافي (الهبة الديموغرافية) -جامعة بغداد - مركز التخطيط الحضري والأقليمي للدراسات العليا.

³ ميمونة مناصرة- التحول الديمغرافي وأثاره على التشوه العمراني - مذكرة لنيل درجة الماجستير- 2005 ص24.

2.2) مراحل التحول الديموغرافي¹:

لقد دفعت دراسة التغيرات التي طرأت على معدلي الوالادات والوفيات الخام في البلدان الصناعية خلال القرنين الماضيين إلى بلورة نموذج نظري يسعى إلى تفسير تطور ونمو السكان عبر الزمن عرف بنظرية التحول الديموغرافي، حيث تشرح هذه النظرية العالقة بين معدل الوالادات الخام ومعدل الوفيات الخام و على الرغم من محاولات أدولف الندي 1909-1934، وورن ثومبسون عام 1929، وكنغسلي دايفس عام 1945 كان للباحث فرانك نوتشتين الفضل في نشرها، والذي صاغها بشكل واضح في عام 1953 وفقا لهذه النظرية فهناك أربع مراحل للتحول الديموغرافي تمر بها المجتمعات البشرية:

المرحلة الأولى:

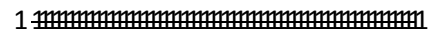
تتميز هذه المرحلة بارتفاع المعدل العام لكل من الوالادات والوفيات ويكونها بطيئة وقرينة إلى الثبات وتبرز بشكل كبير في المجتمعات الزراعية ذات البناء الاجتماعي التقليدي المتخلف.

المرحلة الثانية:

تتميز بسرعة نمو السكان نتيجة هبوط معدلات الوفيات بدرجة أسرع من هبوط معدل الوالادات بسبب تحسن الأوضاع الصحية والاقتصادية والتعليمية، حيث أن الدول الصناعية المتقدمة قد مرت بهذه المرحلة واستمرت مدة طويلة قاربت قرنا كاملا، أما الدول النامية فكان دخولها لهذه المرحلة سريعا مستفيدة من التقدم الحاصل في مجالات الطب العلاجي والوقائي حيث وصل معدل النمو السكاني فيها إلى أكثر من 2% .

المرحلة الثالثة:

يبدأ النمو السكاني في هذه المرحلة في الانخفاض التدريجي نتيجة هبوط معدل الوالادات (معدل النمو بين 1%- 2% سنويا وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الانتقالية).

1 

¹ حسين احمد سعد الشديدي - مقالة بعنوان: (التوظيف الأمثل لفرصة التحول الديمغرافي) - جامعة بغداد - ص 6

المرحلة الرابعة :

تتميز النمو في هذه المرحلة بكونه متدرجا في الانخفاض ويسود نمط الأسرة صغيرة الحجم، وتتميز المجتمعات التي تدخل هذه المرحلة بانفتاح النافذة الديموغرافية فيها حيث يصل معدل النمو إلى اقل من 1% سنويا.

3.2) مظاهر التحول الديموغرافي في الجزائر¹:

المرحلة الأولى: 1901-1945:

تتميز هذه المرحلة بنمو طبيعي قريب يتراوح من 0.5%، حيث شهدت ارتفاع كل من معدلات الولادات، ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى فترتين:

الفترة الأولى: 1901-1920:

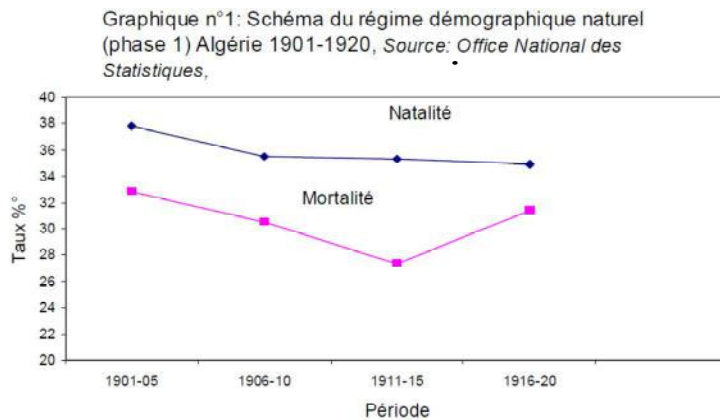
عرفت هذه مرحلة معدل نمو لا يتجاوز 0.5%

الفترة الثانية: 1920-1945:

بلغ معدل نمو حوالي 1%، فقد بدأت الوفيات بالانخفاض ابتداء من 1921 في حين بقي معدل مواليد مرتفعا،

ليسجل معدل خام للوفيات وصل حد الذروة 43.1%، حيث يرجع ذلك في الغالب للأحداث 8 ماي، وانتشار الأوبئة

كالكوليرا وتفويدها وإصابتها شريحة كبيرة من المجتمع.



1

¹ محمد صالي- مقياس: التحول الديموغرافي في الجزائر- 2013 - ص 28 - بالتصرف.

المرحلة الثانية: 1946-1985 :

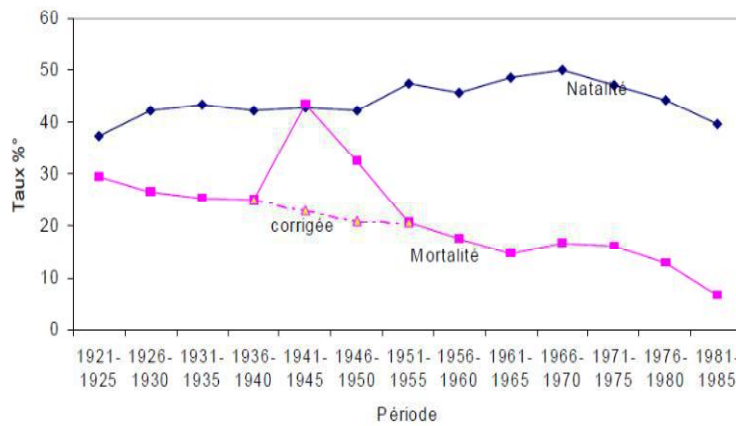
الفترة الأولى 1946-1970:

والتي تميزت بارتفاع معدل المواليد الناتجة عن الخصوبة الطبيعية حيث بلغ معدل المواليد مستوى لم يصل إليه من قبل ببلوغه 47% سنة 1955 بعد أن تجاوز 45% عام 1951، كما تميزت الوفيات في هذه الفترة بالانخفاض المنتظم مع البقاء على مستوى أعلى من 15%، إلا أن معدل النمو تجاوز 3% ابتداء من 1961 إلى 1965.

الفترة الثانية 1971-1985:

بلغ معدل المواليد في هذه الفترة ما يفوق 40%، ومعدل وفيات ينخفض باستمرار لكنه يتجاوز 5%، إلى غاية سنة 1985.

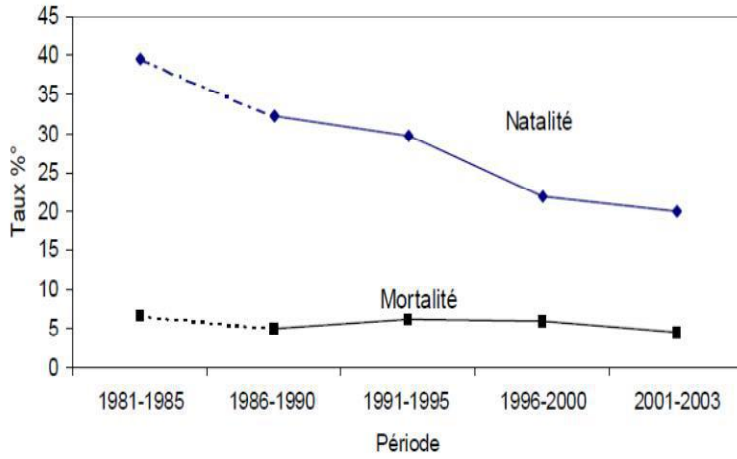
Graphique n°2: Evolution des indicateurs de la transition démographique Phase 2, Algérie 1921-1985 (Source des données: Office National des Statistiques)



المرحلة الثالثة: من 1986 إلى يومنا هذا:

شهدت هذه الفترة انخفاضا في معدل المواليد ومعدل الوفيات الذي بلغ 5% في الفترة 1986-1990 والذي تزامن مع بداية المرحلة الثالثة لنظرية التحول الديمغرافي. وفي الواقع فإن معدل النمو الطبيعي قد تراجع منذ عام 1986 ليصل إلى مستوى 1.4% عام 2002. إلا أنه ارتفع مجددا ليصل إلى 1.9% سنة 2008، ليستمر إلى في ارتفاعه إلى بلوغه 2.15% سنة 2014، ما يدل على وجود تذبذب كبير خاصة في فترة العشرية السوداء.

Graphique n°3: Evolution des indicateurs de la transition démographique, Phase 3, Algérie 1986-2003; Source:ONS



التحول السوسيوديمغرافي في الجزائر:

حسب تقرير مكتب منظمة العمل الدولية للقوى العاملة عام 2000 فانه سوف تزيد قوة العمل العالمية بنسبة 68% أي بمعدل يزيد عن 1 بليون، وتشكل هذه الزيادة تحديا رئيسيا خطيرا خاصة أمام الدول النامية في جهودها لتحقيق التنمية الكافية وتوفير وظائف وفرص العمل لقوة المتضاعفة الناتجة عن الانفجار السكاني فيها، فعندما تكون معدلات الخصوبة مرتفعة فان الفئة العمرية دون الخامسة عشر تشكل نسبة كبيرة مقارنة بنسبة البالغين الذين هم في سوق العمل، وبما أن السلوك الاقتصادي يختلف باختلاف مراحل الحياة عند البشر فانه يترتب على ذلك أن الهيكل العمري للسكان له اثر كبير على الأداء الاقتصادي للإنسان حيث أن جزء كبيرا من الدخل يذهب ليصرف على الإنفاق الاستهلاكي عندما ترتفع معدلات الخصوبة وتنسج قاعدة الهرم العمري للسكان.¹

إن جانبا كبيرا من الأسباب العامة للمركز والتخلل السكاني في المدينة داخل المنطقة الحضرية قد استوعبه التراث الإجماعي في هذا الصدد، وإيجاز شديد يمكن القول أن اختراع الآلة البخارية وتطور نظام المصنع، وتطوير تقسيم المعمل واتساع الأسواق، وظهور الكثير من وظائف الخدمة المتخصصة، والتقدم الملحوظ في تكنولوجيات الزراعة إلى جانب اعتبارات باختلاف الزمان والمكان، كانت كلها من أهم العناصر التي ساهمت كثيرا في القوة الجاذبة التي أدت إلى خلق

1 البيانات الديمغرافية للجزائر 2003

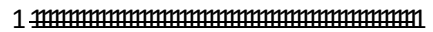
¹ فرليس عباس فاضل البياتي- علم اجتماع السكان-دار الجيل- 2018—ص230.

تجمعات حضرية كبيرة من السكان وبالمثل يمكن القول أيضا أن قدوم السيارة والطرق العامة الممهدة، ووسائل النقل الحديثة والأهمية المتزايدة للكهرباء، كمصدر للقوة والطاقة لتحريك وسائل النقل لمسافات طويلة، والتحسين المطرد في وسائل الاتصال¹، كانت كلها عوامل ساهمت في خلق العلاقة بين التغيرات الاجتماعية والمتمثلة خاصة في (الشغل)، والمتغير الديمغرافي والممثل في الغالب في معدل المواليد والنزوح السكاني.

لقد عانت الجزائر كثيرا من عبء النمو الديمغرافي خلال سنوات السبعينات والثمانينات، حيث وصلت معدلاته إلى أكثر من 3.8% ليشجع من ثمة في انخفاض منتظم، الشيء الذي جعل البعض يؤكد على دخول الجزائر مراحل الانتقال الديموغرافي. إن انخفاض معدل النمو الديمغرافي في الجزائر في السنوات الأخيرة، وانخفاض كل من معدل الولادات ومعدل الخصوبة العامة هو نتيجة الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها البلاد، ولا يعكس نضجا اجتماعيا وسيكولوجيا وهو ما تبينه الإحصائيات الأخيرة، إذ ارتفع معدل النمو الطبيعي وذلك نتيجة الانتعاش الاقتصادي الذي عرفته البلاد، ومن الناحية الاقتصادية عرف عدد المشغلين ارتفاعا مستمرا إلى جانب نسبة السكان النشطين²

الخلاصة:

إن التغير الاجتماعي بأبعاده الثقافية، الاقتصادية، وحتى سياسية يوحي بوجود إلزامية مباشرة لوجود ترابط بين هذه الأبعاد، ومن خلال قراءتنا لكتابات السيسولوجية حول التغير ومن خلال كل ما سبق، نستنتج في الأخير بأن التغير الديموغرافي جزء لا يتجزأ من التغير الاجتماعي العام، ورغم كون هذا الأخير يختلف عن مفهوم التقدم الاجتماعي، إلا أن حدوثه بأي صفة كانت يستلزم تأثيره المباشر على البنية السكانية بمختلف أبعادها، بما فيها السن، الجنس، وحتى التوزيع، المتمثل في حركة النزوح الريفي.

1 

¹ مريم احمد مصطفى، السيد عبد المعاطي، السيد السيد رشاد غنيم- التغير ودراسة المستقبل- دار المعرفة الجامعية ص240- بالتصرف
² توبين علي - مذكرة ماجستير بعنوان: النمو الديمغرافي وأثره على التنمية الاقتصادية حالة الجزائر (1970-2002)- جامعة الجزائر ص101.

قائمة المراجع والدراسات السابقة:

- (1) -ميمونة مناصريه- التحول الديمغرافي وآثاره في التشوه العمراني- مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير - جامعة قسنطينة- 2005.
- (2) -بعيط فاتح - الانتقال الديمغرافي في الجزائر - مذكرة لنيل شهادة الماجستير - 2008.
- (3) -محمد صالي- مقياس : نظرية التحول الديمغرافي في الجزائر - 2013.
- (4) -حسين احمد سعد الشديدي- "مقالة بعنوان: التوظيف الأمثل لفرصة التحول الديموغرافي (الهبة الديموغرافية) - جامعة بغداد - مركز التخطيط الحضري والأقليمي للدراسات العليا.
- (5) -رعد مفيد أجد - مقالة بعنوان: المؤشرات الزمنية للنافذة الديموغرافية وتداعياتها في العراق - الجامعة المستنصرية.
- (6) -توين علي، رسالة ماجستير: النمو الديمغرافي وأثره على التنمية الاقتصادية، جامعة الجزائر، قسم العلوم الاقتصادية، 2003-2004.
- (7) -بركاني وردة، رسالة ماجستير بعنوان: انتقال الخصوبة وأثره على التركيبة السكانية، ، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، جامعة باتنة، 2008-2009.
- (8) -عيسى نور الدين، مقالة بعنوان: ظاهرة الشيخوخة في الجزائر و عوامل تطورها، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر 2، العدد 19 جوان 2015.
- (9) -إبراهيم عيسى عثمان- مقدمة في علم الاجتماع - دار الشروق - 2009.
- (10) -علي مانع- جنوح الأحداث والتغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة-ديوان المطبوعات الجامعية- 1996- ص138.
- (11) -فرلس عباس فاضل البياتي- علم اجتماع السكان- دار الجيل- 2013.
- (12) -حمد عاطف غيث. قاموس علم الاجتماع. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. 1989 .
- (13) -السيد الحسيني. المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري. ط. 3. دار المعارف. 1985 .

14) مريم احمد مصطفى، السيد عبد المعاطي، السيد رشاد غنيم- التغير ودراسة المستقبل- دار المعرفة الجامعية.

15) موقع الالكتروني <http://populationpyramid.net/>

أ.بن عائشة الزهرة. جامعة تلمسان.

ملخص:

أصبح للإعلام اليوم دور أساسي في نهوض الأمم و تقدّم الشعوب، ووصل الأمر بالإعلام الجديد، إلى مستوى أصبح هو الفاعل والمؤثر الأقوى في العلاقات الاجتماعية، والاقتصادية والإنسانية على وجه العموم، وبالتالي في تشكيل منظومة القيم. وتتطور الوسائل خاصة في المجال الاتصالي، تحدث هزات ثقافية، ولما ظهرت الانترنت بخصائصها وخدماتها، وخاصة من خلال المدونات ومواقع التواصل الاجتماعي، أحدثت هذه الأخيرة، هزة ثقافية كبيرة، حيث غيرت من شكل الهويات، وأصبح اليوم بما يعرف الهوية الافتراضية، هذه الهويات الافتراضية قامت بالتغيير عن طريق الثورة، حيث رأت أنها الحل الأمثل كما رأى من قبل "كارل ماركس". ومن أهمها الثورات العربية، فالإعلام الحر ليس غاية وحسب؛ ولكن وسيلة لتحقيق التحول والتغيير الاجتماعيين.

مقدمة:

تشهد المنطقة العربية مرحلة انتقالية في تاريخها، ومملا شك فيه أن الحدث الأبرز الذي يعتبر المؤشر لتأريخ هذه الحقبة، و الذي ساهم في هذه النقلة هي الثورات العربية، التي اندلعت في أواخر سنة 2010 و مطلع 2011، كانت شرارة تلك الثورات في تونس مع البوعزيزي، الذي نجح في كسر الخوف لدى المواطن العربي، و أصبح لديه الثقة و القدرة في تحقيق التغيير. ونتيجة لذلك ما لبثت أن قامت الثورة في مصر و "المطالبة بإسقاط الرئيس"، ثم ليبيا فاليمن و وصلت أصداؤها حتى البحرين و الأردن و العراق و المغرب، و بالفعل ما لبثت أيام حتى سقط النظام في مصر، و حوصر القذافي، و لجأ كل من الرئيس اليمني و التونسي إلى السعودية، أما في سوريا فكانت بداية الإصلاحات، و لكن أخذت انزلاقات أخرى خطيرة مازالت إلى يومنا اليوم، أما في المغرب فكان الاستفتاء على تعديل الدستور، أما البحرين فقد لجأت إلى الحوار و الأردن يجري البحث عن تسوية.

لقد أثارت هذه الثورات العربية جدال واسع و لازالت في جميع الأوساط السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، الأمنية، و الدينية، و الإعلامية....

كان الجدل و الاختلاف أولا في تسميه تلك الثورات، فهناك من أطلق عليها عصر التنوير العربي، و هناك من سهاها الربيع العربي و أول من أطلق عليها هذه التسمية هو الرئيس الأمريكي "باراك أوباما"، و هناك من اكتفى بتسميتها انتفاضة أو حرب أهلية، و بالرغم من الجدل الكبير، و الزخم الهائل من البيانات و المعلومات و الآراء حول هذه الثورات-انطلاقا من التسمية

إلى الأسباب و الدوافع، إلى قاداتها (من يجرها)، إلى إنجازاتها، إلى نجاحها أو فشلها-إلا أن هناك شبه إجماع على الدور الذي لعبه الإعلام في هذه الثورات. فاليوم نجد أن هذا الإعلام، فرض نفسه و تحول إلى رقم صعب، في معادلة التغيير السياسي بالمنطقة العربية، بعد سنوات سادت فيها قناعة أن المنطقة باتت عصية على التغيير على مستوى الهرم السياسي، إلا أن مسلسل الثورات العربية أظهرت أن محرك الأحداث إن لم نقل "وقودها" هو الإعلام¹، و تركز هذا الطرح بعد أن استطاعت الحقيقة تجاوز الحدود و كسرت القيود التي كانت مفروضة قبل سنوات، من خلال القنوات الفضائية والمواقع الالكترونية و التي أصلت لحقيقة أن الصورة لم تعد حكرا على أحد بل بات أبسط فرد يمكن أن يشارك في صناعة الحدث و توصيل "الخبر" أو بصيغة أدق أن أبسط مواطن تحول إلى صحفي أو رجل إعلامي².

من خلال هذا الإجماع (أو شبه إجماع) ما يهمننا هنا التغيير الذي حدث في هذه البلدان عن طريق إسهامات وسائل الاتصال و بالتحديد و لغرض منهجي وسائل الإعلام الجديد، و بالتالي تأتي هذه الورقة البحثية لرصد آلية هذا التغيير من خلال التحليل السوسيو-اتصالي لهذه الثورات. و باعتبار أن الظاهرة الثورية ظاهرة اجتماعية، إن صح ذلك، كانت أقرب نظرية قادرة على تفسير الثورات العربية، نظرية الصراع ل"كارل ماركس" التي استنبطها من "هيجل".

و منه نطرح بعض التساؤلات كما يلي:

ما مدى توافق المقاربة الماركسية للتغيير العربي المتجسد في الثورات العربية؟ ثم الدور الذي لعبه الاتصال في هذا التغيير عن طريق التحليل الوظيفي لوسائل الإعلام الجديد؟.

المبحث الأول: التحليل السوسيوولوجي للثورات العربية.

أولا: الحتمية المادية عند "ماركس" و الواقع العربي.

تقوم نظرية التغيير الاجتماعي عند "كارل ماركس"، على فرضية أساسية و هي الحتمية الاقتصادية و الصراع، و هما المحور الأساسي لبناء المجتمع و تطوره. و يقول "كارل ماركس" بأن الطبقات هي التي تشرح البنية الاجتماعية للمجتمع و أن هذا التقسيم لا يتم على أساس قانوني أو أساس ديني بل على أساس امتلاك وسائل الإنتاج و السلطة، و يقسم المجتمع إلى



¹ عبد الحليم موساوي، التعاطي الإعلامي مع الثورات العربية (قراءة في التحديات المهنية والأخلاقية)، مجلة دراسات و أبحاث، العدد الأول، منشورات دار الحكمة، الجزائر، 2012، ص 115.

² عبد الحليم موساوي، مرجع سبق ذكره، ص 115.

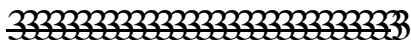
طبقتين: البروليتاريا و البرجوازية¹. و يعتقد "ماركس" أن القوى الإنتاجية في المجتمع تدخل في مرحلة من تطورها، في صراع، مع علاقات الملكية و مع الإطار الاجتماعي و السياسي القائم، و عندما تصبح علاقات الملكية معوقة للإنتاج، تحدث أزمة و تبدأ حقبة من الثورات الاجتماعية و لا تستطيع الطبقات الحاكمة، و لا تريد الطبقات المستغلة أن تعيشا معا في ظل الشروط القائمة، و هذا التناقض بين الطبقات هو الذي يفضي إلى التغير عن طريق ثورة عنيفة². و بالتالي فإن التغير الاجتماعي يتم في إطار جدلي وفق ثلاث مراحل: مرحلة الإثبات، مرحلة النفي، مرحلة الأضداد.

إن تشرح البنية الاجتماعية ل"ماركس"، لا يختلف عن تقسيم السيد "رالف دراندروف"³ حيث قسم المجتمع إلى طبقتين و فسرها من خلال توزيع السلطة وفق ثنائية (حاكم/محكوم) و التي تفسر الطبقة في المجتمع العربي بشكل أكثر وضوحا و المتكونة من :

الحكام: و هم شاغلي السيطرة الايجابية يصدرن الأوامر و يتحكمون في أفعال الآخرين و المتمثلة بالرئيس و الحكومة.

المحكوم: و هم شاغلي أدوار السيطرة السلبية أفراد يطيعون الأوامر و يتركون الحكم للآخرين. و هي الشعوب. و يتجلى هذا خاصة في المجتمع المصري حيث توجد فئتين فئة الرئيس و عائلته و حكومته التي وظيفتها الظاهرة تتمثل في خدمة الفئة الثانية و هي الشعب، و لكن كما يقول "ماركس" في البيان الشيوعي: "إن الحكومة ليست سوى هيئة تشرف على إدارة المصالح العامة للطبقة البرجوازية"⁴. و تلكم هي الوظيفة الكامنة.

إن تقسيم كل من "ماركس" و "دراندروف" للمجتمع ينطبق على المجتمع العربي بالرغم من الفروقات الجوهرية لطبيعة المجتمعات. حيث أن الباحث الاجتماعي "أحمد موسى بدوي" في كتابه "تحولات الطبقة الوسطى في الوطن العربي"⁵ يقسم المجتمع العربي إلى ست طبقات أساسية: الطبقة المركزية المتحكمة، و الطبقة الوسطى المنتفذة، و الطبقة الوسطى المستقرة، و الطبقة الوسطى الفقيرة، الطبقة العاملة و الفئات اللاطبقية الكادحة. إلا أن الباحث يرى أن هذه الطبقات و في لحظة حاسمة من عام 2011 أصبحت تندرج تحت طبقتين و هما: الأولى الطبقة المركزية المتحكمة و الطبقة الوسطى المنتفذة. و الثانية الطبقة



¹ خيرة لكل، الثورات العربية برؤية ماركسية، مجلة دراسات و أبحاث، مرجع سبق ذكره، ص 19.

² عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، 1979، ص 1871.

³ خيرة لكل، مرجع سبق ذكره، ص 20.

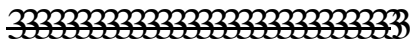
⁴ حسن ملحم، التحليل الاجتماعي للسلطة، منشورات دحلب، بوزريعة، الجزائر، ص 80.

⁵ محمد حمامي، الطبقة الوسطى تتأكل في فوضى الربيع العربي، جريدة العرب، العدد 9475، بتاريخ 20/02/2014.

الوسطى الفقيرة و الطبقة العاملة و اللاطبقية الكادحة ثم انضمت الطبقة الوسطى المستقرة، و العامل الأساسي و الذي لا يمكن الاختلاف عليه في هذا الاتحاد بين هذه الطبقات سواء في المجتمعات العربية أو غير العربية و الذي أدى إلى نقطة اللارجوع و المطالبة بل و المشاركة بالتغيير سواء بالسلم أو العنف، هو حسب "كارل ماركس" العامل المادي أو الاقتصادي، بالرغم من النقد الموجه إلى الحتمية المادية، إلا أن ذلك لم يمنع من أن جل الباحثين و الخبراء قد اتفقت آرائهم حول الدافع المادي لقيام هذه المجتمعات بالثورات، كما ركزت الأبحاث المتعلقة بالعملة¹، على موضوعين رئيسيين حيث أنهما يؤثران مباشرة على ظاهرة و مستقبل الثورات و هما: النقاش حول مدى الفقر في العالم و درجة مساهمة العملة في خفض الفقر و عدم المساواة أو تفاقمها في أنحاء العالم في العقد الأخير أو ما شابه، و النقاش الثاني البحث عن تضائل أهمية الدولة_الأمة. و ما يهمننا هنا هو مدى الفقر في العالم و بصفة خاصة في المجتمعات العربية و ليس علاقة العملة بالفقر و عدم المساواة لأن المسألة معقدة و متنازع عليها بالفعل. إنه من الواضح أن العلاقات بين الشمال و الجنوب هرمية و غير متساوية إلى حد كبير و هذا يرجع بالدرجة الأولى لطبيعة النظام الاقتصادي. يقول "روبن هانل": "...لكل دولة صناعية حديثة برزت عشر دول متأخرة خلال مرحلة الازدهار النيوليبرالية. لكل مستفيد ثري من عملية ارتفاع الأسهم و حصص الأرباح و الرواتب العالية، هناك 10 ضحايا لانخفاض الأجور و أمان العمل و خسارة المنافع..."². و قد عبر عن ذلك "تشوسودوفسكي" عام 1998 بالقول: "ستعرف أواخر القرن العشرين في التاريخ العالمي بمرحلة زيادة الفقر الشامل"³.

أما بالنسبة للأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في العالم العربي، فهي ترجع إلى أن البلدان العربية في مجملها تندرج تحت مجموعة الدول الريعية، و يعرف الفكر الاقتصادي الريع بأنه "المردود لملكية الموارد الطبيعية و لكل ما يتعلق بجميع الموارد التي لم تكن من صنع الإنسان كالمناخ، و الموقع الجغرافي الذي يأخذ في كثير من الأحيان بعدا استراتيجيا. كما هو الحال في معظم دول الوطن العربي"⁴.

لقد مكن التدفق الريعي الحكومات المعنية (العربية)، من انتهاج سياسة الإصلاح الاقتصادي التي روجتها مؤسسات صندوق النقد الدولي و البنك الدولي، الذي اعتمد من تسعينيات القرن الماضي، حتى تتجنب العلاقة التصادمية الطبيعية بين المكلفين



¹ جون فوران، مستقبل الثورات، ط 1، ترجمة: تانيا بشارة، الأبيار، الجزائر، 2007، ص 1.15

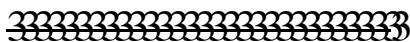
² نفس المرجع، ص 1.15

³ نفس المرجع، ص 1.16

⁴ زياد حافظ، أوضاع الأقطار النفطية و غير النفطية، ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006، ص 1.429

والحكومات. وهي عبارة عن خدمات عامة، و إعانات سخية طوال عقود، في مساعدة السكان على الخروج من الفقر و زيادة الرفاه الاقتصادي، و توسيع حجم الطبقة الوسطى، و كل هذا عن طريق توزيع الربح الذي يشكل أكثر من 95% من واردات التصدير. وبالتالي فإن السمة الأساسية لهذه الدول هي توزيع الربح، وفقا لمعايير أساسية اجتماعية محددة¹. وبالفعل أدت التحسينات الكبيرة التي أجريت في مجالي الصحة و التعليم إلى زيادة التحصيل العلمي لشريحة كبيرة من الطبقة الوسطى، كما ضمنت سياسات الدولة فرص العمل للمتخرجين من الجامعات و المدارس الثانوية². إلا إن هذه السياسة المتهجة و المقايضة السلطوية لم تكن لتستمر طويلا، و عجزت عن تحقيق معدلات نمو مرضية، بالرغم من الإمكانيات الهائلة، مما جعلها تتخلف حتى عن منظومة الدول النامية كمجموعة. و تشير الدراسات أن الفقر في الوطن العربي، يزداد منذ الثمانينات و لا ينخفض، و يعيش حاليا 65 مليون نسمة و يشكلون نحو 20% من السكان في فقر مدقع، بمعدل إنفاق للفرد يقل عن دولار يوميا. بينما يعيش 150 مليون مواطن عربي يشكلون 52% من السكان بأقل من دولارين إلى أقل من 5 دولارات في اليوم. و مازال هناك واحد من بين 5 من العرب يقل دخلهم عن دولارين في اليوم³. فمثلا في مصر كانت ظاهرة الفقر في الخمسينات ما بين 30 إلى 35% أقل مما هي عليه في السبعينات، و هذا ناتج عن تحول مهم في توزيع الدخل لمصالح الفقراء، و رغم تراجعها نسبيا في الثمانينات، إلا أن الظاهرة عادت إلى الارتفاع من جديد في التسعينات ب 45.8% .

و يشير تقرير الإسكوا لعام 2014 في دراسة "الطبقة الوسطى في البلدان العربية" عن تراجع حجم الطبقة الوسطى في مصر نتيجة لارتفاع نسبة الفقراء و المعرضين للفقر بسبب عمليات النمو الاقتصادي المناهضة للفقراء و الطبقة الوسطى. و بالتالي كان 49% من سكان مصر عام 2011 من الفقراء⁴. و تترتب على هذه النسب عدة مشكلات أخرى، منها ظاهرة تشغيل الأطفال دون سن 15. و بالرغم من نجاح 9 أقطار في القضاء على هذه الظاهرة، و لكن لا يزال معدل تشغيلهم مرتفعا في السودان 28%، موريتانيا ب 23%، اليمن ب 19%، كما توقع تقرير التنمية الإنسانية العربية عام 2002 باستمرار أزمة البطالة



¹ نفس المرجع، ص 1.432.

² الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية و الاجتماعية لغربي آسيا، الطبقة الوسطى في البلدان العربية قياسها و دورها في التغيير، بيروت، لبنان، 2014، ص 1.14.

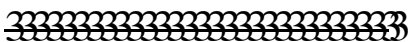
³ محمد إبراهيم منصور، تداعيات الزيادة السكانية في الوطن العربي و تأثيره على آليات الرفاهية الاجتماعية، ندوة الرفاهية الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 1.469.

⁴ الأمم المتحدة، مرجع سبق ذكره، ص 1.56.

في الوطن العربي باعتبارها من المشكلات الاقتصادية المزمنة، و باعتراف نفس التقرير أن هناك 65 مليون عربي أميا ثلثهم من النساء، و ليس من المتوقع أن تحل هذه المعضلة قبل ربع قرن على الأقل¹.

ثانياً: تزييف الوعي و صحوة الوعي الاجتماعي العربي.

إن سياسة الإصلاح الاقتصادي العربي، أو المقايضة السياسية، القائمة على توزيع الربح، الذي يخدم مصالح النظام السياسي القائم، و ليس لتحقيق عقد اجتماعي بين الدولة و المجتمع، تعتبر من بين الوسائل و السياسات العديدة التي ساهمت في تزييف الوعي لدى المواطن العربي لبقاء الوضع على ما هو عليه. و يعرفه "كارل ماركس" بأنه الوعي الناتج عن إدراك الطبقة الحاكمة من الرؤساء الذين يملكون السلطة و يديرون قوى الإنتاج و العمل إدراك عقلائي بالعلاقات في أهدافهم المختلفة و وسائل تحقيقها و المهين عليهم و المقصود هنا هم الشعوب الذين لا يملكون مثل هذا الإدراك². و لوعي الطبقة الحاكمة لأهدافها سعت دائماً إلى إبقاء الفرد محتكراً في البحث عن اكتفاء الذات بيولوجياً و إبقاءه في أدنى هرم ماسلو للحاجات. كما جوهر الدولة البرجوازية هو نتيجة لانقلاب يحول بشراً واقعيين، يكونون هم أنفسهم منقسمين إلى أغنياء و فقراء، مالكين و غير مالكين، برجوازيين و بروليتاريين إلى متحد وهي يتكون من "مواطنين" متساوين شكلياً، و بالتالي فهي أي الدولة البرجوازية، قبل كل شيء، تصوراً مخادعاً للمجتمع، مخصصاً لإخفاء التناقض الداخلي فيها، و الذي يتحقق في أشكال الحق "العام"³. و بالتالي كان اهتمام الأنظمة العربية الأساسي هو حماية النظام القائم و المستفيدين منه أكثر من تحقيق رؤية سياسية اجتماعية متكاملة. فالمهم هو توزيع ما يمكن توزيعه من الربح، من دون المساس بأمن النظام و مصالح النخب النافذة، و التخلص من المساءلة. ففي نظر النخب الحاكمة، أن توزيع الربح هو من مبادرة الحاكم، و ليس كنتيجة لعقد اجتماعي، و بالتالي سيعنى من المساءلة و المحاسبة⁴. و في هذا الإطار فقد انحسرت وظيفة الدول العربية إلى تأمين الحد الأدنى من الخدمات العامة، و إن كانت بكمية و جودة متفاوتة بين الدول، من دون التركيز على تخفيف الفوارق الاجتماعية.



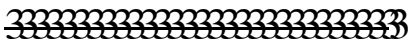
¹ محمد إبراهيم منصور، مرجع سبق ذكره، ص 461.

² خيرة لكحل، مرجع سبق ذكره، ص 21.

³ أندريه توزيل و آخرون، ماركس و فقهه للسياسة، ط 1، ترجمة: جوزيف عبد الله، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1981، ص 104.

⁴ زياد حافظ، مرجع سبق ذكره، ص 410.

و باستمرار الوضع أي زيادة الغني غنى و الفقير فقرا ،ظهرت حالة الاغتراب التي هي نتاج سياسة الدولة فهي نتاجه وصورته،و قد عبر عنه "كارل ماركس" بأنه حالة نفسية يحس بها المهين عليه،و التي كرستها السياسة المتبعة من المالكين¹، كما تناول "ايريك فروم" فكرة الاغتراب من فكرة أخرى هي "الصنمية"،و يشير إلى أن المقصود منه متجاوز للمعنى الديني،المقصود ب"الصنمية" كل ما يصنعه الإنسان من أشياء يركع لها،و يرى أن الأصنام الحديثة يمكن أن تكون الدولة، أو النظام،أو الزعيم،أو النجاح،أو الممتلكات....²، أما "شيلر" فقد تحدث عن الإنسان الحديث،الذي يعاني الغربة و الانفصال في ظل ظروف لا إنسانية،تلك الظروف التي تمخضت بفعل الثورة الصناعية،و أصبحت تمثل تهديدا جسيما للأحوال الإنسانية في أوروبا،إن الإنسان الحديث كما يصوره "شيلر" في رسالته عن "التربية الجمالية" ،هو إنسان ممزق، انفصلت لديه المتعة عن العمل، و الوسيلة عن الغاية ،و الجهد عن العائد³،بين الشعوب و الحكام،بين المواطن و وطنه،فالمواطن المصري و التونسي و اليمني و الليبي وجد أنه ينتمي إلى دولته و لكن لا يمكن أن يشارك في صياغة قوانينها،فالرؤساء يتغنون بالمواطنة و الشعوب محرومة منها،أضف إلى أن العامل العربي أصبح يشعر بأنه مجرد مسير أو مستخدم لآلة الإنتاج من أجل غيره فهو لا يضيف على عملية الإنتاج و لا على السلطة الخاضع لها أي بعد إنساني و بالتالي أصبحت العلاقات رسمية إن هذا العامل الذي يعمل لفترات طويلة من أجل وطنه في النهاية لا تستطيع دولته من توفير أدنى متطلبات الحياة من أكل و صحة و تعليم و سكن،ففي مصر وصلت نسبة الأمية إلى 29% بما يعادل 17مليون مصري تتراوح أعمارهم بين 15-45سنة⁴.و تضطر الكثير من العائلات إلى توقيف أطفالهم عن التعليم بعد سن العاشرة لإلحاقهم بسوق العمل بسبب العجز إن هذا الوضع يزيد من الشعور بالاغتراب، و كلما يزيد هذا الشعور و تزداد درجة الاغتراب و تتفاقم إلى حد وصوله إلى الذروة حيث يسمح بتبدد الوعي الزائف و يشعر المواطن بحقيقة الوضع و بالتناقضات التي يعيشها،فمن جهة يتخبط هذا المواطن العربي في مشاكل تحصيل لقمة العيش،و من جهة أخرى يشاهد و يسمع مثلا عن إهدار المال العام،فقد شهدت مصر 63369 قضية فساد سنة 2002،توزعت بين المصالح و الوزارات،بمعدل قضية فساد كل دقيقتين.و في عام 2002 أعلن



¹ خيرة لكحل،مرجع سبق ذكره،ص22.

² حسن حاد،الإنسان المغرب عند إريك فروم،مكتبة دار الحكمة،القاهرة،مصر،2005،ص1.60.

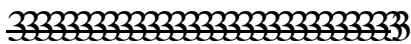
³ نفس المرجع،ص1.75.

⁴ خيرة لكحل،مرجع سبق ذكره،ص23.

مجلس المحاسبة المصري عن 36269 قضية فساد إداري و مالي مست كل أوجه الحياة الإدارية و القضائية و المجموعات المحلية. كما قدرت قضايا الفساد، للإضرار بالمال العام اليمني عام 2003 ب 11.9 مليار ريال و 12.5 مليون دولار¹.

و مسألة اختلاس 26 مليار في نهاية الثمانينات بالجزائر²، أو 500 مليون أورو التي تغادر الجزائر سنويا. ففي الوقت التي تصنف الأمم المتحدة الجزائر عام 1960 بين الدول الغنية، إلا أنه في عام 2001 ينحدر مؤشر التنمية فيها 0.69%.

و لما يدرك المواطنون حقيقة الوضع يحصل عندهم ما أسماه "ماركس" بالوعي الاجتماعي. هذا الوعي الطبقي الذي يتعارض مع سياسية الاعتزاب هي سياسة ثورية تتأثر مع امتلاك الوعي و آثاره، كما أنه يعبر عن الانتقال من "الطبقة في ذاتها" إلى الطبقة من أجل ذاتها" ، و بالتالي فالوعي الطبقي هو عملية فكرية. إنه قبل كل شيء سيرورة تطور عملي. إنه المحصلة والتكامل التدريجي لجميع الممارسات التوحيدية و التنظيمية للشغيلة، في مجرى نضالاتهم ضد الاستغلال³. وفي هذا الصدد يقول "ماركس": "وعي البشر ليس هو الذي يحدد وجودهم إنما على العكس فإن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم". وهو ما تشهد الشعوب العربية من وعي اجتماعي عبر عنه "كاي بيرد": "يشهد هذا العام صحوة ثورية في العالم العربي وتغير نرحب به، لسنوات ظلت الهوية العربية تقتصر على الهزيمة و الظلم و العجز، و ظلت الهوية العربية مصابة بعقدة النقص وكأنها لم تنته"⁴. و بالتالي زاد الوعي الاجتماعي للطبقة المحكومة، و أصبحت سياسات الطبقة الحاكمة غير مرضية لأهداف الوعي الاجتماعي المتزايد، و رأت هذه الشعوب الحل الأكثر مثالية لدى "ماركس" على الأقل و هو الثورة. حيث يقول "هيجل": "إن هذا النقد يفضي إلى أمر مطلق القائل بالإطاحة بكل الأوضاع التي تجعل من الإنسان موجودا ضعيفا ومستعبدا ومستغلا"⁵. إن هذه الثورات العربية و ما سبقها من وعي اجتماعي الملايين من المواطنين، حيث بلغ سكان الوطن العربي في عام 2002 حوالي 294 مليون نسمة و هم يشكلون في نفس العام 5% من سكان العالم⁶، قد سبقتها حسب الدراسات ثورة أخرى، أدت إلى انكماش الوطن العربي جغرافيا و عمليا، و تشكيل لوعي اجتماعي ثوري عربي، هي الثورة



¹ راضية بوزيان، التحول الاقتصادي و السيادة الشعبية في العالم العربي: بين الوهم والواقع (تجربة الجزائر)، مجلة دراسات و أبحاث، مرجع سبق ذكره، ص 1.53.

² نفس المرجع، ص 1.53.

³ أندريه توزيل و آخرون، مرجع سبق ذكره، ص 1.105.

⁴ خيرة لكحل، مرجع سبق ذكره، ص 1.24.

⁵ نفس المرجع، ص 1.25.

⁶ محمد إبراهيم منصور، مرجع سبق ذكره، ص 1.455.

الإعلامية التي ألغت الحدود الزمانية والمكانية، و وقع في شبكتها تلك الملايين المتفرقة، و أصبحت في بوتقة واحدة هو عالم الإعلام الجديد أو العالم الافتراضي.

المبحث الثاني: السوسيولوجيا الوظيفية لوسائل الاتصال.

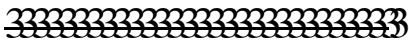
أولاً: الإعلام التقليدي.. و السلطة الرابعة.

دخلت وسائل الإعلام الجماهيرية في العالم العربي قبل أكثر من قرنين من الزمان، و رغم تنوع و تعدد وسائل الإعلام في العالم العربي (الفضاءات المغلقة)، و التطور الكبير الذي شهدته خلال القرن العشرين، إلا أن هناك عوامل كثيرة ساهمت في وأد حلم الممارسة الحرة، حتى أصبح الإعلام العربي في كل قطر هو إعلام الصوت الواحد. و على النقيض نجد في الفضاءات المفتوحة، نفس الوسائل و لكن بممارسة أكثر حرية، مستمدة قوتها من الشرعية التي امتلكتها باعتبارها سلطة رابعة مهمتها مراقبة باقي السلطات التشريعية و التنفيذية و القضائية، القائمة على مبدأ الفصل في السلطات و لولا هذا الفصل ما كان لوظيفة الرقابة لوسائل الإعلام أي معنى.

إن مفهوم السلطة الرابعة، اخترعه burke عام 1787م، للدلالة إلى التأثير البارز الذي تحدثه وسائل الإعلام في المجتمع، و بالأخص في المجتمعات التي أرست قواعدها على فلسفة "مونتسكيو" و "لوك" -أي الفضاءات المفتوحة-، و المقترنة بحزمة من الحريات و ردت في أكثر من إعلان لحقوق الإنسان، نجد أبرزها في إعلان حقوق الإنسان و المواطن المنبثق عن الثورة الفرنسية، و في إعلان الحقوق الأساسية لولاية فرجينيا، حيث يعتبر الإعلان حرية الصحافة إحدى أكبر معاقل الحريات في المجتمع، ثم بعد ذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان¹.

و بالتالي فإن هذه السلطة تستمد سلطتها الفعلية بحد ذاتها من هامش الحرية المتوفر لها، هامش يسمح لها بالمتابعة و المراقبة و التوجيه و التأثير في القوى المسيطرة في المجتمع. لأن موضوع السلطة الرابعة يتمثل في وجود قوة مضادة ضد القوى السياسية و الاقتصادية و الثقافية المهيمنة.

و هكذا أصبح الإعلام الآلية التي تحدث من خلاله التوازن بين القوى السياسية و الاقتصادية و الثقافية.

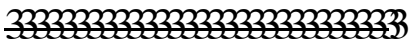


¹ عبد الله الزين الحيدري، الفضاء العمومي الجديد للسلطة الخامسة، المجلة العربية للإعلام و الاتصال، العدد 12، الجمعية السعودية للإعلام و الاتصال، 2014، ص 95.

و من أبرز و أشهر القضايا التي أدى فيها الإعلام دور المراقب لميزان القوى السياسية، نجد "قضية ووترغيت"، حيث كشف الإعلام عن وجود عملية تجسس كان يديرها الرئيس الأمريكي السابق "ريتشارد نيكسون"، لحساب حملته الانتخابية، أثناء معركة تجديد الرئاسة، مما اضطر إلى الاستقالة من رئاسة الولايات المتحدة. و في هذا الصدد قال "ديف جيرجن"¹ و هو مسئول سابق عن العلاقات العامة في البيت الأبيض: "منذ 15 عاما كان مساعدو الرئيس، لا يتخرجون من كتابة تقارير صريحة و التعبير عن اختلافهم مع زملائهم-أو مع الرئيس-حول موضوعات مهمة، و لكن بعد "فضيحة ووترغيت" اختفى ذلك، فسرعان ما تعلم الجميع ألا يكتبوا ما لا يحبون أن يجدوه في الصفحة الأولى من جريدة البوست... و أصبح الشعار: "لا تقولوا شيئا مثيرا للجدل أو اللبس في وجود أكثر من شخص واحدا".

لقد أتاحت فضيحة "ريكرت-كوزموس" المالية، التي أدت في عام 1989 إلى سقوط رئيس الوزراء الياباني "نوبورو تاكيشيتا"، إلى تأكيد دور الصحفيين و ذلك باعتراف "تاكاشي كاكوما" و هو مؤلف لعدة كتب عن الفساد في اليابان بقوله: "إنني واثق أن التحقيق كان سيتوقف لولا المعلومات التي تم تسريبها إلى الصحافة"². و هناك قضايا عديدة لعبت فيها الصحافة أدوارا كبيرة، من بريطانيا إلى فرنسا إلى الفيلبين، إيطاليا، الاتحاد السوفيتي سابقا، أزمة الصواريخ بكوبا، الحرب الأمريكية ضد الفيتنام.

إن الانجازات الكبيرة التي حققتها الصحافة الليبرالية، و التي استمدتها كما هو معلوم من هامش الحرية، بقيت الصحافة في المجتمعات المغلقة تناضل من أجل ذلك الهامش من الحرية، ففي الإعلام العربي و الإعلام الرسمي العربي خصوصا، نلمح نماذج متماثلة، و متكررة للمعالجة الإخبارية للواقع السياسي و الاقتصادي و الثقافي العربي، معالجة تفضي إلى إنتاج نموذج في الإدارة السياسية و الاجتماعية، متجسمة في صورة الزعيم السياسي الذي ينبغي الاقتداء بمبادئه و بمنهجه، و هي صورة نموذجية يسعى الإعلام إلى تسويقها باستمرار و ترسيخها في المجتمع على نحو تظل فيه الحياة السياسية محكومة بمقاييس النموذج الذي يصنعه الإعلام. و ليس من مبالغة القول أن أجهزة و مؤسسات الإعلام العربية، حالها كحال السلطة السياسية، قد تم تكميمها و المساومة على حريتها. و من المفارقات التي يمكن أن تسجل في هذا السياق، أن مستوى الأداء الإعلامي في الوطن العربي الذي شهد تطورا واسعا بعد انتشار البث التلفزيوني المحلي و الفضائية، و تنوع شكل التواصل و فوريته، كان يتراجع في إطار



¹ ألفين توفلر، تحول السلطة، ج 2، ترجمة: لبنى الريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 1.41

² ألفين توفلر، مرجع سبق ذكره، ص 1.39

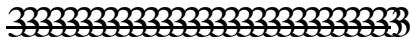
التعبير عن حاجيات المواطن العربي للإصلاح و التغيير، بل تعدى ذلك إلى مساهمتها بشكل أو بآخر، في تكريس واقع التشرذم و التفكك و تسويق القيم السلبية للحياة إن مساومة الإعلام العربي مع النظام القائم، أدى إلى أزمة الثقة و الخوف بين المتلقي و المرسل¹.

ثانيا:الإعلام الجديد..و السلطة الخامسة.

يشهد العالم اليوم تحولات و تغيرات بنبوية مهمة في خريطة الإعلام العالمي و العربية، و مما لاشك فيه أن العامل الرئيسي لمجمل التغيرات الاجتماعية-و الإعلام جزء منه- هو عامل التقنية، فمن خلال الاندماج بين تكنولوجيا الحاسبات و تكنولوجيا الاتصال في نهاية القرن العشرين، شهد العالم ميلاد شبكة المعلومات الدولية "الانترنت" أو شبكة الشبكات.

وكلما حدث تطور مثير في تكنولوجيا الاتصال يحدث هزة ثقافية خاصة، و تضفي هذه الثقافة الخاصة و الجديدة قوة و سلطة جديدة لنظام أو طبقة جديدة، فإكتشاف الكتابة أوجد لغة الرموز، و إكتشاف الإذاعة، و التلفاز أدخل ثقافة سمعية بصرية، في ظل هذه الإكتشافات الهامة، لقد أدى الإعلام وظائف متعددة في المنظومة المشهدية (الإذاعة والتلفزيون، السينما، الصحافة)، وخاصة في الأنظمة المفتوحة، متمثلة في وظيفة المراقبة التي أشرنا إليها سابقا، مما أضفى عليها شرعية جديدة وبالتالي ظهرت سلطة جديدة، أطلق عليها السلطة الرابعة.

إن مفهوم السلطة الرابعة الذي ارتبط بالمنظومة المشهدية، يتخبط اليوم في ظل منظومة جديدة، هي المنظومة التفاعلية الالكترونية، أو ما يسمى الاتصال الشبكي، الذي حقق مجالا شبكيا يتحول فيه المرء ما بين موقعي الإرسال و التلقي، و تنصهر بداخله العوالم الفردية، و تمثل فيه "شبكة الويب" فضاء جماعيا يشترك فيه المستخدمون في إنتاجه، و هو بهذا المعنى يمكن النظر إليه على انه نموذج تواصلي جديد، لا يتعلق بعملية بث مركزية، لقد أحدثت الانترنت، بوصفها العنصر الرئيس في هذه المنظومة، تغيرات بنبوية أخرى و جديدة في خريطة الإعلام بشكل عام، و فصح المجال بقيام تعددية إعلامية افتراضية².



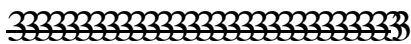
¹فايزة بخلف، الثورات العربية بين مسوغات الإعلام التقليدي و سلطة الاتصال الشبكي، مجلة دراسات و أبحاث، مرجع سبق ذكره، ص 168.

²انتصار إبراهيم عبد الرزاق، صفد حسام الساموك، الإعلام الجديد، ط1، الدار الجامعية للطباعة و النشر و الترجمة، جامعة بغداد، العراق، 2011، ص 124.

¹ ويرى "بيار ليتي" أن انبثاق المنظومة التفاعلية الالكترونية يعني نهاية الجمهور و ولادة الذات الجماعية، وهذا هو الحل البديل لمجتمع المشهد، ولا يهم إن كانت هذه المضامين علامات أو أيقونات أو رموز.²

لقد مهدت الشبكة العنكبوتية بخصائصها و خدماتها، وخاصة أنها الأقل تكلفة من بين وسائل الاتصال الأخرى، لظهور أنماط جديدة من العلاقات و المعاملات، و فتحت فضاءات أخرى للتعبير، حيث كان التواصل العمومي يقتصر على النخب السياسية و الثقافية من أحزاب و جمعيات و غيرها. كما أن ما يميز هذا التواصل الافتراضي لا يتعلق بما يسمى "الكثرة المعلوماتية"، و لكن بتعميم القدرة على الكلام للأفراد، و بهذا تشكل فضاء عمومي أكثر انفتاحاً.³

لقد عرف الاتصال الشبكي رواجاً كبيراً في السنوات الأخيرة بين مستخدمي الانترنت، حيث تزايد عددهم عالمياً بمعدل 20% سنوياً، و هو في ازدياد مستمر⁴. إن هذا الارتفاع في عدد المستخدمين، يرجع لظهور الجيل الثاني من تطبيقات الويب "WEB2.0"، حيث يعد أهم التطورات التي أضفت للشبكة أشكالاً تواصلية جديدة، خاصة النشر الإلكتروني (المدونات الإلكترونية، مواقع التواصل الاجتماعي)، و سهولة إنشائها و التعامل معها، فكل فرد غير ملم بالبرمجة، بإمكانه أن ينشئ مدونة له أو موقع اجتماعي من "الفايسبوك" أو "تويتر"، في وقت قصير و بدون تكلفة⁵. لقد أدى النشر الإلكتروني إلى تشكيل فضاء عمومي جديد، أدى بالمقابل إلى خلخلة منظومة القواعد و النصوص التي قام عليها الإعلام التقليدي كسلطة رابعة، تمارس نفوذها على حركة التغيير في المجتمع. فمن كانوا يمثلون القاعدة الأساسية للسلطة الرابعة، أي أفراد المجتمع الجماهيري، هم أنفسهم اليوم في الوسط السيرياني، يمثلون السلطة الخامسة (صحافة المواطن). وهذه الأخيرة ليست ضد السلطة السابقة-الرابعة-، مجرد أنها هدم للقواعد الإعلامية و الصحفية الكبرى، التي ظل يعمل بها الإعلام الجماهيري على امتداد أكثر من قرن. و ليست كذلك امتداداً له في المقابل، و ليست في آخر الأمر نهاية السلطة الرابعة، إنما هي أسلوب



¹ نفس المرجع، ص 24.

² نفس المرجع، ص 24.

³ نفس المرجع، ص 25.

⁴ سوهيلة بضياف، المدونات الإلكترونية في الجزائر (دراسة في الاستخدامات و الاشباعات)، رسالة ماجستير، قسم علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009.

1.7، ص 2010.

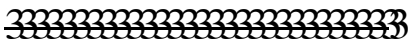
⁵ عبد الله الزين الحيدري، مرجع سبق ذكره، ص 122.

جديد لبناء الواقع الاجتماعي خارج القوالب الميديا تيكية المهيمنة و الضوابط المعتمدة في صناعة المعنى. لقد تجلت السلطة الخامسة، بمثابة القدرة العامة على بناء الواقع، من خلال إعادة إنتاج الايدولوجيا السائدة في المجتمع¹.

و لقد ظهرت قوة وسائل الإعلام الاجتماعية في 17 يناير 2001، لدى بحث قضية تنحية الرئيس الفليبي "جوزيف استرادا"، حيث صوت الموالبون له في الكونغرس الفليبي لصالح تجاهل أدلة ضده، و في أقل من ساعتين وزعت رسائل نصية تقول: اذهب "استرادا"، و قد جرى توزيع سبعة ملايين رسالة نصية، و بحلول 20 يناير، نحي "استرادا عن الحكم. وشكلت هذه الحادثة أول سابقة تتمكن فيها وسائل الإعلام الاجتماعية على المساعدة على إجبار زعيم دولة على ترك الحكم².

و في إسبانيا عام 2004، أفضت المظاهرات التي نُظمت بواسطة الرسائل النصية إلى إسقاط رئيس الوزراء الإسباني "خوسيه ماريا أزنانر"، و نُظمت احتجاجات ضد قوانين التعليم في تشيلي في عام 2006، و احتجاجات اللحم المملب في كوريا الجنوبية في عام 2008، و فقد الحزب الشيوعي السلطة في مولدوفا في عام 2009، عندما انفجرت المظاهرات بعد انتخابات مزورة بشكل واضح، و استُخدمت وسائل الإعلام الجديد في كثير من حركات الاحتجاج³، بما فيها ضد الحراس السيخ في الهند في عام 2009، و خلال انتفاضة «الحركة الخضراء» في إيران عام 2009، استخدم الناشطون، كل وسيلة تنسيق تقنية ممكنة، من أجل الاحتجاج على إساءة إحصاء الأصوات، التي أيدت "حسين موسوي"، لكنه جرى إجبارهم على الركوع في النهاية بسبب القمع العنيف، و في تايلاند اتبعت حركة «القميص الأحمر» في عام 2010.

إن هذه الاحتجاجات التي فجرتها وسائل الإعلام الاجتماعية، في مناطق متفرقة من العالم، ألقَتْ بصداها إلى العالم العربي، ففي تونس، يوجد أكثر من مليون مستخدم للانترنت، حيث سمح الفضاء الافتراضي لهم، و خاصة من موقع "فيسبوك" بتجاوز خطاب الأحزاب المعارضة و قفز بالحركات الشعبية إلى مرحلة متقدمة من التخطيط أنضجت "ثورة الياسمين"⁴.



¹ ياسر النير، الإعلام الاجتماعي المؤثر، <http://www.islamweb.net/ramadan/index.php?page=article&lang=A&id=181867> أطلع عليه بتاريخ: 30-12-2015

² نفس الموقع.

³ نفس الموقع.

⁴ نفس الموقع.

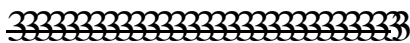
و بهذا شهد موقع "الفييسوك" في الحالة التونسية، تحولا في وظيفته من موقع اجتماعي إلى سلطة خامسة. بعد أن تحولت فيه كل الذوات إلى ذات جماعية، وتشكل وعي اجتماعي، مضاد لحالة الاغتراب، التي ساهمت فيها السياسة العامة للدولة بصفة عامة، و سياسة التعتيم الإعلامي بصفة خاصة.

وما حدث في تونس، كسر حاجز الخوف و الصمت، في المجتمعات العربية، ففي مصر، حيث يوجد أكثر من 16 مليون مستخدم للانترنت، و يعتبر موقع "الفييسوك"، أحد المواقع الرئيسية التي ساهمت في اندلاع ثورة 25 يناير المصرية، وكان لصفحة "كلنا خالد سعيد"، و الذي قام بإنشائها الناشطون "وائل غنيم و عبد الرحمن منصور" منذ أكثر من عام، و بخاصة بعد حادث مقتل الشاب "خالد سعيد" مباشرة، و الذي قتل في الإسكندرية في 2010، بعد تعذيبه حتى الموت على أيدي مخبري شرطة قسم "سيدي جابر"، مما أثار احتجاجات واسعة، مثلت بدورها تمهيدا لإطلاق الشرارة الأولى للثورة المصرية. كما زاد عرض مقاطع الفيديو المشجعة للثورة، خاصة من خلال موقع "اليوتيوب"، الذي لعب دورا في التأثير على الرأي العام القومي و العالمي، خاصة أثناء الثورة المصرية، من خلال عرض الواقع المرير الذي يعيشه الشعب، بالمقابل إبراز مساوئ الحكام العرب¹.

كما أطلق الناشطون في سوريا صفحة "الثورة السورية ضد بشار الأسد"، حيث تم تجميع عشرون مليون توقيع لإعلان العصيان المدني في سوريا. و في المغرب أيضا، ظهرت صفحة "صرخة المغرب الأقصى 20 مارس"، كما ظهرت مؤخرا قناة إخبارية على "اليوتيوب" تسمى "قناة الثورات العربية"، بلغ عدد مشاهديها أكثر من مليون و نصف مشاهدا².

خاتمة:

ومن خلال ما سبق وبتحرر الوسيلة الإعلامية بفضل العامل التقني، من أيدي الحكام والموالين لهم، ومن أيدي تجار القطاع، شهدنا تعددية إعلامية، أكثر حرية، حيث كان النضال ولعقود طويلة من أجل هذه الحرية، ولطالما انبثقت قوانين ومراسيم من أجل هامش معين من الحرية، واليوم يمارس هذه الحرية كل أطراف المجتمع، وبالتالي تحررت الرسالة، التي سعت في البداية إلى المستور، وإظهار الفوارق بين الحكام والمحكومين، وبالتالي إلى تكوين وعي اجتماعي، يعرف ما له حقوق وما عليه من واجبات، في ظل هويات جديدة أو بما يعرف الهوية الافتراضية، تلك الهوية التي بلورتها وسائل الإعلام



¹ نفس الموقع.
² نفس الموقع.

الجديد، خاصة من خلال الأنترنت التي وفرت بواسطة مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات الالكترونية، فضاء جديد مختلف تماما عما ساد سابقا، حيث ساهم هذا الفضاء العمومي الجديد، الذي تشارك فيه مختلف الفئات، في إعادة النظر إلى الواقع الاجتماعي، وهكذا تمثل جوهر الرسالة في تأمين العدالة الاجتماعية، من خلال المطالبة بالتغيير لاستعادة ما هو بالأصل مشروع وحق لها، بالسلم أو بالعنف.

المراجع و المصادر:

- 1-عبد الحلیم موساوي،التعاطي الإعلامي مع الثورات العربية(قراءة في التحديات المهنية و الأخلاقية)،مجلة دراسات و أبحاث،العدد الأول،منشورات دار الحكمة،الجزائر،2012.
- 2- خيرة لكحل،الثورات العربية برؤية ماركسية، مجلة دراسات و أبحاث،العدد الأول،منشورات دار الحكمة،الجزائر،2012.
- 3- عبد الوهاب الكيالي،الموسوعة السياسية،الجزء الأول،المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت،لبنان،1979 .
- 4- حسن ملحم،التحليل الاجتماعي للسلطة،منشورات دحلب،بوزريعة،الجزائر.
- 5- محمد حمامي، الطبقة الوسطى تتآكل في فوضى الربيع العربي،جريدة العرب،العدد9475،بتاريخ 20/02/2014.
- 6- جون فوران،مستقبل الثورات،ط 1،ترجمة:تانيا بشارة،الأبيار،الجزائر،2007 .
- 7- زياد حافظ،أوضاع الأقطار النفطية و غير النفطية،ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية،ط 1،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،لبنان،2006.
- 8- الأمم المتحدة،اللجنة الاقتصادية و الاجتماعية لغربي آسيا،الطبقة الوسطى في البلدان العربية قياسها و دورها في التغيير،بيروت،لبنان،2014.
- 9- محمد إبراهيم منصور،تداعيات الزيادة السكانية في الوطن العربي و تأثيره على آليات الرفاهية الاجتماعية،ندوة الرفاهية الاجتماعية،ط 1،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،لبنان،2006.
- 10- اندريه توزيل و آخرون،ماركس و ثقه للسياسة،ط 1،ترجمة:جوزيف عبد الله،دار التنوير للطباعة و النشر،بيروت،لبنان،1981.
- 11- حسن حجاد،الإنسان المغترب عند إيريك فروم،مكتبة دار الحكمة،القاهرة،مصر،2005.

12- راضية بوزيان، التحول الاقتصادي و السيادة الشعبية في العالم العربي: بين الوهم و الواقع (تجربة الجزائر)، مجلة دراسات و أبحاث، العدد الأول، منشورات دار الحكمة، الجزائر، 2012.

13- عبد الله الزين الحيدري، الفضاء العمومي الجديد للسلطة الخامسة، المجلة العربية للإعلام و الاتصال، العدد 12، الجمعية السعودية للإعلام و الاتصال، 2014.

14- ألفين توفلر، تحول السلطة، ج 2، ترجمة: لبنى الريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.

15- فائزة يخلف، الثورات العربية بين مسوغات الإعلام التقليدي و سلطة الاتصال الشبكي، مجلة دراسات و أبحاث، العدد الأول، منشورات دار الحكمة، الجزائر، 2012.

16- انتصار إبراهيم عبد الرزاق، صفد حسام الساموك، الإعلام الجديد، ط 1، الدار الجامعية للطبعة و النشر و الترجمة، جامعة بغداد، العراق، 2011.

17- سوهيلة بضيف، المدونات الالكترونية في الجزائر (دراسة في الاستخدامات و الاشباع)، رسالة ماجستير، قسم علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009-2010.

18- ياسر النير، الإعلام الاجتماعي المؤثر. أطلع عليه بتاريخ 2015/12/30

<http://www.islamweb.net/ramadan/index.php?page=article&lang=A&id=18867>

د. نادية بن ورقلة. جامعة الجلفة.

ملخص:

تشكل تكنولوجيا الاتصال البنية التحتية لصياغة ونشر ثقافة تفرض قيمها، بهدف ضبط السلوك الإنساني بما يتلاءم مع النظام العالمي الجديد، أي عوامل إنتاج معرفي. وتتجلى الوظيفية أساسا في جانبين الأول إفهام أفراد المجتمع لمهامهم واحتياجاتهم في التربية على الإعداد النفسي للعمل والحركة، كما تقوم بدور خاص في العمليات الاتصالية -السيكولوجية- لتراص ووحدة الذات الاتصالية للنشاط الاتصالي الجماهيري. أما الثاني يتجلى في والذين يقللون من أهمية تلك الوسائل ويرون أنها لا تحدث سوى الصراخ وتكريس ثقافة التحريض والتفكير المسطح يخطئون أيضا في تقدير دور العناصر المحفزة في مساعدة أية عملية تغيير اجتماعي موسعة في الحدوث.

تقديم:

أشارت جين روت في كتابها الموسوم "افتح الصندوق" و الذي يهدف إلى بيان ما تتمتع به وسائل الإعلام من إمكانيات وتأثير، تقول فيه: (لوسائل الإعلام دور في تحديد طريقة تفكيرنا... إنها تعمل على إعطاء صورة مفصلة عن ذاتنا). وإذا أردنا تبين مدى تأثير وسائل الإعلام فإن علينا أن نشخص مثل هذا التأثير ونحدده وفق فهمنا وعلاقة ذلك بالمجتمع وتأثيره الشامل. هذا و يرى علماء الاجتماع أن الاتصال الجماهيري ظاهرة اجتماعية لها دورها في تراس و تماسك المجتمع، كما يرون أن لها دورها في بناء العلاقات الاجتماعية، الشيء الذي يوضح أن المجتمع الإنساني يقوم على مجموعة من العلاقات قوامها وأساسها الاتصال. وأن ما يجمع بين أفراد المجتمع هي حقيقة علاقات الاتصال، التي هي ضرورة من ضرورات صيرورة الحياة الاتصالية. وفي هذا الصدد نجد أحمد بوزيد يعرف الاتصال بأنه: "العملية التي يمكن بمقتضاها تكوين العلاقات بين أعضاء المجتمع بصرف النظر عن حجم المجتمع وطبيعة تكوينه وتبادل الآراء والمعلومات والأفكار فيما بينهم".

هذا ويمكن توضيح العلاقة التي تجمع بين علم الاجتماع والاتصال الجماهيري، في كون علم الاجتماع يقوم بدراسة الظواهر الاتصالية التي تؤثر في وسائل الاتصال داخل البنية الاتصالية، فالعلاقة الأساسية التي تجمع بين علم الاجتماع والاتصال تكمن في أن الاتصال ووسائله عبارة عن ظاهرة من الظواهر الاتصالية، وعلم الاجتماع مسؤول لا محال عن دراستها وتفسيرها.

وفي المحصلة يمكن القول أن الاتصال الجماهيري من حيث مفهومه وأنواعه وأهميته وعلاقته بعلم الاجتماع، يقدم للمجتمع خدمة جليلة، تتمثل في أن الإعلام والاتصال الذي يتزايد تداوله هو الذي يقوم بإحداث التغييرات في المجتمع، فالباحث الاجتماعي لا

يستطيع دراسة الظواهر الاتصالية في غنى عن الاتصال ووسائله. أي أن وسائل الاتصال تستطيع أن تقدم مساهمة كبيرة لعلم الاجتماع في دراسة التغير الاجتماعي. بالإضافة إلى صحة القول، المتضمن: أن علم الاجتماع بحاجة للاتصال حيث تكون العلاقة بينهما علاقة تؤدي إلى الترابط .

يحدد التأثير الاجتماعي في تلك النتيجة الهامة التي تترتب على مرحلتي المواجهة والتبادل. ومعنى ذلك، أن الحديث عن التأثير الاجتماعي يفترض مرحلة أساسية وإستراتيجية، وهي التفاعل الاجتماعي باعتباره يتم بين طرفين أو جماعتين. وبعد هذه المرحلة والعلاقة الاتصالية الضرورية يحصل التأثير الاجتماعي . إذ الأول، هو ذلك الفرد أو تلك الجماعة التي اعتمدت القدرة على إثبات الصواب لديها عن طريق المهارة والبرهان...، في حين أن الثاني، هو ذلك الشخص أو تلك الجماعة المغيرة لسلوكها حيث انبهارها بصواب الطرف الآخر الذي أثر في سلوكها وجعلها تغير موقفها .

وظيفة وأهمية الاتصال الجماهيري بالنسبة إلى المجتمع:

مما لا شك فيه أن وسائل الاتصال الجماهيري تؤدي عدة مهمات ووظائف لا تخفى عنا. وتتجلى بالأساس في إفهام أفراد المجتمع لمهامهم واحتياجاتهم في التربية على الإعداد النفسي للعمل والحركة، كما تقوم بدور خاص في العمليات الاتصالية – السيكولوجية – لتراص ووحدة الذات الاتصالية للنشاط الاتصالي الجماهيري.

وهناك أيضا أهمية بالغة وكبيرة للاتصال الجماهيري بالنسبة إلى المجتمع، حيث لا يختلف اثنان في صعوبة الحديث عن أية عملية اجتماعية تلنج بين الأفراد، وجماعات، ومؤسسات دون قناة ووسيلة للاتصال. إذ لا تصح نماذج العملية الاتصالية في التوافق والاتفاق والتعاون والتخصص والتنقيف دون اتصال.

كما تتجلى أهمية الاتصال الجماهيري، في عدم إمكان تصور علاقات منسجمة، وتفاعلات حقيقية، وأنماط سلوك واعية دون اتصال ودون وجود عمل ووسائل الاتصال. حيث اختفاء الاتصال ووسائله، يعني بالمقابل محو وموت الحياة الاتصالية المعاصرة، وانتفاء لكل أشكال التفاعل الاجتماعي وأنماط السلوك المتحضر .

ويرى الباحث وعالم الاجتماع البريطاني أنطوني جيدنز، أن "لوسائل الإعلام أهمية تعادل ما للمدارس والجامعات في إقامة مجتمع المعرفة، وكلما اتسع هامش الحريات التي تتمتع بها وزاد اهتمامها بالقضايا المهمة مثل الحكم الصالح، والتمكين الاتصالي، تعززت الحوافز لتأسيس مجتمع المعرفة".

غير أن أوجه القصور في وسائل الإعلام العربية حسب ذات الباحث جيدنز: «تقلل من فاعليتها في هذا المجال، كما أن السيطرة الحكومية وغياب الحريات الصحفية يقفان حجر عثرة ويجولان دون وصول عامة الناس إلى المعلومات. وبالمقارنة مع المعدلات العالمية عموماً، فإن نسبة وسائل الإعلام لعدد السكان هي الأدنى في البلدان العربية. وأن أكثر من 70% من قنوات التلفزيون العربية هي تحت إشراف الدولة التي تملك بدورها، وكالات الأنباء. وكان من ذلك نشر أخبار سلطوية الطابع هزيلة المضمون، تكاد تقتصر على الأخبار الرسمية، أو أنشطة كبار رجال السلطة، ونادراً ما تحمل المعلومات التي تهم أغلبية الناس و تثير مخزون المعرفة الناقصة لديهم . ولعل أهمية هذا التصور لجيدنز، تبين بأن الإعلام قد يقدم ويساهم في بناء مجتمع المعرفة ما لم يكن مقيداً تحت السيطرة الحكومية.

أشكال الإعلام في التأثير على الأسرة والجماعة:

إن لوسائل الإعلام دور كبير و تأثير واضح في بناء أو تخريب الأسرة. أي تعتبر وسائل الإعلام سلاح ذو حدين، فقد تؤثر بالإيجاب على الأفراد من خلال تعليمهم السلوكيات الصحية، وقد تؤثر عليهم سلباً حين تساهم في جعلهم مدمنين أو منحرفين أو مجرمين، لكن، الملحوظ هو قلماً نجدها في النوع الأول، وفي المقابل كثيراً ما نجدها تؤثر سلباً وتخرّض على الانحراف. وهذا ليس حكم قيمة وإنما حصيلة الباحثين والمهتمين بعلم النفس وعلم الاجتماع لنتيجة التأثير السلبي لوسائل الإعلام، وتدعيماً لذلك نجد: "أن موضوع التأثير السلبي لوسائل الإعلام لا سيما التلفزيون والسينما يثير جدلاً كبيراً بين المهتمين بهذا الموضوع وعلى وجه الخصوص علماء النفس والاجتماع... ويكاد يكون من المسلم به أن التأثير السلبي لوسائل الإعلام يتجلى خصوصاً لدى الأشخاص الذين لديهم الاستعداد للتأثير بالجوانب السلبية التي تبثها وسائل الإعلام، بحكم تكوينهم الشخصي وتنشئتهم وظروفهم الاتصالية والحالة النفسية التي يوجدون فيها أثناء تلقيهم للرسالة الإعلامية".

ومن الأمور الصعبة نذكر أن الإعلام أصبح ينافس دور الأسرة والمدرسة، وتماشيا مع ذلك، «يتفق عدد من المهتمين بقضايا التنشئة الاجتماعية على أن وسائل الإعلام، ولا سيما التلفزيون، تلعب الآن دورا معارضا لدور الإيجابي لكل من الأسرة والمدرسة فيما يخص التأثير على الأطفال والشباب. ويشير الخبير الإعلامي «هالوران» إلى أن إحدى الدراسات الميدانية في هذا المجال توصلت إلى نتيجة مرعبة على حد تعبيره. وتمثل هذه النتيجة في أن 87% من الأطفال في سن الحادية عشرة، الذين شملتهم الدراسة، أعلنوا أنهم يثقون بالتلفزيون أكثر من ثقتهم بأي مصدر آخر. ويضيف: «وعندما سألنا هؤلاء الأطفال: إذا سمعتم قصة من والديكم أو من مدرسكم أو من التلفزيون، فأية رواية تصدقون، أجاب 54% من هؤلاء أنهم يصدقون التلفزيون».

هذا ويميل عدد من الخبراء الذين تناولوا بالدرس والتحليل ظاهرة تأثير وسائل الإعلام على السلوك الإنساني إلى تأييد وجهة نظر «هالوران». حيث يرى هؤلاء: "أن الكثير من القيم التي كانت تتمسك بها الأسرة والمدرسة - خاصة في المجتمعات الغربية - أخذت في الاضمحلال لتحل محلها قيم مأخوذة من وسائل الإعلام ولا تستند إلى معايير أخلاقية واجتماعية. وهذه الظاهرة بدأت تغزو بلدان العالم الثالث، بما فيها المجتمعات العربية، حيث بدأ جيل الشباب يفقد تدريجيا المرجعية الثقافية الوطنية وأصبح أكثر تأثرا بما ينقله إليه الإعلام الغربي مما أضعف تمسكه بما يسود مجتمعاته من قيم روحية وأخلاقية ومن عادات وتقاليد"....

ونجد عالم الاجتماع البريطاني جيدنز يتحدث في أشكال الإعلام من حيث التأثير على الجماعة، إذ يعتبر أن «طبيعة الوسيلة الإعلامية المستخدمة في المجتمع تؤثر في بنية المجتمع أكثر مما يتركه المضمون أو المحتوى أو الرسالة التي تنقلها وسائل الإعلام». كما نجده يضيف أن «وسائل الاتصال في الوطن العربي، مع استثناءات قليلة هي بنت السلطة أو ربيبها، وهي الأدوات الأساسية للتعبة السياسية، أو الشحن العاطفي النفسي». وفي أخرى نجد جيدنز يعتبر أن: "المواطن العربي مجرد هدف للاتصال الذي يستهدف قلوبته في قوالب ذهنية معينة، ذات أبعاد محددة، تزيد من سلبيته، وقلة مشاركته في الحياة السياسية، هذا وإن كانت مشاركته السياسية مطلوبة أصلا أو مرغوبا فيها من قبل النظم الاجتماعية القطرية".¹

"وتعدّ وسائل الاتصال عنصرا أساسيا في المجتمع، لكن النظر إليها على أنها أساس عملية التغير الاجتماعي ينقلها إلى دائرة "الحتمية"، وهذا ما رفضه علم الاجتماع المعاصر. وتؤدي الثقافة اللامادية، كالايدولوجيات السياسية والاجتماعية إلى

تغير واسع في حياة المجتمع، أكثر من تأثير الثقافة المادية في بعدها التكنولوجي، ولكن يصعب قياس هذه التغيرات "التغير المادي واللامادي"، مما أدى إلى إطلاق النظرة النسبية".²

ولا يمكن القول إن عوامل التغير يمكن تحليلها بعامل وحيد، إذ يبين الواقع تساند عوامل عدة، "اقتصادية، وتعليمية، وأيدي عاملة، وجغرافية، وتكنولوجية، وقادة مخلصون، وإعلام مسؤول، وإيديولوجيا موجهة"، تتفاعل هذه العوامل لإحداث التغير. لذلك يصعب تحديد العامل الفاصل في التغير، بشكل ديناميكي عبر الزمن. "ولكن نستطيع القول أن الثقافة فقدت السيطرة على المجال التقني، وتحولت إلى أداة تطوع ما تفرضه هذه التكنولوجيا من متطلبات. ويبرز ذلك في تقليد "الحتمية التقنية" ثم لاحقاً في "الحتمية الإعلامية".

ويتميز التأثير الاجتماعي بكونه شرطاً أساسياً يميز عملية التفاعل الاجتماعي، التي في تعريفها يظهر معنى التأثير. ويعرف التفاعل بأنه: «التقاء سلوك شخص أو مجموعة أشخاص مع سلوك شخص آخر أو مجموعة أشخاص آخرين في عملية توافق تبادلية، يترتب عليها أن يتأثر سلوك كل طرف بسلوك الآخر. حيث يكون سلوك أي منها منها أو مثيراً لسلوك الطرف الآخر. ويعرف التفاعل الاجتماعي بصورة عامة، بأنه: "العملية التي يرتبط بها أعضاء الجماعة بعضهم مع بعض عملياً وواقعياً وفي الحاجات والرغبات والوسائل والغايات والمعارف".

أما إجرائياً، فالتفاعل الاجتماعي هو ما يحدث عندما يتصل فرد أو أكثر «وليس بالضرورة اتصالاً مادياً ويحدث نتيجة لذلك تعديل السلوك.

ارتبط مفهوم التغيير في الدراسات الإعلامية، ومثلها الدراسات الاجتماعية، في العالم الثالث ومنه العربي بمفهوم التنمية، ويقر الكثير من الدارسين بالارتباط بين مفهومنا للتنمية والفكر الذي نؤمن به، فالفكر وعاء للتنمية تتشكل بحسبه، والتنمية في مخرجاتها تعبير عن رؤيتنا الفكرية التي تحكم عملية التنمية، ولذا يمكن القول بأن الفكر الليبرالي الرأسمالي نظرية في التنمية، وكذا الفكر الماركسي نظرية في التنمية كذلك.³

وقد أصبحت التنمية الشغل الشاغل للعالم الثالث بعد تشككه في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وتحوله إلى بؤرة نزاع وصراع سياسي وثقافي، ولذا تسابق الباحثون الغربيون في تقديم الدراسات التي تستجيب لهذه الحالة في هذا العالم، وظهرت العديد من النظريات في هذا المجال، والتي جاءت بعناية وتوجيه مباشرين من جهاز الأمم المتحدة ممثلاً في منظمة اليونسكو.

وقد كان من نتيجة ذلك الدراسة التي أعدها ولبر شرام عام 1962م بطلب من اليونسكو بعنوان: دور الإعلام في البلدان النامية، ونشرته بالعربية وزارة الثقافة في مصر، وجاء في مقدمة المؤلف قوله: (الإعلام الحر ليس غاية فحسب، بل إنه أيضاً وسيلة لتحقيق التحول الاجتماعي المنشود)⁴.

وقد تحدث في ثنايا الدراسة عن العديد من التصورات التي يراها لازمة للتنمية، وهي وإن كانت دراسة شملت العديد من الدول النامية في أفريقيا وآسيا، على اختلاف ثقافتها وأديانها، إلا أن الدراسة تعرضت للكثير من القيم المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية والأسرية، بل والدينية كذلك التي تمس قيم المجتمعات المسلمة باعتبارها عوائق للتنمية.

ولم تكن النظريات مجرد رؤى تأملية بقيت في دائرة النقاش العلمي، أو نصائح ظلت في دائرة الوعظ التعموي، بل إن الكثيرين من الدارسين للنظم الإعلامية في العالم الثالث يعترفون بأثر تلك النظريات على صناعة القرار في العالم الثالث، كما يقول أحدهم: (وعلى الرغم من أن مناقشات دارجي الإعلام قد أخذت في بعض الأحيان الطابع التأملي، فإنها كانت مؤثرة للغاية على صانعي القرار السياسي في كثير من دول العالم الثالث في المرحلة الأولى الحرجة للتنمية الوطنية)⁵.

لقد تعرضت مسيرة الإعلام العربي إلى صور متعددة من التأثيرات الفكرية والرؤى التنموية لهذه الدراسات، واصطبغت جوانب منها بالعديد من الطروحات المتعلقة بالقيم الاجتماعية، والعلاقات الأسرية، وكل ذلك تحت ذريعة التنمية والتحديث، حتى أخذت في الوقت الراهن صوراً أكثر عمقاً في التغيير تحت مسميات التغيير أو التسويق الاجتماعي.

وأما منا في هذا الجانب ثلاث نظريات، أو ثلاث مراحل، هي مرحلة أو نموذج التحديث، ومرحلة أو نظرية انتشار المبتكرات، ومرحلة أو نظرية التسويق الاجتماعي.

ويبرز في هذا الجانب (نموذج التحديث) الذي قدمه (ليرنر)، من خلال كتابه (اندثار المجتمع التقليدي) في عام 1964م والذي (حظي باهتمام كبير بين الباحثين في الإعلام التنموي، لما قدمه من أفكار اعتمدت البحث الميداني في الدول النامية "

دول الشرق الأوسط " لتبيان الصلة بين عملية التنمية-أو التحديث كما أطلق عليها-والاتصال الجماهيري ⁶، وهو النموذج الذي يعتمد على مفهوم التقمص الوجداني الذي يعني: مقدرة المرء على وضع المرء نفسه مكان الآخر وفي ظروفه، والتشبه به وذلك من خلال التعرض لوسائل الإعلام التي تقوم بدورها بعرض وتقديم شخصية وبيئة وظروف المجتمع النموذج من أجل محاكاتها وتقمصها" ⁷.

ثم جاء نموذج انتشار المبتكرات، أو (التجديد) على يد الباحث (روجرز) عام 1971م، الذي يركز على (نشر المعلومات المتعلقة بالمبتكرات والتجديد بين أفراد المجتمع أو قطاع منه بهدف تحقيق التنمية، وهو في الوقت نفسه يعتبر التغيير الهدف النهائي لنموذج الانتشار، ويأتي على المستوى الفردي في صورة تغيير الأفكار والعادات كنوع من التعلم أو التنشئة الاجتماعية أو التحديث وتطور الفكر، وعلى المستوى المجتمعي كنوع من التنمية أو التكيف المجتمعي) ⁸.

ويمثل هذا النموذج (نموذج روجرز) نوعاً من التعديل في فهم التعامل مع الإنسان، حيث يسعى للتأثير عليه ليس من خلال التقمص والمحاكاة كما في النموذج السابق، وإنما من خلال الفكر والمعرفة والتعليم.

وقد تطور مفهوم التغيير أو التنمية هذا حتى ظهر ما أطلق عليه مفهوم أو نظرية التسويق الاجتماعي الذي أخذ بعداً جديداً عندما عقد أول مؤتمر دولي لليونسكو عام 1975م عن التسويق الاجتماعي في بروكسيل والذي خلص إلى أهمية تسويق الوعي عبر وسائل الإعلام، وسار في مرحلتين، الأولى الإعلان الاجتماعي، حيث برز استخدام الإعلان لتغيير الاتجاهات العامة والسلوك من قبل منظمات تنظيم الأسرة في بعض الدول، والثانية عندما تحول إلى منهج الاتصالات الاجتماعية من خلال التركيز على وسائل البيع الشخصي والنشر بالإضافة إلى الإعلان. وفي عام 1995م وضع ستانلي ودنس الملامح الرئيسة لنظرية التسويق الاجتماعي التي تتلخص في:

(كيفية ترويج الأفكار التي تعتنقها النخبة في المجتمع، لتصبح ذات قيمة اجتماعية معترف بها) .

إن للإعلام ووسائله دورٌ كبيرٌ في توجيه المجتمع نحو السلوكيات الرشيقة والعادات الحسنة وتنفيذه من السلوكيات الخاطئة، ومثال على ذلك حملات التوعية التي تقوم بها وسائل الإعلام تحت إشراف وزارات الصحة للتحذير من مخاطر آفات معينة مثل التدخين والمخدرات وغيرها، وهذه الحملات تُوعي المجتمع لضمان بقاء أفرادها في صحة وعافية، كما يكون للإعلام دورٌ كبير

في التحذير من الجرائم الأخلاقية التي تستهدف أمن المجتمعات وأخلاقهم من سرقة واغتصاب وغير ذلك ببيان خطورتها وسلبياتها .

إن للإعلام دور في توجيه الأفراد نحو استخدام المرافق العامة التي توفرها الدولة لخدمة الأفراد في الدولة بصورة سليمة، ومثال عليها المراكز الصحية والمستشفيات والحدائق والمتنزهات العامة والمتاحف الوطنية، ويكون ذلك التوجيه من خلال حملات إعلامية عن طريق التلفزيون أو المذياع، كما تتضمن بيان لفائدة المرافق العامة للمجتمعات، وضرورة استمرارية وجودها لخدمة الأفراد والترفيه عنهم، كما تتضمن توجيه الأفراد نحو اجتناب كثير من السلوكيات التي تفسد هذه المرافق العامة مثل العبث فيها بالتخريب أو الحرق أو غير ذلك. كما أن للإعلام دور في توجيه المجتمع للاقتصاد في استهلاك المياه، وترشيد استخدام الكهرباء وغير ذلك من موارد؛ فهذه الموارد يجب على المجتمعات أن تُحافظ عليها حتى لا تنضب وتنفى، فكل ما على هذه الأرض من خياراتٍ معرّضة للتأية والافتراض إذا ما أسيء استخدامها .

إن للإعلام دور في تثقيف الناس وزيادة وعيمهم بالمخاطر المحدقة بالدولة والمجتمع؛ فالمجتمعات تغفل أحياناً عن استشعار المخاطر حولها ويكون للإعلام دورٌ كبير في إيقاظ المجتمعات للتنبّه باستمرار لما يحيط بها من مخاطر وتهديدات وضرورة الاستعداد لمواجهةها والتصدي لها.

يمكن القول بأن تأثير وسائل الإعلام العربي في التغيير جاء ضمن مجموعة من العوامل والمؤثرات التي أسهمت في صناعة التغييرات التي طرأت على الأفراد والمجتمعات العربية، ومن جانب آخر أسهمت في إعطاء وسائل الإعلام الفرصة للتأثير، وهيات لها المناخ المناسب لتحدث ما أحدثته، ومن أبرز تلك المؤثرات:

التخلف الحضاري:

إن التخلف الحضاري الذي تعيشه المجتمعات العربية والإسلامية، في مقابل التقدم المادي التقني والإداري في الغرب جعل من هذا الوضع المتخلف بيئة مناسبة لنمو الأفكار الأخرى التي تنادي بالتحديث مدخلة في هذه الدعوة النمط الغربي أو الشرقي باعتباره النموذج الأمثل لتحقيق بيئة التقدم باعتباره المثال الحي للمجتمع المتقدم، لاسيما في مرحلتي التحديث، ونشر المبتكرات.

التطبيقات الخاطئة للإسلام:

في بيئات التصوف الخرافي، أو الغلو في الصالحين لدرجة التعبد والتدين التراجيدي، كما في البيئات التي تطغى فيها العادة على العبادة، والعرف على الشرع، تنبت بذور التمرد على الدين، والخروج على الثوابت، وتنشأ البيئة المناسبة لاستنابات بذور الشك والريبة، وهو القدر الذي تستطيع وسائل الإعلام أن تؤثر فيه، حيث تستطيع أن تؤثر في القيم غير الراسخة، لكنها تؤثر أيضاً فيما له علاقة طردية بها.

المؤثرات السياسية الداخلية:

هناك العديد من الدول العربية تبنت الفكر الشرقي، وأعلنت اشتراكيتها مثل العراق سابقاً، وليبيا، والجزائر واليمن الجنوبي، ودول أخرى صرحت بأنها دول علمانية مثل تركيا وتونس على سبيل المثال، ومثل هذه الأوضاع السياسية جعلت من وسائل الإعلام أدوات طيعة للتغيير وفق مقتضيات هذا الفكر المتبنى رسمياً، وتهيأت البيئة السياسية لهذا النوع من التغيير، الذي أصبح توجهاً رسمياً تسخر له كافة الوسائل والفرص ليأخذ طريقه في حياة الناس بجوانبها المختلفة.

العوامل الاقتصادية:

وقد لعب العامل الاقتصادي دوراً مزدوجاً، فقد هيأت الطفرة الاقتصادية في بيئة مثل دول الخليج العربي الفرصة للتواصل المفتوح مع ثقافات المجتمعات الأخرى، والوصول بالصناعة الإعلامية إلى مستويات متقدمة في تطوير التقنية، وتوفير البدائل الإعلامية بشكل كبير للجمهور الخليجي، كما أسهم العامل الاقتصادي من جانب آخر في توجيه وسائل الإعلام الوجهة التي يريدونها الممول، والذي يتمثل في شركات الإعلان الكبرى، التي كان لها أثرها الفاعل في استمرار العديد من وسائل الإعلام وبلوغها مستويات قياسية في التطور بسبب التمويل المدفوع من هذه الشركات، وهو تمويل مشروط باستحقاقات فكرية ومنهجية معينة.

الأوضاع السياسية العالمية:

لقد كان للحروب التي شنتها أمريكا ودول العالم الغربي أثرها الواضح والجلي في التغيير الاجتماعي في العالم العربي والإسلامي، وكانت الحرب الأمريكية الأخيرة على أفغانستان والعراق تعلن أنها لم تكن حرب تحرير كحرب الخليج السابقة، وإنما هي حرب

نشر للديمقراطية وقيم الحرية، وقد صاحب هذه الحرب حملات إعلامية ودعائية واسعة النطاق، شملت العديد من أساليب التأثير الإعلامي، سواء في شكل إعلام دعائي أمريكي مباشر، أو غير مباشر من خلال التأثيرات المتعددة على وسائل الإعلام ورجاله في العالم العربي.

بل قدمت الصفات الدقيقة لطرائق العمل الإعلامي من أجل نشر القيم الأمريكية من خلال العديد من التقارير التي أصدرتها مؤسسة راند وغيرها.

إن القول بأن هناك فعلا علاقة واضحة بين مفهومي «التأثير الاجتماعي» و«وسائل الاتصال الجماهيري» ولعل ذلك تبين من خلال السالف والمراجع التي إلتقيناها، حيث كلها أكدت أن الاتصال الجماهيري له علاقة فعلية بالتأثير الاجتماعي. وذلك من خلال غزوه وتأثيره الصادم، بل وإرهابه على تغيير مواقف واتجاهات الأفراد.

كما يُخلص من هذا العرض أننا أمام علاقة معقدة تتشابك فيها عوامل نفسية واجتماعية وأيديولوجيا... وأن وقاية الأفراد والجماعات من التأثيرات السلبية التي يحدثها الإعلام يعتبر مسؤولية الجميع: حكومات، والهيئات الرسمية وغير الرسمية، والمربين، وعلماء الاتصال، وعلماء النفس، وحارس البوابة ..

ويمكن الاستخلاص أيضا، أن موضوع التأثير الاجتماعي لوسائل الاتصال الجماهيري من بين المواضيع الغنية والدسمة والفضفاضة في علم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي، على حد سواء، وذلك واضح من خلال الكم الكثير للكتابات حولها.

ما هو تأثير وسائل الإعلام على المجتمع..؟

تعتبر وسائل الإعلام سلاح ذو حدين، وذلك لأنها تملك آثار ايجابية، و سلبية على المجتمع، ويمكن إيجاز لآثار الإيجابية في النقاط التالية :

-تحاول وسائل الإعلام نشر الوعي بين صفوف الشباب، وذلك لتجنب الظواهر الخاطئة مثلاً كالزواج العرفي أو تكوين علاقات خاطئة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وتوضيح الآثار السلبية التي من الممكن أن تنتج عن ذلك، وهذا من أجل تخفيف الكوارث التي من الممكن أن تحدث نتيجة لمثل هذه الظواهر.

-تقوم وسائل الإعلام بعمل حملات توعية لأبناء المجتمع بأهمية الممتلكات العامة ، و ضرورة المحافظة عليها من العبث ، و الإهمال ، والاهتمام بنظافة الشوارع ، و الميادين ، و الحد من الظواهر الخاطئة مثلاً كإلقاء القمامة في الشارع أو الكتابة على جدران المستشفيات أو كسر الآلات و المعدات .

-تلعب وسائل الإعلام دوراً هاماً في توضيح أهمية ترشيد الاستهلاك للمحافظة على الموارد وتخفيف حدة الأزمات و الأعباء التي تتحملها البلاد نتيجة للإسراف في استخدام مواردها مثل المياه، والطاقة الكهربائية، وتقوم وسائل الإعلام بتوضيح الطرق التي من الممكن أن يتبعها المواطنين من أجل ترشيد الاستهلاك، وتحقيق النفع للدولة، للمواطن.

-زيادة ثقافة أبناء المجتمع، ومعرفتهم بوضع بلادهم في مختلف النواحي سواء الاقتصادية أو السياسية، ويتم ذلك من خلال النشرات.

-نشر الوعي الديني فنجد أن وسائل الإعلام من الناحية العقائدية تلعب دور هام للغاية، وذلك لأن هناك العديد من القنوات والبرامج الدينية، والمهمة الأساسية لهذه القنوات نشر الثقافة الدينية وفتح باب التواصل بين المواطنين، والشيوخ من خلال الاتصال للسؤال عن أمر ما.

وبالرغم من إيجابيات وسائل الإعلام إلا إن لها عدة جوانب سلبية من أبرز هذه الجوانب ما يلي:

-نشر الشائعات، وإثارة الرأي العام تجاه أمر أو قضية ما بشكل يتسبب في زعزعة الأمن والاستقرار في المجتمع.

-ظهور ما يسمى بالإعلام الموجه، والذي لا يمتاز بالشفافية و الموضوعية كونه يسعى لخدمة مجموعة ما أو فريق ما.

-عرض أفلام و مسلسلات لا تليق بقيم، و عادات أبناء المجتمعات العربية الإسلامية، وذلك لاحتوائها على عدد كبير من المشاهد الخارجة عن الحياء.

-دعوة مجموعة من القنوات الإعلامية إلى الانفتاح و التحرر و التمرد على الواقع الذي نشأنا، وتريننا عليه سوسولوجياً وتاريخياً، سوف يُرصد الدور المركزي لوسائل الإعلام الفضائية العربية في سياق رصد التغيير الاجتماعي والسياسي الذي سيلحق حتماً بهذه المجتمعات، ويدرجهما في سياق الحداثة السياسية والاجتماعية، بكونه "الدور المحفز" إلى تنشيط تفاعل معادلة التغيير وليس إحداثها. والذين ينيطون بالفضائيات العربية دوراً جوهرياً في إحداث التغيير قد يخطئون في تقدير ما

يمكن وما لا يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام هذه؛ ففي نهاية المطاف لا بد من ديناميات اجتماعية لما يتم طرحه علناً في وسائل الإعلام الفضائية من أطروحات، وإلا بقي كلاً في الهواء. والذين يقللون من أهمية تلك الوسائل ويرون أنها لا تحدث سوى الصراخ وتكريس ثقافة التحريض والتفكير المسطح يخطئون أيضاً في تقدير دور العناصر المحفزة في مساعدة أية عملية تغيير اجتماعي موسعة في الحدوث.

وفي سياق تأمل التغييرات الاجتماعية والسياسية العميقة والواسعة النطاق، ليس من السهل رصد أدوار العناصر المختلفة خلال فترة زمنية قصيرة؛ فالمهم هنا هو عملية التراكم، وما هو أهم من دور الفضائيات العربية مدى تطور بنيت مدنية، ووعي مدني وسياسي، وهياكل شبكية، وثقافة تعددية، وأنماط حكم وعلاقات خارجية صحية تقرب شرائح أي مجتمع عربي بعضها إلى بعض؛ لتخلق القاسم المشترك الاجتماعي والثقافي الأدنى الذي من دونه لا تقوم قائمة لمجتمع من المجتمعات. ويمكن دور الفضائيات العربية والإعلام العربي بشكل عام في إدامة تسليط الضوء على غياب ذلك القاسم، واستدعاء الأطروحات والأفكار التي تزعم أنها تسعى إلى إيجاده، ومناقشتها بعلانية مطلقة، واختبار عقلانيتها وواقعيتها وشعبيته .

إن من واجب وسائل الإعلام لدينا هو غرس القيم السليمة والعادات الإسلامية وتأسيس ثقافة الحوار وقبول وجهة النظر الأخرى إضافة إلى تشجيع الفرد إلى الإبداع والابتكار والحث على العلم والتعلم والسعي إلى تقديم ما هو مفيد وجديد، وتحقيق ذلك تصبح وسائل الإعلام قد أعدت أجيالاً واعية ومثقفة قادرة على الاعتماد على نفسها وذلك باكتفائها فكرياً وسلوكياً.

خاتمة:

إن تأسيس هيئة إعلامية احترافية مختصة تضع الأهداف والقوانين والمعايير الواضحة التي يجب على كل ملاك القنوات الفضائية السير على نهجها من خلال متابعة نوعية البرامج وأهدافها والتقنية المستخدمة في بث تلك القنوات وتقديم الاستشارات الإعلامية أو الفنية المتعلقة بأمور البث وتقديم دورات تأهيلية احترافية وعلى مستوى عال للمقدمين والمذيعين في تلك القنوات ومتابعة أداء مقدمي ومذيعي كل قناة سيرتقي بإعلامنا وبوطننا وسيسهل على الإعلام توصيل رسالته بشكل متقن للجمهور الداخلي والخارجي .

ولكن لكي يحدث التغيير في المجتمعات العربية، لا بد من أن يصاحبه تغيير في "الذهنيات" وفي "البنية الثقافية" ككل حتى يتم التأقلم مع الأوضاع الجديدة. وبالمقابل كل ما يطرأ من تبدل قيمي أو مفاهيمي "إيجابي" يحدث تغييراً في الممارسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية تؤثر في بناء المجتمع العربي. وتشكل تكنولوجيا الاتصال البنية التحتية لصياغة ونشر ثقافة تفرض قيمها، بهدف ضبط السلوك الإنساني بما يتلاءم مع النظام العالمي الجديد، أي عوامل إنتاج معرفي.

قائمة الهوامش :

- 1.ويليام ريفرز وتيودور باترسون وجاي جينسون، الاتصال الجماهيري والمجتمع المعاصر، ترجمة: الدكتور أحمد طلعت البشبيشي، الطبعة الأولى، 2005، دار المعرفة الجامعية .
- 2.علي. محمد رحومة،((الانترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية))، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2007م، ص75.
- 3 انظر: د. محمد سيد محمد: الإعلام والتنمية / 83.
- 4 ولبور شرام: أجهزة الإعلام والتنمية الوطنية / ص11.
- 5 جون مارتن وشودري: نظم الإعلام المقارنة/ ص 152.
- 6 عصام سليمان/المدخل في الاتصال الجماهيري/ص202.
- 7 المرجع السابق/203.
- 8 المرجع السابق/204-207.
- 9 ياسر الشهري/ تسويق قيم العمل الخيري في ضوء نظرية التسويق الاجتماعي / رسالة دكتوراه غير منشورة/ص53 وبعدها.

أ.ملاك السعيد. جامعة الجزائر 2.

ملخص:

اخترط العالم اليوم في موجة جديدة من تطور تكنولوجيا الاعلام والاتصال التي تعد وسيلة أكثر أهمية لنقل المجتمعات النامية إلى مجتمعات أكثر تطوراً، فهي تساهم في بناء مجتمع جديد يتوافق مع موجة التغيرات والتحويلات التي مست مختلف نواحي الحياة، أين تم الانتقال من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات الذي يتخذ من المعرفة والتقنية مرتكزا له. ولعل أبرز الفتوحات التقنية الحاصلة في العالم من انترنت، طرق المعلومات، شبكات الاتصال تهدف جميعا إلى تحقيق السرعة في الوصول إلى المعلومات والبيانات التي قد لا يحول الوصل إليها نظرا للتغير التقني الغير متكافئ في السياق الاجتماعي مما أدى إلى زيادة التفاوتات الاجتماعية واتساع الفجوة بين الطبقات الاجتماعية وعدم المساواة بين الافراد الذين يجيدون استخدامها وأولئك الذين يعانون من الامية الرقمية، مما جعل بعض فئات المجتمع على هامش من التقدم التكنولوجي، ويرون أن الفجوة الرقمية هي مؤشر على زيادة الاقسامات الاجتماعية والثقافية والتنمية الذي يؤدي بدوره الى التمايز الاجتماعي.

وعلى ضوء ما تقدم يمكن طرح التساؤل الجوهرى التالي: ما هي الآثار المترتبة على الفجوة الرقمية في التغير الاجتماعي والثقافي؟

مقدمة:

أدى التطور الهائل في الصناعة والتكنولوجيا خلال القرنين الماضيين إلى زيادة تركيز القوة الاقتصادية في أيدي قلة قليلة من الناس. وهذا لا يعني أن المسألة الاجتماعية "القديمة" التي تتمثل في بؤس العمال المستغلين قد اختفت من كوكبنا، ولكنها تفاقمت مع ازدياد وانتشار وسائل الإعلام والاتصال الحديثة وأصبحت أقل وضوحا ورؤية منذ بدايتها.

والمقصود بهذه الحقيقة الاجتماعية أن الملايين من الناس على حد سواء في البلدان الغربية و النامية لا تتوفر لها إمكانيات الوصول إلى شبكة المعلومات العالمية، وهذه المجموعة هي من "لا تمتلك المعلومات" وتتألف غالبا من أفراد ينتمون إلى الفئات المحرومة من المجتمع، إذ تبدو الفرص متفاوتة بين الجماعات والدول لدخول أعتاب هذا المجتمع، وهذا التفاوت في الفرص ومستويات التطور يعبر عنه بمفهوم (الفجوة الرقمية) التي تشير إلى عدم عدالة توزيع فوائد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات داخل وبين البلدان والمناطق والقطاعات والمجموعات الاجتماعية الاقتصادية، إنما تدل على المهمة الشاقة التي تواجه البلدان النامية والجماعات والأقسام المحرومة في المجتمع (حتى في البلدان المتقدمة) في محاولاتها لجني فوائد متساوية ظاهرياً ومن المفترض أن توفرها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

والمفارقة حول هذا الوضع هي الحقيقة المثبتة تجريبيا، بأن الوضع الحياتي للأشخاص المحرومين اجتماعيا يمكن تحسينه بشكل كبير من خلال الاستخدام الذكي لوسائل الإعلام الجديدة. وتشير العديد من مشاريع التعاون الإنمائي إلى أن شبكة الإنترنت ليست قادرة فقط على دفع التغيير الاجتماعي في العالم الصناعي، بل أيضا في حالة الاستخدام الذكي تعتبر عاملا حاسما أيضا في التنمية الاجتماعية والثقافية للبلدان النامية.

والهدف من هذا الورقة هو تحليل للفجوة الرقمية المعقدة -ومحاولة الاجابة عن السؤال المتعلق بمدى تمكين الفئات السكانية المهمشة والمحرومة، ومساعدتهم على استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات على نحو مستهدف وذكي.

1- التحول من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات

قبل التطرق إلى الفجوة الرقمية وأثرها على الفرد والمجتمع ينبغي أولا توضيح أسبابها التي تعتبر مهمة في فهم التغيير الاجتماعي. وهذا يثير مسألة البنية الاجتماعية الحالية التي يمكن أن تكون أساسا لعمليات التنمية الاجتماعية الجارية في الإطار المحلي والعالمي. وبشكل مطلق ومبسط، فإن المطالبة بنهضة شاملة حتى الان مر بثلاث ثورات صناعية جميعها أثر بشكل كبير في تغير المجتمعات (Warsaw 2003: 13).

حيث حدثت الثورة الصناعية الأولى في أواخر القرن الثامن عشر مع اختراع المحرك البخاري والاستفادة التقنية من طاقة البخار، وبالتالي كان من الممكن تطوير الآلات التي كانت قادرة على تنفيذ معظم أداء الجهد العضلي بسرعة أكبر وأكثر دقة وكفاءة. في سياق هذا التطور تم استبدال العمل البشري تدريجيا بالآلات، وعلى المستوى الاجتماعي نشأت طبقة عاملة حول المناطق الصناعية وظهرت حرف صناعية، وبدأ الواقع الجديد يُغير بشكل ملموس أنماط العيش وعادات الناس، وأخذ مفهوم التمدن في التبدل فأصبح معياره الأساسي وجود المصانع التي باتت تميز الحواضر الكبرى عن الوسط القروي، الذي كان في أغلبه لا يزال يعيش عصر ما قبل الصناعة.

كما أحدث تطور الآلة ثورة في عالم الاتصالات وخطوط المواصلات وطرق النقل ما شجع على نزوح الباحثين عن عمل من مناطق الريف والتوجه إلى المراكز الصناعية لتأمين السكن والوظيفة. وأدى التحول في بني علاقات الاجتماع إلى توسع المدن وتطورها وازدهارها مستفيدة من ذلك النمو المطرد في تعداد السكان (طفرة ديموغرافية) الكثيف ما أسس لاحقا قواعد اقتصادية معاصرة لنشوء المدينة الحديثة.

وتفجرت الثورة الصناعية الثانية أواخر القرن التاسع عشر باكتشاف الكهرباء الذي شاع استعماله اعتباراً من 1880، كما رافق هذا التحول الهائل اكتشاف البترول والطفرة الكبيرة في الصناعة الكيميائية التي صاحبت إنتاجه. وبعد ذلك توالى الإنجازات العلمية بابتكار طرق لتكثيف الموجات الصوتية وظهور التلفون والإذاعة والتلفزيون والطائرة، وفي سياق هذه الابتكارات نمت المصانع والشركات الكبيرة.

استمرت الثورة الصناعية الثالثة في العملية التطورية للتحويل في منتصف القرن العشرين ولا تزال مستمرة.

وقد مكنت القفزات العلمية في مجال تكنولوجيا المواصلات والالكترونيات الدقيقة من إكتشاف وتطوير الرقائق الالكترونية الصغيرة (*Micro-processors*) باخسة الثمن، الأمر الذي ساعد بدوره في اختراع "الكمبيوتر الشخصي" كما أن دمج تكنولوجيا الاتصالات و تقنيات معالجة المعلومات قد أنشأ أسس الانترنت (Bornschieer, 2001:240).

هذه المرحلة لم تنشأ فجأة بل كانت موجودة طوال تاريخ البشرية، إن الفترة التي نعيشها الآن هي فترة بداية مجتمع المعلومات فلم تعد الأرض هي قوام المجتمع، ولم يعد راس المال هو قوام المجتمع كما كان عليه الحال في المجتمع الصناعي، وإنما أصبحت المعلومات هي قوام المجتمع المعاصر (محمد فتحي عبد الهادي، 2000: ص13).

دفعت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الجديد إلى خلق نموذج التسلسل الهرمي المسطح في المؤسسة للتنافس مع الهرم البنائي التقليدي الذي شيده عموديا. جعل منه في كثير من الأحيان السبب في ظهور مجتمعات الشبكة (Wellmann and Hampton 1999: 648)

يمكن لنا من خلال هذا المفهوم الذي عبر عنه مانويل كاستلز CASTELLS أن نفهم بأن مجتمع الشبكات أو المعلومات يمكن وصفه بأنه تدفق وانسياب للمعلومات، والذي يتم من خلال شبكات المنظمات والمؤسسات، وهذا التدفق والانسياب يمثل سلسلة مكررة ومبرمجة من التبادل والتفاعل بين الفضاءات المادية، غير المتصلة والمحتملة من الفعالية الاجتماعية في المنظمات الرسمية والمؤسسات الاجتماعية.

إن ما أكدته كاستلنز على حقيقة هذه الثورة الصناعية الثالثة لا يقصد به في المقام الأول هو عملية إنشاء مشروع "مجتمع الإنترنت" العالمية، ولكن الأكثر أهمية في هذه العملية هي شراء المعلومات والتوزيع والتعاملات للمواد الخام الفعلية لهذه الموجة الثالثة (ما بعد الصناعية) التي تمثل المعارف المتحصل عليها، والتي نتجت عن الجمع بين مختلف المعلومات ومصادرها.

ومن المفيد أن تكون المعلومات التي تتكيف مع الاحتياجات الفردية والقدرة على معالجة المعلومات هي عوامل أساسية للتنمية الفردية والاجتماعية. حيث أن "المعرفة" يمكن أن تتخذ أشكالاً واستخدامات مختلفة على سبيل المثال، فإن معرفة أو خبرة محلل السوق المالية، الذي يقوم بالبحث في الإنترنت والذي يتصفح مصادر مختلفة للمعلومات عن الشراء أو البيع سيكون أكثر تحليلاً للأسواق من الذي يقرأ دائماً نفس الصحيفة ويتناقش مع نفس الأشخاص. كما أن المعلومات على الشبكة العالمية يمكن أيضاً أن تخدم مزارع في بلد نام إذا ما تلقت معلومات عن سعر الحبوب الحقيقي في الأسواق المحلية. وبهذه الطريقة، تمكنه في التعامل مع الوكيل الذي يبيع حبوبه بأفضل الاسعار. وتشهد هذه الأمثلة على إمكانية استخدام الإنترنت بكفاءة عالية وبطرق عديدة لأغراض نقل المعلومات.

إن دمج وسائل الإعلام المطبوعة والمنطوقة والسمعية والبصرية في قالب واحد، وتنوع تطبيقات الاتصالات (البريد الإلكتروني، والدردشة، والمؤتمرات عبر الإنترنت.. الخ) وإمكانية إنشاء الشبكة عبر كامل التراب الوطني هي أسباب وجيهة لنقول إن الإنترنت حقا يمكن أن تغير أسس المجتمع (DiMaggio et al 2001: 308).

ولكن تبقى المشكلة في الوصول إلى الإنترنت، وتوزيعها بالتساوي هي أهم التحديات بالنسبة للدول والمجتمعات كما أكد ذلك الأمين العام السابق للأمم المتحدة، (كوفي عنان)، الذي حذر من الآثار السلبية الناجمة عن الفجوة الرقمية الدائمة بقوله:

وتعد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الجديدة من بين القوى الدافعة للعولمة. إنها تجمع الأشخاص وصناع القرار بشكل غير مسبوق كما تعتبر أدوات جديدة للتنمية في الوقت نفسه، ومع ذلك، فإن الفجوة الفاصلة بين تبادل المعلومات "يملكون" و "لا يملكون" آخذ في الاتساع، وهو خطر حقيقي على الفقراء في العالم سيتم استبعادهم من الاقتصاد القائم على المعرفة الناشئة " (عنان 2002).

وقد أعرب وارسشور (Warschauer) الذي فحص العديد من مشاريع الإنترنت في البلدان النامية ورافق برامج الدعم للفئات السكانية المهمشة في الولايات المتحدة، عن مخاوف مماثلة:

كونك جزءا من هذه الشبكة أمر بالغ الأهمية ليس فقط من أجل الاندماج الاقتصادي بل بالنسبة للجميع تقريبا هي جانب من جوانب الحياة اليوم، بما في ذلك التعليم والمشاركة السياسية، والشؤون المجتمعية، والإنتاج الثقافي، والترفيه، والتفاعل الشخصي. وتتيح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات هياكل تنظيمية جديدة للمشاركة الاجتماعية، كغرف الدردشة للمراهقين، وخدمات اللقاءات عبر الإنترنت، إلى مواقع العمل السياسي، والتعلم القائم على الإنترنت، وتنظيم المجتمع والسياسة والنقاش في شبكات التواصل الاجتماعية واتخاذ القرارات وتدفق وسائل الإعلام عبر الإنترنت..الخ تعبر عن أشكالاً كثيرة في التواصل. وأن أولئك الذين ليس لديهم إمكانية الوصول إلى التكنولوجيا سيمنعون من الفرص لممارسة مواظنتهم كاملة.

2- براعة الاعلام الجديد

يتم علم الاجتماع دائما بمسائل العدالة الاجتماعية والتفاوت الاجتماعي والتمهيش وتوزيع السلطة والموارد داخل البنى الاجتماعية. وبشكل عام يمكن وصف هذا المسار لعلم الاجتماع بأنه تحليل البنية الاجتماعية. ويجاول التحليل البنيوي الاجتماعي "تحديد أهم العناصر البنيوية (المهيمنة) في النظام الاجتماعي وتحديد نفوذها وتفاعلها على البنى الاجتماعية" (Schäfers 2000: 330).

وتظهر العديد من كتابات التحليلات الاجتماعية-البنيوية بأنها لا ترى المجتمع متأكفا ومرصوفا، بل تؤكد على "الاستقلال النسبي للتقسيمات الاجتماعية (النظم الاجتماعية الفردية)". ويمكن العثور على هذه التقسيمات في الرأسالية حيث ينقسم النظام الاقتصادي تقريبا إلى نظامين فرعيين هما:

التكنولوجي الاجتماعي - الثقافي أو الاجتماعي - المؤسسي، حيث تغيير أي بنية في النظام الاقتصادي الفرعي سيحدث تأثيرا في النظام الاقتصادي الفرعي الآخر (Bornschieer 2001: 238). والتفاعلات المعقدة بين هذه النظم الفرعية تؤثر على البيئة الخارجية التي هي مسؤولة عن التغيير الاجتماعي على المستوى الجزئي والكلبي (Lenski and Nolan 1995: 67).

والجانب المذهل في تكنولوجيات المعلومات والاتصالات الجديدة - وخاصة على شبكة الإنترنت - هو حقيقة أن تطبيقاتها المتنوعة قادرة على تشكيل النظامين الفرعيين في وقت واحد. وهكذا، فإن اختراع الانترنت لم يحدث ثورة سريعة النمو ذات تداعيات لا حصر لها (نظام تقني اقتصادي) فحسب، بل أحدثت ثورة أيضا في عمليات التواصل والتفاعل فيما بين البلدان

وفيما بينها، مما أدى تبسيط عمليات شراء المعلومات ونشرها، الهيكل الداخلي للمنظمات، وتعبئة الشبكات وتعبئة الموارد الابدولوجية ذات الصلة بالمجموعات إلى مستوى لم يسبق له مثيل (النظام الاجتماعي الثقافي) (Geser 1997, 2001) وبالنظر إلى التقدم التقني السريع، والتعقيد التكنولوجي الهائل وزيادة الاعتماد على الشبكة وعلى المواد الخام "المعرفة". والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما يحدث لجميع الأشخاص الذين لا يسمح لهم بالسفر على الطريق السريع للبيانات بسبب نقص الموارد. وإلى أي مدى تقوم شبكة الإنترنت بإعادة إنتاج أو تعزيز هيكل التفاوت التي يمكن تقليصها في حالة المعالجة السلمية سياسيا واقتصاديا؟

وهل يمكن اعتبار الفجوة الهائلة بين "من يملكون المعلومات" و "الذين لا يملكون المعلومات" عاملا حاسما يؤثر على التحول الاجتماعي والثقافي للأمة ككل في المستقبل؟

3- الفجوة الرقمية (تعريفها، أسبابها و عواملها، نطاقها وهيكلها، قياسها)

3-1 تعريف الفجوة الرقمية

من الصعب العثور على تعريف واحد وشامل لمفهوم الفجوة الرقمية رغم المحاولات المبكرة لاستقصاء المفهوم، إذ بدأ أول استخدام للمفهوم في تقرير يعود إلى عام 1995 بعنوان (السقوط من الشبكة) صدر عن وزارة التجارة الأمريكية يقول: (الفجوة الرقمية هي الفجوة الفاصلة بين الدول المتقدمة والدول النامية في النفاذ إلى مصادر المعلومات والمعرفة، والقدرة على استخدامها واستغلالها، ولهذه الفجوة أسباب علمية تكنولوجية وتنظيمية فضلاً عن توفر البنية التحتية) (نبيل على ونادية حجازي، 2005: ص47)

فالسيسيون، يرون الفجوة الرقمية بوصفها إشكالية تدرج ضمن قضايا الاقتصاد السياسي، ولا حل لها في نظرهم من دون سند من التشريعات والتنظيمات، من أجل حماية المجتمع من فوضى وشيكة يمكن أن تلم به بفعل المتغير المعلوماتي.

والاقتصاديون يرون الفجوة الرقمية نتيجة لعدم القدرة على اللحاق بركاب اقتصاد المعرفة وعلى استغلال موارد المعلومات لتوليد القيمة المضافة، ولا حل لسد الفجوة الرقمية إلا بتحرير الأسواق وإسقاط الحواجز أمام تدفق المعلومات والسلع والخدمات وحركة رؤوس الأموال، وكل ذلك يتطلب سرعة الاندماج في الاقتصاد العالمي.

أما التربويون فيرون الفجوة الرقمية قضية تعليمية في المقام الأول ومظهرها لعدم المساواة في النفاذ إلى فرص التعليم، والحل في رأيهم هو في إكساب المتعلم القدرة على التعلم ذاتياً مدى الحياة.

ويرى الاتصاليون أن الفجوة الرقمية أساسها عدم توافر شبكات الاتصالات، ووسائل النفاذ إليها ونقص السعة الكافية لتبادل النوعيات المختلفة لرسائل المعلومات، والحل في رأيهم هو في توفير بدائل رخيصة لإقامة شبكات الاتصالات ونشرها على أوسع نطاق.

والاجتماعيون يرون الفجوة الرقمية ضرباً من عدم المساواة الاجتماعية عبر الفواصل الاجتماعية المختلفة كالدخل والسن والنوع ومستوى التعليم وسكنى المدينة والريف، وهم يرون ضرورة توفير الشروط الاجتماعية والثقافية التي تساعد على توطين التقنية في التربة المحلية.

كما عرف الاتحاد الدولي للاتصالات هذا المفهوم بالقول: الفجوة الرقمية هي الاختلاف بين من يملك ومن لا يملك فرص النفاذ أو الوصول إلى المعلومات عبر وسائل وتقنيات الاتصال (الهاتف الثابت والمحمول والحاسوب والإنترنت وخدمة الحزمة العريضة) وقد تكون الفجوة الرقمية بين البلدان المتقدمة والنامية، أو بين البلدان ضمن المجموعة الجغرافية الواحدة، أو في البلد الواحد بين الريف والمدينة، أو بين السكان بحسب خصائص (العمر- والجنس- والدخل- والعرق).

كما يصف جيمس James الفجوة الرقمية بأنها "التوزيع غير المتكافئ للحواسيب ووصلات الإنترنت وآلات الفاكس وما إلى ذلك بين البلدان" (James 2003: 23).

أما نوريس فأرجعها إلى ثلاثة أبعاد حيث أكد في حديثه بأن الفجوة الرقمية تفهم "كظاهرة متعددة الأبعاد تشمل ثلاثة جوانب مميزة، فالفجوة العالمية تشير إلى الاختلاف في النفاذ إلى الإنترنت بين المجتمعات الصناعية والمجتمعات النامية، والفجوة الاجتماعية هي الفجوة بين مصادر المعلومات بين الاغنياء والفقراء في كل أمة (Norris 2001: 4).

كما وصفها سيرفون Servon بأن ظاهرة الفجوة الرقمية هي أكثر دقة في القياس بالمقارنة إلى ما ذهب إليه نوريس ، حيث تطرق إلى ثلاثة أبعاد رئيسية: البعد الأول يتعلق بالوصول إلى الإنترنت ولهذا الغرض يلزم وجود بنية تحتية كافية من أجل التمكن من السفر على طول الطريق السريع للبيانات. أما البعد الثاني فيركز على جانب التعليم الضروري، وهو ما يسمى بـ

"محو الأمية". وهذا يعني القدرة على "استخدامه لمجموعة من الأغراض ومعرفة كيف ولماذا يمكن استخدامها كمورد رئيسي ويتضمن البعد الثالث من الفجوة الرقمية جانب من جوانب المحتوى المقدم على شبكة الإنترنت." (7 : Servon 2002).

في رأي سيرفون والباحثين الآخرين، يجب على المستخدمين أن يفهموا أولا الإمكانيات التي توفرها هذه الوسيلة الجديدة، وكيف يمكن استخدامها بشكل جيد، والمهام التي يمكن معالجتها باستخدامها. والنماذج المهنية المطلوبة وتوفير التدريب الشامل. ووفقا لسيرفون تركيب محتوى معلومات في شبكة الانترنت يجب أن تتوافق مع رغبات الزبائن غير المتجانسة. ولهذا فإن مشكلة الإنترنت ليست موجهة لجميع الأفراد بنفس وفرة المعلومات المتنوعة والمتاحة وبعبارة أخرى عندما تقوم المجموعات المحرومة بتسجيل الدخول في الانترنت، فإنها غالبا لا تجد محتوى مناسباً لطبيعتها أو لما تبحث عليه. أي أن نوع المعلومات التي يسعون للحصول عليها لها صلة مباشرة بحياتهم ومجتمعاتهم وثقافتهم غير موجودة، ولهذا السبب، من المهم بصفة خاصة أن يتاح للأفراد والمجموعات المحرومة اجتماعيا خيار تغذية المعلومات لاستخدامهم الخاص في الشبكة.

مثل هذه المشاركة يمكن أن تشكل خطرا على الطبقات المحرومة عندما لا تجد أي معلومات مناسبة وبهذه الطريقة يتم تشييطها في بحثها، وأخيرا التخلي عن أداة "الإنترنت" تماما.

2-3 كيفية قياس الفجوة الرقمية؟

هناك اساليب منهجية مختلفة لقياس الفجوة الرقمية تجريبيا. وفي رأينا فإن أفضل وأرقى هذه المناهج هو الإجراء الذي وضعه كل من كوروش وأوردانيني **Corrocher and Ordanini** اللذان يقيسان الفجوة الرقمية باستخدام أسلوب المقارنة بين كل بلد على حدى ويتم بناء أسلوبها على ثلاث مراحل:

في المرحلة الاولى يتم تحليل المتغيرات التي توفر المعلومات في مرحلة تطور التكنولوجيات الرقمية في بلد ما وعندما يصل انتشار التكنولوجيات الرقمية إلى كتلة حرجة يتم تحليل كثافة التسجيل في مرحلة ثانية. بالنظر إلى معدلات انتشار الأجهزة المختلفة المطلوبة لاستخدام التطبيقات الرقمية. ويتم التوصل إلى المرحلة الثالثة والأخيرة عندما يمكن وصف التكنولوجيا بأنها متكاملة اجتماعيا. وفي هذا المستوى يتم فحص الخصائص النوعية، مثل "أثر التحول الرقمي على الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية، وعلى هيكل الإنتاج والاستهلاك وعلى العمالة" (13 : Corrocher and Ordanini 2002).

كما أن حداثة مفهوم الفجوة الرقمية وتباين تعريفاتها وتعدد وجهات النظر في شأنها، خلق صعوبات عديدة لقياس "الفجوة الرقمية"، منها صعوبات منهجية تتمثل في صعوبة إجمال قدرات الشعوب في إحداث التنمية بمؤشر واحد، ومنها صعوبات احصائية تتمثل بقصور جمع البيانات وادماجها وتمثيل المؤشرات للواقع الفعلي. ومع ذلك يمكن اجمال أهم المؤشرات بالآتي:

(الاسكوا، 2002)

1- عدد المستخدمين في شبكة الانترنت.

2- بنية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وامكانية الوصول إليها.

3- قدرة المواطنين على شراء الوسائط التكنولوجية.

4- التأهيل التكنولوجي.

5- مضمين ومحتويات تناسب حاجات السكان.

6- امتلاك مهارات تكنولوجيا المعلومات.

7- الفقر.

8- خصائص ديموغرافية (عرق، جنس، الدين، اللغة...الخ).

وتتيح لنا النتائج التراكمية من الخطوات الإجرائية الثلاث اختتام مرحلة التنمية الرقمية في بلد ما، ولكنها لا تفسر الاختلافات والخصائص المحددة لكل بلد والسياق.

في الفصل التالي، سيتم مناقشة هيكل ونطاق الفجوة الرقمية بمزيد من التفصيل.

3-3 نطاق وهيكل الفجوة الرقمية

نشر موقع الاحصائيات العالمية للانترنت (Internet world Stats) تقريراً حول تقديرات حول مقياس وهيكل الفجوة الرقمية العالمية في مؤشر الوصول إلى الانترنت إلى غاية مارس 2017 كما هو موضح في الجدول أدناه:-

نمو الاستخدام % 2016-2000	نسبتهم من مستخدمي الانترنت %	نسبتهم % من عدد السكان	عدد مستخدمي الانترنت	نسبتهم % من عدد سكان العالم	عدد السكان	القارات
7.557.2	9.3	27.7	345.676.501	16.6	1.246.504.865	إفريقيا
1.539.4	50.2	45.2	1.873.856.654	55.2	4.148.177.672	اسيا
506.1	17.1	76.7	630.710.269	10.9	822.710.362	اوروبا
2.035.8	10.3	59.6	385.916.382	18.6	647.604.654	أمريكا اللاتينية والكاريبينان
4.220.9	3.8	56.7	141.931.765	3.3	250.327.574	الشرق الاوسط
196.1	8.6	88.1	320.068.243	4.8	363.224.006	امريكا الشمالية
261.5	0.7	68.1	27.549.054	0.5	40.479.846	أستراليا
933.8	100	49.6	3.731.973.423	100	7.519.028.970	المجموع العالمي

إن الوصول إلى تكنولوجيات المعلومات والاتصالات موزع بشكل غير متساو بين البلدان الصناعية والبلدان النامية حيث نلاحظ من الجدول السابق أن قارة أمريكا الشمالية، والتي تضم الولايات المتحدة الأمريكية وكندا تنصدر المناطق الأكثر إستخداما للانترنت من حيث مجموع عدد سكانها بنسبة 88.1 % بالمقابل نلاحظ أن قارة إفريقيا هي القارة الأقل حضا، حيث أنه من إجمالي سكانها البالغ 1.2 مليار تقريبا هناك 345 ألف فقط يستخدمون الانترنت أي ما يعادل 27.7 %، وهذا يفسر الفجوة القائمة بين البلدان النامية والمتقدمة من حيث الربط بالانترنت.

نمو الاستخدام % 2016-2000	نسبتهم % من عدد السكان	عدد مستخدمي الانترنت	عدد السكان	الدولة
3150.8	52.7	731.434.547	1.388.232.693	الصين
9142.5	34.4	462.124.989	1.342.512.706	الهند
200.9	87.9	286.942.362	326.474.013	و.م.أ
2682.2	65.9	139.111.185	211.243.220	البرازيل
6535.0	50.4	132.700.000	263.510.146	إندونيسيا
151.6	94.0	118.453.595	126.045.211	اليابان
3272.7	72.9	104.553.491	143.375.006	روسيا
46.695.6	48.8	93.591.174	191.835.936	نيجيريا
198.9	89.0	71.727.551	80.636.124	ألمانيا
2477.6	53.7	69.915.219	130.222.815	المكسيك

من الجدول أعلاه والممثل في - العشر 10 دول الأكثر إستخداما للإنترنت- يمكن ملاحظة أن اليابان تتواجد في طليعة إستخدام الإنترنت بالمقارنة مع سكانها حيث يبلغ عدد المستخدمين 118 مليون تقريبا من أصل تعداد سكانها المقدر بـ 126 مليون تقريبا، والمثير للانتباه هو وجود نيجيريا كدولة نامية ضمن الدول الأكثر إستخداما للإنترنت، وكذلك بنمو كبير عال جدا قدر بـ 46.695.6 % ما بين سنة 2000-2016 وهذا يعبر عن الجهود التي تقوم بها مثل هذه الدول لسد الفجوة الرقمية.

الدولة	عدد السكان	عدد مستخدمي الإنترنت	نسبتهم % من عدد السكان	نمو الاستخدام % 2016-2000
الجزائر	41.063.753	15.105.000	36.8	302.1
المغرب	35.241.418	20.207.154	57.3	202.0
تونس	11.494.760	5.800.000	50.5	58
ليبيا	6.408.742	2.800.000	43.7	280
موريتانيا	4.226.448	714.132	16.7	142.8

من خلال الجدول السابق -استخدام الإنترنت وفقا لعدد السكان في دول المغرب العربي- يتبين لنا بأن المغرب وتونس التي يزيد عدد مستخدمي الإنترنت في كل منها عن النصف من إجمالي عدد سكانهم، وهو مؤشر إيجابي يدل عن مجهودات هذه الدول في تقليص الفجوة الرقمية، أما موريتانيا فقد إحتلت المرتبة الأخيرة. كما يتضح من إحصائيات الجدول رغم أن هذه النسب التي لا ترقى إلى مصاف نسب الدول المتقدمة من حيث الربط بالإنترنت، إلا أن هناك نموا متزايدا في كل دول المغرب العربي من حيث إستخدام الإنترنت، حيث حققت الجزائر نموا بـ 302 % وهذا مؤشر إيجابي. ووفقا للمعطيات الاجمالية لاستخدام الإنترنت في المغرب العربي، نجد أن الإنترنت ما زالت مقتصرة على نخبة معينة داخل هذه المجتمعات المؤهلة ثقافيا.

استعراض عدد سكان العالم لمستخدمي اللغة 2016	نمو اللغة في شبكة الانترنت ما بين 2016-2000	عدد مستخدمي اللغة من بين مستخدمي الانترنت	نسبة مستخدمي اللغة من بين كافة مستخدمي الانترنت	أكثر اللغات أكثر استعمالا في الانترنت
1.400.052.373	%573.9	%67.8	948.608.782	الانجليزية
1.415.572.934	%2.227.9	%53.1	751.985.224	الصينية
450.235.963	%1.424.3	%61.6	277.125.947	الاسبانية
388.332.877	%6.602.5	%43.4	168.426.690	العربية
266.757.747	%1.939.7	%57.9	154.525.606	البرتغالية
126.464.583	%144.5	%91.0	115.111.595	اليابانية
289.702.633	%1.809.3	%37.8	109.400.983	الملايو
146.358.055	%3227.3	%70.5	103.147.691	الروسية
393.892.299	%751.5	%25.9	102.171.481	الفرنسية
94.973.855	%204.6	%88.3	83.825.134	الالمانية
4.972.343.316	%848.4	%65.6	2.814.329.132	المجموع
2.367.750.664	%1.141.0	%33.7	797.046.681	باقي اللغات الاخرى

من خلال معاينة جدول- اللغات الأكثر شيوعا في شبكة الانترنت- نجد أن اللغة الإنجليزية ما زالت تتصدر المرتبة الأولى، حيث تستخدم من قبل أكثر من 67.8 % من مستخدمي الانترنت، هذه النسبة تفيد كذلك بأنها هي اللغة الأكثر شيوعا بين لغات مواقع الانترنت، مما يتيح للمتحدثي الإنجليزية فرصا تفوق متحدثي أي لغة أخرى، أما اللغة العربية فقد وصلت كذلك إلى نادي اللغات الأكثر شيوعا، حيث حازت على المرتبة الرابعة (04) بنسبة 43.4 % من مستخدمي الانترنت المتحدثين بالعربية، كما نجد أن نموها هو الأكبر من بين كل اللغات والمقدر بـ 6.602.5 % وينذر بتنافس شديد مع اللغات الصينية والاسبانية.

وتظهر البلدان والمجموعات السكانية والطبقات الاجتماعية التي تعاني بالفعل من الفقر والتمييز لأسباب مختلفة تشهد أدنى معدلات انتشار واستخدام الانترنت كما ذكر أيضا نوريس Norris "عند النظر في التفسيرات البديلة لظاهرة الفجوة الرقمية، تشير الأدلة بقوة إلى أن التنمية الاقتصادية هي العامل الرئيسي الذي يدفع إلى الوصول إلى التكنولوجيات الرقمية، بحيث تعكس الانترنت وتعزز أوجه التفاوت التقليدية بين المجتمعات الغنية والفقيرة (...). بعيدا عن النمط الجديد للانتشار العالمي الانترنت ويعكس الأنماط القائمة للوصول إلى وسائط الإعلام التقليدية بما في ذلك التلفزيون، والصحف، وأجهزة الراديو، والفوارق التي كانت موجودة منذ عقود، والتي لا تظهر أي علامة على الإغلاق التدريجي مع مرور الوقت"

هذه النتيجة ليست مفاجئة، لان وجود البنية التحتية مثل خطوط الهاتف والكهرباء والحواصيد تعتمد اعتمادا كبيرا على الدخل. ومقارنة بالبيانات التي جمعها سيرفون Servon مثيرة للإعجاب فقد وجد أن متوسط مستخدمي الإنترنت في جنوب أفريقيا أعلى بسبع مرات من المتوسط الوطني لبغداد، أيضا فيما يتعلق بتكاليف الاتصال يجد مقارنة مناسبة حيث تبلغ تكاليف الاتصال بشبكة الإنترنت الشهرية في الولايات المتحدة 1.2 % فقط من متوسط الراتب الشهري مقابل 80% في بوتان و278 % في نيبال.

وتنق مع ما قاله ماير Meyer بأن هياكل الظلم وعدم المساواة الحالية، التي كانت قائمة لفترة طويلة والتي لا تزال مستمرة نسبيا، لا يمكن أن تتوقف إلا بمساعدة تكنولوجيات المعلومات والاتصالات الحديثة. وان مدى انتشار واستخدام الإنترنت سيسهم في رصد الهياكل الاجتماعية كعدم المساواة بين الجنسين، والاتجاهات التمييزية ضد الأقليات، أو كمثل عالمي، يمكن أن يتهك التدرج الهائل بين الشمال والجنوب. وحتى الان يمكن أن يكون هناك شيء واحد مؤكد: إن توزيعات الإنترنت وزيادة اعتماد الاقتصاد على المواد الخام "المعرفة" لم تقلل من هياكل عدم المساواة القائمة على الصعيدين الوطني والعالمي بل تعززت (Katz and Rice 2002: 29).

4-3 الاسباب وعوامل التأثير

وكما ذكر سابقا، فإن التخطيط الاقتصادي في بلد ما بالنظر إلى مؤشر استخدام الإنترنت وانتشاره على المستوى الكلي المجتمعي، يبدو أن هذه العلاقة منطقية للوهلة الأولى: فالبلدان المزدهرة اقتصاديا يمكنها أن توفر البنية التحتية الباهظة الثمن اللازمة لدفع انتشار استخدام الإنترنت. وفي الوقت نفسه، تنفق البلدان الغنية قدرا كبيرا من المال على البحث والتطوير، وهو ما يرتبط بدورها الاقتصادي في انتشار الإنترنت (Afele 2003: 61, James 2003: ix) بالإضافة إلى ذلك، فإن التعليم يقاس بمعدل الالتحاق بالمدارس وعدد الخريجين وسنوات الدراسة، حيث نجد أن هذا المؤشر في الدول المزدهرة أعلى بكثير مما هو عليه في البلدان النامية، وهو ما ينعكس على معدل الإلمام بالقراءة والكتابة، وهو بالطبع له الأثر الكبير في استخدام الإنترنت أيضا، فالرخاء الاقتصادي، والمستوى التعليمي، وجهود البحث العلمي يمكن اعتبارها عوامل متفاعلة تزيد أو تقلل من الفجوة الرقمية العالمية السائدة على المستوى الكلي المجتمعي. ومع ذلك، فإن المعادلة البسيطة "الأكثر شراء، الأكثر انتشارا للإنترنت" ليست صحيحة دائما، وبالنظر إلى حقيقة البلدان المزدهرة اقتصاديا مثل إيطاليا وإسبانيا وبلجيكا ..

الخ التي لديها معدلات انتشار انترنت أقل من فنلندا ونيوزيلندا وهولندا..الخ على سبيل المثال، حيث أن وارسو Warsaw تابع مجدية هذه الظاهرة وحدد العوامل المتعددة التي تؤثر على الفجوة الرقمية. وبالإضافة إلى الوضع الاقتصادي المذكور أعلاه، فإن نظام الوضع الاقتصادي السائد (التنظيم القوي للدولة أو المشاريع الخاصة المستقلة نسبياً)، وحالة البنية التحتية والإنفاق على التعليم، والنظام السياسي والثقافة الخاصة بالبلد كلها سياقات هامة في معدلات انتشار الإنترنت المختلفة (Warsaw 2003: 51).

كما قام سيرفون Servon بتقديم حجج مماثلة بقوله "إن قوى السوق، والتوزيع غير المتكافئ للاستثمار في البنية التحتية اللازمة، والتمييز بين الفئات الاجتماعية، والجهود السياسية غير الكافية، والمعلومات المقدمة على شبكة الإنترنت هي أسباب للفجوة الرقمية (Servon 2002: 8-11). كما أكد كل من كاتس ورايس Katz and Rice في هذا الجانب عن المواد الإعلامية المتاحة على شبكة الإنترنت. وهم يرون أن الطابع الغالب في المواد الإعلامية القابلة للاسترجاع على الإنترنت يمكن أن تؤثر بشكل كبير على الفجوة الرقمية. كما أن الهيمنة القاطعة للغة الإنجليزية في الفضاء السبراني مثلت عتبة كبيرة لكثير من الناس، والتي لن تختفي في المستقبل المنظور (DiMaggio et al 2001: 311).

أما فيما يتعلق بالعوامل المؤثرة المحتملة التي تؤثر على الفجوة الرقمية في هذا الصدد نجد تعليقات ماير Mayer المثيرة للاهتمام وهو يتحدث عن الحواجز المختلفة التي تجعل الوصول واستخدام الإنترنت أكثر صعوبة، وخاصة على المستوى الجزئي أي الفردي. حيث أن العقلية (عدم الرغبة، المصالح المفقودة، المساعدات المفقودة وانعدام الحاجة والمواد) (معدات باهظة الثمن، وارتفاع سعر الشراء) الحواجز المعرفية (المحتوى المفقود) حاجز المهارات (نقص التدريب ونقص المعرفة) (Meyer 2003: 40 Akbar).

هذه الحواجز هي أساساً نفسها التي أوضحها وارسو، والذي حدد أربعة موارد مركزية لاستخدام تكنولوجيايات الاتصال. وهي "الموارد المادية، والموارد الإلكترونية، والموارد البشرية، والموارد الاجتماعية (...)

تشمل الموارد المادية الوصول إلى استخدام الحواسيب والاتصالات عبر الإنترنت)، أما الموارد الاجتماعية

وتتمثل في الرجوع إلى مؤسسة المجتمع ووصول دعم تكنولوجيا المعلومات للهيكل المجتمعية والمؤسسية".

باختصار فإن الانظمة الاجتماعية الاقتصادية والاجتماعية الثقافية هي عوامل الفجوة الرقمية وهي المسؤولة على المستوى الاجتماعي الكلي وكذلك العوامل المؤثرة مثل الازدهار الاقتصادي، والمستوى التعليمي، الإنفاق على البحث العلمي، والنظام السياسي والمناخ الثقافي كلها عوامل تؤثر على الفجوة الرقمية، أما على المستوى الجزئي الاجتماعي كمصلحة الفرد، المهنة، الدخل، السن، الصحة العقلية والبدنية، والجنس

4- الآثار المترتبة على الفجوة الرقمية في التغير الاجتماعي والثقافي

وفيما يتعلق بمسألة الآثار المحتملة للفجوة الرقمية على التغير الاجتماعي والثقافي، يمكن التطرق إلى موقفين متعارضين في الأدبيات الحالية. فمن ناحية تهمين النظرة "البائسة" التي تؤكد بأن انتشار الانترنت ليس جيدا وتسلب الضوء على العواقب الاجتماعية السلبية الفعلية والمحتملة. وعلى الجانب الآخر هناك النظرة "المثالية" وهي تضع توقعات كبيرة بشأن إمكانيات تطبيق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتأمل أن تتمكن من القضاء على هيكل عدم المساواة القائمة بمساعدة وسائط الإعلام الجديدة.

ويبدو أن كلا الجانبين على حق في طرحهما. حيث أننا لا يمكن أن ننكر أن الفجوة الرقمية موجودة فعلا، ولا يمكن أن ننسى أن الانترنت هي ملائمة للطبقات الاجتماعية المحرومة والمجموعات السكانية التي جلبت فوائد كبيرة وفتحت آفاقا جديدة. ومع ذلك، فإن الخطر الذي تنطوي عليه الفجوة الرقمية هو التهميش الاجتماعي الذي يؤدي بالفعل إلى مزيد من العزلة الاجتماعية، حيث تصبح عملية الإقصاء الاجتماعي هذه أكثر دراماتيكية كلما أسرع عالم الانترنت دون مشاركة فعالة أو تشكيل هؤلاء المستبعدين اجتماعيا وكلما زاد اعتماد المجتمع أو العالم المعولم على المواد الخام "المعرفة":

"إن الشاغل الرئيسي للفجوة الرقمية هو أن الطبقة السفلى في المجتمع التي تفتقر إلى المعلومات قد تصبح أكثر تهميشا في المجتمعات التي تصبح فيها المهارات الحاسوبية الأساسية ضرورية للنجاح والتقدم الشخصي والدخول إلى فرص وظيفية جيدة وفرص تعليمية والوصول الكامل إلى الشبكات الاجتماعية، وفرص المشاركة المدنية" (Norris 2001: 68).

كما يرى مانويل كاستيلز أن الاعتماد المتزايد في المجتمع على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الجديدة عامل للتمييز.

وكلما أصبحت الإنترنت الوسيلة الرئيسية للأعمال التجارية، والتعليم، والخدمات الاجتماعية، والتنمية الشخصية، والتفاعل الاجتماعي، كلما زادت القدرة على استخدامها على مستوى الشعب تعليمياً وثقافياً.

وبعبارة أخرى، يبدأ التفاوت الحقيقي عندما نعتمد جميعاً على الإنترنت لأن القدرة الثقافية على تحديد المعلومات التي نحتاجها، ومعرفة أين نبحث عنه، وماذا نفعله، والتركيز عليه في أداء المهام التي نريد إنجازها، يصبح مصدر التمايز الاجتماعي وهكذا، إذا كان المستوى التعليمي والثقافي والقدرة على الاستقلالية الشخصية هي دائماً عوامل رئيسية في تشكيل عدم المساواة الاجتماعية، فإن تأثيرها التفاضلي يصبح ضخماً في عصر الإنترنت" (Castells, cited in Servon 2002: xviii)

والحلقة المفرغة على وجه التحديد هي أن تلك المجموعات من الناس والطبقات الاجتماعية والأمة التي هي بالفعل محرومة في السياق الوطني والدولي تفقد علاقاتها مع العالم المتطور بسرعة، وتؤدي قوة الطرد المركزي لآلية الإقصاء الاجتماعي هذه إلى دفع مجموعة المحرومين اجتماعياً إلى الهامش، الأمر الذي يجعل التقدم الاجتماعي يكون أكثر صعوبة وهناك تنشأ عوالم موازية يتم فصلها عن بعضها البعض من خلال وجود فجوة متباينة "المعلومات والمعرفة" (Katz and Rice 2002: 18f) حيث جاء في تقرير التنمية البشرية 2003: يتكون المجتمع الرقمي أو مجتمع المعلومات من بيانات ومعلومات وارشادات وأفكار ورموز تملكها المجتمعات في سياق تاريخي محدد، توجه السلوك البشري في مجالات النشاط الإنساني كافة، بالتالي فإن المجتمع الرقمي يقوم أساساً على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي: الاقتصادية، السياسية، الثقافية، الاجتماعية، وفي الحياة الخاصة والعامة، وفي كافة الجوانب المتعلقة بالمجتمع المدني وصولاً للارتقاء بالحالة الإنسانية باطراد، أي تحقيق التنمية البشرية.

إن علاقة الانترنت بالعمولة الثقافية مرتبطة بتدفق المعلومات الهائل في الفضاء الإلكتروني، بالإضافة الى موجات الهجرة البشرية بحثاً عن العلم أو العمل. والتي لا يمكن فصلها عن التدفق المعلوماتي في أسواق السياسة والاقتصاد. وعلى الرغم من تعدد تعريفات العمولة الثقافية تبعاً لكل مجتمع ورؤيته إلا أن تبني الافكار الجديدة "العمولة" في المجتمعات ليس بالأمر السهل. وهذا ما يجعل قالب العمولة الثقافية متحولاً من مجتمع لآخر من ناحية التأثير. فتوفر الانترنت والرقابة جعل الفجوة الرقمية تحدياً قوياً أمام خلق مجتمع عالمي متجانس تماماً ناهيك عن مكونات الثقافة نفسها كالدين واللغة والعادات والتقاليد والمعتقدات التي تشكل سداً منيعاً كونها تمثل الهوية الفردية والجمعية.

لعل من التشبيهات الملائمة لوصف التغيرات في المجتمعات هو "المستويات". فيرى الباحث الأمريكي جوزيف ستروبار (2008) أن العولمة الثقافية تشكل طبقات جديدة انتقالية في الهوية الفردية والجمعية لمستخدمي الانترنت كما الناظر الى نهر في اسفل المنحدر يرى بشكل جانبي مستويات متعددة للمياه الجارية ويلاحظ أن هناك مستويات جوهريّة من المياه لا يمكن الاستغناء عنها ليم استقبال مستويات جديدة. وهنا يشير الباحث الى مستويات اللغة والدين والتعليم والطبقة الاجتماعية والعرق كمستويات أساسية لا تتجزأ مهما تأثرت أجزاء منها بالعولمة إثر الهجرة المؤقتة أو الاتصال بالانترنت.

لعل الانترنت أيضاً يحفز الروابط بين المجتمعات المضطهدة سياسياً كحال اللاجئين الفلسطينيين الذين وجدوا فيه مساحة للتواصل مع اخوانهم في الأراضي المحتلة والشتات. وربما هذا ما يمثل نظرية عالم الاجتماع الاسباني مانويل كاستلز (2004) حول روابط الهوية الجمعية المتينة التي تجمع القوميات المتفرقة سياسياً وغير المحمية بسيادة دولة كاملة. ولعل اتساع حدود الخيارات المتوفرة على الانترنت تجعل من السهل على الفرد أن يختار مجتمعه الافتراضي والذي يكون بالعادة متقارب أو مماثل لثقافته؛

ومن ناحية أخرى تلعب اللغة في هذا المجال دوراً صريحاً خصوصاً مع اعتماد اللغة الانجليزية كلغة الانترنت. ومع ذلك تلحظ حرص مواقع الانترنت العالمية ومحركات البحث ومنصات الاعلام الاجتماعي على توفير عدة لغات لضمان الوصول الى أكبر عدد ممكن من المتصفحين.

أما الفجوة الرقمية التي تفصل الدول الفقيرة عن الثرية قد تكون مسبباً آخر لتفاوت مظاهر العولمة الثقافية. فتوفر الشبكة العنكبوتية وجودة الاتصال بها مرتبط بشكل مباشر بالحالة الاقتصادية في الدولة وهذا ما يفسر تطور استخدام تكنولوجيا المعلومات في دول الخليج العربي مقارنة بفلسطين والاردن ولبنان وسوريا. ناهيك عن دور الرقابة التي تلعبه الحكومات في ضبط قدرة المواطنين على الوصول الى بعض محتويات الانترنت والتي يظهر أكثر أشكالها تطرفاً في الصين.

5- الاستنتاجات والتوقعات:

مما سبق يمكن القول أن الفجوة الرقمية هي عبارة عن الهوة الفاصلة بين الدول المتقدمة و الدول النامية في النفاذ إلى مصادر المعلومات و المعرفة والقدرة على استغلالها، إضافة إلى أن حدوثها لا يكون إلا بوجود جملة من الأسباب التي دعت إلى ذلك، و يمكن العمل على تقليص الهوة الرقمية من تحقيق أكثر ما يمكن من التوازن على مستوى فرص الحوار و التواصل

الحضاري و الثقافي بين الأفراد و بين المجتمعات ويعتبر التضامن و التعاون الدولي هو الضامن الأكبر لتحقيق هذا التوازن بين الدول والمجتمعات فكما أن التضامن بين الأفراد يمكن من انتشار الأفراد الأقل حظا على مستوى الثروة و تمكينهم من الحصول على فرص مناسبة للعيش فان التضامن بين الدول يمكن الدول الفقيرة و النامية من الحصول على فرص لتحقيق التنمية و توفير وسائل الحياة و التعليم و الصحة لأفرادها ويمثل التضامن الدولي استكمالاً لما يفتحه الحوار بين الثقافات من سبل التفاهم و الرغبة في العيش المشترك.

وفي هذا الصدد تنقسم رؤية المتخصصين حول مستقبل الفجوة الرقمية في العالم إلى رأيين:

***المتفائلون:** وهم يرون أن قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يوفر للدول النامية فرصة للتقدم والقفز خطوات في مجال التنمية التكنولوجية، ومنافسة الدول المتقدمة في ذلك المجال.

***المتشائمون:** وهم يرون أن الفجوة الرقمية سوف تتزايد باضطراد مع مرور الوقت، حيث سيزداد في الدول الصناعية، في حين ستفتقر معظم الدول النامية إلى وجود الخبرات العلمية في انتشار التكنولوجيا اللازمة وكذا الأسواق المحلية المهيأة مما سيجعلها غير قادرة على المنافسة.

خاتمة:

بعيدا عن التفاؤل أو التشاؤم وبالرجوع إلى التاريخ الحديث، نجد نماذج لمجتمعات نامية تمكنت من تحقيق نهضتها الاقتصادية والاجتماعية بالاستفادة من ثمار الثورة المعلوماتية- الرقمية، حيث أصبحت رائدة في إنتاج تكنولوجياتها، وتبدوا النور الآسيوية خير دليل على ذلك ، في حين لم تكن أكثر الإحصائيات تفاؤلاً منذ عقود قريبة تشير لاحتمال أي نهضة فيها.

قائمة المراجع

- 1- محمد فتحي عبد الهادي، المعلومات وتكنولوجيا المعلومات على أعتاب قرن جديد، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 2000، ص 19 .
- 2- نبيل علي ود.نادية حجازي، الفجوة الرقمية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2005، عدد 318، ص. 47.
- 3- AFELE, J.S. (2003): *Digital Bridges. Developing Countries in the Knowledge Economy.* Hershey/ London. Idea Group Publishing.
- 4- AKBAR, S.U. (o.J.): *Bridging Digital Divide: Bangladesh Aspect.* URL:
<http://www.unpan1.un.org/intradoc/groups/public/documents/APCITY/UNPAN005828.pdf>
f
(10.07.04).
- 5- ANNAN, K. (2002): *On the digital divide.* URL:
<http://www.un.org/News/oss/sg/stories/sg-5nov-2002.htm> (12.07.04).
- 6- ATTEWELL, P. (2001): Comment: The First and the Second Digital Divides. In: *Sociology of Education*, Vol. 74, Nr. 3, 252-259. URL: <http://www.jstor.org/sici?sici=0038-0407%28200107%2974%3A3%3C252%3ACTFASD%3E2.0.CO%3B2-3> (26.05.04).

- 7- BORNSCHIER, V. (2001): Generalisiertes Vertrauen und die frühe Verbreitung der Internetnutzung im Gesellschaftsvergleich. In: *Kölner Zeitschrift für Soziologie und Sozialpsychologie*, Jg. 53, Heft 2, 233-257.
- 8- BOURDIEU, P. (1987): *Die feinen Unterschiede. Kritik der gesellschaftlichen Urteilskraft*. Frankfurt am Main. Suhrkamp Verlag.
- 9- BRAUN, E./ HEINE, F./ OPOLKA, U. (2000): *Politische Philosophie*. Reinbek bei Hamburg. Rowohlt Taschenbuch Verlag.
- 10- COLEMAN, J. S. (1988): Social Capital in the Creation of Human Capital. In: *The American Journal of Sociology*, Vol. 94, 95-120. URL: <http://www.jstor.org/sici?sici=0002-9602%281988%2994%3CS95%3ASCITCO%3E2.0.CO%3B2-P> (29.06.04).
- 11- COLEMAN, J.S. (1991): *Grundlagen der Sozialtheorie*. Bd.1. München. Oldenbourg Verlag.
- 12- CORROCHER, N. / ORDANINI, A. (2002): Measuring the digital divide: a framework for the analysis of cross-country differences. In: *Journal of Information Technology*, Nr. 17, 9-19.

URL:<http://www.unpan1.un.org/intradoc/groups/public/documents/APCITY/UNPAN007361.pdf> (10.07.04).
- 13- CUSTER, U. (2004): Die Alpen als Technologie-Barriere. Studie zur Kommunikationstechnik in den Haushalten. In: *Neue Zürcher Zeitung*, Nr. 151, 2.07.04.

14- DASGUPTA, S./ LALL, S./ WHEELER, D. (2001): *Policy Reform, Economic Growth, and the Digital Divide: An Econometric Analysis*. Development Research Group. World Bank. URL: <http://www.econ.worldbank.org/view.php?id=1615> (10.07.04).

DIMAGGIO, P./ HARGITTAI, E./ NEUMANN, R.W./ ROBINSON, J.P. (2001): Social Implications of the Internet. In: *Annual. Review of Sociology*, Vol. 27, 307-336. URL: <http://www.princeton.edu/culturalpolicy/workpap17.html> (06.07.04).

15- EHRENBERG, J. (2002): Equality, Democracy, and Community from Tocqueville to Putnam. In:

16-MCLEAN, S.L./SCHULTZ, D.A./STEGER, M.B. (eds.): *Social Capital. Critical Perspectives on Community and „Bowling Alone“*. New York/ London. New York Press, 50-7

د.دوداح علجية، جامعة البويرة.

أ.ماقري مليكة. جامعة البويرة.

ملخص:

تتعدد مظاهر التغير الإجتماعي بإعتبارها تمس علاقاته مع مختلف الأنساق الإجتماعية ومن أهم المظاهر التقدم الإجتماعي ، النمو الإجتماعي ، الحراك الإجتماعي ، الإنتشار الثقافي ، التحول الإجتماعي ، هذا الأخير يتداخل مع التغير الإجتماعي ، غير أن ما يميز بينها هو مستويات الإنتقال وامتداد الفترة التاريخية لأن التغير يكون أي ومتأني بينما التحول يكون بين فترة وأخرى نسبيا إلا أن هذا لا يبني التداخل بينها في الواقع . ولهذا سوف نتطرق إلى هذا الموضوع من خلال تناول ظاهرة التحول الإجتماعي القيمي لدى الشباب الجزائري من خلال رصد جوانب هذا التحول ومعرفة المتغيرات الإجتماعية المفسرة لها والآثار والانعكاسات الملاحظة من خلال رصد و تتبع وضعية هذه الفئة.

مقدمة:

تعد دراسة التغير القيمي من الدراسات ذات الأهمية الكبيرة، كونها تهدف إلى التعريف بالنسق القيمي السائد لدى جيل من الأجيال أو فئة من الفئات، مما يعني التعرف على موجهات العقل الاجتماعي والتعرف على المفاهيم التي تتمسك بها تلك الفئة من المجتمع من جهة والقيم التي تتعرض إلى التغير السريع أو البطيء من جهة أخرى. وتعد القيم بمثابة معالم للمجتمع وصور في عقول أفرادها أنها بمثابة الإطار المرجعي الذي يوصل العقل الاجتماعي إلى أهدافه. وتعد القيم واحدة من القضايا التي دار حولها جدل كبير نتيجة التغيرات السريعة التي يشهدها المجتمع، ولا سيما مع تناهي موجات العولمة. وما رافقها من تطورات هائلة في شتى المجالات المجتمعية وما أحدثه ذلك من تغيرات في النسيج الاجتماعي والثقافي. فهنالك من يعتقد أن القيم ثابتة. وغير قابلة للتغير. وهنالك آخرون لهم رأي آخر. إذ يشيرون إلى أن القيم تتغير باستمرار. وهو ما يؤثر على النظام الاجتماعي العام.

قراءة في بعض المفاهيم :

مفهوم القيم: يعد مفهوم القيم من أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية غموضا وارتباطا بعدد كبير من المفاهيم الأخرى كالاتجاهات والمعتقدات والدوافع والرغبات... الخ، ويرجع هذا الغموض إلى ارتباط المصطلح بالتراث الاجتماعي من جهة، ووقوعه على أرض مشتركة بين مجموعة من العلوم من جهة أخرى. وقد حاول الكثير من العلماء والمختصين وضع صياغة تعاريف محددة للقيم

اتفقت في إطارها العام إلا أنها اختلفت من الناحية الفعلية فهي على العموم أكدت على أن القيم تنتج من الثقافة، المجتمع والشخصية.

وقد عرفها (فليب جاكوب) بأنها مستويات معيارية يتأثر بها الإنسان في اختياره بين بدائل السلوكيات المدركة.⁽¹⁾ كما عرفها تالكوت بارسونز بأنها عنصر في نسق رمزي مشترك يعتبر معياراً، أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف⁽²⁾ كما تعرف القيم بأنها عبارة عن معايير وجدانية وفكرية يعتقد بها الأفراد، وبموجبها يتعاملون مع الأشياء بالقبول أو الرفض⁽³⁾.

ونخلص إلى أن القيم هي مجموعة من المعتقدات والمبادئ التي يحملها الفرد بحيث تعمل على توجيه وضبط سلوكه من جهة وتنظيم علاقاته في المجتمع في جميع مبادئ الحياة من جهة أخرى.

مفهوم القيم في علم الاجتماع: إن القيم في نظر علماء الاجتماع عنصراً هاماً من عناصر البناء الاجتماعي، تتطور بتطور المجتمع الذي توجد فيه، فالقيم نسبية في ثقافة أي مجتمع وليست مطلقة تختلف من مجتمع لآخر، فلكل ثقافته ولكل معاييرها الاجتماعية. كما يرى علماء الاجتماع أن القيم من صنع المجتمع، وإنما تعبر عن الواقع، فالقيم حقائق واقعية توجد في المجتمع.

مفهوم النسق القيمي: إذا نظرنا إلى المجتمع نظرة تحليلية، فإننا نجد أنه يتكون من عدة نظم كالنظام الاقتصادي والسياسي والديني... الخ ويتكون كل نظام من قيم معينة تحدد هويته، ويعكس النظام من ناحية أخرى هذه القيم في مجموعة من المعايير التي قد تكون مكتوبة فتأخذ شكل قوانين أو شفوية فتأخذ شكل العرف أو العادة، وهذا ما يطلق عليه بالنسق القيمي.

مفهوم التغير القيمي: الواقع إن مفهوم التغير القيمي من المفاهيم التي يكتنفها الكثير من الغموض والتعقيد، فقد يضيق البعض من استخدام المفهوم ليقصر على بعض العادات والتقاليد أو التغيرات المتتالية والسريعة في الطرائق الشعبية، وقد يوسع البعض من استخدام المفهوم ليحتوي على كل التحولات في القيم الثقافية للمجتمع. من المعروف أن بعض أجزاء النسق القيمي سرعان ما يلحقها الفتنور نتيجة ظروف اجتماعية واقتصادية متجددة، وكما كانت هذه الظروف تخضع لقانون التغير فإن القيم بدورها لا تسلم من هذا التغير وحتى وإن كانت تتسم بالثبات والديمومة.

إن عملية التغير الثقافي (والقيم جزء منها) يمكن أن تكون على شكل تغيرات طفيفة في العادات الموجودة، هذه التغيرات تبدأ محدودة الحجم، لكن مع تراكمها عبر الزمن تأخذ في الاتساع شيئاً فشيئاً، ثم تبدأ ثمار هذا الاتساع بالظهور من خلال تحول القيمة إلى شكل جديد. والتغير في القيم عملية أساسية تصاحب التغير في بناء المجتمع، وتعني تغيراً في تسلسل القيم داخل

النسق القيمي، وكذلك تغير مضمون القيمة وتوجهاتها، فنجد أن القيم ترتفع وتنخفض، وتتبادل المراتب فيما بينها، إلا أنها تختلف في سرعة التغير، فبعضها يتغير ببطء مثل القيم الأخلاقية والروحية، وبعضها يتغير بسرعة كالقيم الاقتصادية (المرتبطة بالمال، الملابس...) (4).

2- مكونات القيمة :

تتكون القيمة من ثلاث مكونات رئيسية هي :

المكون المعرفي: ويشمل المعارف والمعلومات النظرية وعن طريقه يمكن تعليم القيم، ويتصل هذا المكون بالقيمة التي نود تعليمها وحسب أهميتها وما تدل عليه من معاني مختلفة ومتعددة، وفي هذا الجانب تعرف البدائل الممكنة وينظر في عواقب كل بديل، ويقوم بالاختيار الحر والإرادي بين هذه البدائل.

المكون الوجداني: ويشمل الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الداخلية التي لا تظهر. وعن طريقه يميل الفرد إلى قيمة معينة ويتصل هذا المكون بتقدير القيمة والاعتزاز والافتخار بها وهذا الجانب يشعر الفرد بالسعادة لاختيار القيمة ويعلن الاستعداد للتمسك بالقيمة على الملأ.

المكون السلوكي : وهذا الجانب هو الذي تظهر فيه القيمة على أرض الواقع فالقيمة تترجم إلى سلوك ظاهري عن طريق التفاعل، ويتصل هذا الجانب بممارسة القيمة أو السلوك الفعلي والأداء النفس حركي وفي هذا الجانب يقوم بممارسة القيمة وتكرار استخدامها في الحياة اليومية العادية.

3- القيمة عند بعض الرواد :

القيمة عند دوركايم : لقد اهتم دور كايم بمشكلة القيمة أي الجانب المعياري للحياة الاجتماعية ويظهر إسهامه في تأكيده على دور نسق القيمة في تحديد السلوك الاجتماعي وفي الحقيقة إن دور كايم وجه انتباه السوسيولوجيين إلى أهمية القيم والأفكار في الحياة ولتأكيد المستوى الاجتماعي للقيم فإن دور كايم رفض العملية التقييمية التي يقوم بها الفرد، ولقد وضع دور كايم كتاب بعنوان (تقسيم العمل) ولقد حاول في هذا الكتاب التصدي لدراسة التغيرات التي تحدث في المجتمع نتيجة للتكنولوجيا وكيف يؤثر ذلك في نسق القيم والتوقعات المشتركة وطبيعة النظام الأخلاقي، وأطلق دور كايم على ذلك اسم التضامن العضوي في مقابل التضامن الآلي فهذا الأخير عند دور كايم متأصل في نسق القيمة. وهكذا ففي المجتمعات غير الصناعية يتم الوصول إلى التكامل أو التضامن العضوي فانه نتيجة العلاقات المتداخلة لنسق مركب من تقييم العمل.

فإذا حاولنا الرجوع إلى المجتمع الجزائري نلاحظ أن الفرد الذي يعيش في بيئة ريفية يكسب أنماطا سلوكية معينة كالنشابه في نوع العمل مما يجعل علاقته الاجتماعية بمن يعيش معهم في تلك البيئة تتركز على المعرفة الشخصية ورأي الجماعة، لكنه حينما ينتقل إلى العمل في المجال الصناعي في بيئة حضرية فإنه يواجه أنماطا سلوكية مغايرة.

القيم عند ماكس فيبر: أما ماكس فيبر فان نظريته السوسيولوجية تتجلى في أن السلوك الذي تفرضه القيم هو سلوك يصدر أصلا لتحقيق قيمة اجتماعية معينة بالذات، ذلك انه حينما يسلك الفاعل الاجتماعي سلوكا وفقا لقيمة ما أو طبقا لمثل أعلى، إنما تفرض عليه هذه القيمة أن يوجه نمط سلوكه وفقا لها بمعنى القيم عبارة عن الوجهات التي تفرض نمط السلوك وشكله (5).

4- أهمية القيم : تلعب القيم دورا محما في حياة الفرد والمجتمع، حيث تحتل مرتبة رفيعة في أحاديثنا وسلوكياتنا اليومية، ومما يؤكد هذه الأهمية تعدد وتنوع الدارسين لموضوع القيم باعتبارها انعكاسا للأسلوب الذي يفكر به الأشخاص، ومحددات هامة للسلوك الفردي والاجتماعي على السواء.

كما أنها توجه سلوك الأفراد وأحكامهم فيما يتصل بما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه من أشكال السلوك في ضوء ما يضعه المجتمع من قواعد ومعايير، وعليه يمكن اعتبار القيم الركيزة الأساسية في تشكيل كينونة المجتمع، وحماية البناء الاجتماعي من التدهور والانهيار.

"كما يتخذ بعض الباحثين من القيم الاجتماعية دليلا موحما في دراستهم للثقافة والشخصية ويعتمده الكثير من الباحثين الأنثروبولوجيين والاجتماعيين كقاعدة عامة تركز عليها بحوثهم بشكل أو بآخر⁽⁶⁾ والقيم تفرض نفسها على الأفراد كمقاييس مشتركة يسخرونها في أي مجتمع كانوا حل مشاكلهم وحسم خلافاتهم وتحقيق حالة من الإجماع والاتفاق الضمني والعلني حول قضايا مختلفة. "وتعمل القيم كقوى اجتماعية في تشكيل اتجاهات الاختيار عند الأفراد وهي التي توجه الفعل الاجتماعي نحو الأهداف الخاصة أو العامة، وكذلك تشكل المعايير التي بدورها تحكم على الفعل بالصواب أو الخطأ، وتعمل كمبررات أو كمرشد للسلوك، أكثر من هذا فان القيم هي ما ينبغي أن يكون أو الواجب أو المثال لأي تراث أو ثقافة⁽⁷⁾.

التغيير هو إلى حالة أخرى .وعندما نقول التغيير الاجتماعي (Social change) يعني الانتقال من نظام اجتماعي إلى آخر ، من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث . فالنظام الاجتماعي الموجود الآن يختلف عن النظام الاجتماعي المشاعي أو النظام الماقبل رأسمالي ، أو المجتمع الماقبل صناعي . أي أن المجتمعات البشرية عرفت العديد من الأنظمة الاجتماعية قبل أن تصل هذه المرحلة من التطور . والدافع وراء تغير الأنظمة الاجتماعية ، هو أن النظام الموجود لا يعبر عن إرادة الأفراد المكونون للمجتمع،

فطالما أن هناك فجوة بين ماهو قائم وما ينبغي أن يكون يحدث التغير للوصول إلى مجتمع يعبر عن إرادة أفرادهِ.
- التغير الاجتماعي :

يستخدم هذا المصطلح في دراسة التاريخ ، والاقتصاد ، والسياسة ، وتشمل موضوعات مثل نجاح أو فشل مختلف النظم السياسية ، والعملة ، والتحول الديمقراطي ، والتنمية والنمو الاقتصادي. مصطلح التغير الاجتماعي يمكن إن يشمل مفاهيم واسعا بقدر ثورة ونقل نوعية ، لتضيق تغييرات مثل قضية معينة داخل الحكومة. مفهوم التغير الاجتماعي ينطوي على قياس بعض خصائص هذه المجموعة من الأفراد. وفي حين إن هذا المصطلح عادة إلى تطبيق التغييرات التي تعود بالفائدة على المجتمع ، وإنما قد تؤدي إلى آثار جانبية سلبية أو العواقب التي تؤدي إلى تقويض أو إلغاء أساليب الحياة القائمة التي تعتبر ايجابية.

- أشكال التغير الاجتماعي :

التغير الاجتماعي هو موضوع في علم الاجتماع والعمل الاجتماعي ، ولكنه ينطوي أيضا على العلوم السياسية ، والاقتصاد ، التاريخ ، علم الإنسان ، والعديد من العلوم الاجتماعية الأخرى ⁽⁸⁾. ومن بين العديد من أشكال التغير الاجتماعي هي تهيئة المسرح للتغيير الاجتماعي ، والعمل المباشر ، والاحتجاج ، والدعوة ، وتنظيم المجتمع المحلي ، والمجتمع الممارسة ، والثورة ، والنشاط السياسي.

عوامل التغير الاجتماعي:

1. التغير لا يحدث دون سبب يحركه أو يدفعه إلى الأمام.
 2. الإتصال الثقافي يعتبر أحد العوامل الهامة في إحداث التغير.
 3. كما يرتبط التغير في أحيان أخرى بأشكال من التجديد الداخلي.
- فالعوامل الخارجية : هي تلك العوامل التي ترتبط بمؤثرات لا دخل للإنسان فيها، كالعوامل الفيزيائية أو التغيرات الطبيعية في السكان والتي ترتبط بمؤثرات ثقافية قادمة من الخارج، كتلك المرتبطة بعمليات الإتصال و الإنتشار الثقافيّتين.
- أما العوامل الداخلية: فيقصد بها العوامل الناتجة عن تفاعلات أو خصائص داخلية، كالدور الذي يقوم به التنظيم السياسي ودور الإختراعات التكنولوجية ودور الأفراد. ⁽⁹⁾

العوامل المعوقة للتغير وهي :

1-بطئ الاختراعات التكنولوجية : تعد العوامل التكنولوجية من أهم عوامل الإنتاج التي يستعملها الإنسان للتطور ، وعدم الاهتمام بالتكنولوجيا والاختراعات من شأنه أن يحدث نوعا من الإعاقة للتغير الاجتماعي والاقتصادي الشامل.

2-عدم توفر الإمكانيات المادية.

3-عزلة المجتمع : تؤدي العوازل الاجتماعية وعدم الانفتاح الخارجي سواء اقتصاديا وثقافيا إلى حدوث نوع من التخلف في كافة المجالات.

4-لحوف من التغير والمحافظة على القديم.

5-عدم تجانس البناء الاجتماعي : تؤثر مظاهر الاضطرابات والتفكك داخل المجتمعات.

- الشباب والمجتمع : واقع وتطلعات

يشكل المجتمع المحيط العام الذي يتحرك فيه الشباب والذي يتفاعل معه بصفة يومية ودائمة في حياته الشخصية العادية، وهو مركب من عدة عناصر ابتداء من الأسرة ومن الشارع والمؤسسات والعادات والتقاليد التي جميعها تشكل البيئة التي ينمو فيها وتساهم بقوة في تشكيل شخصته. وهذه البيئة مليئة بالمعوقات والكوابح كما هي مليئة بفرص النجاح والتفوق، والشباب وحده القادر على التصرف بحكمة مع هذا المحيط ليضمن لنفسه التوافق معه .

- مظاهر اللامعيارية لدى الشباب الجزائري:

على الحالة التي تفقد المعايير E.Durkheim يطلق الفيلسوف و عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم الاجتماعية السائدة في مجتمع ما من فاعليتها في ضبط سلوك أفرادها و تنظيم سلوكهم لتحقيق القدر المطلوب من التوافق الاجتماعي باللامعيارية فحالة اللامعيارية السلوكية هذه تحدث كنتيجة لعوامل نفسية واجتماعية تنسم بألم نفسي ناتج عن فقدان قيمي واقعي أو ذهني، يجعل الفرد عرضة للشعور بالاعتراب النفسي والثقافي معا، هذه الخبرة النفسية المؤلمة تشكل أما أثبتته العديد من الدراسات جوا خصبا لتفانم اللامعيارية بأشكالها ودرجاتها المختلفة.

أ- اللامعيارية : غياب منظومة أو نسق قيمي منسجم ومتكامل نتيجة لتعدد المؤسسات وتناقض المفاهيم والمعاني الرمزية التي تمررها عبر خطاباتها والتي تنسم بالاختلاف إلي درجة التناقض، فيصعب إدراك الصواب من الخطأ، والقبول من الالاقبول ،

والحسن من السيئ ، من اللامنطقي واللامعقول⁽¹⁰⁾ . أي تضارب مقاييس الاستحسان والاستهجان كمقومات لعملية الضبط الاجتماعي غير الرسمي.

ب- الالاهدية : في ضوء التناقض السابق في منظومة الضبط يفقد المرء القدرة على تحديد أهداف طموحه تخدم مصالحه وتتوافق مع المصالح العامة ، مما يعرقل الطموح لديه ويكبح حرايته ، ويحد من حماسه إزاء تصور المستقبل ، والنضال من أجل تحقيق وتجسيد مضامين هذا الطموح.

ج- اللامعنى : إذا فقد المرء الرؤية الواضحة لما يجب أن يكون، وإذا عجز عن إدراك ما يجب أن يفعله وما يجب أن يسعى إلى تحقيقه من أهداف، صارت حياته آلهما بدون معنى ولا مدلول، يغذيها الشعور بالضياح والحسرة والرغبة في مفارقة الدنيا والموت يحملان المعنى ذاته.

ولعلنا نجد من خلال هذا الطرح تفسيراً لانتشار ظاهرة الانتحار في أوساط الشباب الجزائري لاسيما في السنوات الأخيرة.

د-اللاحرية :عدم معرفة ما الذي يجب فعله، عدم امتلاك حق الحلم لأنه ما من هدف يمكن رسمه وتحقيقه، ثم فقدان الحياة معناها وقيمتها والشعور بغير فائدة ترجى من الوجود، تجعل المرء المغترب فريسة للخضوع والتبعية للغير أي فقدان الحرية وعدم الإحساس بها ومن ثمة تحوله إلى أداة تستخدم لتحقيق غايات وأهداف الآخرين.

2- نتائج الاغتراب واللامعيارية على الأفراد والمجتمعات :

أ تدمير الذات :من خلال الإدمان على المخدرات، الاسترسال في إتيان الفواحش ما ظهر منها وما بطن، الإنفاق من غير حاجة وتبديد الطاقة في غير ضرورة.

ب - تدمير الآخر :التمرد على القيم، العنف اللفظي والجسدي، أعمال الشغب، تخريب الأشياء، الإرهاب والإجرام... وفي هذا الصدد ورد عن عيشور نوعين من الاغتراب يتجلى ويؤدي كل منهما إلى مجموعة من المظاهر والسلوكات اللامعيارية والتي قد تصل بالفرد إلى حالة اللامعنى وهي فقدان الفرد للمعنى من الحياة، ونلخصها في الآتي:

أ - الاغتراب عن الذات :ويشمل:العجز ، الضياع ، اللاتئام ، العزلة ، اليأس ، الكبت ، الإحباط ، اللاتئمة بالنفس ، كراهية الذات ، غياب الحلم ، فقدان الإحساس بالوجود الفعال ، مهاجمة الذات (الإدمان ، الانتحار) ، العدوانية إزاء المجتمع (أعمال العنف ، الإرهاب ، التخريب⁽¹¹⁾

ب - الاغتراب عن الآخرين : عدم فهمهم ، عدم الثقة بهم ، عدم التعاون معهم ، عدم الشعور بالانتماء إليهم وإلى قضاياهم ،.....الاستسلام لهم. وتطلق على هذه الحالة عموما بظاهرة التخدير الثقافي.

- الشباب وأزمة الثقة في المجتمع : تدني مستوى الثقة في العلاقات الاجتماعية ونحو المؤسسات.

تعرف الثقة على أنها الرصيد العاطفي الذي يمتلكه شخصان ، والذي يعينها على التوصل إلى اتفاق على أداء مصلحة الطرفين ، فعندما يثق اثنان في بعضهما استنادا إلى جدارة كل منهما بثقة الآخر فيه ستقودهما الثقة المتبادلة تلك إلى التعاضد المثمر فيما بينهما والتمتع بحسن التواصل المبني على الشفافية والتعاون والمشاركة العاطفية والوجدانية .ومن ثمة يعتقد بأن الثقة هي مفتاح المرور إلى الروابط الاجتماعية الحديثة بعيدا عن الروابط العصبية والتقليدية.⁽¹²⁾

لقد تعرضت الثقة الرأسية والأفقية إلى انهيارات كبيرة وبقيت محصورة في نطاق ضيق ولهذا سادت العلاقات الشبكية القائمة على العلاقات الشخصية ، ولهذا الوضع جذور تاريخية سببها البطش والقمع والقهر ، ومما زاد من تعميقها الظروف المؤلمة التي مر بها المجتمع الجزائري في العشرية السوداء حتى ، أصبح الشك والخوف متغلغل في النفوس حتى بين أقرب المقربين .

- حاجات الشباب الجزائري:

أ - الحوار داخل الأسرة الجزائرية والشباب:

يعتبر الحوار والتواصل والتفاعل الداخلي بين الآباء والأبناء من أهم الحاجات الاجتماعية للشباب ، فالحوار دليل وعنوان التفاهم والتقدير الاجتماعي ، وقد برزت إلى السطح في السنوات الأخيرة بسبب التحضر وضغوط الحياة ظاهرة الفتور وعدم التواصل الداخلي بين أفراد الأسر وبالأخص بين الآباء.

ب - حاجة الشباب الى العدل والمساواة في المجتمع:

ويشار بذلك الى الحقوق والواجبات تجاه مؤسسات الدولة التي يرتبط بها الشباب ارتباطا عضويا في دراسته ونشاطه وقضاء حاجاته الإدارية.

الخاتمة:

في خلاصة هذه المداخلة يمكن القول بأن الباحث الذي يحاول تتبع الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية التي تناولت طبيعة وهوية النظام والثقافة والسلوكيات الاجتماعية للمجتمع الجزائري من أجل محاولة وضع محك ثابت نسبيا لتشخيص مشكلات الشباب خصوصا والمشكلات النفسية والاجتماعية لمختلف فئات المجتمع بصورة عامة سوف يواجه صعوبة في عملية التحديد التشخيصي الدقيق لجملة من الاعتبارات العلمية والمنهجية والتي نوجزها فيما يلي:

التأثر الواضح للباحثين الجزائريين خصوصا والعرب عموما ومن ثمة تأثر أعمالهم البحثية وفلسفتهم في البحث بالفلسفات والمناهج وطرائق البحث الغربية، والتي انعكست على نتائج البحث العلمي للبلاد العربية والتي منها الجزائر، وأصبحنا نلاحظ اختلافا واضحا في النتائج يصل في بعض الأحيان إلى حدّ التناقض.

ولذلك ننوّه إلى ضرورة إيجاد منطلق وفلسفة علمية مستمدة من فلسفة المجتمع الجزائري وهويته الاجتماعية والثقافية والحضارية وذلك على مستوى الشكل والمضمون والمنطلق والمنهج. فالقيمة العلمية والعملية للبحث تؤتي ثمارها أما هو معروف إذا انطلقت من حاجات المجتمع وهويته وسخرت نتائجه في خدمة هوية المجتمع وحاجاته هذا أولا.

أما فيما يتعلق بالنتيجة الثانية التي يمكن الخروج بها كمحركات لتشخيص مشكلات الشباب الجزائري في ظل ما سبق توضيحه من معطيات واقعية وذهنية وتحولات متسارعة على مختلف المستويات وفي مختلف الأصعدة نقتح:

أولا : توضيح طبيعة وأصول بنية المنظومة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري (تقليدية أم حديثة، أموية - أثوية أم أبوية- ذكورية (...حتى يمكن بناء بحث علمي ينطلق من مبادئ ومسلّمات مشتركة. إذ وبناء على ما تمت معالجته في هذا البحث نجد أن هناك مشكلات تتعلق بطبيعة المنظومة والثقافة الاجتماعية بهويتها التقليدية وأخرى تتعلق بالتضارب المعياري بين القيم التقليدية والقيم المستدخلة والدخيلة، وأخرى تتعلق بذهنية الشخصية الجزائرية وقناعاتها وصرعاتها المعاشة بين تمثلاتها

الشخصية من جهة ومطالب الحياة الجمعية من جهة ثانية وخيار مواآبة التحولات والتطورات الراهنة من جهة أخرى. ...

ثانيا : فتح آفاق جديدة للبحث تهدف إلى إعادة بناء نظرية ومنهجية تنطلق من هوية المجتمع الجزائري وتصب في خدمة حاجاته وتطلعاته.

ثالثا : تتوقع من خلال المعطيات العلمية الواردة في المداخلة أن مشكلات الشباب الجزائري مكنها في تضارب أصول الهوية بمستجداتها- قاعدة تقليدية بمظهر عصري - ولذلك نتصور مبدئيا أن علاج مشكلات الشباب يتطلب معالجة جوهر هذه القضية.

الهوامش:

- 1- ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق، الأردن، 2006، ط1.ص113 .
- 2- نورهان منير حسن فهيم، القيم الدينية من منظور الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1999. ص 56.
- 3- فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية- مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.ص98.
- 4- إبراهيم محمد الشافعي، الاشتراكية العربية كفلسفة للتربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1981، ص184 .
- 5- إجلال عراي، الزواج واختيار الشريك، مجموعة بحوث، منشورات جمعية تنظيم الأسرة، دمشق، 1996، ص 121 .
- 6- إبراهيم رمضان الديب، أسس ومهارات بناء القيم التربوية وتطبيقاتها في العملية التربوية، مؤسسة أم 2007.ص 96 .
- 7- الحسين حاش، تأثير التربية الأسرية على الدور الاجتماعي للشباب، رسالة ماجستير، معهد علم النفس، 1993، ص 67.
- 8- جامعة الجزائر، 1993، ص 67.
- 9- حجازي عزت، الشباب العربي ومشكلاته، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ط2، الكويت، 1985، ص 123 .
- 10- حصة بنت صالح الملك وآخرون، العلاقات الأسرية، دار الزهراء، ط2، الرياض، 2006، ص 96 .
- 11- محمد سعدي، رمزية الفضاء بين المقدس والديني في الثقافة الشفوية، مجلة إنسانيات، العدد1997، ص152 .
- 12- فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980، ص 87 .

تنمية الوعي الاجتماعي المحقق من استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى الطالب الجامعي

أ.عيشة علة، جامعة الجلفة.

أ.أحمد بلول. جامعة الجلفة.

ملخص:

أصبحت متنفسا لكل فئات المجتمع متخطية النمط التقليدي في الاتصال، لينتقل الطالب وبشكل خاص عبر هذه الشبكات إلى فضاء يتيح فرصة الإرسال والاستقبال معا وبطريقة سهلة وبعيدة عن القيود المفروضة على الوسائل الإعلامية الأخرى. والتي تساعد على تنشئة الشباب وتحقيق الوعي الاجتماعي لديهم وكيفية تنمية مشاركتهم في قضاياهم الاجتماعية ليكونوا عنصرا فعالا في بناء المجتمع. وهذا ما سنتطرق إليه من خلال هذا الموضوع حول الوعي الاجتماعي واستخدام شبكات التواصل الاجتماعي.

مقدمة:

إنّ مواقع التواصل الاجتماعي تلعب دورا هاما في تنمية مشاركة الشباب في قضايا المجتمع وذلك من خلال قيام المجموعات الشبابية بإنشاء صفحات خاصة بهم على هذه المواقع يتبنون بها قضايا المجتمع التي تقع في صلب اهتماماتهم فيعملوا على نشرها والدفاع عنها باستخدام مهارات التواصل والمناصرة والضغط لهذا يتم التركيز على مرحلة الشباب باعتبارها المرحلة الحاسمة في تقدم المجتمع أو تأخره وأهمية هذه الدراسة ترجع إلى محاولة التعرف على الدور الذي تلعبه شبكات التواصل الاجتماعي والتي يلجأ إليها الطالب الجامعي والتي تساعد على تنشئة الشباب وتحقيق الوعي الاجتماعي لديهم وكيفية تنمية مشاركتهم في قضاياهم الاجتماعية ليكونوا عنصرا فعالا في بناء المجتمع، وكذا تحديد الدور الذي تقوم به شبكات التواصل الاجتماعي عبر الانترنت في ظل التطور التكنولوجي والزخم الإعلامي، ومدى مقدرة هذا النوع من الإعلام على خدمة المجتمع، وتعتمد مواقع التواصل الاجتماعي على مستخدميها في تشغيلها وتغذية محتوياتها، وحيث أن الهدف من شبكات التواصل الاجتماعي ليس مجرد تبادل الأفكار والآراء حول الاهتمامات المشتركة والظواهر المعاصرة فقط، ولكن البحث عن الحلول وتقديم الاقتراحات للقضايا والمعضلات في المجالات الاجتماعية والثقافية وغيرها من المجالات، ومن خلال تحقيق التواصل وتبادل الأفكار بين منتسبي الجامعات.

2-تحديد الإشكالية:

لاقت شبكات التواصل الاجتماعي إقبالا واسعا من قبل الجمهور المتلقي، وأصبحت متنفسا لكل فئات المجتمع متخطية النمط التقليدي في الاتصال، لينتقل الطالب وبشكل خاص عبر هذه الشبكات إلى فضاء يتيح فرصة الإرسال والاستقبال معا وبطريقة سهلة وبعيدة عن القيود المفروضة على الوسائل الإعلامية الأخرى، وتتنوع استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي ما بين استخدامات التواصل والتفاعل مع الآخرين والاستخدامات التعليمية والدينية والتنشيطية والإعلامية والتسويقية والترفيهية، حيث تتنوع الاستخدامات وفقا لهدف الفرد، ويتصدر الطالب النسبة الأكبر في استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي في الجامعة، من خلال ما سبق عرضه فإن الهدف من الدراسة هو البحث في دور شبكات التواصل الاجتماعي في خلق الوعي الاجتماعي لدى الطالب الجامعي، من أجل معرفة طبيعة هذه الاستخدام لهذه الشبكات، ودوافعهم لاستخدامها.

3-أهمية الدراسة:

- الوقوف على الأهمية التي تسهم بها شبكات التواصل الاجتماعي لدى الطلبة على المدى الطويل في تكوين آراء ومعتقدات تكنولوجية ومعلوماتية فعالة.
- الكشف عن قدرات ومهارات الطالب التي يكتسبها من خلال استخدامه لشبكات التواصل الاجتماعي.
- توضيح دوافع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى الطلبة الجامعيين.
- الوقوف على إيجابيات وسلبيات استخدام شبكات التواصل الاجتماعي.
- الوقوف على أنماط استخدام الطالب لشبكات التواصل الاجتماعي.

I. - الإطار النظري:

أولاً مفهوم الطالب الجامعي: يقصد به في هذه الدراسة الطالب المنتمي لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجميع الجامعات ذكراً أو أنثى، ومن كل التخصصات العلمية التي تدرس بالكلية وينتمي إلى أحد الفئات الاجتماعية المختلفة، تم اختياره من الوسط الجامعي (حمداوي، عمر، 2011، ص472)

ثانياً مفهوم الوعي الاجتماعي: Social Consciousness

والوعي لغة هو: " الفهم وسلامه الإدراك -" ويعرف الوعي بأنه: " اتجاه عقلي يمكن الفرد من إدراك نفسه والبيئة المحيطة به بدرجات متفاوتة من الوضوح والتعقيد " (مذكور، 1975، ص 64).

يرى سكوت Scott أن " الوعي هو استيعاب أو الانتباه إلى الظواهر المتصورة أو التي يتم تجربتها، ويرتبط وعى الشخص بالعالم من خلال توسط الحواس باعتبارها الوسيلة التي يتم من خلالها بناء التوجهات ودورات العمل والتالى، فإن ممارسة الانتباه والتفكير والحكم تسمح بدرجة من السيطرة الواعية على الغرائز الموروثة من خلال التقييم العملى للوسائل وتأجيل الإشباع، إنها القدرة على الوعي التي تسمح للبشر تدريجياً بالتأقلم مع الواقع الخارجى والتكيف معه باعتباره وسيلة لتحقيق أهدافهم." <http://www.anfasse.org/2010-/5866-social-consciousness>

ويعرف ماركس الوعي الاجتماعى بأنه مجموع الأفكار والنظريات والآراء والمشاعر الاجتماعية والعادات والتقاليد التي توجد لدى الناس، والتي تعكس واقعهم الموضوعى. وبما أن الوجود الاجتماعى للناس يتصف بالتعقيد والتنوع، فإن الوعي الاجتماعى يتصف أيضاً بالتعقيد والتنوع. وبدل استعراض التاريخ الاجتماعى أنه مع تغير الوجود الاجتماعى للناس يتغير أيضاً وعيم الاجتماعى كما أكد ماركس أيضاً على أن الوعي الاجتماعى يتصف بخاصية الاستقلالية النسبية فى تطوره. فالوعي الاجتماعى قد يتخلف عن تطور الوجود الاجتماعى أو قد يسبقه وتتضح الاستقلالية النسبية للوعي الاجتماعى فى استمرارية التطور. فالوعي ليس فى علاقة سلبية مع الوجود ولكن الوعي يؤثر تأثيراً إيجابياً على الوجود الاجتماعى. (أحمد، 2006. ص 189-190)

ويعرف الوعي الاجتماعى، فى دائرة المعارف البريطانية بأنه: " هو الفهم وسلامة الإدراك، ويقصد بالإدراك هنا معرفة الإنسان لنفسه، والمجتمع الذى يعيش فيه " (dictionary; 1984, p 310)

كما ويعرف الوعي الاجتماعى بأنه: " مجموعة من المفاهيم والتصورات والآراء والمعتقدات الشائعة لدى الأفراد فى بيئة اجتماعية معينة، والتي تظهر فى البداية بصورة واضحة لدى مجموعة منهم ثم تبنيها الآخرون، لإقناعهم بأنها تعبر عن موقفهم " (جلس، 2002، ص 87-91).

1- أشكال الوعي الاجتماعي:

1- الوعي الاجتماعي: الوعي الاجتماعي وعي عام يشتمل على إحاطة أفراد المجتمع بمجمل القضايا الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية وحتى العلمية التي لها دخل في حياتهم (بوجلال، 1991، ص 42 - ص 45).

2- الوعي السياسي: إن الحياة الاجتماعية هي المكان الذي يعيش فيه الإنسان، فهو بحاجة إلى السياسة، فالحكم طبيعة في الإنسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما يقول ابن خلدون: "فلا بد من نظم سياسية ينتظم بها أمر العمران البشري" فالوعي السياسي خبرة عامة نحتاجها من أجل شئون المجتمع. كما يلعب الوعي السياسي دوراً هاماً في إنارة الطريق للممارسة السياسية.

3- الوعي الثقافي: الثقافة في مجملها هي المعرفة والتعليم وأن الوعي بهما يرقى بالفرد إلى مستوى اجتماعي أفضل، والوعي الثقافي يعني الوعي بالحياة اليومية بما يشمل من عادات وتقاليد وأعراف وتدين وأحكام وتفاعل وصور النشاط العام التلقائي المنظم، وهناك أشكال أخرى من أشكال الوعي وهي، الوعي الأخلاقي والوعي القانوني، والوعي العلمي، والوعي الجماهيري، والوعي بالذات، والوعي الطبقي. (محمد، 1980، ص 222)

4- الوعي الديني: يمثل الدين جزءاً لا يتجزأ من السلوك الاجتماعي وينظر إليه باعتباره مجموعة من المعتقدات الإلهية والشعائر، والثواب والعقاب التي تؤثر في أشكال ودرجات ومستويات الوعي الفردي والجماعي. (عبد المعطي، 1989، ص 7-8)

5- الوعي الاقتصادي: يعبر الوعي الاقتصادي عن نفسه في التصورات النظرية واليومية مثل: تنظيم وإدارة وسائل الإنتاج على المستوى، وفاعليه البشر وروابطهم في عملية الإنتاج، والتوزيع، والتبادل، والاستهلاك. (حلس، 2010، ص 147)

2- مستويات الوعي الاجتماعي: يشير عبد الباسط عبد المعطي إلى أن للوعي الاجتماعي ثلاثة مستويات وثلاثة أبعاد كالتالي:

1.2- المستوى الأول- الوعي اليومي المباشر: الذي اهتم به الموظفون أكثر من غيره، وهو تعبير عن خبرة الحياة اليومية المباشرة وحاجات البشر اليومية، أى أنه أكثر ارتباطاً بالوجود العياني المباشر، ولذلك فهو تفصيلي وتجزئى، ويتسم بالعمومية

والتقائية، ويرتبط بالخصائص النفسية الاجتماعية للبشر، التي تعكس وجوداً اجتماعياً له خصائصه ومكوناته، ونظراً لأن الوجود الاجتماعي المرحلي، والخصائص النفسية المتعينة بناء عليه ليسا منقطعي الصلة بمراحل تاريخية مضت، فإن خصائص أنماط من وجود اجتماعي سابق، وخصائص نفسية اجتماعية مرتبطة بها، تنعكس هي الأخرى من خلال الخبرات اليومية والمباشرة للجاهير.

2.2-المستوى الثاني-الوعي النظري الأيديولوجي: الذي يعكس وجوداً طبقياً محدداً، ويأتي إدراكاً وتصوراً طبقين للمجتمع وما يحويه من علاقات، وما توجد بينها من تناقضات، وأيضاً تصوراً للعلاقة بالطبيعة سواء كانت علاقات سيطرة وخضوع من البشر أو للبشر، وخبرتهم الماضية في السيطرة عليها، وما اخترعوه من فنون في الإنتاج والعمل والتفاعل والتنظيم..الخ. ويحاول من منظور تاريخي ومعاصر فهم جوهر الواقع الاجتماعي وظواهره والقوانين الأساسية التي تحكم سيرورته.

3.2-المستوى الثالث- الوعي العلمي: الذي طورته قوى الإنتاج، وتوظفه لخدمة مصالح إنتاجية وأيديولوجية، وهو أيضاً نتاج لتراكمات الماضي، والاتصال العلمي مع مجتمعات أخرى، إن استعارة أو تبعية أو تطويعاً. (عبد المعطى، 1983. ص25، 56).

ثالثاً- مفهوم الاستخدام: حسب معجم **le robert de sociologie** فإن الاستخدام نشاط اجتماعي يتحول إلى نشاط عادي لدى ثقافة معينة بفضل التكرار وبظهور الوسائل الاتصالية الحديثة تعزز مفهوم المستخدمين والذي يرمز إلى الجمهور النشط الإيجابي، يحدد نوع الموضوع الذي يرغب في التعرض له الوسائل التي يتعرض وفقاً للمعلومات التي يرغب في الحصول عليها (عبد الفتاح، 2009، ص 72)

رابعاً-تعريف شبكات التواصل الاجتماعي **Social Networking**: يعرفها إيهاب خليفة في كتابه بأنها " مواقع تتشكل من خلال الانترنت، تسمح للأفراد بتقديم لمحة عن حياتهم العامة، وإتاحة الفرصة للاتصال بقائمة المسجلين والتعبير عن وجهة نظر الأفراد أو المجموعات من خلال عملية الاتصال، وتختلف طبيعة التواصل من موقع لآخر(خليفة، 2016، ص 42)، وتعرف موسوعة ويب اويديا الشبكات الاجتماعية بأنها: "عبارة تستخدم لوصف أي موقع على الشبكة العنكبوتية يتيح لمستخدمه وضع صفحة شخصية عامة معروضة، ويتيح إمكانية تكوين علاقات شخصية مع المستخدمين الآخرين الذين يقومون بالدخول على تلك الصفحة الشخصية مواقع الشبكات الاجتماعية يمكن أن تستخدم لوصف المواقع ذات الطابع

الاجتماعي، مجموعات النقاش الحي غرف الدردشة وغيرها من المواقع الاجتماعية الحية، كما عرفها الشهري " أنها عبارة عن منظومة من الشبكات والمواقع الإلكترونية، التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والميول والهوايات، أو جمعه مع أصدقائه، ومن ثم تتيح للفرد إنشاء رسائل إلكترونية ونشرها بين أعضاء الموقع والمواقع المشتركة على الشبكات بحرية تامة". (الشهري، 2008، ص 12).

1- مميزات شبكات التواصل الاجتماعي: تتعدد مميزات شبكات التواصل الاجتماعي التي تعطيها التفوق على غيرها من وسائل الاتصال الأخرى من حيث القدرات الاتصالية المتعددة والتفاعلية وسرعة التواصل ودمج وسائط ووسائل متعددة وغيرها من المميزات الأخرى، ونورد هنا أبرز هذه المميزات:

1.1- سهولة البناء والاستخدام: تتميز شبكات التواصل الاجتماعي بمعالم جديدة من حيث البناء والاستخدامات تسهل على المستخدم التعامل معها، وهي:

- الاشتراك المجاني في الاستفادة منها.

- سهولة بناء الروابط للموضوعات ذات الاهتمام المشترك بمواقع أخرى

- استخدام وسائل النشر الفوري على الجماعات أو التشكيلات الاجتماعية .

- سهولة المشاركة في هذه الشبكات والاستفادة منها (عبد الحميد، 2009، ص 129).

2.1- قدرات اتصالية متعددة: تتمتع مواقع شبكات التواصل الاجتماعي بقدرات اتصالية متعددة، فهي تدمج بين البريد الإلكتروني والرسائل وبنء الموقع، وكتابة اليوميات وتحميل الملفات والموسيقى والفيديو، وهذا ما يجعلها تدمج مميزات متعددة لوسائل اتصال أخرى في باقة واحد للمستخدم (شريف اللبان، 2011، ص 88).

3.1- بناء وتكوين صداقات متعددة: تساعد شبكات التواصل الاجتماعي مستخدميها على تكوين صداقات جديدة عبر بيئة ومجتمع افتراضي، حيث أصبح بإمكان أي فرد أن ينشئ موقعه الخاص على شبكات التواصل الاجتماعي بسهولة ويسر والالتقاء بالأصدقاء القدامى وزملاء الدراسة.

4.1- سرعة وفورية نقل الحدث والمعلومة: يحسب لشبكات التواصل الاجتماعي أنها تتعامل مع المعلومة والحدث لحظة وقوعها، ويمكن تبادل هذه المعلومات بين الأصدقاء معززة بالصور ومقاطع الفيديو والتعليق والرد على بعضها، وهذا ما لم تتمكن منه وسائل الإعلام الحديثة، فإن وضع احد المستخدمين أي معلومة على صفحته تصل في نفس الوقت إلى باقي المستخدمين المشتركين معهم في نفس الوقت تلقائياً.

1.5- خلاصة الأخبار والأحداث: توفر شبكات التواصل الاجتماعي للمتلقى إمكانية الحصول على خلاصة وافية لما تنشره المواقع الإلكترونية، التي يرتبط بها مباشرة أو من خلال أصدقائه، حيث أوجد موقع الفيس بوك وشبكات التواصل الاجتماعية بشكل عام نوعاً جديداً من الخدمات الإخبارية، هذا النوع يتميز بسرعة التحديث واختصار المادة الإخبارية، فقد نشأت في الفترة الماضية صفحات إخبارية على الفيس بوك فاقت في شهرتها كثيراً من المواقع الإخبارية المتخصصة، عبر هذه الصفحات ستصلك الأخبار فور وقوعها وعلى شكل رؤوس أقلام أو ملخصات توفر عليك الوقت

6.1- شمولية الاستخدام: أصبح استخدام شبكات التواصل الاجتماعي غير مقتصر على الأفراد أو المؤسسات بأشكالها المختلفة فقط، ولا استخدامها من قبل بعض المسؤولين والسياسيين في دول عديدة في العالم فحسب، وإنما أصبحت الكثير من الجامعات والمعاهد العلمية في العالم أجمع تتواصل مع طلابها عبر الشبكات الاجتماعية والمواقع الإلكترونية، ونتيجة لإقبال الناس على التسوق الإلكتروني، فقد زادت نسبة الإعلانات على المواقع الإلكترونية، مما حقق بالتالي ارتفاعاً خيالياً في أرباحها (ابو صلاح، 2014، ص 90).

7.1- دمج وسائل ووسائط متعددة: تتميز شبكات التواصل الاجتماعي بأنها تدمج الوسائل المختلفة القديمة والمستحدثة في مكان واحد، على منصة الكمبيوتر وشبكاته، وما ينتج عن ذلك الاندماج من تغيير انقلاي للنموذج الاتصالي الموروث بما يسمح للفرد العادي إيصال رسالته إلى من يريد في الوقت الذي يريد في موقع ثورة بطريقة واسعة الاتجاهات، وليس من أعلى إلى أسفل وفق النموذج الاتصالي التقليدي، فضلا عن تبني هذه الشبكات للتكنولوجيا الرقمية وحالات التفاعلية والتشعبية وتطبيقات الواقع الافتراضي وتعددية الوسائط وتحقيقه لميزات الفردية والتخصيص. (صادق، 2008، ص 8)

2- أهم الخدمات التي تقدمها شبكات التواصل الاجتماعي: ونلخصها في الملفات الشخصية، الأصدقاء /العلاقات، الألبومات المصورة، إمكانية ترك إعلان مصور عن نشاطك، إمكانية تبادل الهدايا الإلكترونية بين الأعضاء.

-إمكانية التواصل عن طريق البريد الإلكتروني أو عن طريق المحادثة الفورية.

-تتيح خدمة مشاركة الملفات لمستخدمين معينين أو بشكل مفتوح.

-تقدم خدمة ترك رسالة معينة تسمى حالة كي يراها المستخدمون الآخرون.

-يمكن لأي مستخدم ترك لمحة عن نفسه واهتماماته وإنشاء مجموعات.

-إمكانية التواصل مع عدة أشخاص حسب أي نوع من الاهتمام تريد.

-إمكانية تحديد الموقع الجغرافي وتبديله كلما استدعت الحاجة، والتواصل مع الآخرين حسب الموقع الجغرافي.

-إمكانية ممارسة الألعاب مع أطراف عدة من خلال هذه الشبكات. (صلاح ، 2014 ، ص91)

3-دوافع استخدام منتسبي الجامعات لشبكات التواصل الاجتماعي: ويمكن القول إن استخدامات شبكة التواصل الاجتماعي قد أدت إلى ظهور المجتمعات الافتراضية التي تسعى إلى غرس الوطنية وتحقيق الانتماء والولاء وحب الوطن لدى منتسبي الجامعة، ويتم ذلك من خلال استثمار غايات ودوافع استخدام منتسبي الجامعات لها والتي تتمثل فيما يلي: (Boyd, & Ellison, 2007)

-غايات دينية أخلاقية: وتتحقق هذه الغايات من خلال المناهج الدراسية والأنشطة المتنوعة للدعوة وتبادل النصيحة والمواد الدينية المسموعة والمرئية والمكتوبة.

-غايات تعليمية: وتتضح هذه الغايات من خلال تبادل الأفكار والمواد التعليمية وتبادل الأخبار والمعلومات والخبرات.

-غايات تجارية: وتتضح هذه الغايات من خلال التسويق والإعلان والترويج للبرامج الأكاديمية والإدارية والأنشطة.

-غايات سياسية: وتتضح هذه الغايات من خلال الدعاية والتوجيه، وقد عاين العالم العربي ما كان لمواقع التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك وتويتر من تأثير بالغ في انتقال الثورات من بلد عربي إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى.

-غايات ترفيهية: وتتضح هذه الغايات من خلال تبادل الموسيقى والصور والمقاطع المصورة وما إلى ذلك.

-غايات أدبية: وتتضح هذه الغايات من خلال تبادل الكتابات الأدبية وتبادل الآراء حولها.

-غايات نفسية اجتماعية: خروجاً من العزلة وسعيًا إلى بناء علاقات اجتماعية تشبع حاجات البشر بوصفهم كائنات اجتماعية.

خاتمة:

لقد صارت شبكات التواصل الإجتماعي أحد الوسائل المنتشرة في المجتمعات المعاصرة والتي تساعد على تنشئة الشباب وتحقيق الوعي الاجتماعي لديهم وكيفية تنمية مشاركتهم في قضاياهم الاجتماعية ليكونوا عنصرا فعالا في بناء المجتمع، حيث تتيح إمكانية تكوين علاقات شخصية مع المستخدمين الآخرين الذين يقومون بالدخول على تلك الصفحة الشخصية مواقع الشبكات الاجتماعية يمكن أن تستخدم لوصف المواقع ذات الطابع الاجتماعي، وبالتالي يمكن إستغلال هاته الوسائل لتنمية الوعي الفردي والاجتماعي لدى أفراد المجتمع بما يحقق التغير الإجتماعي الإيجابي الذي يخدم الفرد والجماعية في آن واحد.

المراجع المعتمدة:

I. المراجع العربية:

1. أبو صلاح، صلاح محمد (2014). استخدامات طلبة الجامعات الفلسطينية لشبكات التواصل الاجتماعي والإشباع المتحققة " دراسة ميدانية " رسالة ماجستير منشورة. الجامعة الإسلامية- غزة.
2. أحمد، سمير نعيم (2006). النظرية في علم الاجتماع، ط 10، القاهرة: د ن.
3. بوجلال، عبد الله (1991)، الإعلام وقضايا الوعي الاجتماعي في الوطن العربي، المستقبل العربي، العدد 147. ص ص.....
4. حلس، موسى وناصر مهدي (2010). دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى الشباب الفلسطيني دراسة ميدانية على عينه من طلاب كلية الآداب جامعة الأزهر. مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 12، العدد 1. ص ص 135-180.
5. حمداوي، عمر (2011). دور الإنترنت في خدمة البحث العلمي. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية: 6ع، خاص: الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات في التعليم العالي، ص ص 471-485
6. خليفة، إيهاب (2016). حروب مواقع التواصل الاجتماعي _ دراسات في الإعلام، القاهرة: العربي.
7. الشهري، موسى بن أحمد موسى (2008). تطوير التعاون بين الإدارة المدرسية والمؤسسات الأمنية في مجال التوعية الأمنية لطلاب المرحلة الثانوية . رسالة ماجستير، عسير : جامعة الملك خالد
8. صابر، شكري وموسي حلس (2002)، الوعي الاجتماعي العربي، تحليل سيولوجي، غزة: مكتبة دار المنارة
9. صادق، عباس (2008). الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتطبيقات، ط1. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
10. عبد الحميد، محمد (2009). المدونات " الإعلام البديل، ط 1. القاهرة: عالم الكتب.
11. عبد الفتاح، علياء سامي (2009). الانترنت الشباب، دراسة في آليات التفاعل الاجتماعي، ط1، مصر: دار العالم العربي.
12. عبد المعطي، عبد الباسط (1983). الوعي التنموي العربي، ممارسة بحثية، القاهرة: دار الموقف العربي للصحافة.
13. عبد المعطي، عبد الباسط (1989)، الوعي الديني والحياة اليومية في القرية المصرية، القاهرة: مركز دراسات الوحدة العربية.

14. العفون، نادية حسين(2014).التعلم التعاوني واستراتيجيات معالجة المعلومات.ب ط، الأردن:المناهج
- 15.اللبان، شريف (2011).مداخلات في الإعلام البديل والنشر الإلكتروني على الإنترنت، ط₁. القاهرة: دار العالم العربي.
16. محمد، احمد(1980). علي الشباب والمجتمع، ط₁، الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 17.مذكور، إبراهيم وآخرون(1985)، معجم العلوم الاجتماعية، ط₁، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.

IV. المراجع الأجنبية:

- 1.-Boyd, d., & Ellison, N. (2007). **Social Network Sites: Definition,History, and Scholarship**. Journal of Computer-Mediated Communication, 13(1), 210-230.
- 2.-Longman dictionary of the English language, great British culture center, 1984.
- 3.-<http://www.anfasse.org/2010-/5866-social-consciousness>.

توجهات الشباب الجزائري نحو زواج الوساطة عبر مواقع التواصل الاجتماعي في ظل التغيرات الاجتماعية (دراسة تحليلية في ضوء بعض الدراسات لتغير الزواج من طريقة الاختيار التقليدية إلى الطريقة الحديثة)

أ.ب.ن. سعدة حنان. جامعة الأغواط.

أ.ب.ن. سعدة أمال. جامعة الأغواط.

ملخص:

إن الشباب عموماً والشباب الجزائري بوجه الخصوص تتعدد اليوم اهتماماته وانشغالاته، فهو كثير من فئات المجتمع يتأثر بالأحداث الجارية على المستوى العام وله تطلعات بما فيها اهتمامه بمؤسسة الزواج، التي عرفت تطورات هامة بفعل عوامل التغير والتي أثرت بدورها على أسلوب الاختيار الذي انتقل من الأسلوب الوالدي الذي يقوم على السيطرة إلى الاختيار الشخصي، أين يقوم فيه الراغب في الزواج بالبحث عن شريك الحياة عن طريق وسائط حديثة يختارها هو برغبته دون تكليف من احد.

ففي الوقت الراهن قد تغيرت نظرتهم نحو الزواج وذلك بفعل آثار التغيرات الاجتماعية التي مست منظومة القيم داخل المجتمع حيث ساهمت في نشر الوعي الذي زاد من الحرية الفردية بين الأفراد والشباب الجامعي بوجه الخصوص مما جعله يتعد عن عاداته وأعرافه في مسألة الزواج وأصبح يرى في أهله الأسلوب التقليدي الذي لا يتماشى وعوامل التحديث ومستواه وثقافته التي تلقاها، ومن خلال هذا الطرح نود معرفة أسباب اتجاه الشباب الجزائري نحو زواج الوساطة ودور المعايير الاجتماعية في ذلك.

مقدمة:

يعد الزواج أهم حدث في حياة الإنسان وهو ضرورة بيولوجية واجتماعية لا بد منها للفرد داخل المجتمع لضمان المكانة الاجتماعية وكذلك الاستقرار النفسي، بل أكثر من ذلك أن الجماعات الإنسانية جعلت منه عملية تخص المجتمع ككل كونه وسيلة لتنظيم الحياة الاجتماعية وابعثه نظام مقدس فقد أحاطته بأعرافها ونظمها وحرصت من خلال مؤسساتها على إنجاحه بتوفير كل السبل الحسنة للوقوف بإيجابياته، ولأن نجاح هذا الأخير يتوقف على مقدار التوافق بين الطرفين كان لا بد من الاختيار السليم والانتقاء الصائب، فالاختيار للزواج عملية حدثت ولا زالت عبر التاريخ الإنساني برمتها وهو سلوك اجتماعي لا يتحدد فقط برغبات الشخص وميوله بل وفقاً لمعايير مجتمعية ولكل مجتمع نظمته وأسالبيه الخاصة به والتي تتحكم في عملية الاختيار طبقاً للقيم والعادات والتقاليد والأنماط التي تسود ذلك المجتمع ظف إلى ذلك أن عملية الاختيار هذه قابلة للتطور والتغير مع التغير الثقافي والاجتماعي ونظراً لكون الزواج قضية مهمة وجادة ظهرت الحاجة إلى إيجاد الوسيط وقد مثل هذا الوسيط في البداية امرأة عجوز كان يطلق عليها اسم الخاطبة تجول المنازل بغرض البحث على الفتاة المناسبة لتعرضها على العائلة التي ترغب في تزويج ابنها، إذ كان الزواج من اختصاص العائلة فهي التي كانت تقوم بترشيح العروس وعلى الراغب في الزواج

أو بالأحرى الابن القبول والانصياع لأوامر أهله، فكانت ترى فيه وسيلة لتدعيم المكانة الاجتماعية للعائلة ووسيلة لإعادة إنتاجها وضمان استمراريتها عن طريق الإنجاب، إلا أن هذا الأسلوب لم يعد كافيا للاختيار للزواج نظرا لتعدد وتشابك الحياة الاجتماعية بفعل عوامل التغير وارتفاع المستوى التعليمي للشباب الذي فتح أمامهم أفقا جديدة من جهة واتساع دائرة العلاقات وتعدد الوسائط وفرص اللقاءات وزيادة الحريات الفردية من جهة أخرى.

حيث أصبح الشباب ومع فقدان الأسرة لوظيفتها التزويجية يرغب في الاستقلالية الذاتية في اتخاذ القرارات خاصة في قضية الزواج التي لم يعد يرى فيها خدمة مصالح الجماعة وإرضائها وإنما هو توافق واقتراح طرفين يحقق كل منهما رغبات الآخر، فهم يرون أنه من حقهم تسير عملية الاختيار للزواج بأساليب ووسائط يختارونها بمحض إرادتهم كالاستعانة بأصدقائهم أو اللجوء إلى وسائل الاتصال كمواقع التواصل الاجتماعي أو إعلانات الزواج المعروضة في الصحف والتي أصبحت تلقي رواجا كبيرا بين الشباب لقيامها بالمهمة التزويجية كما ينبغي في مجتمعات مختلفة، فإن كانت كذلك فما هي اتجاهات شبابنا الجامعي باعتباره شريحة مثقفة وأكثر إدراكا بتلك التحولات والتغيرات بفعل احتكاكه بها بحكم مستواه التعليمي نحو هذه الوسائط وما هو الوسيط الأكثر إقبالا من طرفهم ويلجئون إليه لاختيار شريك الحياة

1- الاشكالية:

ير المجتمع العربي عموما والمجتمع الجزائري بوجه الخصوص بتغيرات اجتماعية وثقافية واسعة النطاق وهي تغيرات مرهونة بالتغيرات الاقتصادية الجوهرية التي تسارعت وتيرتها خلال العقود القليلة الماضية، نتيجة التوسع في نطاق التعليم وفي نوعيته، واتساع نطاق الاحتكاك مع ثقافات أخرى ما انعكس ذلك على الدور الفردي في الحياة الاجتماعية و زيادة على ذلك ظهور تغيرات أساسية في حجم الأسرة التي تتجه نحو سيطرة نمط الأسرة الزوجية مقابل اختفاء نمط الأسرة الممتدة أو تراجعها بشكل ملحوظ بالإضافة إلى تغيرات في القيم الأخلاقية التي كانت بمثابة دعامة للمجتمع والتي اضمحلت في عالم العولمة.

حيث يعتبر قرار الزواج من أهم القرارات التي تشغل بال الشباب الذين أكملوا مرحلة المراهقة ودخلوا مرحلة النضج الكامل، حيث هذا القرار هو ارتباط الفرد بعلاقة جديدة مع الطرف الآخر من الجنسين يرى أنه يستطيع أن ينسجم معه ويشبه في بعض الجوانب كالاتجاهات والأفكار والهوايات والقيم والمعايير الأخرى، حيث يفكرون فيه كموضوع كلي متكامل يشمل التفاعلات بين تلك العناصر والتي تشكل في مجملها موضوعا لاتجاهاتهم نحو الزواج، ولما كان قرار الزواج له أهمية فإنه يصبح من الضروري تحديد أحسن الطرق وتعيين أفضل الوسائل تساعد في اتخاذ قرارهم بشكل صائب حول موضوع الزواج

واختيار شريك الحياة، ثم إن هذا القرار يمارس بطرق مختلفة باختلاف الفئات الاجتماعية التي تحكمها جملة من الضوابط كالسن والبيئة الجغرافية ومستوى التعليم... ومن هذه الطرق الاختيار التقليدي الذي يتم بواسطة الأسرة وعلاقتها المباشرة، أو عن طريق الاختيار الشخصي الذي يسخر فيه الراغب في الزواج مجموعة من الأساليب والوسائل والتي تعتبر بمثابة وسيط بينه وبين الطرف الآخر كأن يستعين بالأصدقاء أي جماعة الرفاق، أو يلجأ إلى التكنولوجيا المتطورة كأن يستعمل الانترنت عبر مواقع التواصل الاجتماعي، أو كأن يعتمد على إعلانات الزواج المعروضة في الصحف والتي تستقطب شريحة من الشباب من الجنسين باختلاف المستويات، ويمكن أن يكون الاختيار شخصي يقوم به الراغب في الزواج دون تدخل من احد فيلجأ إلى الطرق المعروفة وإن كانت في حقيقتها وإلى وقت غير بعيد طرق غريبة ومستنكرة لدى المجتمعات المحافظة كالمجتمع الجزائري والتي تتمثل في العلاقات بين الشباب من الجنسين كأن تتخذ الفتاة صديق لها أو يتخذ الشاب بالمثل صديقة له والتي هي في الغالب علاقة مستترة دون علم الأولياء.

وعلى هذا الأساس نحاول طرح أشهر طرق زواج الوساطة المتعلقة بالوسائل التكنولوجية الحديثة التي يلجأ لها الشباب الجزائري، علماً بأنه يتأثر بقيم وعادات المجتمع المحلي فضلاً على أن المستوى الثقافي وكذا التغيرات الاجتماعية تلعب دوراً بارزاً في التأثير عليه وبالتالي نطرح التساؤل التالي:

- لماذا يتجه الشباب الجزائري نحو زواج الوساطة و هل المعايير الاجتماعية تحدد وسائل البحث عن شريك الحياة؟

2- تحديد المفاهيم:

زواج الوساطة:

وساطة الزواج عبارة عن التوفيق بين شخصين بغرض الزواج عادة إلا أن الكلمة تستخدم عادة في سياقات أخرى¹ وعملية الزواج المدبر تكثر خاصة داخل العوائل الملكية كما سبق وأشرنا، ومن المعتاد أن يكون القرار فيه للوالدين أو لكبار السن في العائلة. هذا الترابط قد يتم عن طريق الوالدين أو خاطبة الزواج أو موقع من موقع الزواج أو أي طرف ثالث يكون محل ثقة، وفي كثير من المجتمعات يقوم رجال الدين مع الأقارب والأصدقاء أي أصدقاء العائلة بدور كبير في التوفيق بين الطرفين ومن هنا فإن الوساطة في الزواج تعرف شعبية كبيرة ففي أمريكا الشمالية هناك مجتمعات وجدت بها وساطة الزواج

¹ - زواج الوساطة ، <http://ar.wiki.pedia.org/wiki> ، بتاريخ 2017/03/14، على الساعة 13:22.

حديثاً في السينات من القرن العشرين. وفي آسيا وخاصة سنغافورة تم إضفاء الصبغة المؤسسية إلى دور وسيط الزواج بحيث أصبح بيروقراطياً كما أصبح لكل مواطني سنغافورة إمكانية الدخول إلى مجموعة فرعية من خدمات وساطة الزواج.¹

التغير الإجتماعي:

عرفه "محمد عاطف غيث" بأنه يعبر عن أوضاع جديدة طرأت على البناء الإجتماعي، والنظم، والعادات الإجتماعية، وأدوات المجتمع نتيجة لتشريع جديد لضبط السلوك أو كنتائج للتغير.²

مواقع التواصل الإجتماعي:

تعرف مواقع التواصل الاجتماعي بأنها عبارة عن تطبيقات تكنولوجية إلى الويب تتيح التفاعل بين الناس، وتسمح بنقل البيانات الالكترونية وتبادلها بسهولة، وتوفر للمستخدمين إمكانية العثور على الآخرين. وقد ظهرت هذه المواقع مع الجيل الثاني للويب لتساعد الأفراد على التواصل والتفاعل في بيئة المجتمع الافتراضي يجمعهم حسب مجموعات اهتمام أو انتماء أو مشاركة في قضية بعينها.³

3- -نظرية التغير الاجتماعي:

تعتبر دراسة التغير الاجتماعي من الموضوعات الهامة والمجالات الأساسية التي يسعى علماء الاجتماع لدراستها، خاصة وأن اهتمامهم الأول يرتكز حول دراسة مظاهر التباين والاختلاف الذي يحدث على البناءات والنظم والأفراد والجماعات الاجتماعية، إلى جانب اهتمامهم بمظاهر التغير السريعة التي طرأت على جوانبه المختلفة أي المجتمع الحديث والتي أحدثت تغيرات على نوعية البناءات والمؤسسات والأنساق الاجتماعية والتي لا تزال في حالة ديناميكية كما يصنفها أوغست كونت، كذلك يتطرق انطوني سميث في كتابه المميز عن التغير الاجتماعي أن دراسة ظاهرة التغير سواء كانت اجتماعية أو تاريخية تعتبر ظاهرة واسعة وكبيرة وهذا ما يجعل نوع الغموض والتداخل حول وضع تعريف مميز للتغير الاجتماعي وهناك بعض المحاولات التي تعرف التغير أو فكرة التغير حيث يعرفه ديفرز Divis التغير الاجتماعي على أنه " مجموعة الاختلافات التي تحدث داخل التنظيم الاجتماعي والتي تظهر على كل البناءات والنظم التي تحدث في المجتمع". كما عرفه بوتوكور

¹ - الزواج المدير، [http //ar.wikipedia.org/wiki/ac](http://ar.wikipedia.org/wiki/ac) ، بتاريخ 2017/03/14، على الساعة 15:21.

² - محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر الإسكندرية، 1989، ص 415.

³ - محمد جابر خلف الله : <http://kenanaonline.com/users-azhar-gaper/posts/512902> ، بتاريخ 2017/03/14، على الساعة 11:30.

Bottocore بأنه " تغير يحدث في البناء الاجتماعي متضمنا التغيرات في حجم المجتمع أو في النظم الاجتماعية خاصة أو العلاقات بين هذه النظم، الذي يمكن أن يكون جزء من التغير الثقافي "

ومن خلال التعريفات الموجزة يمكن أن نعطي تصورا مقترحا لمفهوم التغير الاجتماعي والذي يمكن تحديده على أنه نوع من التباين والاختلاف الذي يحدث على مكونات البناء الاجتماعي الذي يؤدي إلى حدوث تغير في أنساق التفاعل والعلاقات وأنماط السلوك و يعد السمة المميزة لطبيعة الحياة الاجتماعية في المجتمعات الحديثة.¹

في الأخير وفي ضوء ما جاء في تحليل هذه النظرية فإن التغير الاجتماعي والذي مس كافة النظم والعلاقات الاجتماعية قد أثر على نظام الزواج الذي انتقل من الأسلوب الوالدي في الاختيار، والزواج الداخلي أي بين الأقارب إلى الحرية في الاختيار و اتساع نطاق الزواج نحو الخارج، بل تعدى ذلك إلى ظهور طرق وأساليب أخرى غير التي كانت سائدة في المجتمعات التقليدية والتي كانت تقتصر على الخاطبة فقط لتشمل وسائل الإعلام بأنواعها والتي أصبحت وسيطا هاما للراغبين في اختيار شريك الحياة، ثم إن ما يثير الانتباه أن شريحة الشباب هي الأكثر تأثرا بهذه التحولات الحاصلة باعتبارهم شريحة هامة داخل المجتمع ويتطلعون دائما إلى ما هو جديد ويطمحون إلى مواكبة التطور والخروج من كنف المجتمع التقليدي، إلى مميزات المجتمع الحديث الذي يتميز بالحرية الشخصية والفردانية حتى في مسائل مثل الزواج وأساليبه المختلفة التي تنوعت بفعل التحولات والتغيرات الاجتماعية عامة.

4- -الدراسات السابقة :

1-4 الدراسة الأولى : بعنوان " الزيجات عبر شبكات التعارف على الانترنت هي أكثر سعادة" قام بها الباحث "جون كاتشيو" عالم نفس من جامعة شيكاغو حيث أوضحت الدراسة أنه قد باتت مواقع التعارف على الانترنت بيئة مثالية للزواج، وإن أكثر من ثلث الزيجات في أمريكا بدأت عن طريق شبكات التعارف على الانترنت وأكدت أن هؤلاء الأزواج اسعد بكثير من غيرهم الذين تعرفوا على بعضهم بطرق مختلفة.

وقد شملت العينة حوالي 19131 ألف شخص من الجنسين تزوجوا بين العام 2005-2012.

¹ - خالد عبد الله البلوي ، ملتي فكر ، <http://www-facebook-com> بتاريخ 2017/03/14 على الساعة 19:30

نتائج الدراسة:

استنتج أن الزواج من أشخاص تعرفوا على بعضهم البعض عبر الانترنت يؤثر إيجابا، ويؤدي غالبا إلى حياة زوجية سعيدة، وقد أوضح كاتشيبو مشرف الدراسة أنه قد وجد دليلا آخر بغض النظر عن كيفية لقاء الأزواج على شبكة الانترنت وهو أعمار الأشخاص الذين يلتقون بهذه الطريقة حيث كانت أعمارهم ما بين 30 و 49 عاما وأوضح أيضا أن دخلهم متزايد عن الأزواج الذين التقوا بطرق اعتيادية وقد خلصت الدراسة أيضا إلى النتائج التالية وهي تخص الإلتقاء خارج نطاق الانترنت حيث وجد أن 22% من الأزواج خارج نطاق الانترنت التقوا في العمل.

وأيضا 19% منهم التقوا عبر الأصدقاء.

ومنهم 11% من الأزواج التقوا في المدرسة أو الجامعة.

و 9% تعرفوا على بعضهم في الأندية الاجتماعية.

و 7% منهم التقوا عبر العائلة .

في حين وجد أن 4% منهم التقوا في الكنيسة .

وقد إطلع الباحث أيضا على حالة عدد الأزواج الذين انفصلوا بعد نهاية مدة الدراسة، ووجد أن حوالي 5,6% من المنفصلين كانت وسيلة تعارفهم هي الانترنت ، و 7,6% تعارفوا عبر وسائل أخرى.

وبينت الدراسة أن من أكثر الأزواج سعادة أولئك الذين تربوا معا أو التقوا في المدرسة أو الجامعة أو من خلال المناسبات الاجتماعية أو دور العبادة، فيما كان الأزواج الذين التقوا عبر العائلة أو في العمل أو النوادي أقل سعادة.

وقال "كاتشيبو" يتمتع الأزواج الذين يتعرفون على بعضهم على الانترنت بشخصيات مختلفة وبدافع كبير لإقامة علاقة زوجية طويلة الأمد".¹

الدراسة الثانية : قامت بها " مليكة لبديري " بعنوان الشباب وقضية الزواج من الأسرة إلى الجريدة " دراسة اجتماعية لعينة من الشباب الجزائري من الجنسين .

¹ - جون كاتشيبو ، الزيجات عبر شبكات التعارف على الانترنت هي الأكثر سعادة - <http://www.bbc.co.uk/1/araluc/scienceamdtech/2013/06/130603-study-marriage>

بتاريخ 2014/02/22 ، على الساعة 1.16:34

أهداف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة الميدانية إلى التعرف على خبايا ظاهرة لجوء الشباب لإعلانات الزواج عبر الصحافة في المجتمع الجزائري الحضري منه بالخصوص ويدور التساؤل الرئيسي لإشكالية البحث حول فهم الأسباب الخفية لظاهرة اللجوء للصحافة، وموقف الأفراد منها.

وتمثلت الإشكالية فيما يلي: لماذا انتقلت وظيفة الزواج من المؤسسة الأسرية إلى المؤسسة الإعلامية؟ لماذا يتعامل شبابنا مع هذه الأخيرة؟ هل الأسرة هي التي دفعت بالأبناء إلى تبني هذه الطريقة الإعلانية في الزواج؟ هل اضمحلال النظام الزواجي التقليدي وإخفاء الوساطة في الزواج هو السبب في ذلك؟ أو بعبارة أخرى: ما هي الدوافع الكامنة وراء لجوء الشباب في مجتمعنا إلى الزواج عن طريق الإعلانات بدلا من الأسرة؟¹ وللإجابة على هذه التساؤلات صيغت الفرضيات التالية:

لجوء الشباب لإعلانات الزواج مرتبط بالوضعية الاجتماعية والمادية وكذلك تقدم السن بالنسبة للبعض منهم هو الذي دفعهم إلى البحث عن طرق جديدة في الزواج.

لجوء الشباب لإعلانات الزواج مرتبط بسير عملية الاختيار من جهة وال فشل في إيجاد الشريك المناسب بالطرق التقليدية المعتادة من جهة أخرى.

لجوء الشباب لإعلانات الزواج وموقفه منها مرتبط بمدى التمسك الأسري ومصداقية الإعلانات.

إجراءات الدراسة الميدانية:

تم إجراء البحث وميدان الدراسة في دار الصحافة لكونها مقر لبعض الجرائد بالإضافة إلى مقر جريدة الشروق العربي.

عينة الدراسة:

تمثلت عينة الدراسة في مجموع الشباب من كلا الجنسين بشرط تعاملهم مع ركن الإعلانات الزوجية ولجوءهم إلى الإعلانات الخاصة بالزواج وقد بلغ عدد الشباب الذين تم استجوابهم 80 مبحوث منهم 40 امرأة و40 رجلا.²

أهم نتائج الدراسة: خلصت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

¹ - لبديري مليكة ، الزواج والشباب الجزائري إلى أين؟!، دراسة اجتماعية ، دار المعرفة، الجزائر، 2005، ص : 1.7

² - نفس المرجع ، ص : 1.101

التحولات العديدة في مختلف المجالات الناجمة عن عمليتي التصنيع والتحضّر أثرت على التركيب البنائي والوظيفي للأسرة الجزائرية وهذا بدوره أثر على علاقتها الاجتماعية ونظام زواجها، وبروز النظام الأسري النووي والذي يميّز سير الحياة الاجتماعية فيها بالمزج بين نمطي العيش التقليدي والحديث جعلت رابطة العلاقات الاجتماعية تنقل من علاقات "غير رسمية إلى علاقات رسمية لا تتعدى نطاق المناسبات ، وساعد هذا التغير على تلاشي وضعف العلاقات الاجتماعية القرابية" وهذا بدوره قلص مجال الاتصال وبالتالي الحد من فرص الزواج ضف إلى ذلك بروز ظاهرة صراع الأجيال نتيجة اختلاف ذهنيات الآباء والأبناء، مع بروز الفردية والاستقلالية وأصبح الزواج قضية فردية " تهم الفرد المعني أكثر من أسرته، وكنتيجة لهذا تغير هدفه من خدمة مصلحة الجماعة إلى خدمة مصلحة الفرد وبالتالي تخلت الأسرة مجبرة عن دورها فيه"¹، فتغير مفهوم الزواج وبالتالي تغيرت عملية الاختيار للزواج من حيث الأسلوب ونظام الاختيار ككل بتوسع دائرة الاختيار والمقاييس التي يختار على أساسها.

ولهذه الأسباب جميعها لجأ بعض الأفراد إلى الوسائط الزوجية الإعلامية كطرق بديلة لاختيار الزواجي وهذا اللجوء مبرر بتخلي الأسرة عن دورها في تزويج أبنائها.

5- نظام الزواج و آثار التغير الاجتماعي:

5-1 علاقة التغير الاجتماعي باتجاهات الشباب نحو الزواج:

إن العلاقة بين الزواج كعملية اجتماعية فردية والتغير الاجتماعي كحركة ديناميكية في المجتمع ليست علاقة بسيطة كونها خاضعة لعمليتي التأثير والتأثر فمن المؤكد أن التحولات الاجتماعية من شأنها أن تحدث تشابك في العلاقات الاجتماعية وكذا في قيم والأساليب وهذا ما حصل لنظام الزواج داخل المجتمع والذي تميز بالتعقد من حيث العادات والأساليب وكذا طرق الاختيار فبعد أم كان قضية الزواج كظاهرة اجتماعية تمس الكيان الاجتماعي للأسرة قبل الفرد المعني أي تخضع للتضامن من الجمعي أصبحت تتسم بمبدأ الفردانية وهذا ما نلاحظه ونتعايش معه يوميا من جراء التطورات التكنولوجية والعملية التي ساهمت في بلورة فكرة الحرية الشخصية لدى الشباب في كل المجالات بما فيها الزواج حيث تغير أسلوب

¹ - نفس المرجع، ص ص : 128 ، 1.129

الاختيار للزواج الذي كان في الغالب أسلوب والديا إلى الاختيار الشخصي بالاستعانة ببعض الوسائل واتخاذها كوسيط بينه وبين الطرف الراغب في مشاركة الحياة.¹

إن ما يميز هذه الثورة التكنولوجية العلمية أنها مست وترا جد حساس داخل المجتمع إلا وهو العادات والتقاليد وحتى القيم خاصة لدى الشباب مما اثر على اختياراته ومبادئه التي ورثها عن المؤسسة لدى الشباب مما أثر على اختياراته ومبادئه التي ورثها عن المؤسسة الأولى والمرجعية وهي التنشئة الاجتماعية السليمة التي اضمحلت في كنايا العولمة ومن هنا فسنعرض أهم مظاهر التغيير لدى الشباب خاصة في موضوع اتجاهاتهم نحو الزواج في النقاط التالية:

-أصبح الاختيار للزواج عند الشباب خاصة الفتيات أمرا شخيصيا والتعرف على الطرف الآخر ومحاورته مرحلة ضرورية قبل الزواج.

-تراجع دور الأم في اختيار الزوجة لابنها مع تراجع تدخل الوالدين بالنسبة للفتاة في إرغامها أو الضغط عليها للقبول بالزواج. تنوعت وتعددت الأساليب لدى الشباب للاختيار الشريك فبعد أن كانت بسيطة وفي غالب الأحيان كانت تحت تصرف الوالدين توسعت لتشمل حتى وسائل الإعلام المختلفة.

-تغير مقاييس الزواج أي مقاييس اختيار القرين عند الشباب من الجنسين، فقد أصبح عنصري الجمال والسن بالنسبة للرجل في المرتبة الأولى، أما بالنسبة للفتاة فاختيارها في الغالب أصبح في المنصب اللائق والدخل الشهري للعمل أن يكون معتبرا والبيت المستقل عن أهله، حيث لا تعتبر السن مقياسا أساسيا كما تشترط بعضهن على ضرورة توفر المستوى التعليمي في الطرف الآخر.

-تغير اتجاه الشباب نحو الزواج المبكر الذي كان سائدا في المجتمعات التقليدية وأصبح الشباب يؤمنون بفكرة الزواج بعد إيجاد عمل مناسب وبعد إكمال الدراسة خاصة لدى الفتاة التي أصبحت تتطلع للوظيفة أكثر من إنشاء أسرة.²

¹ - أغبال حورية ، واقع العنوسة في المجتمع الجزائري الأسباب والحلول ، دراسة مقارنة بولاية تيبازة،مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر ، 2006-

ص: 33 1

² - نفس المرجع ، ص ص : 33-34 1.

في الأخير نقول أن هذه مظاهر التغيير إن دلت على شيء أما تدل على أن قيم الزواج وثقافته قد تغيرت لدى الشباب المعاصر بالرغم من كونه عملية مستمرة عبر الأجيال إلا أنها عملية تتغير معاييرها من جيل إلى جيل وهذا ما ولد العديد من المشاكل الاختلالات في نظام الزواج عموماً.

2-5 أساليب الاختيار للزواج.

هناك أسلوبان للاختيار هما : الاختيار العائلي الذي يتضمن إعطاء الدور الأكبر للأهل وبخاصة الوالدين و الاختيار العاطفي الحر الذي يتضمن إعطاء الدور الأكبر للفرد في الاختيار

- الاختيار العائلي:

ينتشر هذا الأسلوب من أساليب الاختيار للزواج في بعض المجتمعات في الدول النامية وبخاصة في المناطق الريفية من المجتمع العربي وفي هذا الأسلوب يكون للأهل وبخاصة الوالدين الرأي الأول في الاختيار للزواج سواء بالنسبة للشباب أم بالنسبة للفتاة فيقوم الأب عادة بتمثيل ابنه أو ابنته، كما يقوم بتنفيذ الترتيبات للزواج المختلفة وواضح هنا أن مثل هذا الزواج هو ارتباط بين أسرتين قبل أن يكون ارتباطاً بين شخصين، فالتركيز فيه ليس على تحقيق الإشباع العاطفي للزوجين وإنما على تحقيق أهداف اجتماعية مثل التماسك، وإنجاب عدد كبير من الأطفال لتدعيم قدرة الأسرة الإنتاجية التي تعتمد على الزراعة والعمل في الحقول ومن هنا فيرتبط العائلي للزواج بشرط معينة في المجتمع أهمها الفصل بين الجنسين، فالعادات والتقاليد الصارمة لا تفسح المجال للتعارف وتطوير علاقات يمكن أن تؤدي إلى الزواج.

- الاختيار العاطفي الحر (الشخصي):

أدت عملية التغيير في الأسرة من النمط الممتد إلى النمط النووي الحديث إلى ضعف دور الأهل وتراجعهم في عملية الاختيار للزواج، حيث غالباً ما يتحكم الأب بالسلطة الأسرية ويستلم عملية اتخاذ القرارات. أما الأسرة النووية التي تشمل على الزوج والزوجة وأطفالهما فقط، فتميز بوجود مشاركة في السلطة فيها بين الزوجين والأبناء جميعاً.

و أدت عمليات التحديث هذه: التحضر، وانتشار التعليم بين الرجال والنساء وخروج المرأة للعمل إلى إنهاء الفصل بين الجنسين وإلى شيوع الاختلاط في أماكن الدراسة، والعمل مما يمكن للشباب من الجنسين من الإلتقاء والتعارف، وتطوير

العلاقات تؤدي إلى الزواج، والقيام نتيجة لذلك بدور رئيسي في الاختيار للزواج إذا يمكن القول أن عمليات التحديث في المجتمع العربي أدت إلى تزايد الاختلاط بين الجنسين مما أعطى المجال للشباب والفتيات للالتقاء، والتعارف وتطوير علاقات تؤدي إلى الزواج بدون تدخل ملحوظ من الأهل¹.

6- كيفية الاختيار في العائلة الجزائرية التقليدية والحديثة :

الاختيار للزواج في العائلة الجزائرية التقليدية:

إن الزواج في العائلة الجزائرية التقليدية لم يمكن ينظر إليه كعلاقة بين شخصين فحسب وإنما كوسيلة لإعادة إنتاج العائلة وضمان استمراريتها عن طريق الإنجاب، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى هو وسيلة لتدعيم المكانة الاجتماعية للعائلة، (علما بأن المكانة هنا لها صلة بالنسب والمستوى المادي والثقافي) ويمكن القول هنا أننا نجد الحال نفسه بالنسبة للمجتمعات العربية التي لها نفس الالتئام الثقافي، حيث أكد السوسولوجين السوريين حرص والد كل من الشباب والفتاة على المصاهرة من نفس الطبقة الاجتماعية وكرم النسب².

و هذه النظرة الأخيرة للزواج هي التي جعلت مهمة الشروع فيه وإتمامه من المهام الرئيسية المسندة للعائلة بدلا من الأفراد المعنيين بالأمر خاصة وأن الآباء يعتقدون بإختيارهم المحكم لزوجة ابنهم أو زوج ابنتهم في عملية المصاهرة أو القرابة سوف يحتضون بمهمات كبيرة مع أبنائهم كوجودهم بقربهم والحفاظ على مراكزهم الاجتماعية والاقتصادية إلى جانب سيطرة الأسلوب الوالدي في عملية الاختيار للزواج في العائلة الجزائرية التقليدية نجد أن الزواج من الأقارب احتل مكاناً كبيراً وكثيراً ما كان يتم في سن مبكرة باتفاق الآباء معا دون علم الصغار بذلك وفي الصدد يقول سليمان مظهر: "إن الزواج السائد في الوسط التقليدي الجزائري هو الزواج الداخلي، بين أبناء الإخوة فهو يشكل إلى جانب العذرية الضمان الثاني لإستمرار قوة الجماعة" كما أنه يعمل على تفادي تكاليف الزواج الباهظة.

وبما أن عملية الزواج من اختصاص العائلة خاصة الوالدين أو أحد الأولياء من الأقارب الذين يتحملون مسؤولية الاختيار فلا يحق للشخص البالغ إخبار عائلة أو تذكيرهم بضرورة تزويجه فبالنسبة للرجل، هم الذين يقررون موعد زواجه ويختارون

¹ - نجبة من المتخصصين ، علم الاجتماع الأسري، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر ، 2008 صص 13-14.

² - محمد صفوح الأخرس ، تركيب العائلة العربية ووظائفها، مرجع سبق ذكره، ص: 32.

الزوجة التي يمكن أن يرتبط بها وكذلك الأمر بالنسبة للفتاة فلا يحق لها هي الأخرى مفاتحة أو مصارحة عائلتها حول موضوع زواجها أو الشخص الذي تنوي الزواج منه، فزواجها أمر يحسم من قبل والديها وأولياء أمورها.

وإذا بحثنا عن الأسباب التي جعلت العائلة الجزائرية التقليدية لا تعطي حق اختيار الشريك (ة) للزواج بالنسبة للمعنيين بالأمر ، لا يمكن إرجاعها إلى العادات والتقاليد والمحافظة والسائدة في المجتمع والتي تمنع وتحرم الاختلاط بين الجنسين فحسب وإنما أيضا إلى التربية التي يتلقاها هؤلاء الأشخاص عند الصغر وفي هذا الصدد قال الدكتور عاطف غيث: "بأن الفرد في المجتمعات العربية كفرد لا قيمة له إلا في العائلة فهو يعمل من أجل العائلة ويتزوج من أجل العائلة وينجب من أجل العائلة ولهذا كانت شخصية العائلة هي التي تحدد نماذج سلوكه وتعين المسموحات والمنوعات" وبالتالي الجانب الخاص به يكون ملكا للجماعة التي يعيش فيها لهذا ما عليه إلا الطاعة والقبول، وما نراه هنا أن تصرفات الشباب غالبا ما كانت مقيدة بما تسطره العائلة مع وجوب خضوعهم للمعايير والقيم الاجتماعية التي فيهم.

في الأخير لا يفوتنا أن نشير إلى أن مسألة زواج الشباب في هذه العائلة لم تكن تعرف مشكلا كتقدم سن الزواج أو العزوف عنه إلا في حالة شاذة خاصة وأن المسألة كانت توكل للعائلة بما فيها من مسؤولية معنوية كاختيار الشريك(ة) ومسؤولية مادية (كصاري العرس هذا إضافية) عدم وجود أسباب تعطلهم أو بالأحرى تحول بينهم وبين الزواج في السن المبكر ما دامت العائلة هي المسؤولة على تأمين حاضر ومستقبل الأبناء.¹

الاختيار للزواج في العائلة الجزائرية الحديثة :

تختلف عادات الزواج في العائلة الجزائرية الحديثة عن تلك التي كانت سائدة من قبل، وهذا نظرا لما أحدثته حركة التطور الاجتماعي من تأثير في ذلك بعد بروز الأسلوب الفردي في تسيير عملية الاختيار للزواج، فبعدما كان الزواج من الوظائف الهامة والمسندة للعائلة تشرف هي عليه وتتولى إتمام عقده بدون حضور المعنيين بالأمر أصبح اليوم مشروعا يتعلق بالفرد أكثر مما يتعلق خاصة وأن عقده سيربط بين فردين للعيش معا. وعلى هذا الأساس يعتبر "الفاروق زكي يونس" أن الزواج في المجتمعات العربية يعد بمثابة مؤسسة تجمع بين فردين متكاملين ومتكافئين في الحقوق والواجبات لها مصالح ومشاعر مشتركة²

¹ - ملكية لبديري ، مرجع سبق ذكره، ص ص: 53-150.

² - الفاروق زكي يونس ، علم الاجتماع الأسس النظرية وأساليب التطبيق، عالم الكتب، القاهرة ، 1972 ، ص: 1227

وبناء عليه لم يعد الهدف الرئيسي من الزواج خدمة مصالح الجماعة وإرضائها وإنما خدمة مصالح الطرفين إذ يعتبره كل منهما وسيلة للتعاون في مختلف مجالات الحياة وكذلك تحقيق الذات وليس وسيلة للإنجاب فحسب.

إنّ كون عملية الاختيار للزواج حقاً يتمتع به الأفراد الذين يرغبون في الزواج في هذا النموذج العائلي جعل هذه العملية تفقد طابعها التقليدي وبالتالي قلّ دور الأب والعائلة في ترتيب مسألة الزواج.

فالشباب المقبل على الزواج لم يعد يطلب من أهله اختيار زوجة له حيث أصبح مؤهلاً لذلك إذ بإمكانه السير في إجراءات الزواج واختيار شريكة حياته وهذا وفقاً للمقاييس الجديدة التي عرفتها عملية الاختيار للزواج والمتمثلة في الحب المتبادل بين الطرفين البحث عن الأمن الاقتصادي المنزل المستقر الوصول إلى وضع اجتماعي أحسن من الوضع الذي كان يعيشه كل طرف علماً بأن الفتاة هي الأخرى أصبح لها الحق في الإدلاء برأيها في مسألة زوجها وذلك بالموافقة أو الرفض.

رغم انطلاق الشاب أو الشابة من فكرة الاختيار الحقيقي للشريك، وكذلك رغم أنّ الاختيار للزواج يتم على أساس الاختيار الحر الذي يكون فيه الاختيار مسألة شخصية ورأي الوالدين فيه يكون شكلياً في الغالب إلا أننا نلاحظ أنّ المقبل على الزواج في النموذج العائلي يعمل دائماً على عدم فرض قراره المتعلق باختيار شريك الحياة على أهله، وإنما سعى دائماً إلى إيجاد وسيلة للتفاهم قصد الحصول على الموافقة والرضا وبالتالي الاتفاق معهم على كيفية تنظيم حفل الزفاف. وبهذا انتقل الزواج في المجتمع الجزائري من الزواج المرتب التقليدي إلى الزواج المرتب الحر (التقليدي العصري) وأصبح هو السائد في غالب الأحيان، ولقد بينت الدراسات الاجتماعية أنّ هذا النمط الأخير من الزواج تجده هو السائد في كافة المجتمعات العربية.

إنّ التغير الذي طرأ على عملية الاختيار للزواج في هذا النموذج العائلي لم يمس أسلوبه فحسب وإنما مس كذلك نظامه إذ توسع مجاله من النطاق الداخلي الضيق إلى النطاق الخارجي الواسع وأصبح بإمكان الفرد المقبل على الزواج أن يختار شريكاً مناسباً له من مختلف الفئات الاجتماعية.

إنّ ما يميز ظاهرة الزواج في هذا النموذج العائلي هو تأخر سن الزواج لدى الجنسين والسبب هنا لا يعود إلى التغير في النظرة إلى الزواج وإنما إلى تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية داخل المجتمع الجزائري¹.

¹ - مليكة لبديري، مرجع سبق ذكره، ص ص : 57-58.

وعموماً فإن الاختيار في المجال الحضري يخضع لتأثيرات المجال الحضري التي عادة ما تطرح فيه قيماً جديدة مثل الجمال والمال والطبقة الاجتماعية في حين نجد أن مقياس الدين والأصل في تراجع إن لم نقل هي غائبة أصلاً هذه الأوضاع تتميزها الخصائص داخل النظام الحضري كالحرية ووسائل الإعلام والأنانية وتلاشي سلطة الأب وانتشار نمط الأسرة الزوجية التي تعتمد هي الأخرى على الحرية المطلقة في الاختيار، بالإضافة إلى اتساع رقعة التعارف بين الشباب في سن المراهقة وحتى في بعض الأحيان السماح بعلاقة جنسية عابرة، وبالتالي يكون الفرد داخل هذه الخصائص رقماً من الأرقام الحضرية بعيداً عن الدور الفعلي الذي يلعبه داخل المجتمع، حراً في تصرفاته مسؤولاً عنها مهما كانت نتائجها بعيداً عن الإستعانة بوالديه لأنه يرى فيها العامل الردعي والشيء القديم، فيتخلى الأفراد عن استشارتهم والاختيار يكون على أساس العاطفة والأحاسيس¹.

7- الوساطة في الزواج:

لقد سادت الوساطة في الزواج بالمجتمع العربي الإسلامي منذ أن حجبت المرأة عن الحياة العامة، وكانت هذه العملية سارية المفعول خاصة في الجماعات المحافظة والمتعلقة، حيث لعبت دور كبيراً في التعريف والتقريب بين الراغبين في الزواج وتحقيق التجانس فيما بينهم على أساس الإقناع والتفاهم وبصفة خاصة مع الآباء ممن لهم سلطة على أبنائهم كما جرت هذا أيضاً في المجتمعات التي تباعدت فيها الثقة بين العائلات ولا يجري التعارف فيما بينها، والتي نما فيها نظام الاختلاط والتعارف بين الشباب، والذي يساعد على الاختيار للزواج لهذا كان لنظام الوساطة في الزواج أثره في الانتشار للمساعدة على الاختيار للزواج وكذلك الخطبة².

إن الوساطة في الخطبة يقوم بها رجل وامرأة يكون نشطاً ومحترفاً في هذا المجال كالتمتع بالذكاء وطلاقة اللسان وتحسين التشية وضرب الأمثال إلا أنه في الأحيان تسند هذه المهمة إلى المرأة التي يسهل لها كيانها النسوي الدخول إلى المنازل والاختلاط بسيدات الأسر اللاتي لهن التأثير الكبير في تسير هذه العملية، ويطلق على هذه المرأة اسم الخاطبة وهذه الأخيرة تطوف بأمكن معروفة كالحمامات الأعراس وكذلك المنازل التي فيها فتيات في سن الزواج وتذهب أيضاً إلى الراغبين

¹ - أحمد حجاج، تصورات طلبة الماجستير في اختيار شريك الحياة دراسة ميدانية لطلبة الماجستير لجامعتي الجزائر والبلدية، مذكرة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة سعد دحلب، البلدية، الجزائر، 2005، ص: 1.53.52.

² - مصطفى المسلماني، الزواج والأسرة، المطبعة الفخرية، القاهرة، ب.ط، 1977، ص: 1.64.

في الزواج من الشباب لتعرف منهم بعض المعلومات وغالبا ما تأخذ منهم صورة تعرضها على أسرة الفتاة التي تراها لائقة لشباب معين، وإذا وقفت أسرة هذه الفتاة على ذلك الشاب تقدم إليها خاطبا.

لم تكن مهمة الخاطبة البحث عن زوجة لرجل فحسب بل كانت تسعى أيضا للبحث عن زوج لفتاة عانس أو تخشى عائلتها من ان تبقى عانس ، نظرا لعدم تقدم أحد لخطبتها ، فإذا وجدت الخاطبة رجلا أعزب أو غريبا يبحث عن زوجة أحاطت به وإستهوته بما تبتدع من أوصاف لمحاسن الفتاة أو المرأة التي تبحث لها عن زوج.

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى الخاطبة في غالب الأحيان لم تكن إلا سيدة همها الوحيد هو النفع المادي لذلك كانت تنال في المدح أو الذم وذلك تبعا لمنفعتها الشخصية.

إن هذا الأسلوب السائد في الخطبة كان موجودا في نطاق ضيق في المناطق الحضرية فقط وذلك لتسهيل عملية الاختيار للزواج ، حيث أنه بدأ يتعرض للزوال مع خروج الفتاة إلى التعليم والعمل ، ومع بروز أماكن اللقاء وصلت هذه الظاهرة إلى مرحلة الاختفاء.

أما في المرحلة الحديثة مع ما شهده المجتمع العربي الإسلامي من تطورات إجتماعية، سياسية، واقتصادية نجد أن ظاهرة الخطبة قد تطورت هي الأخرى تطورا سريعا ومغايرا في كثير من قواعدها الأصلية والفرعية فكثيرا من الشباب خاصة طلاب وطالبات الجامعة التي ضمت بين جدرانها الطبقات المختلفة من أهل الريف والمدن أصبح بعضها يخاطب البعض وهما على مقاعد الدراسة كما نجد أيضا في أماكن العمل وبعدها يقومون على الأكثر بإبلاغ الأهل بما إتفقا عليه ولم يقتصر الوضع على حاله، هذا مع انتقال الخطبة إلى أيدي الشباب المعنيين بل امتد الأمر بهم إلى اقتناء طريقة جديدة للعثور على زوج أو زوجة¹ تتمثل في الزواج إما عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي أو إعلانات الزواج المعروضة في الصحف ، أو الإستعانة بالأصدقاء والتي لاقت رواجا كبيرا بعد نجاحها في المهمة الترويجية.

خاتمة:

وفي الأخير نستطيع القول بأن التغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري في مختلف مجالاته الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية بفعل عوامل التحضر انعكس تأثيرها على الأسرة ونظامها الزواجي وساهم وشجع على ظهور اتجاهات وأذواق جديدة في أسلوب الحياة وكيفية تكوين الأسرة لدى الشباب وبالتالي فسح المجال للمؤسسات أخرى أن تحل محلها وتأخذ على عاتقها

¹ -مليفة لبديري، مرجع سبق ذكره ، ص : 341 .

أسمى وظائفها والمتمثلة في تزويج الأبناء، حيث تغيرت نظرة الشباب للزواج وأصبح يرى الاختيار مسألة شخصية وأن الاختيار الأمثل للزواج مبني على الحب ليصل كل منهما إلى الاختيار الحقيقي لشريك الحياة .

إلا أن الشباب في مجتمعنا وبالرغم من الانفتاح الكبير الذي يحظى به في ظل العولمة من حرية فردية بفعل وسائل الاتصال المتطورة إلا أنه ما يزال متحفظا باللجوء إلى مؤسسات لا تلقى القبول داخل المجتمع، كاللجوء إلى مواقع التواصل الاجتماعي أو إعلانات الزواج المعروضة في الصحف لإيجاد شريك الحياة، باعتبار أن هذه الوسائط غامضة وتفتقد إلى المصداقية والشفافية في التعرف على الشخص المرغوب فيه.

حيث يرون أن اللجوء إلى هذه الأساليب يكون بدافع التسلية فقط وتبقى وسيلة للتعرف لا غير، ولا يمكن أن تتطور إلى حد الزواج.

ثم إن هذا الأمر لا ينفى وجود أساليب أخرى يعتمد عليها الشباب للبحث عن شريك الحياة، فمثلا نجد الكثير من الشباب الجامعي يلجأ إلى جماعات الرفاق داخل الجامعة وخارجها ويتخذونها كوسطاء لإيجاد شريك الحياة وهذا ما أكدته عدة دراسات وتوصلت إليه باعتبار أن جماعة الرفاق هي الجماعات المرجعية الموثوق فيها بحكم العلاقة التي تقوم عليها، فهي تعمل على تشكيل المواقف والاتجاهات وتؤثر في كثير من الأحيان على اتخاذ القرارات في عدة مواضيع ومنها مسألة الزواج، وهذا الأمر يثبت لنا مدى فعالية العلاقات المباشرة، حيث كثيرا ما نجد الوقت الذي يقضيه الشباب مع الأصدقاء أكثر مما يقضيه مع العائلة مما يساهم في فتح نقاشات حول موضوع الزواج.

ومنه نجد الكثير من الشباب يجد السبيل الذي يبحث عنه عن طريق صديقه وهذا الأمر يبرز الدور الفعال الذي تلعبه علاقات الصداقة في الوقت الراهن وكيف أنها أصبحت إحدى التفاعلات البارزة تساهم في تشكيل وبناء الأسرة.

وبالتالي هنا يجدر الإشارة إلى أمر في غاية الأهمية وهي أن إقبال الشباب على هذه الطريقة والأسلوب في الزواج لا يدل بالضرورة على رفضهم القيم الاجتماعية أو الابتعاد عن المرسوم العائلي وغايات الزواج ولكن يمكن أن يكون هذا التصرف والسلوك الجديد تعبيرا عن رغبتهم في توسيع مجال الاختيار وبالتالي إظهار طموحات جديدة وهذا ما قد توضحه دراسات أخرى وتكشف عنه.

قائمة المراجع:

الكتب:

- لبديري مليكة، الزواج والشباب الجزائري إلى أين؟! ، دراسة اجتماعية ، دار المعرفة، الجزائر، 2005.
- نخبة من المتخصصين: علم الاجتماع الأسري، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر ، 2008.
- الفاروق زكي يونس ، علم الاجتماع الأسس النظرية وأساليب التطبيق، عالم الكتب، القاهرة ، 1972 .
- مصطفى المسلماني، الزواج والأسرة، المطبعة الفخرية، القاهرة ، 1977.
- محمد صفوح الأخرس ، تركيب العائلة العربية ووظائفها، دراسة ميدانية لواقع العائلة في سوريا، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1976.

القواميس:

- محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر الإسكندرية، 1989.

المذكرات :

- أغبال حورية ، واقع العنوسة في المجتمع الجزائري الأسباب والحلول ، دراسة مقارنة بولاية تيبازة، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2006-2007 .
- أحمد حجاج ، تصورات طلبة الماجستير في اختيار شريك الحياة دراسة ميدانية لطلبة الماجستير لجامعتي الجزائر والبلدية، مذكرة ماجستير ، قسم علم الاجتماع ، جامعة سعد دحلب، البلدية، الجزائر، 2005.

المواقع الالكترونية:

- خالد عبد الله البلوي ، ملتقى لفكر ، <http://www-facebook-com> بتاريخ 2013/12/26 على الساعة 19:30.
- جون كاتشيبو ، الزيجات عبر شبكات التعارف على الانترنت هي الأكثر سعادة: <http://www.bbc.co.uk/ara/uc/scienceamdtch/2013/06/130603-study-marriage> بتاريخ 2014/02/22 .

- زواج الوساطة ، <http://ar.wiki pedia.org/wiki> ، بتاريخ 2017/03/14.

الزواج المدبر ، [http //ar.wiki pedia.org/wiki/ac](http://ar.wikipedia.org/wiki/ac) ، بتاريخ 2017/03/14.

خالد عبد الله البلوي ، ملتي لفكر ، <http://www-facebook-com> بتاريخ 2017/03/14.

محمد جابر خلف الله : <http://kenanaonline.com/users-azhar-gaper/posts/512902> بتاريخ

2017/03/14.

تأثير شبكة الفيسبوك على انتشار بعض السلوكيات السلبية لدى الشباب الجزائري

- الهجرة أنموذجا -

أ.مهديد عمرة. جامعة الجزائر3.

ملخص:

الواقع الاجتماعي للشباب الجزائري لا يختلف فيه اثنان بكونه واقع صعب وهش، ما جعله ينعكس على نفسية الاغلبية منهم، وجعل منهم فئة شديدة التأثر بالمثيرات الخارجية، خاصة اذا كانت هذه المثيرات موجودة ضمن أكبر ملجأ لهم وهو العالم الافتراضي، حيث نجد الشباب الجزائري يهرب من واقعه هذا الى عالم اخر يعتقد انه وجد فيه ضالته، حيث ينضم الى المجموعات والصفحات التي تعبر عن افكاره ومعتقداته ويتأثر بها ويجعلها سلوكا فيما بعد يسلكه في واقعه الحقيقي، ومن هنا بدأت مشكلة الشباب الجزائري تتفاقم حيث انتشرت فكرة وظاهرة الهجرة غير الشرعية بتأثير كبير من تلك الشبكة واصبحت سلوك لدى اغلبهم لمن استطاع اليه سبيلا.

مما سبق اتضح مشكلة البحث في وجود تغير اجتماعي لدى الشباب الجزائري تمثل في انتشار ظاهرة الهجرة بشكل رهيب بتأثير معين من طرف الفيسبوك بشكل خاص وبالتالي نحن امام ضرورة البحث عن حلول لهذه المشكلة وهو هدف في حد ذاته لهذا الموضوع الذي يعتبر موضوع في غاية الاهمية كونه يتعلق بالقاعدة الاساسية للمجتمع الجزائري وهي الشباب طبعاً، ولارتباطه من جهة اخرى بمفهوم التغيير الاجتماعي الايجابي المطلوب بذات الوسيلة (الفيسبوك).

مقدمة:

تعتبر وسائل التواصل الاجتماعي والاعلام من بين أكثر الوسائل تأثيراً في عملية التغيير الاجتماعي لأي أمة، خاصة مع التطور الذي عرفته مؤخراً من خلال انتشار شبكات التواصل الاجتماعي التي تعمل على تقنية الويب، وقد تصدرت شبكة الفيسبوك المراتب الاولى من حيث اشهر وأكثر هذه الشبكات استخداماً في العالم بأكمله والعالم العربي بصفة خاصة، واعتبرت هذه الشبكة بمثابة عالم جديد لجأ اليه الشباب بصفة خاصة واستبدلوه بواقعهم الحقيقي، وانشأوا من خلاله مجموعات حسب اهتماماتهم، وصفحات حسب افكارهم، فاصبح الفيسبوك عالمهم الخاص، ولعل الشباب الجزائري من أكثر شباب العالم هروبا من الواقع الحقيقي الى العالم الافتراضي وذلك للكثير من الاسباب التي سيتم الحديث عنها فيما بعد وبالتالي فمن الطبيعي أن يؤثر في افكارهم وسلوكياتهم هذا العالم الذي يسمى الفيسبوك، ولهذا قمنا بطرح التساؤل التالي:

ما مدى تأثير شبكة الفيسبوك على انتشار ظاهرة الهجرة لدى الشباب الجزائري؟ وكيف يمكن تغيير هذه الفكرة

لديهم بنفس الوسيلة (الفيسبوك)؟

1- الواقع الاجتماعي لدى الشباب الجزائري:

لا شك ان الشباب هو الثروة الحقيقية لكل امة وهو الضمان لأمنها ومستقبلها نظرا لخصائصه وقدراته الجسمية والعقلية ما يستوجب وضع الشباب وانشغالهم على رأس سلم الاولويات والاهتمامات لكل دولة من حيث برامج التشغيل والتمكين وغيرها لكن يبدو أن هذه الفئة أصبحت تعيش مشاكل كثيرة في السنوات الاخيرة في مختلف الدول ويظهر انها الفئة الأكثر تضررا من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وهي نفس المشاكل التي يعيشها الشباب الجزائري الآن حيث يعاني حالة من التهميش واللامبالاة دفعت به الى حد اليأس والاستسلام للأمر الواقع بعدما اغلقت كل الابواب والمنافذ في وجهه ، شباب يعاني من ضياع ابط حقوقه الاساسية والاجتماعية خاصة رغم انه يعيش في بلد يملك الكثير من الخيرات وتتوفر لديه الكثير من عوامل النجاح ، حيث تبلغ نسبة الشباب في الجزائر أكثر من 70 بالمئة من اجمالي التعداد السكاني ومع ذلك يعيش واقعا اجتماعيا صعبا يمكن تلخيصه فيما يلي:

أولا البطالة:

تعاني الجزائر من معضلة البطالة منذ أكثر من 10 سنوات ورغم انها تمس مختلف الفئات الا ان فئة الشباب أكثر تضررا حيث تظهر الاحصائيات منظمة العمل الدولية ان الجزائر احتلت المرتبة الاولى عربيا بـ46 بالمئة خلال سنة 2009 بينما تشير الاحصائيات الرسمية الوطنية الى ما يلي:

جدول يوضح اعداد البطالين ونسب البطالة :¹ الوحدة: بالملايين

السنوات	1990	1991	1992	1993	1994	1995	1996	1997	1998	1999
اعداد البطالين	1.16	1.23	1.52	1.66	2.11	2.20	2.31	2.38	2.52	2.43
النسب المئوية	19.7	20.3	21.3	23.1	24.4	28.3	28.3	28.6	29.3	29.8

ومنه تميز الوضع الاجتماعي منذ النصف الثاني للثمانينيات إلى غاية عام 1999 بارتفاع كبير في نسب البطالة وصلت في بعض الأحيان إلى أكثر من 30 %، فالأزمة الاقتصادية الحادة التي عاشتها البلاد خلال هذه الفترة والتي اتسمت بتراجع كبير في

¹- حمزة عبد القادر، ترشيد السياسة العامة للتشغيل في الجزائر، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر3، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، قسم التنظيم السياسي والاداري، 2014/2013، ص 97.

حجم الاستثمارات وانخفاض أسعار النفط قد أدت إلى بروز اختلالات كبيرة في سوق الشغل بحيث تقلصت فرص العمل المتاحة بدرجة كبيرة في نفس الوقت الذي سجل فيه تزايد أكبر لطالبي العمل.¹

جدول يمثل نسب البطالة خلال الفترة (2000 - 2008):²

السنوات	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008
نسب البطالة %	30	27.3	25.7	23.7	17.7	15.3	12.3	13.8	11.3

جدول يمثل نسب البطالة خلال الفترة (2009 - 2013):³

السنوات	2009	2010	2011	2012	2013
نسب البطالة %	10.2	10.00	10.00	11.00	9.8

جدول يمثل نسب البطالة خلال الفترة (2014 - 2017):⁴

السنوات	2014	2015	2016	2017
نسب البطالة %	10.6	11.2	9.9	//

من خلال النتائج الموضحة بالجدول السابقة نلاحظ انخفاض نسبة البطالة في الجزائر بشكل عام بداية من سنة 2000 الى غاية سنة 2012 حيث ارتفعت قليلا ثم عادت الى الانخفاض وارتفعت مرة اخرى سنة 2015 وهي السنة التي تمثل بداية انخفاض اسعار البترول وبداية سنوات التقشف، ومن جهة اخرى تفاقم ظاهرة البطالة مس كل الفئات الاجتماعية لاسيما الشباب واصحاب الشهادات العلمية، فمن مجموع العاطلين عن العمل و البالغ عددهم الآن 1.7 مليون شخص نجد ان أكثر من 73 % منهم تقل أعمارهم عن 30 سنة والذين يمثلون فئة الشباب.

¹- فارس شلاي، دور سياسة التشغيل في معالجة مشكل البطالة في الجزائر خلال فترة 2001-2004 مع محاولة اقتراح نموذج اقتصادي للتشغيل للفترة 2005-2009، مرجع سابق، ص85.

²- عامر هواري، قاسم حيزية، السياسات الاقتصادية في الجزائر بين خلق البطالة ومكافحتها، ورقة مقدمة في الملتقى الدولي حول: تقييم سياسات التقليل من الفقر في الدول العربية في ظل العولمة، المنعقد بـ جامعة الجزائر3، يومي 9/8 ديسمبر 2014، ص11،12.

³- حمزة عبد القادر، ترشيد السياسة العامة للتشغيل في الجزائر، مرجع سابق، ص 163 .

⁴- الديوان الوطني للإحصائيات .

ثانيا: العزوف عن الزواج وارتفاع العنوسة:

أصبح الشاب الجزائري يتهرب من مجرد التفكير في الزواج حتى بعد تخطيه سن 30 سنة لما يتطلب الزواج من مصاريف باهظة لا يتحملها أغلب الشباب انطلاقا من غلاء المهور إضافة الى مشكلة السكن التي لم تعرف طريقها للحل بعد والمسؤوليات اللاحقة المترتبة عن الزواج، فالأمر يتعلق ببناء أسرة وبعض الشباب الجزائري فقد الثقة بنفسه في القدرة على تحمل المسؤولية أصلا. والعزوف عن الزواج أدى بالضرورة إلى ارتفاع رهيب في نسبة العنوسة بالجزائر إذ كشفت دراسة "لإذاعة هولندا" حول العنوسة في الوطن العربي أن النسبة في الجزائر تقدر بـ 54 بالمائة من النساء اللاتي بلغن سن الزواج، لتحتل الجزائر بذلك المرتبة الرابعة عربيا في نسبة العنوسة ، و ربما الأكثر حفا من شابات الجزائر هن العاملات حيث تساعدن الوظيفة في الزواج بينما تبقى الغير عاملات أقل حفا في الظفر بشريك العمر في ظل الظروف التي سبق ذكرها.

ثالثا: انتشار الجريمة والمخدرات والاتجار في أوساط الشباب:

في ظل هذا الجو الصعب الذي يعيشه الشباب الجزائري وجدت الجريمة و المخدرات طريقها للفتك به حيث تعرف انتشارا مخيفا في السنوات الأخيرة ، و تشير الإحصائيات الرسمية إلى ارتفاع قضايا الجريمة في الجزائر بنسبة 16.62 بالمائة خلال النصف الأول لعام 2013، كما ارتفعت نسبة الجرائم المتعلقة بسرقة السيارات والنصب والاحتيال وتكوين عصابات إجرام وعصابات تهريب خاصة في الولايات الحدودية و لم تتوقف الجريمة في أوساط الشباب عند هذا الحد إذ انتشرت بينهم ظاهرة الاتجار¹. كما تشير الإحصائيات الرسمية الصادرة عن الديوان الوطني لمكافحة المخدرات إلى وجود 300 ألف مدمن ومستهلك للمخدرات.²

رابعا: العزوف عن المشاركة السياسية:

في الميدان السياسي نجد أن معظم الشباب الجزائري عازف عن المشاركة السياسية و يعيش في قطيعة معها إذ يرى أن الأمر لا يعنيه و أنه خارج اللعبة السياسية بما أنه محروم أصلا من حقوقه الاجتماعية والأساسية من عمل وسكن

¹- ياسر بودرع ، الواقع الصعب للشباب الجزائري، يومية التحرير الجزائرية، العدد 367، 28 جوان 2014.

²- ياسر بودرع ، الواقع الصعب للشباب الجزائري، مرجع سابق.

مع غياب قنوات الحوار والتعبير التي تسمح له أن يُسمع صوته , ليطوي بذلك شباب اليوم تلك الصورة التي لازمت الشباب الجزائري تاريخيا كفاعل رئيسي و مؤثر في الحياة السياسية .

خامسا: الهجرة غير الشرعية:

في سنوات خلت كانت هجرة الوطن واقعا مؤلما لكل مهاجر بعيد عن دياره يتمنى العودة إليها بأسرع ما يمكن لكن الأمر تغير في السنوات الأخيرة بالنسبة لشباب يائس و بلا أمل أصبح يرى في الهجرة خارج وطنه حلما و لو على سبيل المخاطرة بأرواحهم , يفكرون في شيء واحد فقط و هو الذهاب إلى غير رجعة عن طريق الهجرة السرية هربا من أوضاع مزرية شباب صارت الجزائر بالنسبة له إقامة جبرية و كأنهم في سجن لا يوفر لهم سوى الانتظار القاتل فلم يبقى أمامهم من سبيل غير الهجرة غير الشرعية بحثا عن الجنة المزعومة وأملا في مستقبل أفضل و يكفي أن يقرأ الواحد منا الجرائد كل صباح ليعرف حجم الاقبال المتزايد لشبابنا على الهجرة السرية خاصة مع صعوبة حصولهم على تأشيرة لأوروبا باعتبار الشباب الجزائري شخص غير مرغوب فيه بالنسبة لدولها¹.

وهذه النقطة الأخيرة هي المعضلة التي سيتم الحديث عنها بشكل مفصل في العناصر القادمة .. وقبل ذلك لابد من عرض وضعية استخدام الشباب الجزائري للفيسبوك الذي يعد كوسيط لتعميق تلك الظاهرة (الهجرة) ..

2- وضعية استخدام شبكة الفيسبوك لدى الشباب الجزائري

شبكة الفيسبوك شبكة من شبكات التواصل الاجتماعي ظهرت وتطورت مثلها ، لذلك وجب عرض مراحل تطور الشبكات التواصلية وصولا الى شبكة الفيسبوك ، ومن ثم انتشاره في العالم واستخدامه من طرف الشباب الجزائري ..

أولا: نشأة مواقع التواصل الاجتماعي وتطورها:

ظهرت مواقع التواصل الاجتماعي في الولايات المتحدة الأمريكية على مستوى التفاعل بين زملاء الدراسة واول موقع للتواصل الاجتماعي لطلاب المدارس الأمريكية ظهر سنة 1995 وهو موقع classmates . com وهذا الموقع قسم

¹ - ياسر بودرع ، الواقع الصعب للشباب الجزائري ، مرجع سابق.

المجتمع الأمريكي الى ولايات وجميعها تشترك في هذا الموقع حيث يمكن للفرد البحث في هذا التقسيم عن المدرسة التي ينتمي اليها ويجد زملاءه، وتبع ذلك محاولات ناجحة لمواقع تواصل اجتماعي اخرى وكان ذلك بداية الانفتاح على عالم التواصل الاجتماعي بدون حدود، كمرحلة اولى ، وشهدت المرحلة الثانية تطور الشبكات الاجتماعية من خلال الاقبال المتزايد على مواقع الشبكات العالمية وكل ما تتيحه تقنية الويب 2.0 ويتناسب ذلك الاقبال المتزايد مع تزايد مستخدمي الانترنت .

ثانيا: الاستخدام العالمي لشبكة الفيسبوك :

الفيسبوك هو احد شبكات التواصل الاجتماعي التي رغم ان عمرها قصير من حيث النشأة الا انها اصبحت اشهر واكثر استخداما وتأثيرا على مستوى العالم ، حيث تم انشاء موقع فيسبوك في فبراير عام 2004 بواسطة ابن التاسعة عشر من العمر مارك زوكربيرغ وذلك في غرفته بجامعة هارفرد ، وقد كان الموقع في البداية متاحا فقط لطلاب جامعة هارفرد ثم اصبحت متاحا عالميا ، ويرى مخترعه مارك ان الفيسبوك ليس مجرد اداة او وسيلة للتواصل بل هو حركة اجتماعية متكاملة او كما سماه دليل سكان العالم ، وبالتالي كان الهدف منه هو جعل العالم مكانا اكثر انفتاحا. ويشهد على ذلك بعض المؤشرات الرقمية المدرجة ضمن الجدول التالي:جدول يمثل عدد مستخدمي شبكة الفيسبوك مقارنة ببقية الشبكات الاخرى (على الصعيد العالمي):¹

الرقم	اسم الشبكة	عدد المستخدمين (مليون)
01	الفيسبوك	350
02	اوزون	200
03	ماي سبايس	130
04	وينداوز لايف سبايس	120
05	هيبو	117
06	اوركات	100
07	فلكستر	63
08	فلكر	32
09	لاست اف ام	30
10	فوتولوج	20

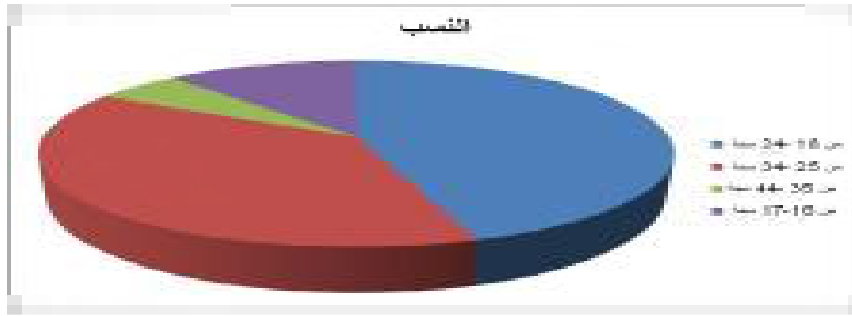
¹ - عبد الرحمان صالحى،، تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على تنمية الوعي السياسي لدى الطلبة الجامعيين، مذكرة ليسانس، جامعة ورقلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، 2013/2014، ص18.

من خلال الجدول نلاحظ ان اكبر شبكة يتم استخدامها من بين شبكات التواصل الاجتماعي هي شبكة الفيسبوك التي تجمع أكبر عدد من المستخدمين عالميا، حيث تمثل نسبة الاستخدام 42.57 بالمئة من بين كل الشبكات العالمية الاخرى ، وهو ما يجعلها تحتل المرتبة الاولى .

ثالثا: استخدام الفيسبوك من طرف الشباب الجزائري:

لم يعد الفيسبوك بالنسبة للشباب الجزائري مجرد موقعا للبحث عن الصداقات بل تحول الى مسرح جديد لإنشاء علاقات مختلفة والتواصل مع مختلف انحاء العالم، حيث يمضي الشباب الجزائري ساعات طويلة امام اجهزة الاتصال حيث تحول في فترة وجيزة الى مغناطيس الكتروني حقيقي يجتمع مجتمعا رقميا يوازي المجتمع الواقعي ، ويظهر الشكل الموالي نسبة استخدام الشباب الجزائري لهذه الشبكة ..

شكل يمثل نسب استخدام شبكة الفيسبوك من طرف فئة الشباب (الجزائري) مقارنة بالفئات الاخرى:¹



من خلال معطيات الجدول نلاحظ ان أكثر فئة تستخدم الفيسبوك في الجزائر هي فئة الشباب وخاصة الذين تتراوح اعمارهم بين 18 – 24 سنة وهي الفئة التي تمثل بداية مرحلة الشباب، ومن جهة اخرى بلغ عدد مستخدمي الفيسبوك من الشباب الجزائري بالنسبة للذكور 68 بالمئة في حين نسبة الاستخدام لدى الاناث 32 بالمئة .

وبعد عرض حجم الاستخدام للفيسبوك من طرف الشباب الجزائري سنحاول دراسة تأثيره على احداث تغير اجتماعي سلبي لديهم تمثل في ظاهرة الهجرة كفكرة وسلوك..

¹ - مريم نزيهان نومار، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية – دراسة عينة من مستخدمي موقع الفيسبوك في الجزائر-، مذكرة ماجستير، جامعة باتنة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، 2011/2012، ص 58.

3- دور الفيسبوك في تعميق ظاهرة الهجرة كفكرة وسلوك لدى الشباب الجزائري

الهجرة نوعان هجرة إيجابية ذات بعد سياعي او انتقالي قانوني وهجرة من نوع اخر ، ونحن في حديثنا عن موضوع الشباب الجزائري نتحدث عن الهجرة من النوع الاخر ذات البعد السلبي ولذلك وجب شرح المقصود بكلا النوعين حتى يتسنى فهم الموضوع ..

أولاً: مفهوم الهجرة غير الشرعية:

لغة" ان كلمة الهجرة جاءت في اللغة العربية من الهجر ضد الوصل

بالمعنى الاصطلاحي الترك والتقاطع من ارض الى ارض وهذا حسب لسان ابن منظور

وبالتالي فالهجرة هي عملية الانتقال MIGRATION من مكان الى اخر وبخاصة من دولة الى اخرى.

أما التعريف الاحصائي للهجرة فيشير الى كل حركة من خلال الحدود الدولية ما عدا الحركات السياحية.

أما عن الهجرة غير الشرعية فهي نوع من الهجرة غير المرفقة بالوثائق الرسمية القانونية ولها 05 صور:

- 1- المهاجرون الذين يعبرون الحدود مخبئين في القطارات او السيارات او يعبرون البحر بواسطة المراكب
- 2- الدخول القانوني بتصريح لفترة سياحة قصيرة ثم التمادي في الإقامة بعد ذلك
- 3- الدخول الذي يبدو قانونيا ولكن بوثائق مزورة
- 4- الدخول بصفة باحثين عن اللجوء ، ثم الإقامة بعد رفض طلب اللجوء
- 5- الدخول بطريقة شرعية الى احد الاقطار ثم التسلل الى القطر المجاور بطريقة غير شرعية

ثانياً: انتشار ظاهرة الهجرة لدى الشباب الجزائري:

نتحدث هنا عن ظاهرة الهجرة بالمعنى الثاني (السلبي) حيث كشفت احصائيات المنظمة الدولية للهجرة لسنة 2016 أن عدد المهاجرين الجزائريين الى اوروبا بلغ 180245 مهاجرا وصلوا الى كل من ايطاليا والنمسا واليونان وتشير احصائيات المنظمة ذاتها لسنة 2015 الى ان أكثر من 350000 مهاجرا وصلوا الى اوروبا معظمهم عن طريق ليبيا من بينهم 23000 وصلوا الى ايطاليا و 12000 الى اليونان مشيرين الى ان ظاهرة الهجرة غير الشرعية تكثفتها العديد من المخاطر التي

ادت الى هلاك العديد من المهاجرين ، حيث تشير الاحصائيات الرسمية لهذه المنظمة أن الهجرة غير الشرعية عبر البحار ادت الى مقتل أكثر من 350000 مهاجرا غرقوا سنة 2014 في حين تجاوز عدد الغرقى منهم في حصيلة الاشهر الاربعة الاولى من سنة 2015 الى 160000 غريق فيما وصل عدد الغرقى سنة 2016 حوالي 1231 غريق¹.

وفما يتصل بالأسباب التي ادت الى انتشار هذه الظاهرة وارتفاع تكلفتها فقد تعددت وتنوعت ويمكن اعتبار الواقع الاجتماعي للشباب الجزائري الذي تكلمنا عنه سابقا من بين أكثر الاسباب ، وما زاد تعميق الظاهرة هو انتشار مواقع التواصل الاجتماعي وعلى رأسها الفيسبوك كأكبر شبكة اجتماعية من حيث الاستعمال وهو ما سنتكلم عنه في العنصر الموالي..

ثالثا: تأثير الفيسبوك في تجذر ظاهرة الهجرة لدى الشباب الجزائري كفكرة وسلوك:

وسائل التواصل الاجتماعي تلعب دورا كبيرا في ترسيخ الافكار والتصورات والتي تترجم فيما بعد الى سلوكات، حيث تعتبر شبكات الهجرة غير الشرعية من اهم العوامل التي تساعد على هذا النوع من الهجرة وشبكات الهجرة هي مجموعة من العلاقات بين نوع من الاشخاص الذين سبقت لهم الهجرة والناشطون في مواقع التواصل الاجتماعي وعلى رأسها الفيسبوك.

ومن جهة اخرى تشجيع الدول الغربية للمهاجرين عبر هذه الشبكة باسم الحرية ، والبحث عن مناخ اوسع للممارسة².

حيث يتيح الفيسبوك قبول الصداقة من الجنسين ومن مختلف جهات العالم وبالتالي فتح مجال الاعراء للاطلاع على العالم الاخر والابتعاد عن الاهل والاصدقاء، ومن هنا تبدأ عملية خلق الفجوة بين العالم الحقيقي والعالم الافتراضي وبالتالي تتغير الاهتمامات والثقافات لدى المستخدمين.

¹ - فائزة لعموري، أكثر من 180 الف هاجروا الى اوروا في 2016، جريدة المساء، العدد 5865 بتاريخ 26 افريل 2016.

² - فائزة لعموري، أكثر من 180 الف هاجروا الى اوروا في 2016، جريدة المساء، العدد 5865 بتاريخ 26 افريل 2016.

وباعتبار الشباب الجزائري أكثر عاطفة فهو من أكثر الشباب العربي توثرا بالقيم الغربية يلجأ الى تكوين علاقات وهمية ويصبح مستعد لتلقي كل ما يمكن ان يجرده من وطنيته واتمائه واصوله ، وتتعمق في ذهنه ظاهرة الهجرة والهروب من الوطن.

وعلى الرغم من ذلك كما يقال يمكن ان تصنع من الليمون عصيرا حلوا، يمكن ان تصنع من الفيسبوك وسيلة ايجابية لمحاربة ظاهرة الهجرة بدلا من تعميقتها ، كيف يمكن ذلك ؟ هذا ما سنتعرف عنه في العنصر الموالي..

4- ضمانات استخدام الفيسبوك كوسيلة مرغوبة لتغيير السلوك الاجتماعي للشباب الجزائري نحو الافضل:

اصبحت شبكات التواصل الاجتماعي ركن رئيس مشترك في كافة خطط العمل الدولية والاقليمية لمكافحة ظاهرة الهجرة وباعتبار الفيسبوك أكبر هذه الشبكات استخداما خاصة من طرف الشباب بسبب قدرته على الوصول الى قطاعات عريضة من هذه الفئة وبالتالي بإمكانه التغيير الايجابي لبعض القيم المجتمعية التي تؤثر بالسلب في تعميق ظاهرة الهجرة ومنه فإن المعالجة المطلوبة لهذه الظاهرة تكمن باستعمال نفس الوسيلة (الفيسبوك) ، حيث ان توفير اجواء داعمة للشباب الجزائري للبقاء في وطنه لا تكلف البحث عن مشاريع عملاقة لامتناس مشاكل الشباب الجزائري بأكملها، حيث أن توفير محيط اقل قسوة ومجرد الاعتراف بأهمية الشاب ومكاته في المجتمع والدولة وتحسيسه بضرورة البحث عن حلول لمشاكله، تعتبر في حد ذاتها خطوة ايجابية لتحقيق التغيير الايجابي المطلوب في افكاره وسلوكاته فيما بعد، وبالتالي استخدام أكبر شبكة يلجأ لها الشاب الجزائري كوسيلة لذلك..

وبالتالي يمكن الاشارة الى مجموعة من النقاط اللازمة لإحداث هذا التغيير الاجتماعي الايجابي:

1- تنظيم حملة فيسبوكية اعلامية تحت شعار "ليس هكذا" تهدف الى مخاطبة مشاعر الشباب الجزائري وعقولهم في ذات الوقت من خلال تقديم رسائل قصيرة تتضمن معلومات عن مخاطر الهجرة غير الشرعية والبدائل المتاحة سواء كانت فرص عمل او تمويل مشاريع صغيرة ومتوسطة وعرض لتجارب نجاح استطاع الشباب تحقيقها دون اللجوء الى الهجرة خارج الوطن.

2- تنظيم حملات اجتماعية ذات بعد ديني تعمل على تعزيز الشعور بقيمة الروح البشرية وتقدير قيمة العمل ورعاية الاسرة .

3- فتح صفحات خاصة بتوعية الشباب بمخاطر هذه الظاهرة وتمويل هذه الصفحات ماليا والترويج لها بحيث تكون مثل قنوات الاتصال الجماهيري عبر الفيسبوك .

4- تسهيل عملية الوصول الى المعلومة بالمؤسسات الرسمية وكالات التشغيل والهيئات المكلفة بتطوير ودعم الشباب والتنمية البشرية من خلال صفحات التواصل الاجتماعي وجعلها فضاء للتغيير الايجابي والشفافية حتى يتم غرس الروح الوطنية لدى الشاب الجزائري وشعوره بحب وطنه الذي يهتم به والذي يوفر له كل ما هو بحاجة له او على الاقل معاملته بأن له اهمية كفرد ومواطن في هذه البلاد .

5- فتح قنوات للحوار وخلق شبكات الهجرة الناشطة عبر الفيسبوك من خلال مراقبتها واستحداث آليات لتفكيكها وكشفها.
الخاتمة:

في الاخير يمكن القول أن وسائل التواصل الاجتماعي والاعلام فعلا تلعب دورا في قضايا التغير الاجتماعي سواء نحو الطريق المرغوب او الطريق المضاد، وطريقة استخدامها هي التي تحدد المسار الذي يتجه اليه نوع التغير ، وبالتالي فاستخدام الفيسبوك من طرف الشباب الجزائري كان له تأثير واضح في تعميق ظاهرة الهجرة كفكرة وسلوك وأدت الى انتشار هذه الظاهرة بشكل ملفت للانتباه، وفي الوقت ذاته ساعدت على تقليصها في جوانب اخرى، حيث نجد في مقابل انتشار مجموعات وصفحات الفيسبوك المشجعة على ظاهرة الهجرة وتنمية روح الكره للوطن وزرع الفتنة والترغيب في الهروب غير الشرعي، نجد مجموعات وصفحات اخرى تحارب ذلك وتسعى لنشر الروح الوطنية وقيم الانتماء والتغيير الداخلي بدلا من الهروب .

ولكن ذلك لا يكفي دون مساهمة الدولة من جهتها في محاربة ظاهرة الهجرة غير الشرعية وتقليصها بدلا من تعميمها ، وكذا البحث عن اسبابها والاعتراف بها بدلا من تجريمها وذلك باستغلال هذه الوسيلة (الفيسبوك) او الشبكة كسلاح ذو حدين لمحاربة تلك الظاهرة .

قائمة المراجع :

1. حمزة عبد القادر، ترشيد السياسة العامة للتشغيل في الجزائر، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر3، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، قسم التنظيم السياسي والاداري، 2013/2014.
2. فارس شلالي، دور سياسة التشغيل في معالجة مشكل البطالة في الجزائر خلال فترة 2001-2004 مع محاولة اقتراح نموذج اقتصادي للتشغيل للفترة 2005-2009، مرجع سابق.
3. عامر هواري، قاسم حيزية، السياسات الاقتصادية في الجزائر بين خلق البطالة ومكافحتها، ورقة مقدمة في الملتقى الدولي حول : تقييم سياسات التقليل من الفقر في الدول العربية في ظل العولمة ، المنعقد ب جامعة الجزائر3، يومي 9/8 ديسمبر 2014.
4. حمزة عبد القادر، ترشيد السياسة العامة للتشغيل في الجزائر، مرجع سابق.
5. الديوان الوطني للإحصائيات .
6. ياسر بودرع ، الواقع الصعب للشباب الجزائري، يومية التحرير الجزائرية، العدد 367، 28 جوان 2014.
7. عبد الرحمان صالح،، تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على تنمية الوعي السياسي لدى الطلبة الجامعيين، مذكرة ليسانس، جامعة ورقلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، 2013/2014.
8. مريم نزيان نومار، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية – دراسة عينة من مستخدمي موقع الفيسبوك في الجزائر-، مذكرة ماجستير، جامعة باتنة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، 2011/2012.
9. فائزة لعموري، أكثر من 180 الف هاجروا الى اوروبا في 2016، جريدة المساء، العدد 5865 بتاريخ 26 افريل 2016.

Ministry of Higher Education and Scientific Research

ZIANE Achour University _ Djelfa, Algeria2



2

JOURNAL OF

sociology

Sociologie

Studies and social researchs

International Refereed Journal.

Special edition of some of the work national school day :

Readings on issues of social change 17 April 2017

Issue 01 - April 2017

ردمك : 2602-5647 issn: